

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

العدد الثاني عشر - السنة السادسة، ربیع الثاني ١٤٤٢هـ، ونمبر ٢٠٢٢

«كُتبَ أَنْزَلْتَهُ إِلَيْكَ مُبَرَّكٌ لِيَذَرْفُوا إِلَيْهِ، وَلِسَدْرَكَ أَوْلَوَ الْأَلْبَبِ» (ص: ١٢٩)

ଶାନ୍ତିକାଳ

## مُصْنُوعَاتُ الْعَرْوَ:

- ٤- معاذ الله التاكو في صفة القرآن الكفر: (ورث ثمنه)  
د. باني ركوب عبد العالى

٥- النساء شر وعنة، وآدمها، ومجملها في صفة القرآن الكريم  
د. سلطان بن عبد الله الجزاوى

٦- بلاك افال على الآيات والإشارات في صفة القرآن  
مث. ولتها، والثبات، والنجح، وتحمل، وتأثر، فنار على بيته  
د. الامير محمود سليمان ابراهيم

٧- المؤمن الحكيم في الصدقة حروفها من الحركات الحسينية  
واذها في المتن والتدبر: (ورث ثمنه)  
محمد بن عبد الكفر بن عمار

٨- شيخ ارشاد عاليهم اكابر في صفة القرآن الكريم  
جمعة بن عبد الله سعاده شواهنة

# مجلة لِتْرٌ

مجلة دورية علمية محكمة تهتم ببحوث ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم ، وتصدر مررتين في السنة

العدد الثاني عشر-السنة السادسة. رجب ١٤٤٣هـ / فبراير ٢٠٢٢م

رئيس تحرير

أ.د. محمد بن عبد العزيز العواجي

الأستاذ يقسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مذكرة تحرير

أ.د. محمد بن عبد الله الريعة

الأستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى بمحكمة المكرمة

أمين تحرير

مصطفى محمود عبد الواحد



## حقوق الطبع محفوظة

## مجلة تدبر

ص ٤٨، ٢٤×١٧ سم

رقم الاليداع: ٥٨٨٣ / ١٤٣٨

پتاً ریخ: ۲۴ / ۶ / ۱۴۳۸

ردم : ۴۷۶۴۲-۱۶۵۸



٢٥) رياًًاً سعودياًً أو ما يعادلها

المجلة مصّحة من وزارة التعليم بالمملكة العربية السعودية برقم ٣٧٥

الْمُبَرَّأَةُ مِنِ الْمُنَكَّرِ

## جميع المراسلات وطلبات الاشتراك باسم:

## سیسی هیئت التحریر

د. محمد بن عبد العزيز العواجي

لِمَلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْسَّعُودِيَّةِ

۷۱۱۹ ب

٤١٤٦٢ المنشورة في المدينة

info@tadabburmag.sa

10

+966 50 30 72 333



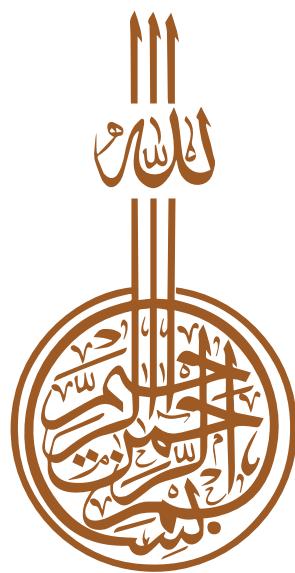
@tadabburmag



<http://www.tadabburmag.sa>



المواضيع المنشورة في المجلة تعبّر عن آراء أصحابها







# مجلة تدبر القرآن

مجلة دورية علمية محكمة، تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات العلمية المتصلة ب مجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة.

## الرجعيّة:

◆ مصريحة من وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية برقم ٣٧٥.

## الرسالة:

◆ أن تكون المجلة خيار الباحثين الأول لنشر بحوثهم في تدبر القرآن

ال الكريم.

## الرسالة:

◆ أن تكون وعاءً علمياً محكماً للباحثين لنشر أعمالهم العلمية في تدبر

القرآن الكريم وما اتصل به وفق معايير مهنية عالمية للنشر.

## الأهداف:

◆ تشجيع البحث العلمي المتصل بتدبر القرآن الكريم.

◆ نشر البحوث العلمية والدراسات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

◆ فتح آفاق جديدة للبحث العلمي المتخصص في مجالات تدبر القرآن.

◆ تحقيق التواصل العلمي بين المعنيين بالدراسات القرآنية من خلال

تبادل الخبرات.



## مَحَالَاتُ النَّشْرِ فِي الْمَجَلَّةِ

◆ أولاً: البحوث والدراسات في مجالات تدبر القرآن الكريم وتشمل:

- ﴿ التأصيل العلمي في تدبر القرآن الكريم. ﴾
- ﴿ تعليم تدبر القرآن الكريم. ﴾
- ﴿ الاستنباط من القرآن الكريم. ﴾
- ﴿ المقاصد القرآنية. ﴾
- ﴿ المناسبات القرآنية. ﴾
- ﴿ الإعجاز القرآني. ﴾
- ﴿ البلاغة القرآنية. ﴾
- ﴿ الموضوعات القرآنية. ﴾

◆ ثانياً: تقارير الملتقيات والمؤتمرات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

◆ ثالثاً: ملخصات الرسائل العلمية المتميزة في المجالات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

◆ رابعاً: ما تطرحه هيئة التحرير من قضايا تستكتب فيها المتخصصين في المجالات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.





## رَعَيْتَ هَيْثَةَ الْتَّهْجِيرِ

أ.د. محمد بن عبد العزيز العواجي

الأستاذ يقسم القرآن وعلوم القرآن بجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

## أَعْضَاءُ هَيْثَةِ الْتَّهْجِيرِ

أ.د. إبراهيم بن صالح الحميضي

الأستاذ يقسم القرآن وعلومه بجامعة القصيم

أ.د. عبد الرحمن بن قاصم يوسف

الأستاذ يقسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. يوسف بن عبد الله العلوي

الأستاذ يقسم التلاوة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. محمد بن عبد الله التبيعة

الأستاذ التقسيم وعلوم القرآن بجامعة الأم القرى بمكة المكرمة

د. بريث بن سعيد القرني

الأستاذ التقسيم وعلوم القرآن بجامعة الإمام القرى بمكة المكرمة

## مَلَكُ الْتَّهْجِيرِ

أ.د. محمد بن عبد الله التبيعة

الأستاذ التقسيم وعلوم القرآن بجامعة الأم القرى بمكة المكرمة

## أَفِيزُ اللَّهِ تَهْجِيرٌ

مُصطفى محمود عبد الواحد

## لِهَيْثَةِ الْتَّهْجِيرِ

د. فيصل بن جميل حسن غنawi

إمام وخطيب الحرم المكي الشريف

أ.د. الشاهد البوشنجي

رئيس مجلس إدارة مؤسسة مجمع للدراسات والبحوث بالمعرب

## أ.د. عبد الرحمن بن معاذ الشمري

أستاذ الدراسات العليا بجامعة العالى سعود بالرياض

أ.د. علي بن إبراهيم الزهراني

أستاذ الدراسات العليا بجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أ.د. يحيى بن محمد زمامي

أستاذ الدراسات العليا بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

## أ.د. عبد الحكيم بن محمد الأبنيس

كبير أUGIN أول، مدير هيئة كبار العلماء بآية الشفاعة الإسلامية والعمل الخيري بـ

أ.د. طبرى بن عابدين طبرى حمدى

أستاذ التقسيم وعلوم القرآن

أ.د. أحمد خالد شكري

الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة الأردنية

أ.د. أحمد بن محمد الشرقاوى

أستاذ التقسيم وعلوم القرآن بجامعة الأزهر الشريف بمصر

عضو اللجنة العلمية الدائمة لتقدير الآثار بجامعة الأزهر.



## قَوْلَيْلَ وَشَرْفَطُ النَّشَرِ

### ◆ أولاً: طباعة المواد المنشورة :

تهدف المجلة إلى إتاحة الفرصة للباحثين في جميع بلدان العالم لنشر إنتاجهم العلمي في مجالات تدبر القرآن الكريم؛ على أن تتوافق فيه الأصالة والجدة، وأخلاقيات البحث العلمي، والمنهجية العلمية.

وتقوم المجلة بنشر المواد التي لم يسبق نشرها باللغة العربية، وتقبل المواد في أيٌ من الفئات الآتية:

◀ البحوث الأصلية.

◀ مُستخلصات المشاريع والرسائل العلمية المتميزة.

◀ تقارير الملتقيات والمؤتمرات العلمية.

### ◆ ثانياً : الإجراءات العلمية لتقديم البحث :

١- أن يكون في مجالات المجلة.

٢- كتابة مقدمة تحتوي على (موضوع البحث، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته، وخطة البحث).

٣- تبيين الدراسات السابقة - إن وجدت - وإضافته العلمية عليها.

٤- تقسيم البحث إلى أقسام (مباحث) وفق (خطة البحث)؛ بحيث تكون مترابطة.

٥- يكتب البحث بصياغة علمية متقنة، خالية من الأخطاء اللغوية وال نحوية، مع الأمانة العلمية والدقة في التوثيق.

٦- كتابة خاتمة بخلاصة شاملة للبحث؛ تتضمن أهم النتائج والتوصيات.



## ثالثاً : الأجراءات الفنية المقدير أليخت :

- ◀ لا يتجاوز عدد صفحات البحث (٦٠) صفحات مقاس (A4) متضمنة الملخصين العربي والإنجليزي، والمراجع، ولا يقل عن (٢٠) صفحة.
- ◀ هوامش الصفحة تكون (٢ سم) من: أعلى، وأسفل، ويمين، ويسار، ويكون تباعد الأسطر مفرداً.
- ◀ يستخدم خط (traditional arabic) للغة العربية بحجم (١٦)، وبحجم (١٢) للحاشية والمُستخلص، وبحجم (١١) للجداول والأشكال.
- ◀ يستخدم خط (Times New Roman) للغة الإنجليزية بحجم (١٢)، وبحجم (١٠) للحاشية والمُستخلص والجداول والأشكال.
- ◀ تُكتب الآيات القرآنية وفق المصحف الإلكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بحجم (١٤) بلون عادي (غير مسود).
- ◀ تُوضع حواشى كل صفحة أسفلها على حدة، ويكون ترقيم حواشى كل صفحة مستقلاً، وتُضبط الحواشى آلياً لا يدوياً.
- ◀ تكتب بيانات البحث باللغتين (العربية والإنجليزية)، وتحتوي على: (عنوان البحث، اسم الباحث والتعريف به، بيانات التواصل معه، عناوين رسائله العلمية وأشهر أبحاثه).
- ◀ لا يتجاوز عدد كلمات المُستخلص (٢٥٠) كلمة، ويتضمن العناصر التالية: (موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه) مع العناية بتحريرها بشكل دقيق.
- ◀ يُتبع كل مُستخلص (عربي / إنجليزي) بالكلمات الدالة (المفتاحية) المُعَبَّرة بدقة عن موضوع البحث، والقضايا الرئيسية التي تناولها، بحيث لا يتجاوز عددها (٦) كلمات.

◀ سلامه البحث من الأخطاء اللغوية وال نحوية والإملائية.

◀ كتابة الحاشية السفلية يكون بذكر (عنوان الكتاب، واسم المؤلف، والجزء/ الصفحة)؛ حسب المنهج العلمي المعمول به في توثيق الدراسات الشرعية واللغة العربية.

**مثال:** لسان العرب، لابن منظور (٢٣٣ / ٢).

أما الآية القرآنية: فيُشار إليها في المتن فقط باسم السورة يتبعه نقطتان: ثم رقم الآية [النساء: ٥٥].

◆ رابعاً: كيَفَيَّةُ تَوْثِيقِ الْمَرْجُعِ :

يُوقَّعُ الْبَاحِثُ الْمَرْجُعَ فِي تَهْأِيَةِ الْبَحْثِ حِسْبَ الْنِّظامِ التَّالِيِّ :

■ إذا كان المرجع (كتاباً): («عنوان الكتاب». فالاسم الأخير للمؤلف (اسم الشهرة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى). فاسم المحقق -إن وجد-. في بيان الطبعة، فمدينة النشر: فاسم الناشر، فسنة النشر).

**مثال:** «الجامع الصحيح». الترمذى، أبو عيسى؛ محمد بن عيسى. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين. ط ٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٤ م.

■ إذا كان المرجع (رسالة علمية لم تُطبع): («عنوان الرسالة». فالاسم الأخير للباحث (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى. فنوع الرسالة (ماجستير / دكتوراه)، فالمكان: فاسم الكلية، فاسم الجامعة، فالسنة).

**مثال:** «يعقوب بن شيبة السدوسي: آثاره ومنهجه في الجرح والتعديل». المطيري، علي بن عبد الله. رسالة ماجستير، السعودية:



▪ إذا كان المرجع (مقالاً من دورية): (عنوان المقال). فالاسم الأخير للمؤلف (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى. فاسم الدورية، فالمكان، فرقم المجلد، (رقم العدد)، فسنة النشر، فالصفحة من ص... - إلى ص...).

مثال: «الإمام عَفَانَ بْنُ مُسْلِمَ الصَّفَارِ وَمِنْهُجِهِ فِي التَّلْقِيِّ وَالْأَدَاءِ وَالنَّقْدِ». المطيري، علي بن عبد الله. مجلة جامعة القصيم: العلوم الشرعية، القصيم. م (٣)، (١)، ١٤٣١ هـ، ٣٥ - ٨٥.

هذا بالإضافة إلى ذكر بعض الاختصارات إن لم يوجد لها أيُّ بيان في بيانات المرجع، وهي:

﴿ بـ لـ ﴾ بدون اسم الناشر: د. ن

﴿ بـ طـ ﴾ بدون رقم الطبعة: د. ط

﴿ بـ تـ ﴾ بدون تاريخ النشر: د. ت

▪ ترتيب المراجع ترتيباً ألفبائيّاً.

◆ خامسًا : بِيَانِ مِسَارِ الْبَحْثِ الْمُقَدَّمَ لِلْمَجَلَةِ :

١ - إرسال البحث لموقع أو بريد المجلة يُعدُّ تعهداً من الباحث بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه غير مُقدَّم للنشر، ولن يُقدَّم للنشر في جهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه في المجلة.

٢ - لجنة تحرير المجلة حُقُّ الفحص الأوَّلي للبحث، وتقرير أهليَّته للتحكيم، أو رفضه.

- ٣- إطلاع الباحث على خلاصة تقارير الممكّمين؛ ليعدّل بحثه وفقها، ويبين رأيه فيما لا يأخذ به من أقوالهم، وتحسم الهيئة الخلاف بينهما.
- ٤- في حال (قبول البحث للنشر) يتم إرسال رسالة للباحث بـ(قبول البحث للنشر)، وعند رفض البحث للنشر يتم إرسال رسالة (اعتذار للباحث).
- ٥- للباحث -بعد نشر عمله في المجلة- أن ينشره مرة أخرى بعد مضي ستة أشهر من صدورها.
- ٦- إرسال البحث عبر الموقع أو البريد الإلكتروني للمجلة بعد قبوله من الباحث بـ(شروط النشر في المجلة)، ولهيئة التحرير الحق في تحديد أولويات نشر البحوث.
- ٧- الآراء الواردة في البحوث المنشورة تُعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا تُعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- ٨- يمنح الباحث خمس مستلات من بحثه ونسختين من العدد الذي نشر فيه بحثه.

بفضل الله وتوفيقه حصلت مجلة تبر على المرتبة الأولى على المستوى العربي لعام (٢٠٢١م) في معامل التأثير والمستشهادات المرجعية العربية (أرسيف arcif) من بين (٧٩) مجلة في تصنيف الدراسات الإسلامية. وحصلت على المرتبة (٦٢) مكررًا من بين (٧٧) مجلة في معامل أرسيف.

المواード العلمية المنشورة في المجلة تُعبر عن آراء أصحابها





## المُحْكَيَات

الصفحة	الموضوع
١٧	◆ <b>كَلِمَتَهُنَّ دَيْنِ الْبَحْرِيِّ</b> أولَّا: الْبُحُوث
٢١	◆ <b>مَقَاصِدُ الْبَلَاءِ فِي صَوْنَهُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ</b> : «دِرَاسَةٌ مُوْضُوعِيَّةٌ» د. بَاتِي زَكُوبُ عَبْدُالْعَالِي
١٥٥	◆ <b>الصِّيَامَةَ مَسْتُرُّ عَيْهَا، وَادَّهَا، وَحَجَّهَا فِي صَوْنَهُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ</b> د. سُلَطَانُ بْنُ عَبْدِاللهِ الْجَبَرُوْع
٢٣٥	◆ <b>دَلَالَاتُ أَفْعَالِ خَلْقِ الْأَكْوَانِ وَالْإِنْسَانِ فِي صَوْنَهُ الْقُرْآنِ</b> «بَشَّ، وَلَجَّا، وَأَبْنَتَ، وَلَخَّرَ، وَجَعَلَ، وَنَسَرَ» «فَلَامِعٌ طَبِيقِيَّةٌ» د. الْأَمِيرُ مَحْفُوظُ مُحَمَّدُ إِبْرَاهِيمُ
٢٣٥	◆ <b>الرُّوْفُقُ الْحَرَكِيَّةُ فِيمَا اتَّخَذَتْ حُرُوفُهُ مِنَ الْأَقْرَاءِ الْفَرْشَيَّةِ</b> وَأَثْرَهَا فِي الْمَعْنَى وَالْتَّدَبُّرِ «دِرَاسَةٌ نَظَيِّفَيَّةٌ» مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِالْكَرِيمِ بْنِ بَغَامِر
٤٢١	◆ <b>تَسْبِيحُ الرَّسُولِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي صَوْنَهُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ</b> جَمَّزَةُ بْنُ عَبْدِاللهِ سَعَادَةُ شَوَاهِنَةُ





بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ



فَتَلَحِيْهِ الْعَدَدُ





## كَلِمَاتُ دَبِيرِ الْمُتَحَمِّلِ

الحمد لله الذي أنزل الكتاب نوراً وهدى للناس، وأمرهم بتعلمه وتدبره والعمل به والدعوة إليه.

والصّلاة والسلام على النبي الأمي المصطفى، الذي علّمه ربُّه فوعى، واجتباه فهدى، وقام بأمر الله فذَّكَرَ وعْلَمَ، ونصح وبلغ، فترك أمهاتِه على المحاجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، وكان لكتاب الله خير المتذمّرين، وأنموذج العاملين المخلصين، وقدوة الناس أجمعين، فصلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن سار على نهجه وستّه إلى يوم الدين.

### أَمَّا بَعْدُ:

فيسر مجلة تدبر أن تختم عامها السادس بعدد حافل مكتنز بالأبحاث العلمية المحكمة، حيث جاء هذا العدد **(الثاني عشر)** في جزأين، وأكثر من **(٨٠٠)** صفحة، مشتملة على عشرة أبحاث متنوعة في مجالات تدبر القرآن الكريم، ومتعددة الباحثين وبلدانهم ومراتبهم العلمية، مع تقريرين عن بعض الأعمال والجهود المتعلقة بالتدبر.

وإننا إذ نحمد الله تعالى على هذا الإنجاز، ونشكره على ذلك المستوى الذي وصلت إليه المجلة في مجال التصنيف المحلي والعالمي؛ فإننا نتقدم بالشكر لهيئة التحرير على ما تقدمه من جهد ومتابعة علمية وعملية في مختلف مراحل تحكيم البحوث ونشرها.

والشكر موصول لكل المحكمين الذين بذلوا جهوداً جليلة في قراءة الأبحاث وتدقيقها، والسعى لكمالها وخروجها بأفضل حال، مع الحرص التام على الارتقاء بمستوى الباحثين والنصح لهم، وإفادتهم، وفتح الآفاق لهم في قضايا البحث، وذلك وفق المعايير المعتبرة للتحكيم العلمي.

والشكر للباحثين، الذين خصوا المجلة بأبحاثهم، والذين تواصلوا بعد التحكيم مقدرين الجهد المبذول لهم، ومعترفين بإفادتهم مما أُسدي لهم من آراء، سواء من هيئة التحرير أم من المحكمين.

والشكر لكل من دعم المجلة، وأفاد منها، وتابع أعدادها، وسعى للتعريف بها ودعمها في مسيرتها العلمية.

نَسَأَ اللَّهُ أَنْ يَبْارِكَ فِي الْجَهُودِ وَيُنْفَعَ بِهَا، وَيَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ جَمِيعًا مِنْ أَهْلِ  
الْقُرْآنِ، وَيَرْزُقَنَا الْعِلْمَ بِهِ وَحْسَنَ الْتَّدْبِيرِ لِهِ وَالْعَمَلِ بِهِدِيهِ.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَفْوَمُ وَيُنَهِّيَّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْصَّنْعَاتِ أَنَّ لَهُمْ  
أَجْرًا كَيْرًا﴾ [الإسراء: ٩].

أَخْوَكُمْ

رَئِيسُ هِيَةِ تَحْكِيمِ الْمَجْلِسِ

أ.د. مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّزِّيْزِ الْعَوَاجِي

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ



أوَّلًا: الْبُحُوث



# بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ



## مَقَاصِدُ الْبَلَاءِ فِي صَوْرَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

«دِرَاسَةٌ مُوْضُوعِيَّةٌ»



د. بَايِيْ زِكُوبُ عَبْدُ الْعَالَى

الأستاذ المشارك بقسم القرآن الكريم وعلومه، كلية

العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية - ماليزيا

حصل على درجة الماجستير من كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، قسم القرآن والسنة، الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا.

حصل على درجة الدكتوراه من كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، قسم القرآن والسنة، الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا.

### النتائج العلمية:

«دور توظيف تدبُّر القرآن الكريم في تعزيز أخلاق البحث العلمي من وجهة نظر محاضري كلية العلوم الإسلامية بجامعة المدينة العالمية ماليزيا»، (بحث محكَّم منشور)، «القلب بين القرآن الكريم والعلم الحديث»، (بحث محكَّم منشور)، «من خصائص الخطاب الإصلاحي في تفسير الإمام عبد الحميد بن باديس»، (بحث محكَّم منشور)، «وجوه الخطاب الإصلاحي في تفسير الإمام عبد الحميد بن باديس»، (بحث محكَّم منشور)، «مصطلح المال في القرآن الكريم ووسائل الحفاظ عليه في الشريعة الإسلامية»، (بحث محكَّم منشور)، «الطرق المنحرفة في التفسير وأثرها في تغريب الأمة الإسلامية»، (بحث محكَّم منشور)، «هدايات تشريعية لأحكام الأطعمة في ظلال سورة المائدة: دراسة تفسيرية موضوعية»، (بحث محكَّم منشور) «مقوّمات تدبُّر القرآن الكريم ومعوقاته»، (بحث محكَّم منشور)، مصطلح العقل في القرآن الكريم ووسائل الحفاظ عليه: دراسة قرآنية مقاصدية (بحث محكَّم منشور) وغير ذلك.

البريد الشبكي: [bey.zekkoub@mediu.edu.my](mailto:bey.zekkoub@mediu.edu.my) / [beyzekoub@yahoo.fr](mailto:beyzekoub@yahoo.fr)

قدم للنشر في: ١٤٤١/٧/١٩

قبل للنشر في: ١٤٤١/١٢/٢٢

نشر في: ١٤٤٣/٧/١





## المُسْتَخَلَصُ

يعنى هذا البحث بدراسة: (مقاصد البلاء في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية)، وقد هدف إلى بيان مقاصد البلاء المنصوص عليها في القرآن الكريم، أو المبثوثة في ثنايا سياقاته؛ لِمَا له من أثر عقائديٌّ، وتربيويٌّ، وأخلاقيٌّ، في حياة المسلم. موظفًا المنهج الاستقرائي التحليلي، ثم المنهج الاستنباطي. وقد توصل البحث إلى أنَّ المقصود الرئيس من البلاء؛ استخراج ما عند المبتلى من معانٍ العبوديَّة لله وحده، والتعرُّف على حاله في الطاعة والمعصية؛ بتحميمه الصَّيق، والمشَّقة، والألم. كما توصل إلى استنباط أهمٍّ مقاصد البلاء من خلال القرآن الكريم، وتحليلها ودراستها، التي أوصلتها الباحث إلى اثنى عشر مقصداً قرآنياً؛ ليكون ذلك طرِيقاً هادياً في الحفاظ على النُّعم وإربائها، وفي دفع ما يستجدُّ من أنواع المصائب ودرئها؛ ذلك أنَّ البلاء يُظهِرُ حال المبتلين، ومدى تطبيقهم للتكاليف والتَّواهِي، وتنتجَّلُ به نياتهم في سرعة الاستجابة لله، وللرسول ﷺ، ويختلف ذلك من شخص لآخر، حسب قوة الإيمان في القلب، وحسب إدراك المعاني، والحكم، للبلاء في الخير، والشَّرِّ.

**الكلمات المفتاحية:** مقاصد، البلاء والابتلاء، القرآن الكريم، الخير والشرُّ، المفسرون.





states of those in trouble as well as the extent of their compliance with religious obligations and prohibitions and their responsiveness to Allâh and the Prophet (may Allâh's blessings and peace be upon him). All of this varies from one person to another according to the strength of his faith, sensemaking and the rationales behind tribulations and trials.

**Keywords:** Rationales- tribulation and trial- the Noble Quran- good and evil-exegetes





## **The purposes of Allah's Trials from a Quranic perspective: A Thematic Study**

### **The Rationales behind Tribulations from a Quranic Perspective (An Objective Study)**

Prepared by:

**Dr. Bey Zekkoub Abdelali**

Associate Professor, the Department of Qur'an and its Sciences, the Faculty of Islamic Sciences at Al-Madinah International University, Malaysia

### **Abstract**

This research examines the rationales behind tribulations from a Quranic perspective. It aims to shed light on the objectives of tribulations as reflected in the Noble Quran because of their doctrinal, educational, and moral impacts on the Muslim's life. It also employs the inductive analytical and the deductive approaches. The research found that the main rationale behind tribulation is to elicit the meanings of servitude to Allâh alone from the afflicted person's psyche and find out about the extent of his religiousness by burdening him with distress, hardship and agony. The research concluded the main rationales behind tribulation in accordance with the Noble Quran, analyzed and explored them, which reached twelve Quranic purposes according to the researcher. This is designed to be a guiding way of preserving and maximizing divine blessings and warding off new types of misfortunes. This is because tribulation shows the spiritual





## المقدمة

الحمد لله الذي كتب الرحمة على نفسه، وحرم الظلم على ذاته، وابتلى عباده بالخير والشرّ بمقتضى رحمته وعدله، فمنهم من شكر الله على نعمه؛ فسخرّها في مرضاته؛ فوقّفهم لطاعته، وزادهم من خيره، ومنهم من جحد نعمة الله عليه؛ فوظّفها في سخطه؛ فخذلهم عن طاعته، وحرمهم من خيره، والصلوة والسلام الأتمان الأكملان على نبينا محمد، أكثر من ابْتُلَى؛ فشكر وصبر؛ ولذلك وصفه الله تعالى في أشرف المقامات بالعبودية: ﴿سُبِّحْنَ اللَّهَ أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيَلَدُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَمِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِرَحْكَاحَوْلَهُ لِرِيَهُ وَمِنْ أَيْتَنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الإسراء: ١١]، ورضي الله تعالى عن آل الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغرّ الميمين، الذين قاموا بالدّعوة إلى الله، والجهاد في سبيله أحسن قيام: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا أَضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَأْفُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]؛ فنالوا بذلك شرف الصّحّة، والثّناء، والرّضى من ربّهم، ومن اقتفى أثره، ودان بدينه إلى يوم الدّين. أمّا بعد؟

فقد أنزل الله القرآن الكريم؛ ليكون منهج حياة للنّاس جميعاً، فأمرنا بتدبّره؛ لفهم معانيه، واستنباط أحكامه، وكشف وجوه إعجازه، واستخراج سنته، وسبر أغواره، والولوج في أعماق أسراره وحِكْمَه، فقال تعالى ذكره: ﴿كَتَبْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مُبَرَّكُ لِيَدَرُرُوا إِلَيْتَهِ وَلَيَنْذَكِرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، ومن المعلوم أنَّ الله لَمَّا خلق هذا الكون جعل له سنتاً يسير وفقيها؛ حتى ينتظم أمر الخلق، وخرق هذه السُّنن يقود إلى ظهور الفساد في بُرّ الأرض وبحرها، ومن هذه السُّنن الإلهيَّة: سُنَّةُ البلاء بالخير والشرّ المنصوص عليها في القرآن الكريم، وهي سُنَّةٌ من سنن الله تعالى في



الأولين والآخرين، من الأنبياء والمرسلين، وأتباعهم، التي تجري باطراد في حياة البشر، يقول تعالى ذكره: ﴿فَلَنْ تَجِد لِسُنْتَ اللَّهِ تَبَدِّلًا وَلَنْ تَجِد لِسُنْتَ اللَّهِ تَخْيِلًا﴾ [فاطر: ٤٣]، والمعنى: «لن يغير ذلك ولا يبدله؛ لأنَّه لا مرد لقضاءه»<sup>(١)</sup>، وفي الصحيح عن عياض بن حمار المُجَاشعِيَّ أنَّ رسول الله ﷺ، روى عن ربه ﷺ أنَّه قال: «إنما بعثتك لأبْتليك وأبْتلي بك»<sup>(٢)</sup>.

بيد أنَّ إخلال بعض الناس بهذه السنة الكونية؛ أدى إلى فقدان الرُّحْماء في العيش، والصَّحة في البدن، وحلول الشَّظف في العيش، والاعتلال في البدن، ولا شكَّ أنَّ هذا ناتج عن قلة الوعي لدى الناس بشأن مقاصد البلاء المذكورة في القرآن الكريم.

لذا، بات من الأهمية بمكان التعرُّف على مقاصد البلاء، وإدراك حِكْمه؛ حتى يحسن تعامل الناس معه، ولا يتأتى لنا هذا إلَّا بعد تتبع مواضع ذكر البلاء، ونظائره في القرآن الكريم، ثم الاطلاع على أقوال المفسِّرين القدامى والمعاصرين لتلك المواضع، وما يتعلَّق بها من سُنَّة رسول الله ﷺ؛ لأنَّها بمنزلة القرآن في التشريع، ثم تحليلها ودراستها؛ حتى نهتدي في الأخير إلى بعض مقاصد البلاء، التي قد تخفى على بعض عباد الله، وتظهر لآخرين، ونحن إذ نقوم باستخراج هذه المقاصد، لا ندعُي أنَّها تقتصر على ما ذكرناه في هذا البحث فحسب؛ ذلك لأنَّ هذه المقاصد لها ارتباط بواقع النَّاس، وبما أنَّ الواقع يتجدَّد، فإنَّ المقاصد والحكْم والغايات تتجدَّد معه، وقد يظهر لنا في هذا الزَّمان ما لم يظهر لغيرنا في الأزمنة الماضية، وقد يظهر للأجيال القادمة ما لا يظهر لنا في الوقت الحالي؛ لأنَّ القرآن الكريم له علاقة وطيدة

(١) جامع البيان عن تأویل آی القرآن، للطبری (٤٨٤/٢٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم (٢٨٦٥).



بواقع الناس، ومنه يقوم العلماء باستخراج هدایاته، وأحكامه، وحِكْمِه، كُلُّ حسب توفيق الله له: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدَّأْتَهُ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، قال إبراهيم النَّخْعَيِّ رضي الله عنه: «الحكمة معرفة معانِي الأشياء وفهمها»<sup>(١)</sup>.

### ◆ مجالات النشر:

تصبُّ هذه الْدِرَاسَةُ في مجال الاستنباط من القرآن الكريم، وقد تناولتُ فيها استخراج مقاصد البلاء المنصوص عليها في القرآن الكريم؛ مستعيناً في ذلك بآراء العلماء المفسّرين، أصيلها ومعاصرها، مع دراستها وتحليلها؛ لأجل الوصول إلى أهمّ مقاصد البلاء، التي من الممكِن أن تكون طريقاً هادياً في حسن التَّعامل مع البلاء في الخير والشَّرِّ.

### ◆ حدود الْدِرَاسَةِ:

تدور الحدود الموضوعية لهذه الْدِرَاسَة حول الآيات ذات الصلة بمقاصد البلاء في القرآن الكريم، مع الرُّجُوع في فَهْمِها واستخراج مقاصدتها إلى كُتب تفسير القرآن الكريم، والأخذ بعين الاعتبار بما أتانا به ﷺ في سنته؛ لأنَّه بمنزلة القرآن في التشريع.

### ◆ أهداف الْدِرَاسَةِ:

- ١- التَّعرِيف بمقاصد البلاء في القرآن الكريم.
- ٢- استنباط أهمّ مقاصد البلاء المنصوص عليها في القرآن الكريم، أو المنشورة في ثنياً سياقاته.
- ٣- بيان معانِي مقاصد البلاء المستنبطة من القرآن الكريم، وذلك من وجهات نظر عدَّةٍ للمفسّرين.

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، (١/ ٣٧٣).



٤- لفت انتباه القراء إلى كيفية التعامل مع البلاء في الخير والشرّ بمشيئة الله تعالى.

### منهج الدراسة :

استخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي؛ حيث يقوم الباحث باستقراء الآيات التي تحدثت عن موضوع مقاصد البلاء في القرآن الكريم، ثمّ باستقراء آراء العلماء المفسّرين حول تلك الآيات، وما يتعلّق بها من سُنّة رسول الله ﷺ، ثمّ تحلّل وتُصنّف حسب الخطّة البحثيّة للموضوع، كما استفادت الدراسة من المنهج الاستنباطي في استخراج أهمّ مقاصد البلاء بناءً على ما تمّ استقراؤه.

### الدراسات السابقة :

١- أجرى الباحث محمد عبدالعزيز الرحالي (١٩٨٨) دراسة بعنوان «الابتلاء في القرآن الكريم»، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الكتاب والسُّنّة، بجامعة أم القرى، في المملكة العربية السعودية، هدفت إلى الكشف عن معنى الابتلاء في القرآن الكريم، وأنواعه وصوره، وموقف الإنسان منه، ومن أهم ما توصلت إليه هذه الدراسة: أنَّ الابتلاء يكون في ميدان الخير بالصَّبر على الطاعة، من حيث امثال أمر الله واجتناب نهيه، وفي ميدان الشَّرّ بالصَّبر على ما يلقى الإنسان من مكاره ومصاعب، وأنَّ الابتلاء طريق لإظهار موقف المكْلَف من الأوامر والنَّواهي التي تعبدنا الله بها على وجه الاختيار، فكان الخلق لابتلاء وسيلة لإظهار نتيجة الخلق للعبادة؛ فكُلُّ من الخلق لابتلاء والخلق للعبادة لازم للآخر ومكمِّل له، وقد استخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي<sup>(١)</sup>.

(١) الابتلاء في القرآن الكريم، لمحمد عبدالعزيز الرحالي، (ص ٤١٩) وما بعدها.



٢- وتناول الباحث محمد يوسف أحمد دوفش (١٩٨٨) دراسة بعنوان: «الابتلاء في القرآن الكريم»، وهي رسالة ماجستير في التفسير من قسم أصول الدين، بالجامعة الأردنية، والبحث عبارة عن دراسة قرآنية لسنة البلاء، وقد هدفت إلى تجلية هذه السنة وتحديد موقف الإنسان تجاهها، محاولةً الكشف عن مزايا الأسلوب القرآني في تناولها، ومعالجة لبعض التصورات الخاطئة العالقة في أذهان الناس، وقد ضمّنها الباحث تمهيداً، وأربعة فصول، وخاتمة، وخصص في الفصل الثاني مبحثاً مختصراً عن حكم البلاء، أورد فيه الباحث الأهداف والغايات التي يحققها الابتلاء، وقد توصلت الدراسة إلى أهم ما ينبغي أن يتزود به الإنسان لمواجهة البلاء، وتحفيض شدّته، وقد استخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي<sup>(١)</sup>.

٣- وأما الباحث رجب نصر موسى الأنس (٢٠٠٧)، فقد أجرى دراسةً بعنوان: «سنة الابتلاء في القرآن الكريم»، وهي رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في أصول الدين، بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، في نابلس، فلسطين، هدفت إلى الكشف عن ظواهر المحن والابتلاء في القرآن الكريم، وضروربه، وموقف الإنسان منه، وقد توصلت الدراسة إلى أهمية التثبت بالصبر وضرورته، والعقيدة مهما تكن الظروف والأحوال، موظفة المنهج الاستقرائي التحليلي<sup>(٢)</sup>.

٤- بينما الباحث حمدي سلمان معمر (٢٠٠٩)، قد تناول دراسةً بعنوان: «التربية بالابتلاء: دراسة تربوية لآيات الابتلاء في القرآن الكريم»، وهو بحث نشرته مجلة جامعة الأقصى، في غزة، فلسطين، هدفت إلى بيان

(١) الابتلاء في القرآن الكريم، لمحمد يوسف أحمد دوفش، (ص ٣ و ٣٣٧) وما بعدها.

(٢) سنة الابتلاء في القرآن الكريم، لرجب نصر موسى الأنس، (ص ٣ و ١٧٦) وما بعدها.



الغرض من إصابة المسلمين بأنواع المصائب، مستخدماً المنهج الفلسفـي التحليليـ، وخرج البحث بعدة نتائج، من أهمـها: أنَّ الابتلاء سُنَّة دائمة للهـ في خلقـه، وهو للمؤمنـين تطهـير، وللـكافـرين تذكـير وعـقـاب<sup>(١)</sup>.

### ◆ التعليق على الدراسات السابقة :

تناولت الـ دراسـة الحالـية تحـديد أـهم مقاصـد البلـاء واستـنباطـها من خـلال القرآنـ الـكـريم؛ حيث قـام البـاحـث باـستـقرـاء لـفـظـي البلـاء والـابتـلاء فـي القرآنـ الـكـريم، وـتـبعـ معـانـيهـما درـاسـةً وـتـحلـيلـاً فـي كـتبـ التـفـسـيرـ، ثـم باـستـنبـاطـ أـهم مقاصـد البلـاء بنـاء عـلـى ما تم استـقرـاؤه وـدـرـاسـتهـ، موـظـفـاً المـنهـجـ الاستـقرـائيـ التـحلـيليـ، والمـنهـجـ الاستـنبـاطـيـ، وـهـذـا مـا لـم تـفـعـلـه الـدـرـاسـاتـ السـابـقةـ، باـشـتـئـاءـ تـطـرـقـها إـلـىـ مـفـهـومـ البلـاءـ فـيـ اللـغـةـ وـالـاـصـطـلاحـ، وـبعـضـ الـحـكـمـ العـامـةـ لـلـبلـاءـ، وـاقـتـصـارـها عـلـىـ المـنهـجـ الاستـقرـائيـ وـالـفـلـسـفـيـ التـحلـيليـ، وـقـد لـوـحـظـ أـنـ درـاسـةـ محمدـ يـوسـفـ أـحـمـدـ دـوـفـشـ (١٩٨٨)، وـدـرـاسـةـ رـجـبـ نـصـرـ مـوـسـىـ الـأـنـسـ (٢٠٠٧)، مـمـاثـلـةـ لـرسـالـةـ مـحـمـدـ عـبـدـالـعـزـيزـ الرـحـالـيـ (١٩٨٨)ـ فـيـ بـعـضـ أـجـزـاءـ مـوـضـوعـاتـهاـ وـتـقـسـيمـاتـهاـ، إـلـاـ أـنـ درـاسـةـ مـحـمـدـ عـبـدـالـعـزـيزـ الرـحـالـيـ (١٩٨٨)، اـتـسـمـتـ بـالـأـصـالـةـ وـالـعـمـقـ وـالـمـنـهـجـيـةـ الـعـلـمـيـةـ؛ ذـلـكـ وـيـلـاحـظـ أـنـ الـدـرـاسـةـ الحالـيـةـ تـخـتـلـفـ عـنـ الـدـرـاسـاتـ السـابـقةـ مـنـ حـيـثـ هـدـفـهاـ وـمـنـهـجـهاـ الـمـسـتـخـدـمـ، وـمـنـ حـيـثـ مـوـضـوعـهاـ وـتـقـسـيمـاتـهاـ، وـطـرـيـقـةـ تـنـاـولـهاـ لـمـقـاصـدـ الـبـلـاءـ الـقـرـآنـيـةـ؛ حـيـثـ يـتـنـاـولـ هـذـاـ الـبـحـثـ اـسـتـخـرـاجـ مـقـاصـدـ الـبـلـاءـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ، مـنـ خـلالـ نـظـرـةـ تـفـسـيرـيـةـ مـوـضـوعـيـةـ، وـهـذـاـ يـؤـكـدـ أـنـ مـوـضـوعـ الـدـرـاسـةـ الحالـيـةـ جـدـيرـ بـالـتـنـاـولـ؛ لـأـنـهـ يـرـكـزـ عـلـىـ مـقـاصـدـ الـبـلـاءـ التـفـصـيلـيـةـ مـنـ خـلالـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ.

(١) التربية بالابتلاء: دراسة تربوية لآيات الابتلاء في القرآن الكريم، (ص ٩٤).



## خطة البحث:

وتشتمل على مقدمة، ومحчин، ثم الخاتمة، هذا هو بيانها:

**المقدمة:** موضوع البحث، مجاله، حدوده، أهدافه، منهجه، الدراسات السابقة وخطة البحث.

**المبحث الأول:** تعريف المقاصد القرآنية، وتعريف البلاء مواطن وروده في القرآن الكريم.

**المطلب الأول:** تعريف المقاصد القرآنية.

**المطلب الثاني:** تعريف البلاء في القرآن الكريم.

**المطلب الثالث:** مفهوم مقاصد البلاء في القرآن الكريم.

**المطلب الرابع:** الألفاظ ذات الصلة بالباء في القرآن الكريم.

**المطلب الخامس:** الفرق بين ابتلاء الرحمة وابتلاء العقوبة.

**المطلب السادس:** اشتقاتات مادة «باء» وتصريفاتها في القرآن الكريم.

**المطلب السابع:** رسومات بيانية تبيّن الصيغ التصريفية لمادة «باء» في القرآن الكريم.

**المطلب الثامن:** تحليل نتائج الرسومات بيانية.

**المبحث الثاني:** مقاصد البلاء في القرآن الكريم.

**المطلب الأول:** البلاء بمقصد تحقيق العبادة لله وحده.

**المطلب الثاني:** البلاء بمقصد استخراج التوكل.

**المطلب الثالث:** البلاء بمقصد استخراج الدعاء.



**المطلب الرابع:** البلاء بمقصد استخراج الصبر.

**المطلب الخامس:** البلاء بمقصد استخراج الرّضا.

**المطلب السادس:** البلاء بمقصد استخراج الشُّكر.

**المطلب السابع:** البلاء بمقصد استخراج التَّوْبَة.

**المطلب الثَّامن:** البلاء بمقصد الرَّحْمة.

**المطلب التَّاسِع:** البلاء بمقصد التَّمَحِيص.

**المطلب العاشر:** البلاء بمقصد الاستدراج.

**المطلب الحادي عشر:** البلاء بمقصد التَّخويف.

**المطلب الثَّانِي عَشَر:** البلاء بمقصد العقوبة.

ثم الخاتمة.





## المبحث الأول:

تعريف المقاصد القرآنية،

وتعريف البلاء ومواطن وروده في القرآن الكريم

سيتطرق هذا المبحث إلى تعريف المصطلحات الأساسية للبحث، والوقوف مع معاني البلاء والابتلاء في اللغة وفي اصطلاح المفسّرين، ثم محاولة استخراج الفرق بينهما، وتتبع الألفاظ ذات الصلة بهما؛ ذلك وقد تم تتبّع مفردي البلاء والابتلاء في القرآن الكريم وتحديد مواطن ورودهما، ثم دارستهما وتحليلهما، ويتضمّن هذا المبحث ثمانية مطالب، هي:

**المطلب الأول:** تعريف المقاصد القرآنية.

**المطلب الثاني:** تعريف البلاء في القرآن الكريم.

**المطلب الثالث:** مفهوم مقاصد البلاء في القرآن الكريم.

**المطلب الرابع:** الألفاظ ذات الصلة بالباء في القرآن الكريم.

**المطلب الخامس:** الفرق بين ابتلاء الرحمة وابتلاء العقوبة.

**المطلب السادس:** اشتقاتات مادة «باء» وتصريفاتها في القرآن الكريم.

**المطلب السابع:** رسومات بيانية تبيّن الصيغ التصريفية لمادة «باء» في القرآن الكريم.

**المطلب الثامن:** تحليل نتائج الرسومات البيانية.



## المطلب الأول:

### تعريف المقاصد القرآنية

المقاصد في اللغة مصدر الفعل الثلاثي لمادة: قصد، يقصد، قصدًا، ومقصدًا، فهو قاصد، والمفعول مقصود، والقصد لغة هو: التوجه والاعتزام والنهوض والهدف، قال ابن جنّي: «أصل (ق ص د) ومواعدها في كلام العرب الاعتزام، والتوجّه، والنهود، والنهوض نحو الشيء، على اعتدال كان ذلك أو جرّ»<sup>(١)</sup>، ويأتي في اللغة لمعانٍ متنوّعة، هي: استقامة الطريق، وطريق سهل، والعدل، والاعتماد والأم، وإتّيان الشيء، والتوصّط، والكسر، واللّحم اليابس<sup>(٢)</sup>، وجاء في المعجم: «القصد: «الهدف»<sup>(٣)</sup>، وقد ورد لفظ القصد في ستة مواضع في القرآن الكريم، تحمل معاني: الاعتدال، والسهولة، والتبيين، والتواضع، كما سيأتي:

١. التوسيط في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَمُوا الْتَّوْرِيدَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِّنْ رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ [المائدة: ٦٦].  
ويعني بـ: **﴿مُّقْتَصِدَةٌ﴾** أي: «عادلة غير غالبة، ولا مقصرة جافية»<sup>(٤)</sup>،  
وقوله: ﴿وَإِذَا غَشَيْهِمْ مَوْجٌ كَأَظْلَلَ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْدِينَ فَلَمَّا نَجَّهُمْ إِلَى اللَّرَّقَمَنَهُمْ مُّقْتَصِدُونَ﴾ [لقمان: ٣٢]. روي عن ابن زيد **﴿مُّقْتَصِدُونَ﴾** قال: «هو

(١) المحكم والمحيط الأعظم، للمرسي أبي الحسن (٦/١٨٧).

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣/٣٥٣-٣٥٦).

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار (٣/١٨٢٠).

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٢/٦٨).



المتوسط في العمل»<sup>(١)</sup>، قوله: ﴿نَّا أَرْسَلْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَايِّئٌ بِالْحَيْرَاتِ يَأْذِنُ اللَّهُ﴾ [فاطر: ٣٢].  
ويعني بـ﴿مُّقْتَصِدٌ﴾؛ أي: «متوسط في الطاعات»<sup>(٢)</sup>.

٢. السُّهُولة في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْغُونَكَ﴾ [التوبه: ٤٢]. و قوله: ﴿قَاصِدًا﴾ فمعناه: «قريباً سهلاً»<sup>(٣)</sup>.

٣. التبيين في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّيْلِ وَمِنْهَا جَاءُ﴾ [النحل: ٩].  
وقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّيْلِ﴾ فإنه يعني: «تبين الطريق المستقيم إليه بالحجج والبراهين»<sup>(٤)</sup>.

٤. التواضع في قوله تعالى: ﴿وَأَقْصِدُ فِي مَسْيِكَ﴾ [لقمان: ١٩]. رُوي عن مجاهد  
﴿وَأَقْصِدُ فِي مَسْيِكَ﴾ قال: «التواضع»<sup>(٥)</sup>، وعن الماتريدي قال: «اقصد في  
المشي في الناس، ولا تمش متكبراً مستخفاً بهم؛ لتهذبهم»<sup>(٦)</sup>.

وقد عُرِّفت المقاصد اصطلاحاً، مضافةً إلى علم مقاصد القرآن الكريم، بأنها:  
«الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها»<sup>(٧)</sup>،  
وهذا التعريف قريب من تعريفات علماء مقاصد الشريعة، وعرّفها آخر بأنها:

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/٣٥١).

(٢) النكوت والعيون، الماوردي (٤/٤٧٣).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبرى (١٤/٢٧١).

(٤) معاني القرآن، للزجاج (٣/١٩٢).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبرى (٢٠/١٤٦).

(٦) تأویلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي (٨/٣٠٨).

(٧) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز بن عبد السلام (٣/١٠).



«الكشف عن المعاني المعقولة، والغايات المتنوعة التي يدور حولها القرآن الكريم كلياً أو جزئياً، مع بيان كيفية الإفادة منها في تحقيق مصلحة العباد»<sup>(١)</sup>، ومن هنا يمكننا تعريف علم مقاصد القرآن الكريم بأنه: الغايات والأهداف التي أنزل القرآن الكريم من أجلها؛ تحقيقاً لجلب مصالح العباد في المعاش والمعاد من جهة، وتحقيقاً لدرء مفاسد العباد في المعاش والمعاد من جهة أخرى.



(١) نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم: رؤية تأسيسية، لوصفي عاشور (ص ٤٣).



## المطلب الثاني: تعريف البلاء في القرآن الكريم

الباء مصدر الفعل الثلاثي على وزن فعل، وتصريفه: بَلَّا، يَبْلُو، ابْلُّ، بَلَوًا  
وبَلَاءً، فهو بال، والمفعول مبْلُوٌّ، والابتلاء مصدر الفعل الثلاثي المزدوج بحروفٍ،  
أصله من بلا، فزيد فيه الألف في أوله، والتاء بين الفاء والعين على وزن افتعل،  
وتصريفه: ابْتَلَى، يَبْتَلِي، ابْتَلَاء، فهو مُبْتَلٌ، والمفعول مبْتَلٌ.

البلاء والابتلاء لغة هو: «التجربة»<sup>(١)</sup>، و«الامتحان والاختبار»<sup>(٢)</sup>، وفي اللسان: «البلاء: الاختبار، يكون بالخير والشّرّ»، يقال: ابتليته بلاءً حسناً وبلاءً سيئاً، والله تعالى يُبلي العبد بلاءً حسناً وُبِيلِيه بلاءً سيئاً، والمعروف أنَّ الابتلاء يكون في الخير والشّرّ معاً<sup>(٣)</sup>. وأمّا اصطلاحاً فهو: «الاختبار بالخير والشّرّ»، قال تعالى: ﴿وَبَأَوْتَهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨] وهو مجاز مشهور حقيقته بلاء الثواب، وهو تخلّقه، وترهّله، ولماً كان الاختبار يوجب الضّجر، والتعب؛ سُمي بلاءً، كأنه يخلّق النّفس، ثم شاع في اختبار الشّرّ؛ لأنَّه أكثر إعانتاً للنّفس، وأشهر استعماله إذا أطلق أن يكون للشّرّ، فإذا أرادوا به الخير احتاجوا إلى قرينة أو تصريح، فُيطلق غالباً على المصيبة التي تحلُّ بالعبد؛ لأنَّ بها يُختبر مقدار الصّبر، والأناة<sup>(٤)</sup>. وأمّا الابتلاء فهو: «استخراج ما عند المبتلى»، وتعُرُّف

(١) كتاب العين، للفراهيدي (٨/٣٤٠).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١/٢٩٣).

(٣) لسان العرب، لابن منظور، (١٤/٨٤).

(٤) التحريم والتنهي، لأن عاشوراء (٤٩٣).



حاله في الطّاعة، والمعصية؛ بتحميله المشقة<sup>(١)</sup>. ويبدو لي بعد عرض المعنى اللغوي والاصطلاحي للبلاء والابتلاء، أنَّ البلاء أعمُّ من الابتلاء، والابتلاء فيه معنى المشقة، والاختبار أكثر، فزيادة المبني تدلُّ على الزيادة في المعنى، وهما يشتركان في أنهما يحملان معنى الاختبار، وكلاهما يكون في الخير والشَّرِّ معاً من غير فرق بين فعليهما.



### المطلب الثالث:

## مفهوم مقاصد البلاء في ضوء القرآن الكريم

مما سبق من تعريفات لمقاصد البلاء؛ يتبيَّن لنا أنَّه يدور حول الكشف عن الغaiات، واختبار أحوال النَّاس، وذلك في مجال القرآن الكريم.

ومن هنا يمكننا تعريف مقاصد البلاء في القرآن الكريم على أنَّها: الحِكْم التي يدور حولها اختبار أحوال الناس في تلقي التَّكاليف، وأنواع التَّعْمَل، والتقْمَم، من منظور القرآن الكريم.



(١) الوجوه والنظائر، لأبي هلال العسكري (٢١٦/١).



## المطلب الرابع:

### الألفاظ ذات الصلة بالبلاء في القرآن الكريم

لقد أخبر الله في كتابه أنه يبتلي عباده تارةً بالخير، وتارةً بالشرّ، فقال: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ومن أهمّ الألفاظ ذات الصلة بالبلاء في الخير والشرّ، كما سيأتي:

#### ◆ أولاً: البلاء بالخير:

##### ١ - الإملاء:

تعود لفظة الإملاء إلى جذرها اللغوي (ملّي)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلّي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «سبعاً»<sup>(١)</sup>، والإملاء في اللغة: «الإهمال، والتّأخير، وإطالة العمر»<sup>(٢)</sup>، وقد جاء الإملاء بمعنى البلاء بالتأخير، والتّمّيع، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّنَا نَعْلَمُ لَهُمْ خَيْرٌ لَا نَفْسُهُمْ إِنَّمَا نَعْلَمُ لَهُمْ لِيَزَدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وقوله: ﴿وَكَيْنَ مِنْ قَرِيَّةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [الحج: ٤٨]، وعلّق ابن عجيبة رحمه الله على الآية فقال: «والإملاء هو الإهمال مع إرادة المعاقبة»<sup>(٣)</sup>، ويتضمن الإملاء: «التمّيع بطبيات الدُّنيا وزينتها»<sup>(٤)</sup>، مع استمرار الظّالمين على ظلمهم؛ حتى يزدادوا إثماً بذلك التّأخير، ونحو ذلك من الآيات التي دلت على هذا المعنى.

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٦٧٦).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (١٥ / ٢٩٠).

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة (٣ / ٥٤٢).

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي (٢ / ١١٨).

## ٢- الحسنة:

تعود لفظة الحسنة إلى جذرها اللغوي (حسن)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلّي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «مائة وأربعًا وتسعين»<sup>(١)</sup>، ومعناها في اللغة: «النّعمة»<sup>(٢)</sup>، وعن مجاهد رض: ﴿شَرَّبَ دَلْنَامْ كَانَ السَّيِّدَةُ الْحَسَنَةُ حَتَّى عَقَوْا﴾ [الأعراف: ٩٥]، قال: «الحسنة: الخير»<sup>(٣)</sup>. وقد جاءت الحسنة بمعنى البلاء بالخيرات، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ [الأعراف: ١٣١]؛ أي: «العاافية والرّحاء»<sup>(٤)</sup>، وكما في قوله: ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، ويعني بـ ﴿حَسَنَة﴾: «رخاء وظفر»<sup>(٥)</sup>، ونحو ذلك من الآيات.

## ٣- النّعمة:

تعود لفظة النّعمة إلى جذرها اللغوي (نعم)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلّي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «مائة وأربعًا وأربعين»<sup>(٦)</sup>، ومعناها في اللغة: «التنّعم وطيب العيش»<sup>(٧)</sup>، وقد جاءت النّعمة بمعنى البلاء بالنّعم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَنِ أَعْرَضَ وَيَأْبَى جَانِبَهُ﴾ [الإسراء: ٨٣]، قال المفسّرون: «وهذا الإنعام: سعة الرزق، وكشف البلاء»<sup>(٨)</sup>، وكما في قوله بشأن فرعون: ﴿وَنَعَمَّةٌ كَافُوا﴾

(١) المعجم المفهوس لأنّفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٢٠٢-٢٠٥).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (١١٦/١٣).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبرى (١٢/٥٧٤).

(٤) المصدر السابق (٤٧/١٣).

(٥) المصدر السابق (٨/٥٥٥).

(٦) المعجم المفهوس لأنّفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٧٠٧-٧٠٩).

(٧) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٤٤٦/٥).

(٨) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٣/٤٩).



﴿فِيهَا فَلَكِهِينَ﴾ [الدخان: ٢٧]، يعني بالنعمه: «متعة، وعيشاً لِيَنَا»<sup>(١)</sup>، قال قنادة ﷺ: «أخرجه الله [أي: فرعون] من جناته، وعيونه، وزروعه؛ حتى ورطه في البحر»<sup>(٢)</sup>، ونحو ذلك من الآيات.

#### ٤- الرّحمة:

تعود لفظة الرّحمة إلى جذرها اللغوي (رَحَمَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلية لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «ثلاثمائة وتسعاً وثلاثين»<sup>(٣)</sup>، معناها في اللغة: «الرّأفة»<sup>(٤)</sup>، وعن ابن حجر رضي الله عنه: ﴿وَلَمَنْ أَذْقَنَ الْإِنْسَنَ مَتَّرَحَمَةً﴾ [هود: ٩]؛ أي: «رخاء وسعة في الرّزق والعيش»<sup>(٥)</sup>، وقد جاءت الرّحمة بهذا المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَذَا أَذْقَنَ النَّاسَ رَحْمَةً فَرَحُوا بِهَا﴾ [الروم: ٣٦]، يعني بـ: ﴿رَحْمَةً﴾: «خصب، ورخاء، وعافية في الأبدان، والأموال»<sup>(٦)</sup>، ونحو ذلك من الآيات.

#### ◆ ثانية: البلاء بالشرّ:

##### ١- الفتنة:

تعود لفظة الفتنة إلى جذرها اللغوي (فَتَنَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلية لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «ستين»<sup>(٧)</sup>، معناها في اللغة: «الابلاء، والامتحان،

(١) معلم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٤/١٧٧-١٧٧).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبرى (٢٢/٣٢).

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٣٠٤-٣٠٩).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/٤٤٦).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبرى (١٢/٥٧٤).

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبرى (٢٠/١٠٢).

(٧) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٤١٩-٤٢٠).



والاختبار»<sup>(١)</sup>، وقد جاءت الفتنة بمعنى البلاء، كما في قوله تعالى: «أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا إِنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» [العنكبوت: ٢]، عن مجاهد رض في قول الله: «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ» [التغابن: ١٥]، وكما في قوله: «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ» [النَّجَاف: ١٥]، عن قتادة رض، قوله: «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ» يقول: «بلاء»<sup>(٢)</sup>، ونحو ذلك من الآيات.

## ٢- المؤس:

تعود لفظة المؤس إلى جذرها اللغوی (بَأْسَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلية لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «ثلاثًا وسبعين»<sup>(٤)</sup>، والمؤس في اللغة: «الشدة، والفقر، والبائس: المبتلى»<sup>(٥)</sup>، وقد جاء المؤس بمعنى شدة الفقر والبلاء، كما في قوله تعالى: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْ أُمَّمٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَأَخْذَنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَصَرَّفُونَ» [الأنعام: ٤٢]، وقوله: «بِالْبَأْسَاءِ» معناه: «شدة الفقر، والضيق في المعيشة»<sup>(٦)</sup>، وكما في قوله سبحانه: «فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ» [الحج: ٢٨]، ومعنى قوله: «الْبَائِسُ» هو: «الذى به ضر الجوع، والزمانة والحاجة»<sup>(٧)</sup>، ونحو ذلك من الآيات.

(١) لسان العرب، لابن منظور (٣١٧/١٣).

(٢) جامع البيان عن تأویل آی القرآن، للطبری (٧/١٩).

(٣) المرجع السابق (٤٢٦/٢٣).

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ١١٣-١١٤).

(٥) لسان العرب، لابن منظور (٦/٢٠-٢١).

(٦) جامع البيان عن تأویل آی القرآن، للطبری (١١/٣٥٤).

(٧) المرجع السابق (١٨/٦١١).



### ٣- الضُّرُّ:

تعود لفظة الضُّرُّ إلى جذرها اللغوي (ضرَّ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلية لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «أربعاً وسبعين»<sup>(١)</sup>، ومعناها في اللغة: «الهزال، وسوء الحال»<sup>(٢)</sup>، ويقول آخر: «الشدة، والبلاء»<sup>(٣)</sup>، وقد جاء الضُّرُّ بمعنى الشدة والبلاء كما في قوله تعالى: ﴿فَأَخْذَنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢] قال ابن قتيبة: «والضراء: البلاء»<sup>(٤)</sup>، وقال ابن جرير: «والضراء هي الأسماء، والعلل العارضة في الأجسام»<sup>(٥)</sup>، وكما في قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَ الْإِنْسَنَ ضُرُّ دَعَارَبَةٍ وَمُنِيَّا إِلَيْهِ﴾ [الزمر: ٨]، عن قتادة رض في قول الله: ﴿وَإِذَا مَسَ الْإِنْسَنَ ضُرٌ﴾ قال: «الوجع، والبلاء، والشدة»<sup>(٦)</sup>، ونحو ذلك من الآيات.

### ٤- المصيبة:

تعود لفظة المصيبة إلى جذرها اللغوي (صَوَبَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلية لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «سبعاً وسبعين»<sup>(٧)</sup>، والمصيبة في اللغة: «الأمر المكروره ينزل بالإنسان»<sup>(٨)</sup>، وقد جاءت المصيبة بمعنى الشدة والبلاء كما في قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَبَّكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْقُلُونَ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]،

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٥١١-٥١٢).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٢/٧٢٠).

(٣) نزهة الأعين التوازير في علم الوجوه والظواهر، لابن الجوزي (١/٤٠٣).

(٤) غريب القرآن، لابن قتيبة (١/١٣٤).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبرى (١١/٣٥٥).

(٦) المرجع السابق (٢٦٢/٢١).

(٧) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٤١٥-٤١٦).

(٨) لسان العرب، لابن منظور (١/٥٣٥).



وقوله: **«وَمَا أَصَبَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ»** فمعناه: «بلية، وشدة»<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: **«مَا أَصَابَ** **مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ»** [الحديد: ٢٢]، والمصيبة في الأرض هي: «فحط المطر، وقلة النبات، ونقص الشمار، وغلاء الأسعار، وتتابع الجوع»<sup>(٢)</sup>، والمصيبة في الأنفس هي: «الأمراض، والقر، وذهب الأولاد، وإقامة الحدود عليها»<sup>(٣)</sup>، ونحو ذلك من الآيات.

## ٥- السُّوءُ:

تعود لفظة **السُّوءُ** إلى جذرها اللغوي (**سُوءُ**)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلية لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «مائة وسبعين وستين»<sup>(٤)</sup>، والسوء في اللغة: «اسم للضرّ، وسوء الحال»<sup>(٥)</sup>، وعن مجاهد **ﷺ**: **﴿ثُمَّ بَدَلَنَا مِكَانَ السَّيِّئَةِ لِحَسَنَةٍ حَتَّىٰ** **عَفَوْا﴾** [الأعراف: ٩٥]، قال: «السيئة: الشر»<sup>(٦)</sup>. وقد جاء السُّوءُ بمعنى الضرّ والبلاء، كما في قوله تعالى: **﴿وَلَوْكُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأُسْتَكْثِرُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَنَّ الْسُّوءَ﴾** [الأعراف: ١٨٨]، قوله: **﴿وَمَا مَسَنَّ الْسُّوءَ﴾** أي: «الضرّ، والقر، والجوع»<sup>(٧)</sup>، وقوله: **﴿أَمَّنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ الْسُّوءَ﴾** [النمل: ٦٢]، عن ابن جُريج **رض**، قوله: **﴿وَيَكْشِفُ الْسُّوءَ﴾** قال: «الضرّ»<sup>(٨)</sup>، كما وردت لفظة **السُّوءُ** في كثير

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي (٩٦٦/١).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (٤٦٦/٢٩).

(٣) المرجع السابق (٤٦٦/٢٩).

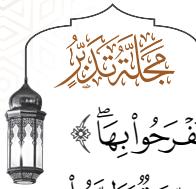
(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٣٦٧-٣٧٠).

(٥) لسان العرب، لابن منظور (٩٨/١).

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبرى (٥٧٤/١٢).

(٧) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٢/٢٥٧).

(٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبرى (٤٨٥/١٩).



من الموضع بمعنى السيئة، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِبُّكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرُحُوا بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠]؛ أي: «مصيبه ومكروه»<sup>(١)</sup>، وقوله أيضاً: ﴿وَإِنْ تُصِبَّهُمْ سَيِّئَةٌ يَظْلِمُونَ بِمُؤْسَوٍ وَمَنْ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١]؛ أي: «بلاء، وعقوبة»<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿وَإِنْ تُصِبَّهُمْ سَيِّئَةٌ لِمَا قَدَّمْتَ إِذَا هُمْ يَقْتُلُونَ﴾ [الروم: ٣٦]، ويعني بـ ﴿سَيِّئَةٌ﴾: «شدة من جدب، وقحط، وبلاء في الأموال والأبدان»<sup>(٣)</sup>، ونحو ذلك من الآيات.



### المطلب الخامس:

#### الفرق بين ابتلاء الرحمة وابتلاء العقوبة

لا شك أنَّ البلاء يختلف بين كونه رحمةً للنَّاسِ، وكونه عقوبةً لهم.

**فيكون رحمةً للنَّاسِ بثلاثة معانٍ**

**فالأول:** الإنعام والإفضال، والمقصود أنَّ الله ﷺ ينعم على جميع خلقه بنعمه الظاهرة والباطنة، قال تعالى على لسان رسوله سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوْنِي أَشْكُرُ أَكُفُّرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي عَنِّي رَبِّهِ﴾ [النمل: ٤٠].

**والثاني:** التطهير والتکفیر، والمقصود أنَّ الله ﷺ يطهِّر المسلمين خصوصاً بما كسبت أيديهم من الآثام والمعاصي، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَبَّكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيْكُمْ وَيَعْقُوْنَ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

**والثالث:** التأخير والإمهال، والمقصود أنَّ الله ﷺ يمهل الناس عموماً،

(١) غريب القرآن، لابن قتيبة (٩٧/١).

(٢) جامع البيان عن تأویل آی القرآن، للطبری (٤٧/١٣).

(٣) المرجع السابق (٢٠/١٠٢).



وَلَا يَعْجِلْ لَهُمْ الْعِقَوبَةَ عَلَىٰ افْتِرَافِهِمُ الْمُعَاصِي، مِنْ كُفْرٍ لَا نَعْمَلُ اللَّهَ، وَمِنْ فَسَادٍ فِي بَرٍّ الْأَرْضِ وَبِحَرَّهَا، وَمِنْ ظُلْمٍ وَطَغْيَانٍ؛ حَتَّىٰ يَتُوبُوا عَلَىٰ مَا صَدَرَ مِنْهُمْ مِنْ تَفْرِيظٍ فِي جَنْبِ اللَّهِ، وَتَقْصِيرٍ فِي الْأَعْمَالِ الَّتِي تُرْضِيُ اللَّهَ ﷺ، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُ عَلَىٰ ظَهِيرَاهَا مِنْ دَآبَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمٍّ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ يَعْبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر: ٤٥].

وَقَدْ يَكُونُ عِقَوبَةُ الْنَّاسِ بِثَلَاثَةِ مَعَانٍ:

**فَالْأُولُّ:** الرَّدُّعُ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللَّهَ ﷺ شَرَعَ عِقَوبَاتٍ رَادِعَةً مُغَلَّظَةً مِنْ حَدُودِ وَقَصَاصِ وَتَعَازِيرِ شُرُعِيَّةٍ عَلَىٰ مُرْتَكَبِيِ الْمُعَاصِيِّ، وَالْجَرَائِمِ وَالسَّاعِينَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا؛ لِأَجْلِ ضَبْطِ سُلُوكِهِمْ، وَرَدِعْهُمْ عَنِ اقْتِرَافِ الْجَرَائِمِ، قَالَ تَعَالَىٰ - فِي حَدٍّ الِّزْنِي تَمثِيلًا، لَا حَصْرًا - ﴿الِّزَّانِيَةُ وَالِّزَّانِيٌ فَاجْلِدُو أُكَلَّ وَاحْدِ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدٍ وَلَا تَأْخُذُكُمْ بِهِمَا رَأْفَةً فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشَهَدُ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النُّور: ٢].

**الثَّانِي:** الْإِسْتِدْرَاجُ وَالْإِمْلَاءُ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللَّهَ ﷺ يُرِيدُ عِيشَ الْعَاصِينَ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْفَسَقَةِ وَالْجَهَلَةِ لِمَدَّةٍ طَوِيلَةٍ؛ حَتَّىٰ يَغْتَرُوا بِمَا هُمْ فِيهِ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ خَيْرٍ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ كَيْدُوبُونَ عَيْنَتَنَا سَنَسْتَدِرُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأَنْتَلِ لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الْأَعْرَاف: ١٨٢-١٨٣].

**الثَّالِثُ:** الْأَخْذُ، وَالَّتِي تَأْتِي بَعْدَ مَرْحَلَةِ الْإِسْتِدْرَاجِ وَالْإِمْلَاءِ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللَّهَ ﷺ يَوْقِعُ عِقَوبَةُ الْأَخْذِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ بِأَحْكَامِهِ، وَالْمُسْتَحْلِلِينَ لِمَحْرَمَاتِهِ، وَالصَّادِّينَ عَنِ دِينِهِ، وَالْمُؤْذِنِينَ لِأُولَائِهِ، وَالسَّاعِينَ فِي الْأَرْضِ ظَلَمًا، وَطَغْيَانًا، وَفَسَقًا، وَجَهَلًا، وَفَسَادًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رِبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَىٰ وَهَيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هُود: ١٠٢].





## المطلب السادس:

### اشتقاقات مادة «بلا» وتصريفاتها في القرآن الكريم

لقد ورد فعل «بلا» باشتتقاقاته، وتصريفاته المختلفة في سبعة وثلاثين موضعًا، من خلال أربع وثلاثين آية من آي الذكر الحكيم، منها ست عشرة آية مكية، وثمانى عشرة آية مدنية، وذلك في مجموع أربع وعشرين سورة<sup>(١)</sup>.

والصيغ التي ورد بها فعل «بلا» في القرآن الكريم هي: ابْتَلَىٰ (١)، بَلَاءٌ (٤)، بَلَاءٌ (١)، مُبْتَلِيْكُمْ (١)، وَلَبْلُوَنَّكُمْ (٢)، لَبْلِيْكُمْ (١)، لَبِلُوْكُمْ (٤)، وَلَبِلِيْتَنِي (١)، لَبِلُوْنَكُمْ (١)، لَتَبْلُوْنَ (١)، وَابْتَلُوا (١)، لَمُبْتَلِيْنَ (١)، نَبْلُوْهُمْ (١)، ابْتَلِيَ (١)، بَلَوْنَاهُمْ (٢)، نَبْتَلِيَهُ (١)، وَلَبِلِيَ (١)، ابْتَلَاهُ (٢)، تَبْلُو (١)، يَبْلُوْكُمْ (١)، لِبِلُوْهُمْ (١)، وَنَبْلُوْكُمْ (١)، لَبِلُوْنِي (١)، الْبَلَاءُ (١)، لَبِلُوْ (١)، وَنَبْلُو (١)، بَلَوْنَا (١)، تُبْلَى (١).



(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٥/٣١١).



## المطلب السابع: رسومات بيانية تبيّن الصيغة التصريفية

### لمادة «بلا» في سور القرآن الكريم

الرّسم البياني الأول: يبيّن عدد تكرار تصريفات فعل «بلا» في سور القرآن الكريم على حدة:

النسبة	التكرار	عدد الصيغ	صيغة التصريف	
٪ ٦	٢	<p>لَمُبْتَلِينَ (١): ﴿وَلَنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾  <small>المؤمنون: ٣٠</small></p> <p>مُبْتَلِيكُمْ (١): ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَاهَرٍ﴾  <small>البقرة: ٢٤٩</small></p>	اسم فاعل	١
٪ ٨	٣	<p>ابْتَلَيَ (١): ﴿هُنَالِكَ ابْتَلُوا الْمُؤْمِنُونَ﴾  <small>الأحزاب: ١١</small></p> <p>تُبْلَى (١): ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَّايرُ﴾  <small>الطارق: ٩</small></p> <p>لَتُبَلَّوْنَ (١): ﴿لَتُسَبِّلُوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾  <small>آل عمران: ١٨٦</small></p>	ال فعل المبني للمجهول	٢
		<p>ابْتَلَى (١): ﴿وَإِذَا ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكِلَمَتِ فَأَتَمَهُنَّ﴾  <small>البقرة: ١٢٤</small></p> <p>بَلَوْنَاهُمْ (٢): ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾  <small>القلم: ١٧</small></p>		



صيغ التصريف	عدد الصيغ	النسبة	التكرار
<p>ال فعل المبني للمعلوم</p> <p>٣</p> <p>ابتلأه (٢): ﴿فَإِنَّمَا أَبْتَلَهُ رَبُّهُ وَفَأَكَرَّهُ وَنَعَمَهُ﴾ [الفجر: ١٥]</p> <p>﴿وَمَمَّا إِذَا مَا أَبْتَلَهُ فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾</p> <p>﴿[الفجر: ١٦]</p> <p>بَلَوْنَا (١): ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ جَنَّةَ﴾</p> <p>﴿[القلم: ١٧]</p> <p>لَبَلَوْنَكُمْ (٢): ﴿وَلَبَلَوْنَكُمْ يُشَيِّع﴾ [البقرة: ١٥٥]</p> <p>﴿وَلَبَلَوْنَكُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِدِينَ﴾ [محمد: ٣١]</p> <p>ابتلوا (١): ﴿وَبَتَلُوا الْيَتَمَّ﴾ [النساء: ٦]</p> <p>لَبَلَتِلَيَكُمْ (١): ﴿ثُمَّ صَرَقَكُمْ عَنْهُمْ لَبَلَتِلَيَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢]</p> <p>لَبِلُوكُمْ (٤): ﴿وَلَكِنَ لَبِلُوكُمْ فِي مَاءَ اتَّدَكُمْ﴾ [المائدة: ٤٨]</p> <p>﴿لَبِلُوكُمْ فِي مَاءَ اتَّدَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]</p> <p>﴿لَبِلُوكُمْ أَيْكُمْ أَحَسَنُ عَمَلًا﴾</p> <p>﴿[هود: ٧]</p> <p>﴿لَبِلُوكُمْ أَيْكُمْ أَحَسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]</p> <p>وَلَبِلَتِلِي (١): ﴿وَلَبِلَتِلِي اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]</p>		٪ ٧٠	٢٦

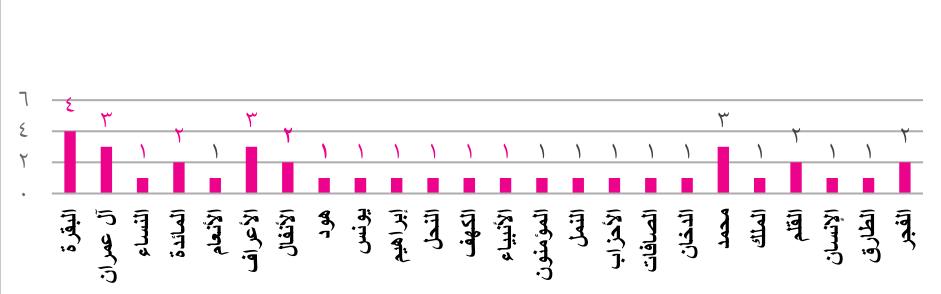


النسبة	التكرار	عدد الصيغ	صيغ التصريف
		<p><b>لَيَلُوْنَكُمْ</b> (١): ﴿لَيَلُوْنَكُمْ رَبُّ الْلَّهُ لِشَّاءِ مِنَ الْصَّيْدِ﴾ [٩٤] [المائدة: ٩٤]</p> <p><b>لَبَلُوْهُمْ</b> (١): ﴿لَبَلُوْهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣]</p> <p><b>بَتَلِيْهِ</b> (١): ﴿إِنَّا خَلَقْنَا إِلَيْسَنَ مِنْ طُقْفَةِ أَمْشَاجِ بَتَلِيْهِ﴾ [الإنسان: ٢]</p> <p><b>وَلَبِلِيْيَ</b> (١): ﴿وَلَبِلِيْيَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٧]</p> <p><b>لَبَلُوْنِي</b> (١): ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لَبَلُوْنِي أَشْكُرَمْ أَكْفُرْ﴾ [٤٠] [النمل: ٤٠]</p> <p><b>لَبَلُوْ</b> (١): ﴿وَلَكِنَ لَبَلُوْ بَعْضَكُمْ بَعْضِ﴾ [محمد: ٤]</p> <p><b>وَلَبَلُوْ</b> (١): ﴿وَلَبَلُوْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].</p> <p><b>لَبَلُوْهُمْ</b> (١): ﴿لَبَلُوْهُمْ أَيْهُمْ أَحَسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]</p> <p><b>وَلَبَلُوْكُمْ</b> (١): ﴿وَلَبَلُوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [٣٥] [الأنياء: ٣٥]</p> <p><b>لَبَلُوْكُمْ</b> (١): ﴿إِنَّمَا لَبَلُوْكُمْ رَبُّ الْلَّهُ بِهِ﴾ [٩٢] [النحل: ٩٢]</p>	



النسبة	التكرار	عدد الصيغ	صيغ التصريف
		٢٦٥ (١): ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتُ﴾ [يونس: ٣٠]	
٤٪١٦	٦	<p>بَلَاءٌ (١): ﴿بَلَاءَ حَسَنًا﴾ [الأنفال: ١٧]</p> <p>بَلَاءٌ (٤): ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٦ / الأعراف: ١٤١ / إبراهيم: ٦]</p> <p>﴿وَعَاتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْأَكَيْتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ٣٣]</p> <p>الباء (١): ﴿إِنَّهُذَا لَهُوَ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ [الصفات: ١٠٦]</p>	الاسم
٪١٠٠	٣٧ مرة	٤ صيغ	المجموع

الرسم البياني الثاني: يبين نسبة تكرار صيغ التصريف لفعل «بلا» في القرآن الكريم

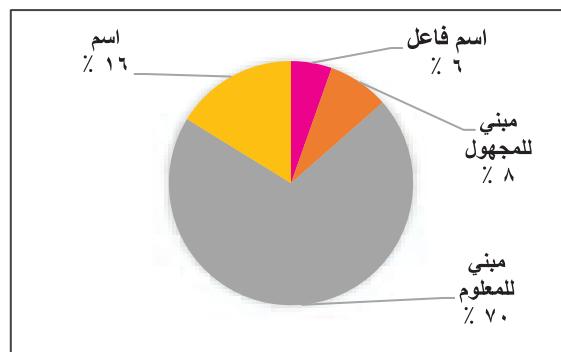




### الرسم البياني الثالث: يبيّن نسبة الآيات التي تحدث عن البلاء والابتلاء



### الرّسم البياني الرابع: يوضّح نسب الصيغ التصريفية التي ذكر بها فعل بلا في القرآن الكريم



### الرّسم البياني الخامس: يوضّح نسبة ذكر تصريفات فعل «بلا» في الآيات المكية والمدنية





## المطلب الثامن:

### تحليل نتائج الرسومات البيانية:

1. نستنتج أنَّ فعل «بلا» باشتقاته المختلفة، ذُكر في القرآن الكريم سبعاً وثلاثين مرة، منها إحدى وعشرين مرة في النصف الأول، وستَّ عشرة مرة في النصف الثاني.
2. نستنتج أنَّ فعل «بلا» باشتقاته المختلفة، ذكر في القرآن الكريم سبع وثلاثين مرَّة من خلال أربع صيغ، وهي: اسم الفاعل (٢)، المبني للمجهول (٣)، المبني للمعلوم (٢٦)، والاسم (٦).
3. نستنتج تكرار فعل «بلا» بصيغه المختلفة في مختلف السور على النحو الآتي:
  - ✓ اسم فاعل: تكرَّر ذكره مرتَّين في سورَتَيْن هما: البقرة، والمؤمنون، وهذا بنسبة مئوية قدرت بـ: ٦٪.
  - ✓ صيغة الفعل المبني للمجهول: تكرَّر ذكرها ثالث مرات في ثلاث سورٍ قرآنية، هي: آل عمران، الأحزاب، والطلاق، وهذا بنسبة مئوية قدرت بـ: ٨٪.
  - ✓ صيغة الفعل المبني للمعلوم: تكرَّر ذكرها ستَّاً وعشرين مرَّة في ثمانَي عشرة سورٍ قرآنية، هي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، الأنفال، هود، يونس، النحل، الكهف، الأنبياء، النمل، محمد، الملك، القلم، الإنسان، الفجر، وهذا بنسبة مئوية قدرت بـ: ٧٠٪.
  - ✓ صيغة الاسم: تكرَّر ذكرها ست مرات في ست سورٍ قرآنية، هي: البقرة، الأعراف، الأنفال، إبراهيم، الصافات، والدخان، وهذا بنسبة مئوية قدرت بـ: ١٦٪.



٤. نلاحظ أنَّ عدد السور التي ورد فيها فعل «بلا» باستقاقاته المختلفة أربع وعشرون سورة، وهي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، الأنفال، يونس، هود، إبراهيم، النحل، الكهف، الأنبياء، المؤمنون، النمل، الأحزاب، الصافات، الدخان، محمد، الملك، القلم، الإنسان الطارق، الفجر.
٥. يلاحظ في مجموع السور التي ورد فيها فعل «بلا» باستقاقاته المختلفة، سبع عشرة سورة مكية، وسبع سور مدنية، فال Mukkâyah: الأنعام، الأعراف، يونس، هود، إبراهيم، النحل، الكهف، الأنبياء، المؤمنون، النمل، الصافات، الدخان، الملك، القلم، الإنسان، الطارق والفجر، والمدنية هي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، الأحزاب ومحمد ﷺ.
٦. يلاحظ أنَّ الآيات المدنية التي ورد فيها لفظ «بلا» باستقاقاته المختلفة بلغت نسبتها ٥٣ بالمائة، بينما المكية بلغت نسبتها ٤٧ بالمائة.
٧. يلاحظ أنَّ نسبة الآيات التي تحدثت عن البلاء بلغت ٧٠ بالمائة، بينما نسبة الآيات التي تحدثت عن الابلاء بلغت ٣٠ بالمائة، وهذا يؤيد ما تمَّ التوصل إليه سابقاً؛ أنَّ بين البلاء والابلاء عموماً وخصوصاً، فكل بلاء ابتلاء، وليس كُلُّ ابتلاء بلاء.
٨. يلاحظ تكرار آيات البلاء والابلاء في السور المدنية، وأنَّها عُنيت بالتكاليف والنهي والضيق، وهذا يؤيد قاعدة أنَّ القرآن المدنى اهتمَّ اهتماماً بارزاً بالعبادات، والتَّكاليف بما يُطاق، والحرص على تطهير القلوب من الأمراض القلبية، وميز خبيثها عن طيّبها؛ لأجل تهيتها في آخر المطاف إلى حمل أعباء رسالة الإسلام، والدُّعوة إلى الله ﷺ، والجهاد في سبيله.
٩. ويلاحظ تكرار آيات البلاء والابلاء في السور المكية، وأنَّها عُنيت بتبلیغ



الدعوة، والاعظام بقصص الأولين، ويوم الحساب، والمصائب، والنعيم، والوفاء بالعهد، وعدم الغدر، وهذا يؤيد قاعدة أنَّ القرآن المكي اهتم اهتماماً بارزاً بتزكية النفوس، ودعوتها إلى الإيمان بالله، واليوم الآخر، والقدر خيره، وشره، والالتزام بالعهود، والمواثيق، وعدم نقضها.

١٠. يستفاد من خلال ورود تصريفات «بلا» في الآيات المكية والمدنية؛ ضرورة الشُّكْر على المسار، والصَّبْر على المضار، وتحمل التكاليف والنواهي.

١١. ونلاحظ أن مصدر «الباء» باشتقاته المختلفة ضمِّن في ثمانية عشر محوراً رئيساً في القرآن، هي:

- اختبار الله تعالى إبراهيم ﷺ بتكميله ذبح ولده إسماعيل، فسارع إلى ذلك ممثلاً لأمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّهُذَا أَهْوَابَلَوْأَمْبِينُ﴾ [الصفات: ١٠٦].

- اختبار الله تعالى سليمان ﷺ بإحضار العرش إليه؛ ليرى منه أي يشكِّر أم يكفر، وما كان منه إلَّا أن اعترف بفضل ربه عليه وشكِّر نعمته، قال تعالى: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُو نِي إِشْكُرْ أَكْفُرْ وَمَنْ شَكَرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي عَنْهُ كَيْمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

- اختبار الله تعالى عباده بالمال والقوة والجاه وجودة النفوس والأذهان وغير ذلك؛ ليرى المحسن من المسيء، وضدَّه، قال تعالى: ﴿وَرَعَ عَبْضَكُمْ هُوَقَ بَعْضٍ دَرَجَتِ لِيَبْلُو هُوَ فِي مَا آتَاهُنَّكُمْ﴾ [الأعماش: ١٦٥].

- اختبار الله تعالى عباده بالمصائب تارةً، وبالنَّعَمْ أخرى؛ لينظر من يشكِّر، ومن يكفر، ومن يصبر، ومن يقتنط، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَيْلُوكُمْ يَا شَرِّ وَالْخَيْرِ فَتَنَّهُ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنياء: ٣٥].

- اختبار الله تعالى عباده بإيجاد الموت والحياة؛ ليرى منهم أيهم أكثر استعداداً



للموت، وأسرع إلى طاعة ربه، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوْهُ إِنَّكُمْ أَحْسَنُ عَمَالًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

- اختبار الله تعالى كل نفس مؤمنة أو كافرة في موقف الحساب يوم القيمة على ما عملت من خير أو شر، وترى الجزاء المناسب عن كل عمل؛ ليقضى الله بينهم بقضائه العادل، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوْكُلُّ فَنِسٍ مَا أَسْلَفَتُ وَرُدُوْلَإِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ أَحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠]، قوله: ﴿يَوْمَ بُبَيْ السَّرَّاير﴾ [الطارق: ٩].
- اختبار الله تعالى عباده عن طريق خلق السموات والأرض، وكسوتها بالزينة، وترتيبه فيهما جميع ما يحتاجون إليه من أسباب المعاش؛ ليتميز المطهير من العاصي، فيثيب المطهيرين، ويعاقب العاصي، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ وَعَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوْكُمْ إِنَّكُمْ أَحْسَنُ عَمَالًا﴾ [هود: ٧]، قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوْهُمْ إِنَّهُمْ أَحْسَنُ عَمَالًا﴾ [الكهف: ٧].
- اختبار الله تعالىبني إسرائيل بنعمة الإنجاء من آل فرعون بعدما كانوا فيه من العذاب؛ لأجل استخراج الشُّكُر على المسار، قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرِيَتْكُمْ مِنْ أَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحِيُونَ نَسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩]، [الأعراف: ١٤١]، [إبراهيم: ٦].
- اختبار الله تعالىبني إسرائيل بظهور السمك في اليوم المحرم عليهم صيده؛ ليترتب الجزاء على عملهم بسبب فسقهم المستمر عن أمر ربهم، وتعديهم حدود شرعيه، قال تعالى: ﴿وَسَلَّمُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبَّتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبَّتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسِّرُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ تَبْلُوْهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣].



- اختبار الله تعالى بني إسرائيل بالنعم والنعم؛ رجاء أن يرجع العصاة منهم إلى طاعة ربهم، ويتركوا ما نهوا عنه من المعاصي والسيئات حين يرون حسن حال الصالحين، وسوء حال من هم دون ذلك، قال تعالى: ﴿وَبَأَوْتَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].
- اختبار الله تعالى بني إسرائيل بالحجج والبراهين وخارق العادات الدالة على صدق رسالتهم؛ ليتميّز الخبيث من الطيب، والكافر من المؤمن، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلْوَةٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ٣٣].
- اختبار الله تعالى عباده المؤمنين بنعمة النصر والغنية يوم بدر؛ لإظهار الشُّكْر منهم، قال تعالى: ﴿وَمَا رَأَيْتَ إِذْ رَأَيْتَهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَأَى وَلَيْسَ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَّا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الأنفال: ١٧].
- اختبار الله تعالى عباده المؤمنين بأمره إياهم بالوفاء والعهد، وألا يغدوا لكثريهم، وقلة أعدائهم، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَرَبَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَثَتْ شَيْخُودُنَّ أَيْمَانَكُوْدَخَلَبِينَ كُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَنْهَا كُمْ اللَّهُ يَهِ﴾ [النحل: ٩٢].
- اختبار الله تعالى عباده المسلمين بقليل من الصّرّاء؛ لأجل استخراج الصّبر على المضارّ، قال تعالى: ﴿وَلَتَبُوْنَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْحَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمَرَتِ وَيَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].
- اختبار الله تعالى عباده فيما آتاهم من الشرائع مختلفة؛ ليثيّبهم على طاعته أو يعاقبهم على معصيته، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَّيَبْلُوْكُمْ فِي مَا آتَكُمْ﴾ [المائدة: ٤٨].
- اختبار الله تعالى عباده المسلمين بإرسال شيء كثير من الصيد في الوقت

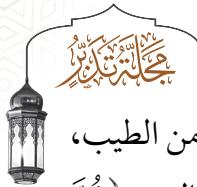


المحرم عليهم صيده، وهو وقت الإحرام والحلول في الحرم؛ ليعلم من يخافه في السر والجهر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ لَوْكُمُ اللَّهُ لِشَيْءٍ مِّنَ الْصَّيْدِ تَنَالُهُ وَأَيْدِيهِمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُ وَبِالْغَيْبِ﴾ [المائدة: ٩٤].

- اختبار الله تعالى عباده المسلمين بالأمر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة؛ حتى يتميز قوي الإيمان من ضعيفه، والصادق من المنافق، والمجاهد من المتخلص، قال تعالى: قوله: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَا تُنَصَّرُ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَيَبْلُوْهُ بِعَضُّكُمْ بِعَضٍ﴾ [محمد: ٤]، قوله: ﴿وَلَيَبْلُوْنَكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَيَبْلُوْنَ أَحْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].
- اختبار الله تعالى مشركي قريش بالقطط والجوع بعد جحودهم لنعمة الخير، وتکذيبهم لرسول ﷺ، كما اختبر من قبلهم أصحاب الجنة، بأن دمّرها تدميرًا، قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَخْبَرَ الْجَنَّةَ إِذْ أَقْسَمُوا لِيَضْرُبُنَّهَا مُسْبِحِينَ﴾ [القلم: ١٧].

١٢. ونلاحظ أيضاً أن مصدر «الابتلاء» باستراقاته المختلفة ضمّن في تسعه محاور رئيسية في القرآن، هي:

- اختبار الله تعالى إبراهيم ﷺ بما كلفه به من الأوامر والنواهي، فقام بها كلها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَبْتَأَ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَمِّتِ فَاتَّمَهُ﴾ [البقرة: ١٢٤].
- اختبار الله تعالى جنود طالوت قبل ملاقاتهم جالوت وجندوه؛ حتى يتميز من يصبر على الحرب من لا يصبر، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَلْوُتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيَسْ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ أَعْتَرَفَ عُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].
- اختبار الله تعالى المسلمين يوم أحد بزيادة في عدد جراحهم وشهدائهم



على عدد الجرحى والقتلى من المشركين؛ حتى يتبيّن الخبيث من الطيب، ويتميز قوي الإيمان من ضعيفه، والصابر من غيره، قال تعالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلَيُمَحْصَّمَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الْأَصْدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤-١٥٢].

- اختبار الله تعالى المسلمين بنزل الأحزاب حول المدينة وهم محصورون في غاية الجهد والضيق؛ ليظهر المخلص من المنافق، والراسخ من المتنزّل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَرُ وَبَاغَتِ الْقُلُوبُ أَحْنَاجَ وَتَظَنَّوْنَ بِاللَّهِ الظُّلْمُونَ هُنَالِكَ أَبْتُلُ الْمُؤْمِنُونَ وَرُزِّلُوا زِلَّا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١-١٠].
- اختبار الله تعالى المسلمين بألوان المصائب؛ ليتميز الصادق من المنافق، والصابر من المضطرب، والثابت من الخائف، قال تعالى: ﴿لَتُسْبِلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَفْسِحُكُمْ وَلَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُفْنَوُ الْكِتَبَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْنِيَّ كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦].
- اختبار الله للأوصياء حول اليتامي المقاربين للرشد بدفع شيء من أموالهم؛ حتى يتبيّن بذلك رشدهم من سفههم، قال تعالى: ﴿وَأَبْتُلُ الْيَتَامَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا الْإِثْكَاحَ فَإِنَّهُ أَسْهَمُ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْعُوْا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦].
- اختبار الله تعالى نوحًا ﷺ بتكذيب قومه وأذاهم إياه والمؤمنين معه؛ ليميز الله للناس الخبيث من الطيب، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّيَ أَنْزَلَنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزَلِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَىْكَ وَإِنَّ كَانَ الْمُبَتَلِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٠-٢٩].
- اختبار الله الإنسان بالتكلّيف، بعد إرشاده إلى طريق الحق وتزويده بالعقل؛ للتفكّر في آيات الله الدالة على وحدانيته، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجَ نَبْتَلِيهُ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢].



- اختبار الله تعالى الإنسان بالسعة والضيق؛ ليستخرج منه الشُّرُكُرُ والصَّبرُ، والكفر والجزع، قال تعالى: ﴿فَمَمَّا أَلِّإِنْسَنُ إِذَا مَا أَبْتَلَهُ رَبُّهُ، فَأَكَرَّمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّيْ أَكْرَمِنِ﴾ [١٥-١٦] [الفجر].





## المبحث الثاني:

### مقاصد البلاء في القرآن الكريم

ليس من شك أنَّ البلاء بالخير والشرِّ الذي ينزل على النَّاس لا يخلو من مقاصد وغايات وحِكْم وأغراض، عَلِمَها من عِلْم، وجَهَلَها من جَهَل، فما علمناه سِيَّقَ الحديث عنه في هذا المبحث، وأَمَّا ما جهَلناه فكثير جَدًا وفقًا لاتساع معلومات الله ﷺ وحِكْمه، وإنَّها غير متناهية، ولذا قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيَ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا قِيلًا﴾ [الإِسرَاء: ٨٥]، وقد ضرب الله مثلاً على اتساع علمه وحِكْمته بأنه لو كُتِبَ علم الله بمداد البحر لاندثر البحر ولم يندثر علم الله، فقال تعالى ذكره: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلْمَتٍ رَبِّي لَنَفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلْمَتُ رَبِّي وَلَوْ جَنَّا بِمِثْلِهِ مَدَادًا﴾ [الكهف: ١٠٩] والمراد بكلمات ربي: «كلام الله، وعلمه، وحِكْمته»<sup>(١)</sup>، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْخَرٍ مَا نَفَدَتْ كَلْمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]، ويهدف هذا المبحث إلى تبصير النَّاس بمقاصد البلاء الواردة في القرآن الكريم؛ حتى يحسن تعاملهم مع هذه الْسُّنَّة الْكُوْنِيَّة، وذلك باستحضار قول الله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكُرُّهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ويتضمن هذا المبحث اثني عشر مطلبًا، هي:

**المطلب الأول:** البلاء بمقاصد تحقيق العبادة لله وحده.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي (٥/٢٥١).



**المطلب الثاني:** البلاء بمقصد استخراج التوكّل.

**المطلب الثالث:** البلاء بمقصد استخراج الدُّعاء.

**المطلب الرابع:** البلاء بمقصد استخراج الصَّبر.

**المطلب الخامس:** البلاء بمقصد استخراج الرَّضا.

**المطلب السادس:** البلاء بمقصد استخراج الشُّكْر.

**المطلب السابع:** البلاء بمقصد استخراج التَّوْبَة.

**المطلب الثَّامن:** البلاء بمقصد الرَّحْمَة.

**المطلب التَّاسِع:** البلاء بمقصد التَّمْحِيص.

**المطلب العاشر:** البلاء بمقصد الاستدراج.

**المطلب الحادي عشر:** البلاء بمقصد التَّخْوِيف.

**المطلب الثَّانِي عشر:** البلاء بمقصد العقوبة.





## المطلب الأول:

### البلاء بمقصد تحقيق العبادة لله وحده

وردت مادة «عبد» في مائتين وخمسة وسبعين موضعًا من آي الذكر الحكيم،  
بصياغات واشتقاقات مختلفة<sup>(١)</sup>.

«العبادة» مصدر الفعل الثلاثي: عَبَدَ، يَعْبُدُ، عِبَادَةً، وَعُبُودِيَّةً، فهو عَابِدٌ،  
والمفعول مَعْبُودٌ، وفي معاني القرآن: «ال العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع، ومنه  
طريق مُعَبَّدٌ، إذا كان مذللاً بكثرة الوطءِ، فمعنى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، أي:  
نطِيعُ الطَّاعَةَ الَّتِي نخْضُعُ مَعَهَا، وقوله: ﴿وَعَبَدَ الظَّاغُوتَ﴾ [المائدَة: ٦٠]، أي: «أطاعَ  
الشَّيْطَانَ فِيمَا سُوِّلَ لَهُ وَأَغْرَاهَ بِهِ»<sup>(٢)</sup>، وفي الصَّحَاحِ: «وَأَصْلَعَ الْعَبُودِيَّةَ الْخَضُوعَ  
وَالذَّلِّ، وَالْتَّعْبِيدَ: التَّذْلِيلُ، يَقَالُ: طَرِيقُ مُعَبَّدٍ، وَالْبَعِيرُ الْمَعْبُدُ: الْمَهْنُوَّ بِالْقَطْرَانِ  
الْمَذْلُّ، وَالْتَّعْبُدُ: التَّنْسِكُ»<sup>(٣)</sup>، وجاء في اللُّسَانِ أَنَّ: «أَصْلَعَ الْعَبُودِيَّةَ الْخَضُوعَ  
وَالْتَّذْلِيلَ، فَلَانَ عَابِدٌ، وَهُوَ الْخَاضِعُ لِرَبِّ الْمُسْتَسِلِّمِ الْمُنْقَادُ لِأَمْرِهِ»<sup>(٤)</sup>، وَمَعْنَى  
الْعَبَادَةِ فِي اسْطِلَاحِ الْمُفَسِّرِينَ هِيَ: «الْخَضُوعُ لِلَّهِ بِالْطَّاعَةِ، وَالْتَّذْلِيلُ لَهُ بِالْاسْتِكَانَةِ،  
وَالْإِقْرَارُ لَهُ بِالرَّبُوبِيَّةِ، لَا لِغَيْرِهِ»<sup>(٥)</sup>، وَعَرَّفَهَا آخَرُ بَأْنَهَا: «اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ  
اللَّهُ تَعَالَى وَيُرِضُّهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ»<sup>(٦)</sup>، وَيَقُولُ غَيْرُهُ: هِيَ:

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٤٤١-٤٤٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٤٨/١)، (٢/١٨٧).

(٣) الصَّحَاحُ تاجُ اللُّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ، لِلْجُوهَرِيِّ (٢/٥٠٢-٥٠٣).

(٤) لسان العرب، لابن منظور (٩/١٠-١٢).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبراني (١١٥ و ٣٦٢).

(٦) العبودية، لابن تيمية (ص ٢٠).

«التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله»<sup>(١)</sup>، ويقول آخر: هي: «إفراد الله بالعبادة، أي الاعتراف بوحدانيته»<sup>(٢)</sup>، هذا وإن المعنى الذي تدل عليه العبادة في اللغة هو الطاعة، مع الخضوع، والتذلل، والانقياد، والاستسلام طوعاً، أو كرهًا، غير أن العبادة في الاصطلاح لا تقتصر على هذه المعاني فحسب، وإنما تشتمل على معنى الحب أيضًا، فهي تتضمن غاية الذل لله، وغاية المحبة له، وغاية الاتباع له، وغاية التدين له، وغاية الانقياد لشرعه، وغاية الخضوع لمشيئته، فيجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن تكون شريعة الله أحب إلى العبد من كل الشرائع. لذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له، ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له، كما قد يحب ولده وصديقه، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله عنده أعظم من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا الله»<sup>(٣)</sup>، ومن هنا يمكننا تعريف العبادة على أنها: إفراد من بيده الأمر سبحانه بالطاعة، قوله تعالى: «لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ»، من بعده اعتقدوا، فولأ وفعلاً واعتقاداً، مع غاية الخضوع والمحبة له، ولا يُشرك معه في الطاعة غيره؛ لأن غيره ليس بيده الأمر، وامتثال جميع تكاليفه الشرعية من الأوامر، والنواهي، وإرضاوه.

لقد بين الله تعالى المقصد الأسمى من العبادة فقال: «يَأَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُ وَأَبْرَكُمُ الَّذِي خَلَقْتُكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ» [البقرة: ٢١]، وجملة قوله: «لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ» تعليل للأمر بـ «أَعْبُدُ وَأَبْرُكُ»، والمعنى: «لتتقوا سخطه وغضبه أن يحل عليكم،

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٨/٢٩٣).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٤/١٨٢).

(٣) العبودية، لابن تيمية (ص ٤٩).



وتكونوا من المتقين الذين رضي عنهم ربهم<sup>(١)</sup>، وهذا دليل على أن ترك الخصوص لله بالطاعة والإقرار له بالوحدانية موجب للقوارع والجوانح وال المصائب التي تصيب بعض بنى البشر، ويؤيد هذا ما أخبر الله تعالى به في مواضع من كتابه عن سنته في الأمم المستنكرة عن طاعته والمكذبة برسله كيف أنه أبادهم بأنواع من المصائب، يقول تعالى: ﴿فَكُلُّا أَخْدَنَا بِذَنْبِهِ فَهُنْمُمَّ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبَةً وَمِنْهُمْ مَرْأَتْهُ أَخْدَنَتْهُ الْصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَطْلَمْهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، قوله: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبَةً﴾ أي: «وهم قوم لوط»<sup>(٢)</sup>، قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخْدَنَتْهُ الْصَّيْحَةُ﴾ أي: «وهم قوم ثمود، ومدين»<sup>(٣)</sup>، قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ أي: «وهم قارون وأصحابه»<sup>(٤)</sup>، قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَقْنَا﴾ أي: «قوم نوح وفرعون وقومه»<sup>(٥)</sup>، وقد دلت آيات كثيرة في القرآن الكريم على التنتائج السيئة، والعواقب الوخيمة الناشئة عن الإعراض عن طاعة الله جل وعز، أو الشك فيها، أو الإشراك فيها، فمنها الإنذار بالصاعقة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَعْرَضُوا فَقُلْ لَنْذِرْنُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [١٣-١٤]، إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم وهم خلِفُهم لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَكَكَةً فَإِنَّا بِمَا أَرْسَلْنُمْ بِهِ كُفَّارُونَ﴾ [فصلت: ١٣-١٤]، ومنها الوعيد بالمعيشة الضيّقة المملئة بالهموم، والغموم، والأحزان، وسوء العاقبة كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ وَمَعِيشَةً ضَنْكًا وَخُسْرُهُ وَيَوْمًا قِيمَةً أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

(١) جامع البيان عن تأویل آی القرآن، للطبری (٣٦٤/١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (٤/١٦٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٤/١٦٩).

(٤) المرجع السابق (٤/١٦٩).

(٥) جامع البيان عن تأویل آی القرآن، للطبری (٢٠/٣٧).



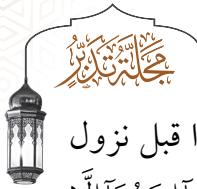
ومنها تهيئة القراء من الشياطين، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ فُقِيَّصَ لَهُ وَشَيْطَنًا فَهُوَ لَهُ وَقِرْبٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]، ومنها الطَّبع، والختم، والوقر، والغشاوة، والأكنة المانعة من فهم ما ينفع، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَطْلَمَ مِمَّنْ ذُكِرَ بِعِيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي أَذْانِهِمْ وَقَرْأً وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدَا﴾ [الكهف: ٥٧]، ومنها الخسran في الدُّنيا، والآخرة، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَنَّاسٍ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنَّ أَصَابَهُ وَخَيْرٌ أَطْمَانَ يَهُ وَإِنَّ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أَنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكُهُوَ الْخَسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]، وقوله: ﴿فَإِنَّ أَصَابَهُ وَخَيْرٌ﴾ فمعناه: «صَحَّةٌ في جسمه وسعة في معيشته»<sup>(١)</sup>، وقوله: ﴿وَإِنَّ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾، فمعناه: «شُرٌّ وبلاء في جسله وضيق في معيشته»<sup>(٢)</sup>، قال المفسرون: «نزلت في أعراب كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ المدينة مهاجرين من باديتهم، وكان أحدهم إذا قدم المدينة، فإن صَحَّ بها جسمه، ونُتْجِت فرسه مُهِرًا حسناً، وولدت امرأته غلامًا، وكثُر ماله وماشيته، رضي عنده واطمأنَّ، وقال: ما أَصَبْتَ مِنْذَ دَخَلْتَ فِي دِينِي هَذَا إِلَّا خَيْرًا، وإنْ أَصَابَهُ وَجْعَ المَدِينَةِ، وَوَلَدَتْ امْرَأَتِهِ جَارِيَةً، وَأَجْهَضَتْ رِمَاكُهُ، وَذَهَبَ مَالَهُ، وَتَأَخَّرَتْ عَنْهُ الصَّدَقَةُ، أَتَاهُ الشَّيْطَانُ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَصَبْتَ مِنْذَ كَنْتَ عَلَىٰ دِينِكَ هَذَا إِلَّا شَرًّا، فَيُنْقَلِبُ عَلَىٰ دِينِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَنَّاسٍ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾<sup>(٣)</sup>. والآيات بمثيل ذلك كثيرة جدًا.

وأَمَّا النَّائِبُونَ إِلَى اللَّهِ، وَالخَاضِعُونَ لِطَاعَتِهِ؛ فَيُنْجِيَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ مَصَابِ الدُّنْيَا،

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٤٣٠ / ٢).

(٢) المرجع السابق (٤٣٠ / ٢).

(٣) أسباب نزول القرآن، للواحدي (٣٠٧ / ١)، وأخرج معناه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَمَنْ أَنَّاسٍ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١] شك، ﴿وَمَنْ أَنَّاسٍ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنَّ أَصَابَهُ وَخَيْرٌ أَطْمَانَ يَهُ وَإِنَّ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أَنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ [الحج: ١١]، برقم (٤٧٤٢).



ويرفع عنهم شدائدها، كما أخبر تعالى عن قوم يونس ﷺ الذين آمنوا قبل نزول العذاب، فنفعهم إيمانهم، كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرَيْةً أَمَّا نَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونَسٌ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخَيْرِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَعَنَّهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]، وقال ابن تيمية ﷺ: «ومن تدبّر أحوال العالم، وجد كُلَّ صلاح في الأرض؛ فسببه توحيد الله، وعبادته، وطاعة رسوله ﷺ، وكلّ شرّ في العالم، وفتنة، وبلاء، وقطط، وتسلیط عدوٌ، وغير ذلك؛ فسببه مخالفۃ الرَّسُول ﷺ، والدَّعْوَةُ إِلَى غَيْرِ اللهِ»<sup>(١)</sup>. ومن المواقف العملية التي كان يستعين بها رسول الله ﷺ على مواجهة الأحداث المفاجئة، الإسراع إلى عبادة الصَّلاة، فُرُوي عن حذيفة ﷺ، قال: «كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر، صلّى»<sup>(٢)</sup>، وُرُوي أيضًا عن أبي الدرداء وأبي ذرٍ ﷺ، عن رسول الله ﷺ، عن الله ﷺ أنه قال: «ابن آدم، اركع لي أربع ركعات من أول النهار، أكفك آخره»<sup>(٣)</sup>.



(١) الفتاوی الكبيری، لابن تیمیة (١٥ / ٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، أبواب قيام الليل، باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل برقم (١٣١٩)، كما أخرجه: أحمد في مسنده: أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ، حديث حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ برقم (٢٣٢٩٧). وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (١٣١٩).

(٣) أخرجه الترمذی في سننه: أبواب الوتر، باب ما جاء في صلاة الضحى، كما أخرجه الطبرانی في معجمه: باب الصاد، القاسم بن عبد الرحمن بن يزيد الشامي مولى معاویة، عن أبي أمامة، برقم (٧٧٤٦)، وصححه الألبانی في صحيح وضعيف سنن الترمذی برقم: (٤٧٥).



## المطلب الثاني: البلاء بمقصد استخراج التوكل

لقد ورد لفظ «التوكل» في سبعين موضعًا من آي الْذِكْر الحكيم بصياغات واشتراكات مختلفة<sup>(١)</sup>.

«التوكل» مصدر الفعل الثلاثي وَكَلَ، ولكن زيد فيه تاء في أَوَّله، وَضُعِّفت عينه في وسطه؛ ليصير على وزن تفعَّل، وهي صيغة الفعل الثلاثي المزيد بحرف: توَكَلَ، يتوَكَّلَ، توَكَّلًا، فهو متوكِّل، والمفعول مُتوكَّلٌ عليه، وأصل التوكل في اللُّغة مركب من: «(وَكَلَ) الواو والكاف واللام: أصل صحيح يدلُّ على إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك»<sup>(٢)</sup>، والتوكل في اصطلاح المفسِّرين هو: «التعوييل على من يدِّبر أمره، وفيه ملاحظة عظمة الله وقدرته، واعتقاد الحاجة إليه، وعدم الاستغناء عنه»<sup>(٣)</sup>. والحاصل أنَّ التوكل هو: عمل قلبيٌّ، يستشعر العبد من خلاله شدَّة حاجته إلى الله في تدبير جميع أموره، وذلك بالاعتماد عليه وحده، وقد يصاحب هذا الافتقار القول باللسان (حسبنا الله ونعم ووكيل)، كما قد يصاحب دعاء التوكل المعروف بصلة الاستخارة.

إنَّ القرآن الكريم مملوء بالحديث عن موضوع التوكل، وحثَّ العباد على التحلّي به، ومن مقاصد البلاء؛ هو إظهار المبتَلَى عجزه في دفع البلاء الذي ألم به من جهة، ومن جهة ثانية إظهار المبتَلَى اعتماده و حاجته و افتقاره إلى الله ﷺ.

(١) المعجم المفهوس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٧٢٦-٧٢٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٦/١٣٦).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٤/٨)، (١٥١-١٥٢).



وحله لتدبير أمره، ومن جهة أخرى الإخلاص في إسناد الأمور إلى الله وحده لأنَّ تفويضها إلى غير الله ليس من الهدى، ولا يليق مع مقام التوحيد، ولهذا قال تعالى: ﴿الَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢٢]، ومعنى الوكيل هو: «من يتوكل عليه، فتفوَّض الأمور إليه، ليأتي بالخير، ويدفع الشر، وهذا لا يصح إلا لله وحده ﷺ، ولهذا حذَّر من اتخاذ وكيل دونه، لأنَّه لا نافع ولا ضار، ولا كافٍ إلاَّ هو وحده ﷺ، عليه توَكَّلنا، وهو حسينا ونعم الوكيل» <sup>(١)</sup>.

كان من دعاء إبراهيم الخليل ﷺ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَسْقِفِينَ﴾ [الشعراء: ٨٠]، والمعنى: «وإذا سقم جسمي واعتلَّ، فهو يُرئئه ويعافيه» <sup>(٢)</sup>، ويلاحظ في الآية خُلُق الأدب في التخاطب مع الله؛ حيث إنَّ إبراهيم ﷺ نسب المرض إلى نفسه، ولم ينسبه إلى ربِّه ﷺ، هذا ووجه الدلالة في الآية أنَّ الله يبتلي عباده بالمرض، والجراحة، والألم في الجسد؛ لأجل أن يتوكَّلوا عليه وحده في دفعها؛ لذا ينبغي للمربي أن يتوكَّل على الله خالق الأسباب، وألاَّ يتعلَّق قلبه بالأسباب، كالمستشفيات والأطباء، والواجب أن يكون تعلُّق القلب بالذي أنزَل الدَّاء والدواء، فالذي أنزَل المرض قادر على أن يرفعه، لذا قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَرِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

هذا وإنَّ التوكُّل على الله تبارك أعلى مقامات التوحيد؛ لِمَا فيه من بُؤء العبد بعجزه في مدافعة المضار إلا بِإذن الله تعالى، قال سعيد بن جبير: «التوَكُّل على الله جماع الإيمان» <sup>(٣)</sup>، ولهذا أُدَدَ التوكُّل عملاً قلبياً، فهو ليس بقول اللسان، ولا بعمل

(١) أصوات البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٣/١٢).

(٢) جامع البيان عن تأویل آی القرآن، للطبری (١٩/٣٦٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/١٢).

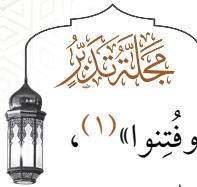


الجوارح، كما عبر بذلك ابن القيم في المدارج<sup>(١)</sup>. ولا يكون التوكل كاملاً، إلاّ بعد بذل الجهد المادي، والجهد المعنوي في دفع المضار، أو تدبير الأمور، والجهد المادي يعبر عنه باتخاذ الأسباب المادية، مثل طلب العلاج لمن ابتلي بالمرض، أو طلب الرزق لمن ابتلي بالفقر، وغير ذلك، أما الجهد المعنوي فيعبر عنه باتخاذ الأسباب المعنوية المكملة للتوكل، مثل: الدُّعاء، والتضرُّع إلى الله، وحسن الظن به، والاستغاثة به، وصدق الافتقار، واللَّهُ، والرَّغبة، والرَّهبة إليه، وغير ذلك. ومن أجمل معاني التوكل على الله، والاستعانة به وحده وقت الشَّدَّة؛ موقف النبي ﷺ، وصحابته رضوان الله عليهم في غزوة حمراء الأسد؛ حيث يخبرنا القرآن الكريم أن المشركين توعدوا النبي محمدًا ﷺ، وصحابه رضوان الله عليهم؛ بالقتل والأسر والأذى، وخوفهم بكثرة العدد، وشدة البطش، فلم يكتروا بذلك، بل توكلوا على الله، واستعنوا به، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسِبْنَا اللَّهَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وقد صحَّ عن ابن عباس رضي الله عنهما: حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم رضي الله عنه حين أُلقي في النار، وقالها محمد رضي الله عنه حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسِبْنَا اللَّهَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وكذلك موقف النبي ﷺ، وصحابته رضوان الله عليهم، في غزوة الأحزاب، حيث يصوّر لنا القرآن الكريم تلك السَّاعات العصيبة التي عاشها المسلمون وقتذاك، يقول الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فُوقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ رَأَيْتَ الْأَبْصَرَ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَاجَرَ وَتَقْطُونَ يَالَّهِ الظُّنُونَ هُنَالِكَ أَبْتَلَى الْمُؤْمِنُونَ وَرُلَّزُلُوا زِنَالَا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠ - ١١]، قوله: ﴿أَبْتَلَى الْمُؤْمِنُونَ وَرُلَّزُلُوا زِنَالَا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠ - ١١]، وقد صحَّ عن ابن قيم في المدارج<sup>(٢)</sup>.

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (١١٤/٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشُوهُمْ﴾ الآية

[آل عمران: ١٧٣]، برقم (٤٥٦٣).



رِزْلَرَآ أَشَدِيدَاً) فمعناه: «مُحَصُّوا، وَحُرِّكُوا بِالْفِتْنَةِ تَحْرِيْكًا شَدِيدًا، وَابْتُلُوا وَفُتِّنُوا»<sup>(١)</sup>، وفي هذا الجو العصيب، يخبرنا الله تعالى أنَّ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ بِوَعْدِ اللهِ، وَيُنَصِّرُ رسالتَهِ، تَوَكَّلُوا عَلَى اللهِ حَقَّ تَوْكِيلِهِ، فَبَذَلُوا النَّفْسَ وَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ نَصْرَةِ الدِّينِ فَقَالَ: «وَلَمَّا رَأَهُ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا» [الأحزاب: ٢٢]، وعن ابن رومان قوله: «وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا» قال: «صِبْرًا عَلَى الْبَلَاءِ، وَتَسْلِيمًا لِلْقَضَاءِ، وَتَصْدِيقًا بِتَحْقِيقِ مَا كَانَ اللهُ وَعْدَهُمْ وَرَسُولُهُ»<sup>(٢)</sup>، وقد صحَّ عن عبد الله بن أبي أوفى رض قوله: دعا رسول الله صل يوم الأحزاب على المشركين، فقال: «اللَّهُمَّ مِنْزِلُ الْكِتَابِ سَرِيعُ الْحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمُ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزُلْزِلْهُمْ»<sup>(٣)</sup>. ومن النَّطَبِيقَاتِ الْعَمَلِيَّةِ لِلتَّوْكِيلِ مَا سَنَهُ النَّبِيُّ صل لِأَمْمَتِهِ فِي دُعَاءِ التَّوْكِيلِ الْمُعْرُوفِ بِصَلَاةِ الْإِسْتِخَارَةِ، وَهُمَا رُكْعَتَانِ يَصْلِيْهُمَا الْمُسْلِمُ إِذَا احْتَارَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَيْهُمَا يَخْتَارُ، دَاعِيَا اللهَ بِدُعَاءِ مُخْصُوصِ أَنْ يَوْفِّقَهُ إِلَى خَيْرِ الْأَمْرَيْنِ، وَصَلَاةُ الْإِسْتِخَارَةِ هِيَ بِمَثَابَةِ التَّوْكِيلِ الْعَمَلِيِّ عَلَى اللهِ، فَعَنْ جَابِرِ رض، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صل يَعْلَمُنَا الصَّلَاةَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهَا، كَالسُّورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ: «إِذَا هُمْ بِالْأَمْرِ فَلَيْرَكِعْ رُكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغَيْبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرُ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلٍ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاقْدِرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرُ شُرُّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلٍ

(١) جامع البيان عن تأویل آی القرآن، للطبری (٢٢٢/٢٠).

(٢) جامع البيان عن تأویل آی القرآن، للطبری (٢٣٦/٢٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة

والزلزلة، برقم (٢٩٣٣).



أمرى وأجله- فاصرفه عنّي واصرفني عنه، وقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به. ويسمّي حاجته<sup>(١)</sup>. ومن وصايا رسول الله ﷺ في أدعية الصّباح والمساء، ما رواه عثمان بن عبد الله بن موهب ﷺ قال: سمعت أنس بن مالك ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ لفاطمة: «ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به: أن تقولي إذا أصبحت، وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كلّه، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين»، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشّيخين، ولم يخر جاه<sup>(٢)</sup>.



### المطلب الثالث:

#### البلاء بمقصد استخراج الدّعاء

لقد ورد لفظ «الدّعاء» في مائتين واثني عشر موضعًا من آي الذّكر الحكيم بصياغات واشتقاقات مختلفة<sup>(٣)</sup>.

و«الدّعاء» في اللّغة مصدر الفعل الثلاثي المعتل النّاقص: دعا، يدعُو، ادعُ، دعاءً، ودُعْوةً، ودَعْوَى، فهو داع، والمفعول مدعُو، وأصل الدّعاء في اللّغة مركب من: «(دَعَوْ) الدَّالُ والْعَينُ وَالْحَرْفُ الْمَعْتَلُ أَصْلُ وَاحِدٍ، وَهُوَ أَنْ تُمْيلَ الشَّيْءَ إِلَيْكَ بِصَوْتٍ وَكَلَامٍ يَكُونُ مِنْكَ، تَقُولُ: دَعْوَتُ أَدْعُو دَعْوَاءً»<sup>(٤)</sup>، وفي اللّسان: «الدّعاء:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة برقم (٦٣٨٢).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب الدعاء، والتّكبير، والتّهليل، والتّسبيح والذّكر، وأما حديث رافع بن خديج، برقم (٢٠٠٠)، كما أخرجه الطّبراني في معجمه: باب الخاء، من اسمه خالد، برقم (٤٤٤)، وقد صصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٢٢٧).

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٢٥٧-٢٦٠).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٦/١٣٦).



الرَّغبة إِلَى اللَّهِ ﷺ، دُعَاهُ دُعَاءً وَدُعْوَى؛ وَيُقَالُ: دَعَوْتُ اللَّهَ لَهُ بِخَيْرٍ وَعَلَيْهِ بَشَرٌ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «إِنَّ دُعَوْتَهُمْ تَحِيطَ مِنْ وَرَائِهِمْ»<sup>(١)</sup>، أَيْ: تَحْوِطُهُمْ وَتَكْنُفُهُمْ وَتَحْفَظُهُمْ، وَمَعْنَى الدُّعَاء لِلَّهِ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَوْجَهٍ: فَضْرُبُ مِنْهَا تَوْحِيدُهُ وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ، كَقُولُكَ: يَا اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَكَقُولُكَ: رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، إِذَا قَلْتَهُ فَقَدْ دَعَوْتَهُ بِقُولُكَ رَبَّنَا، ثُمَّ أَتَيْتُ بِالثَّنَاءِ وَالْتَّوْحِيدِ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ إِذْ عُنِيَ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ عِبَادَتِي سَيَكُلُونَ جَهَنَّمَ دَاهِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]؛ فَهَذَا ضَرَبُ مِنَ الدُّعَاءِ، وَالضَّرَبُ الثَّانِي مَسَأْلَةُ اللَّهِ الْعَفْوُ وَالرَّحْمَةُ وَمَا يَقْرُبُ مِنْهُ تَعَالَىٰ، كَقُولُكَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا، وَالضَّرَبُ الثَّالِثُ مَسَأْلَةُ الْحَظْظَ مِنَ الدُّنْيَا، كَقُولُكَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مَالًا وَوَلَدًا، وَإِنَّمَا سَمِّيَ هَذَا جَمِيعَهُ دُعَاءً لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يُصَدِّرُ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ بِقَوْلِهِ يَا اللَّهُ، يَا رَبُّ، يَا رَحْمَنْ؛ فَلَذِلْكَ سَمِّيَ دُعَاءً<sup>(٢)</sup>، أَمَّا الدُّعَاءُ فِي اصْطِلَاحِ الْمُفَسِّرِينَ فَهُوَ: «النِّدَاءُ لِطَلْبِ مَهْمَّ، وَاسْتَعْمَلْ مَجَازًا فِي الْعِبَادَةِ؛ لَا شَتَمَالُهَا عَلَى الدُّعَاءِ، وَالْطَّلَبُ بِالْقَوْلِ، أَوْ بِلِسَانِ الْحَالِ، كَمَا فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ»<sup>(٣)</sup>، وَيُرَىٰ أَخْرَى أَنَّ الدُّعَاءَ: «يُطْلَقُ عَلَى سُؤَالِ الْعَبْدِ مِنَ اللَّهِ حَاجَتِهِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ مَعْنَاهُ فِي الْلُّغَةِ، وَيُطْلَقُ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ عَلَى طَرِيقِ الْكَنَاءِ؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَخْلُو مِنْ دُعَاءِ الْمُعْبُودِ بِنَدَاءِ تَعْظِيمِهِ، وَالْتَّضْرُعِ إِلَيْهِ، وَهَذَا إِطْلَاقٌ أَقْلُ

(١) الحديث بطوله عن عبد الرحمن بن مسعود عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «نَضَرَ اللَّهُ امْرَأٌ سَمِّعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحْفَظَهَا وَبَلَغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فَقَهَ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلَاثٌ لَا يَغْلِبُ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمَنَاصِحةُ أَتْمَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَزُومُ جَمَاعَتِهِ؛ فَإِنَّ الدُّعَوَةَ تَحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»، أَخْرَجَهُ التَّرْمِذِيُّ فِي سُنْنَتِهِ: أَبْوَابُ الْعِلْمِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْحُثُّ عَلَى تَبْلِيغِ السَّمَاعِ، بِرَقْمِ (٢٦٥٨)، كَمَا أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهٍ فِي سُنْنَتِهِ: كِتَابُ الْمَنَاسِكِ، بَابُ الْخُطْبَةِ، يَوْمُ النَّحْرِ بِرَقْمِ (٣٠٥٦)، قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ وَضَعِيفِ التَّرْمِذِيِّ: وَهَذَا سَنْدٌ صَحِيحٌ رَجَالُهُ كَلْمَهُ ثَقَاتٍ.

(٢) لِسَانُ الْعَرَبِ، لَابْنِ مَنْظُورِ (١٤/٢٥٧-٢٦١).

(٣) التَّحْرِيرُ وَالتَّوْبِيرُ، لَابْنِ عَاشُورِ (٨/١٨٢).



شيوعاً من الأول<sup>(١)</sup>، مما سبق من تعرifications للدعاء في اللغة والاصطلاح يتبيّن لنا أنَّه يدور حول النداء لطلب مُهمٍ، وسؤال العبد من الله تعالى حاجته.

ومن حالات الدُّعاء التي تَظَهُرُ عَلَى الدَّاعِي في حال الدُّعاء، مُصَدَّرًا بعبارات الشَّنَاء عَلَى الله تعالى:

- توحيد الله، والشَّنَاء عَلَيْهِ، كقولك: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ»<sup>(٢)</sup> بعد الرَّفَعِ من الرُّكُوعِ.
- سؤال الله العفو، والرَّحْمة، والرِّزق، وما يقرب منه تعالى، كقولك: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وارْحَمْنِي، واهدِنِي، وعافِنِي وارْزُقْنِي»<sup>(٣)</sup> بين السَّجَدَتَيْنِ.
- التَّضُرُّعُ إِلَى الله، والاستغاثة به، وصدق الافتقار، واللَّجوء، والرَّغبة والرَّهبة إِلَيْهِ؛ عند النَّوَازِلِ العظَامِ، وذلك عَلَى هِيَةِ استقبالِ القِبْلَةِ، وَمَدِ الْيَدَيْنِ، ورفع الصوت؛ إِظْهَارًا لِلْمَسْكَنَةِ، وَالْحَاجَةِ إِلَى اللهِ، كقول نَبِيِّ اللهِ مُحَمَّدَ ﷺ لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، مَادِّاً يَدِيهِ، وصُوتِهِ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبِيهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ أَتِّ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعَصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ»<sup>(٤)</sup>.
- تذَكُّرُ اللهِ، وَمُنَاجَاتَهُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، وَالْهَيَّاتِ، كَدُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لرشيد رضا (٢٤/١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأذان، باب: فضل اللهم ربنا لك الحمد، برقم (٧٩٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبه والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعا، برقم (٢٦٩٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، برقم (١٧٦٣).



عرفة: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ» <sup>(١)</sup>.

**والحاصل أن الدعاء هو:** توجّه العبد إلى الله تعالى بتوحيده، والثناء عليه بما هو أهله، وسؤاله العفو والرحمة، والاستعانة به في قضاء الحاجات، والتضرع إليه لكشف البلاء، والظفر على الأعداء، وتذكرة في جميع الأحوال، بذكره ومناجاته، وقراءة القرآن الكريم، والفرز إلى الصلاة.

والقرآن الكريم مملوء بالحديث عن أنواع الدعاء، ومن ذلك قوله تعالى -آمراً عباده بدعائه جهراً وسرّاً وخوفاً من عقابه وطمئناً في ثوابه-: ﴿أَدْعُوكُمْ  
نَّصْرَتُكُمْ وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِلِينَ﴾ <sup>[الأعراف: ٥٥]</sup>، والتضرع: «إظهار التذلل بهيئة  
خاصة، ويطلق التضرع على الجهر بالدعاء؛ لأنّ الجهر من هيئة التضرع، لأنّه  
تذلل جهريّ» <sup>(٢)</sup>، وفي قوله: ﴿وَدُعْوَةٌ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ <sup>[الأعراف: ٥٦]</sup>، بيان لأغراض  
الدعاء، وأنّه على نوعين، هما: الخوف من غضب الله وعقابه، والطمع في رضاه  
وثوابه، يقول ابن عاشور: «والدعاء لأجل الخوف نحو الدعاء بالغفرة، والدعاء  
لأجل الطمع نحو الدعاء بال توفيق وبالرحمة» <sup>(٣)</sup>، وقال لرسوله ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ  
عِبَادِي عَيْنَ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيَسْتَجِيبُوا لِي وَلَيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ  
يَرْشُدُونَ﴾ <sup>[البقرة: ١٨٦]</sup>، وقال لأوليائه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ إِذْ دَعَوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ  
الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيِّدُ الْحُكُمَّ جَهَنَّمَ دَاهِرِينَ﴾ <sup>[غافر: ٦٠]</sup> وعن النعمان بن

(١) آخرجه الترمذى فى سننه: أبواب الدعوات، لم يسم بابه، برقم (٣٥٨٥)، كما أخرجه مالك فى  
موطنه: كتاب الصلاة، باب: ما جاء فى الدعاء، برقم (٧٢٦). وحسنه الألبانى فى صحيح وضعيف  
سنن الترمذى، برقم (٣٥٨٥).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٨/١٧١).

(٣) المرجع السابق، (٨/١٧٦).



بشير رض عن النبي صل أنه قال: «الدُّعاء هو العبادة»، وقرأ الآية <sup>(١)</sup>، وقد ابتلى الله صل عدداً من أنبيائه ورسله؛ حتى يستخرج منهم الدُّعاء، والتضرُّع والالتجاء إليه وحده في قضاء الحوائج، فهذا نبي الله نوح صل، نجده يتضرُّع إلى ربه؛ طالباً منه العون، والغلبة على قومه، بعد أن دعاهم زماناً طويلاً إلى التَّوْحيد الخالص، مع صبره على إيمائهم وبطشهم، فقال: ﴿فَدَعَ عَارِبَةً وَأَنِي مَعْلُوبٌ فَأَنْتَصَر﴾ [القمر: ١٠]، وقال عن مناجاة نبي الله أويوب صل الذي اشتدَّ بلاؤه مدة طويلة؛ فتوسل إلى الله بالشكوى عن حاله: ﴿وَأَيُوبَ إِذَا نَادَى رَبَّهُ وَأَنِي مَسَنِي الْضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [الأنياء: ٨٣]، وقد بين الله تعالى ما كان يرددنه يومنا صل، لما ابتلي بالتقام الحوت له، فقال: ﴿وَذَا الْتُّورِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَرَّ أَنَّ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلْمَتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنياء: ٨٧]، وهذا نبي الله موسى صل، نجده في وقت المحنَّة يلْجأ إلى ربِّه؛ طالباً منه النُّصرة من جبروت فرعون، وشيعته، فقال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ وَأَنِي هَلَوْلَاءَ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ [الذخان: ٢٢]، وقد حكى سبحانه عن أصحاب الكهف حين التجأوا إلى الكهف؛ فراراً بدينهم، سائلين الله تعالى أن يتغمدهم برحمته؛ ليؤمنُهم من الأعداء: ﴿إِذَا أَوَى الْفَتَيَّةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةٌ وَهَيْئَةٌ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشِدًا﴾ [الكهف: ١٠]. هذا ووجه الدلالة في الآيات؛ أنَّ الله يبتلي عباده بصنوف الابلاءات والمصائب؛ ليظهر منهم التوجُّه إلى الله وحده بالدُّعاء في قضاء حوائجهم، وكفايتهم شرور الأعداء، وشدة بطشهم. ولهذا فقد بين الله تعالى أنَّ الغاية من أخذ العباد بالأساء والضراء؛ حتى يرجوه ويتضرعوا إليه بالدُّعاء فقال:

(١) آخرجه الترمذى في سننه: أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صل، باب: ومن سورة البقرة، برقم (٢٩٦٩)، وصحَّحه الألبانى في صحيح وضعيف سنن الترمذى برقم: (٢٩٦٩). كما أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، برقم (٣٨٢٨)، وصحَّحه الألبانى في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه برقم (٣٨٢٨).



﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا أُمَّمٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَأَخْذَنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]،  
 قال ابن جرير رض: « فعلنا ذلك بهم ليتضرّعوا إليني، ويخلصوا لي العبادة، ويُفردو  
 رغبتهم إلى دون غيري، بالتلذّل منهم لي بالطّاعة، والاستكانة منهم إلى بالإنابة »<sup>(١)</sup>،  
 كما بين سبحانه، أن بعض الناس يتضرّعون إليه بالدّعاء؛ ليكشف عنهم البلاء، ثم  
 إذا رفع عنهم البلاء عادوا إلى ما كانوا عليه من المعا�ي، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي  
 الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَقِ وَرَجَنَ بِهِمْ بِرِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَهُمْ  
 الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَاهَرُوا أَنَّهُمْ أَحِيطَ بِهِمْ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَمْ  
 لَكُونُوا مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢﴾ فَلَمَّا آتَيْهُمْ إِذَا هُرِيَّ عَوْنَانِ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [يونس: ٢٢ - ٢٣]،  
 ونظيره: ﴿وَمَا يَكُونُ مِنْ يَعْمَلٍ فِي أَرْضٍ ثُمَّ إِذَا مَسَكُوا أَضْرُرٌ فَإِلَيْهِ تَحْمِلُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الْضُّرَّ  
 عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ يَرَيْهُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٤﴾ [النحل: ٥٣ - ٥٤]، ونظيره: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرًّا  
 دَعَوْا رَبَّهُمْ مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ شُرَّاً إِذَا أَفَهْمُهُمْ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَرَيْهُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥﴾ [الروم: ٣٣].

ويفهم من مجموع هذه الآيات أنّ الغايات والحكّم من أخذ الناس بالفقر  
 والضيق في العيش، وبالأمراض والأسقام والألام في البدن؛ لأجل استخراج الصبر  
 لله وحده على المضار، وإظهار غاية التوجّه والافتقار إلى الله رض في تدبير الأمور،  
 وقضاء الحوائج، وكشف الكربات، والاعتراف بقدرته وقهقه وسلطانه، وأنّه لا  
 مدبر لأمر الله إلا هو سبحانه، وأنّه لا أحد يستطيع أن يدفع هذا الشرّ إلا الله؛ إذ  
 لا معطيّ لمنع، وأنّ الغايات والحكّم من التفضّل على الناس بالغنى، وسعة  
 العيش، وبالصّحة، والعافية، والقوّة في البدن؛ لأجل استخراج الشّكر لله وحده على  
 المسار، وإظهار توحيد الله بحمده والثناء عليه في تدبير الأمور، وتفريج الهموم  
 والغموم، والاعتراف بنعمته ومنتّه وفضله، وأنّه لا يستطيع أحد أن يردّ هذا الخير  
 إلا الله؛ إذ لا مانع لِمَا أَعْطَى، يقول ابن تيمية رض: « من تمام نعمة الله على عباده

(١) جامع البيان عن تأویل آی القرآن، للطبری (١١/٣٥٥).



المؤمنين، أن ينزل بهم الشدة، والضر، وما يُلْجئهم إلى توحيده؛ فيدعونه مخلصين له الدين، ويرجونه، ولا يرجون أحداً سواه، وتعلق قلوبهم به، لا بغيره؛ فيحصل لهم من التوكل عليه، والإذابة إليه، وحلوة الإيمان، وذوق طعمه، والبراءة من الشرك، ما هو أعظم نعمة عليهم من زوال المرض والخوف»<sup>(١)</sup>.

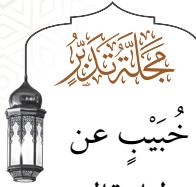
ومن المواقف العملية المأثورة عن النبي ﷺ لدفع البلاء فيما صحّ عن أبي هريرة رض أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة. قال: «أما لو قلت، حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التَّامَاتِ مِنْ شَرِّ ما خلق، لم تضرَّك»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية أخرى عن خولة بنت حكيم السُّلَمِيَّةَ، أنها سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «إذا نزل أحدكم منزلًا، فليقل: أعوذ بكلمات الله التَّامَاتِ من شَرِّ ما خلق، فإنه لا يضرُّه شيءٌ حتى يرتحل منه»<sup>(٣)</sup>. وروي عن أبان بن عثمان رض قال: سمعت عثمان بن عفان رض يقول: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول في صباح كُلِّ يوم ومساء كُلِّ ليلة: بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السَّماء، وهو السَّمِيعُ العليمُ ثلَاثاً مرات، فيضرُّه شيءٌ» وكان أَبَانُ، قد أصابه طَرْفٌ فالج، فجعل الرجل ينظر إليه، فقال له أَبَانُ: «ما تنظر؟ أَما إِنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَثْتُكَ، وَلَكِنِي لَمْ أَقْلِهِ يَوْمَئِذٍ؛ لِيُمْضِيَ اللَّهُ عَلَيَّ قَدْرَهُ»<sup>(٤)</sup>، ومن

(١) الفتاوي الكبرى، لابن تيمية (٢٨٥ / ٥).

(٢) آخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاة والتوبة والاستغفار، باب في التعود من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، برقم (٢٧٠٩).

(٣) المصدر السابق نفسه (٢٧٠٨).

(٤) آخرجه الترمذى في سنته: أبواب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أُمسى، برقم (٣٣٨٨)، وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح غريب، وحسنه الألبانى في صحيح وضعيف سنن الترمذى برقم (٣٣٨٨). كما أخرجه ابن ماجه في سنته: كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا



الأذكار التي تقي من السُّوء وتدفع الضرر بإذن الله، ما رواه عبد الله بن خُبَيْبٍ عن أبيه، قال: خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ يصلّي لنا، قال: فأدركته، فقال: «قل»، فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قل»، فلم أقل شيئاً، قال: «قل»، فقلت: ما أقول؟ قال: «قل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمعوذتين حين تمسى وتصبح ثلات مرات، تكفيك من كُلِّ شيء»<sup>(١)</sup>. وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول عند الكرب: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»<sup>(٢)</sup>.

فالحاصل أنَّ الأدعية، والأذكار السابقة، تحفظ المسلم من الضرر، والأذى، بجميع أنواعه، بإذن الله تعالى، ولكن ليس على وجه اللُّزوم، فمَنْ أصابه من البلاء مع محافظته على هذه الأذكار؛ فذلك بقدر الله تعالى، وله سبحانه الحِكمة البالغة في أمره وقدره.



= أمسى، برقم (٣٨٦٩)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه برقم (٣٨٢٨).

(١) أخرجه الترمذى في سننه: أبواب الدعوات، لم يسم بابه، برقم (٣٥٧٥)، وحسنه الألبانى في صحيح وضعيف سنن الترمذى برقم (٣٥٧٥)، كما أخرجه عبد بن حميد في منتخبه: عبدالله بن خبيب، برقم (٤٩٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدُّعاء والتوبَة والاستغفار، باب دعاء الكرب، برقم (٢٧٣٠).



## المطلب الرابع:

### البلاء بمقصد استخراج الصبر

ورد لفظ «الصَّبر» في مائة وثلاثة مواضع من آي الْذِكْرِ الحكيم بصياغات واشتراكات مختلفة<sup>(١)</sup>.

«الصَّبر» في اللُّغَةِ: مصدر الفعل الثلاثي: صَبَرَ، يصْبِرُ، صَبِرًا، فهو صابر، والمفعول مصبور، وأصل الصَّبر مركب من: (صَبَر) الصاد والباء والراء أصول ثلاثة، الأول الحبس، والثاني أعلى الشيء، والثالث جنس من الحجارة، فال الأول: الصَّبر، وهو الحبس، يقال: صبرت نفسي على ذلك الأمر، أي: حبسها، والمصبورة المحبوسة على الموت، ومن الباب: الصَّبر، هو الكفيل، وإنما سُمي بذلك؛ لأنَّه يصبر على الغُرم، يقال: صبرت نفسي به أَصْبُرْ صَبَرًا، إذا كفلت به، فأنا به صابر، وصبرت الإنسان، إذا حلَّفت بالله جهد القسم<sup>(٢)</sup>، وجاء في اللسان: «صَبَرَهُ عن الشيء يَصْبِرُهُ صَبَرًا، حبسه؛ والصَّبر: نقىض الجزع، وقد صبر فلان عند المصيبة يصبر صابرًا، فهو صابر وصَبَار وصَبِير وصَبُور، وصبرته أنا: حَبَسْتُهُ، والتصْبُر: تكُلُّفُ الصَّبر؛ وقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّابِرِ﴾ [العصر: ٣]؛ معناه: وتوافقوا بالصَّبر على طاعة الله، والصَّبر على الدُّخُول في معاصيه، وقوله ﷺ: ﴿أَصْبِرُوا وَلَا يَأْكُلُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]؛ أي: اصبروا واثبتو على دينكم، واصبروا أي: صابروا أعداءكم في الجهاد، وقوله ﷺ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَسْتَعِنُوا بِالصَّابِرِ وَالصَّلَوةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]؛ أي: بالثبات على ما أنتم عليه من الإيمان، وشهر الصَّبر: هو شهر رمضان، وأصل

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٣٩٩-٤٠١.

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣٢٩/٣).



الصَّبر الحبس، وسمى الصوم صبراً لِمَا فيه من حبس النَّفْس عن الطَّعام والشَّراب والنِّكاح<sup>(١)</sup>، وفي أسماء الله تعالى الحسنة: الصَّبور، وهو: «الذِّي لا يُعَاجِلُ العَصَمَةَ بِالانتِقامِ، وَهُوَ مِنْ أَبْنَيْهِ الْمِبَالَغَةِ، وَمَعْنَاهُ قَرِيبُ مِنْ مَعْنَى الْحَلِيمِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْمَذْنَبَ لَا يَأْمُنُ الْعَقُوبَةَ فِي صَفَةِ الصَّبُورِ، كَمَا يَأْمُنُهَا فِي صَفَةِ الْحَلِيمِ»<sup>(٢)</sup>، والصَّبر في اصطلاح المفسِّرين هو: «الإمساك في ضيق، وحبس النَّفْس على ما يقتضيه العقل والشرع»<sup>(٣)</sup>، وعبر عنه آخر بأنه: «ثبات النَّفْس، وتحملها المشاق والألام ونحوها»<sup>(٤)</sup>. والحاصل أنَّ الصَّبر هو: تحمل المبتلى التكاليف التشرعية الشاقة من الأوامر والنواهي والضيق، أو الصَّبر على الدنيا.

لقد أخبر الله ﷺ عَمَّا مَنَّ بِهِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ إِذ جَعَلَ مِنْهُمْ رُؤْسَاءً فِي الْخَيْرِ، وَقَدُوْنَاتٍ يُقْتَدِي بِهِمْ؛ لِأَجْلِ صَبْرِهِمْ عَلَى فَعْلِ الْمَأْمُورَاتِ؛ وَتَرْكِ الْمَنَهِيَاتِ، وَإِيْقَانِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ، وَتَصْدِيقِهِمْ بِهَا، فَقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدِيُونَ بِمَا نَالَ الْمَاصِبَرُوا وَكَانُوا أُبَيَّنَتِنَا يُلْقِيُونَ﴾ [السَّجْدَة: ٢٤]؛ وَقَوْلُهُ: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ فَمَعْنَاهُ: «صَبَرُهُمْ عَلَى مشاقِ الطَّاعَاتِ، وَمُقَاسَةِ الشَّدَائِدِ فِي نُصُرَةِ الدِّينِ، أَوْ صَبَرُهُمْ عَنِ الدُّنْيَا»<sup>(٥)</sup>، وَفِي الْآيَةِ: «تَعْرِيْضُ بِالْبَشَارَةِ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ بِأَنَّهُمْ يَكُونُونَ أَئِمَّةً لِدِينِ الْإِسْلَامِ، وَهَدَاةً لِلْمُسْلِمِينَ، إِذَا صَبَرُوا عَلَى مَا لَحِقَهُمْ فِي ذَاتِ اللهِ مِنْ أَذَى قَوْمِهِمْ، وَصَبَرُوا عَلَى مشاقِ التَّكْلِيفِ، وَمُعَاوَدَةِ أَهْلِهِمْ، وَقَوْمِهِمْ، وَظُلْمِهِمْ إِبَاهِمَ»<sup>(٦)</sup>،

(١) لسان العرب، لابن منظور (٤/٤٤٣٩-٤٣٨).

(٢) المرجع السابق، (٤/٤٣٧).

(٣) المفردات في غريب القرآن، للرازي (١/٤٧٤).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٩٩/٢٩٩).

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي (٧/٨٧).

(٦) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/٢٣٧).



وقد دعا القرآن الكريم إلى الثبات والصبر لوجه الله تعالى فقال: ﴿وَرِبِّكَ فَاصْبِر﴾ [المدثر: ٧] بمعنى: «اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربّك ﷺ»<sup>(١)</sup>، والآية: «تشيت للنبي ﷺ على تحمل ما يلقاه من أذى المشركين، وعلى مشاق الدّعوة»<sup>(٢)</sup>، وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالصبر على طاعة الله، ورسوله، فيما أمر به من جهاد الأعداء، ثم نهاهم عن التنازع والاختلاف؛ لأنّه يبعث على الفشل والجبن أمام الأعداء فقال: ﴿وَلَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنْزَعُوا فَتَفْشِلُوا وَتَذَهَّبَ رِبُّكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وفي الآية إيماء إلى: «إعانة الله لمن صبر؛ امثلاً لأمره، وهذا مُشاهد في تصرفات الحياة كلّها»<sup>(٣)</sup>، وقد أمر الله تعالى بالمواظبة على العبادة، وشدّة الصبر عليها فقال: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدُهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَدَتِهِ﴾ [مريم: ٦٥]، والاصطبار هو: «شدّة الصبر على الأمر الشاق»<sup>(٤)</sup>، وقوله: ﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَدَتِهِ﴾ أي: «اثبت للعبادة، لأنّ العبادة مراتب كثيرة، من مجاهدة النفس، وقد يغلب بعضها بعض النّفوس؛ فتستطيع الصبر على بعض العبادات دون بعض»<sup>(٥)</sup>؛ لقد أقسم تعالى بأنه مبتل عباده المسلمين في أموالهم، وأنفسهم، وسماع ما يكرهون من أهل الكتاب فيقول: ﴿لَتُبَلَّوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الْأَذِنِبِ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْنِي كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوْ وَتَتَمَّلُوْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزِيزِ الْأَمْوَارِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، فحثّهم سبحانه في الآية على ملازمة الصبر، والتقوى عند مواجهة تحديات البلاء، وأن ذلك: ﴿مِنْ عَزِيزِ الْأَمْوَارِ﴾ أي: «مما أمر

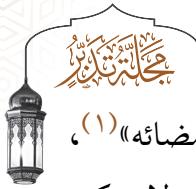
(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢٦٤/٨).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٩٩/٢٩٩).

(٣) المرجع السابق (٣٢/١٠).

(٤) المرجع السابق (١٤٢/١٦).

(٥) المرجع السابق (١٤٢/١٦).



[الله] به وبالغ فيه، والعزم في الأصل ثبات الرأي على الشيء نحو إمضائه<sup>(١)</sup>، والآية دلالة واضحة على أنَّ من مقاصد البلاء؛ استخراج الصَّبر، وأنَّ لا يمكن للعباد أن يستمروُا على أداء الطَّاعات إذا لم يستعينوا بالصَّبر؛ لأنَّ الصَّبر حبس النَّفس عن الشَّكوى، وثباتها، وتحملها مشاق الطَّاعات والدُّعوة إلى الله والجهاد في سبيله، كما أقسم أيضًا بأنه سيتلي عباده المسلمين بالأمر بالجهاد، ونحوه من التَّكاليف التَّشريعية الشَّافية من الأوامر والنَّواهي؛ حتى يستخرج منهم الصَّبر، ويظهر حالهم للنَّاس؛ فيتميَّز قوي الإيمان من ضعيفه، والصادق من المنافق، والمجاهد من المتخلف فقال: ﴿وَلَتَبْلُوْنَكُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمُ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَبَلُوْنَ أَخْبَارَهُمْ﴾ [محمد: ٣١]، وحرف الغاية: ﴿حَتَّىٰ﴾ متعلق بقوله: ﴿وَلَتَبْلُوْنَكُمْ﴾، والمعنى: «أنَّ الله تعالى يبلو النَّاس؛ أي: يختبرهم بالتكاليف، كبذل الأنفس، والأموال في الجهاد؛ ليتميَّز بذلك صادقهم من كاذبهم، ومؤمنهم من كافرهم»<sup>(٢)</sup>، ونظيره قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنَّ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الْصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وحسبك بفضيلة الصَّبر أنَّ الله جعله سببًا للنَّجاح، والظَّفر على ما يبلو الله به عباده من أنواع الابتلاءات والمصائب، فقال: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي حُسْنٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّابِرِ﴾ [العصر: ١-٣]، وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّابِرِ﴾ فإنَّه يعني: «وتواصوا بالصَّبر عن المعاشي، وعلى الطَّاعات، وعلى ما يبلو الله به عباده»<sup>(٣)</sup>؛ ويستشفُّ من هذه الآيات وما جاء موضحًا في آياتٍ أخرى؛ أنَّ الصَّبر شرطٌ أساسيٌ لتحقيق النَّصر على أنواع الابتلاءات والمصائب، ويفيدُ هذا المعنى ما رواه ابن عباس رض، قال: قال لي رسول الله ص: «... واعلم أنَّ النَّصر مع

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٥٣/٢).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنتيطي (٣٨٤/٧).

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقوال في وجوه التأويل، للزمخشري (٤/٧٩٤).



الصَّبر...»<sup>(١)</sup>. ويلاحظ في الحديث أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قرن بين النَّصر والصَّبر؛ للدلالة على أنَّه لا نصر على أنواع البلايا والمصائب إلا بالصَّبر؛ لأنَّه سبب في النَّجاح والانتصار، والحديث قاعدة ثابتة مطردة المعنى، لا تغَيِّر ولا تبدل؛ حيث يدركها العقلاَء بعقولهم، والمحَرِّرون بتجاربهم. ولقد قيل: «الشَّجاعة صبر ساعة»<sup>(٢)</sup>، وقال زفر بن العارث الكلابي، يعتذر عن انتصار أعدائهم عليهم:

«سقيناهم كأساً سقونا على الموت أصبراً»<sup>(٣)</sup>

ويقول تعالى - مخبراً عن طاعة أصحاب طالوت الصَّادقين؛ لقتال جالوت وأصحابه الكافرين، معتبرين أنَّ النَّصر ليس من كثرة عَدُد، ولا من عُدُد، وإنَّما بالصَّبر على لأواء الجهاد في سبيل الله، فقال: ﴿قَالَ الَّذِي يَظْنُونَ أَنَّهُمْ مُلْقُو اللَّهِ كَمِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وكان من دعائهم في تلكم المعركة الحاسمة: ﴿رَبَّنَا أَفْرَغَ عَلَيْنَا صَبَرًا وَثَبَتَ أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرَنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

وقد استفاضت السُّنَّة النَّبوية بالأحاديث التي تَحْثُّ على الصَّبر، وتأمر به، فمنها ما رواه صحيب رض، قال: قال رسول الله صل: «عجباً لأمر المؤمن، إنَّ أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلَّا للمؤمن، إنَّ أصابته سرَّاء شَكَر، فكان خيراً له، وإنَّ أصابته ضرَّاء، صَبَر، فكان خيراً له»<sup>(٤)</sup>، وما رواه أنس بن مالك رض، أنَّ رسول الله صل،

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب معرفة الصحابة رض، ذكر عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب رض، برقم (٦٣٠٤)، كما أخرجه الطبراني في معجمه: باب العين، عبيد بن أبي مليكة، عن ابن عباس، برقم (١١٢٤٣)، وقد صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٢٣٨٢).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٤٧٨/١).

(٣) اللباب في علوم الكتاب، للنعماني، (٢/٢٤٥).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، برقم (٢٩٩٩).



أتى على امرأة تبكي على صبيٍّ لها، فقال لها: «اتقى الله واصبري»، فقالت: وما تُبالي بمصيبي. فلما ذهب، قيل لها: إِنَّهُ رسول الله ﷺ. فأخذها مثل الموت، فأتت بابه، فلم تجد على بابه بُوابين، فقالت: يا رسول الله، لم أعرفك. فقال: «إنما الصَّبر عند أَوَّلِ صَدْمَةٍ»، أو قال: «عِنْدَ أَوَّلِ الصَّدْمَةٍ»<sup>(١)</sup>، وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ رض، أَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَينَ، آتَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسَ مائةً مِنَ الْإِبْلِ، وَأَعْطَى عَيْنَةً مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أَنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، فَأَثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، فَقَلَتْ: وَاللَّهِ لَا يُخْبِرُنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَأَتَيْتَهُ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، رَحْمَةُ اللَّهِ مُوسِيٌّ، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»<sup>(٢)</sup>.



## المطلب الخامس: الباء بمقصد استخراج الرضا

وردت مادة «رَضِيٌّ» في ثلاثة وسبعين موضعًا من آي الذكر الحكيم، بصياغات، واستلاقات مختلفة<sup>(٣)</sup>.

و«الرّضا» في اللُّغَةِ مصدر الفعل الثلاثي معتل الآخر: رَضِيَ، يَرْضَى، ارْضَ، رِضَا وإِرْضَاء، فهو رَاضٍ، والمفعول مَرْضِيٌّ، ومادة (رضي): «الرَّاءُ والضادُ والحرف المعتلُ أصل واحد يدلُّ على خلاف السُّخْط»<sup>(٤)</sup>؛ وفي اللسان: «الرّضا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب في الصَّبر على المصيبة عند أول الصدمة، برقم (٩٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، برقم (٣١٥٠).

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٣٢١-٣٢٢).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٤٠٢/٢).

ضد السخط، قوله ﷺ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبه: ١٠٠]؛ تأويله أنَّ الله تعالى رضي عنهم أفعالهم، ورضوا عنه ما جاز لهم به، وأرضاه: أعطاه ما يرضي به، وترضاه: طلب رضاه، وارتضاه: رأه له أهلاً، وترضيته؛ أي: أرضيته بعد جهد، واسترضيته؛ فأرضاني، ورجل رضي: قُنْعَانٌ مَرْضِيٌّ<sup>(١)</sup>، وفي اصطلاح المفسرين: «رضا العبد عن الله: أَلَا يكره ما يجري به قضاوه، ورضا الله عن العبد: أن يراه مؤتمراً لأمره، ومتنهماً عن نهيه»<sup>(٢)</sup>. ويقول آخر: «وأصل الرضا أنه ضد الغضب، فهو المحبة وأثرها من الإكرام والإحسان، فرضا الله مستعمل في إكرامه وإحسانه مثل محبته في قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ [المائدة: ٥٤]، ورضا الخلق عن الله هو محبته وحصول ما أملوه منه بحيث لا يبقى في نفوسهم متطلعاً»<sup>(٣)</sup>.

والحاصل أنَّ الرضا هو: التسليم الكلي؛ لِمَا قسمه الله تعالى، وقدره على عباده، من غير امتعاض من قسمته، ولا اعتراض على أقداره، والتسليم الكلي؛ لأحكامه الشرعية، من غير شك في حكمها، ولا منازعة في أحکامها، والانقياد الكلي لرسوله ﷺ، من غير تقدُّم على هديه، ولا افتئات على سنته.

لقد أخبر الله تعالى عن عباده المؤمنين أنَّهم راضون كُلَّ الرضا بما ساقت إليهم أقداره، من هم، وغم، وحزن، وغيرها من مصائب الدنيا؛ لأنَّهم يعلمون أنَّه لا يصيّبهم شيء من المصائب إلَّا وهو مقدر عند الله في كتاب، فقال: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَيَسِّرْ كَلِّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبه: ٥١]، والآية تعليم للمسلمين بأن يرضا بما قدر الله لهم وقضاءه؛ لأنَّ الرضا مزيل للبلاء، ومؤذن بالفرج، بينما السخط مطيل للبلاء، ومجلب للغمة، وما تضمنته هذه الآية الكريمة

(١) لسان العرب، لابن منظور (٣٢٤/١٤).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب (٣٥٦/١).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١١٩/٧).



أوضحه الله تعالى في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: **﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِذِنْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَأَنَّ اللَّهَ يُكَلِّ شَيْءٍ عَلَيْمٌ﴾** [التغابن: ١١]، عن ابن عباس رض قال: **﴿وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾** يعني: «يهد قلبه للقيين»؛ فيعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصييه» <sup>(١)</sup>، وعن علامة رض قال: «هو الرجل تصيبه المصيبة؛ فيعلم أنَّها من عند الله؛ فيسلم لها ويرضى» <sup>(٢)</sup>، والآياتان دلتا دلالة واضحة على أنَّ كلَّ ما أصاب النَّاسَ من مصائب في الأرض، كالقطط والجذب، وفي الأنفس، كالأمراض والأوصاب، إنَّما هو بقضاء الله وقدره، وإذا أيقن المبتلى أنَّ البلاء من عند الله؛ فإنه سيرضى حتماً عن كلِّ شيء أصابه في حياته، لأنَّه يعلم أنَّ الغرض من جميع البلاء هو إظهار المبتلى تسليمه التَّامَّ، ورضاه الكامل عن كلِّ شيء أصابه في حياته لوجه الله تعالى.

هذا ويُستفاد من الآيتين أنَّ كلَّ ما يصاب به النَّاسَ من المصائب في الأرض، والأنفس، والأموال، واقع لا محالة، وأنَّها مقدرة قبل وقوعها، وأنَّ مِن بعض حِكمها: استخراج الرِّضا، أو السَّخط على المصائب، وقد روى سعد بن سنان رض، عن أنس رض، قال: قال رسول الله صل: «إِنَّ عَظَمَ الْجَزَاءَ مَعَ عَظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فِلَهُ الرِّضا، وَمَنْ سُخطَ فِلَهُ السُّخط» <sup>(٣)</sup>، ولهذا فإنه ينبغي على المؤمنين الاستعداد لأقدار الله، حلوها ومرّها، ومقابلتها بالرِّضا في الاعتقاد والقول والعمل، وإن كان خلاف هواهم، فإنها مثبتة في كتاب الله، ولهذا

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبرى (٤٢١/٢٣).

(٢) المرجع السابق (٤٢١/٢٣).

(٣) أخرجه الترمذى في سنته: أبواب الزهد، باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس، برقم (٢٣٩٦)، كما أخرجه ابن ماجه في سنته: كتاب الفتنة، باب الصَّبر على البلاء، يوم التحر، برقم (٤٠٣١)، وحسنه الألبانى في صحيح وضعيف سنن الترمذى، برقم (٢٣٩٦).



قال النبي ﷺ: «إِنَّ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقْلِ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَّا وَكَذَا، وَلَكِنْ قَلَ: قَدَرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ (الو) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»<sup>(١)</sup>، وقد قال تعالى ذكره: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرُهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] وقال: ﴿فَعَسَى أَن تَكْرُهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩] يقول ابن عاشور رحمه الله: «إِنْ حِكْمَةَ التَّكْلِيفِ تَعْتَمِدُ عَلَى الْمَسَالِحِ وَدَرَءِ الْمَفَاسِدِ، وَلَا تَعْتَمِدُ مَلَائِمَةَ الْطَّبَعِ وَمَنَافِرَتِهِ؛ إِذْ يَكْرُهُ الْطَّبَعُ شَيْئاً وَفِيهِ نَفْعٍ، وَقَدْ يَحْبُّ شَيْئاً وَفِيهِ هَلاْكَهُ، وَذَلِكَ بِاعتِبَارِ الْعَوَاقِبِ وَالْغَيَايَاتِ... وَشَأْنُ جَمِيعِ النَّاسِ الْغَفْلَةُ عَنِ الْعَاقِبَةِ وَالْغَايَةِ، أَوْ جَهْلُهُمَا، فَكَانَتِ الشَّرَائِعُ وَحْمَلَتْهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَّمَاءِ تَحْرِضُ النَّاسَ عَلَى الْأَفْعَالِ، وَالْتُّرُوكَ، بِاعتِبَارِ الْغَيَايَاتِ، وَالْعَوَاقِبِ»<sup>(٢)</sup>؛ ذلك وقد بَشَّرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْفَوْزِ الْعَظِيمِ؛ إِذَا اسْتَسْلَمُوا لِجَمِيعِ أَقْدَارِ اللَّهِ، وَأَحْكَامِهِ الْشَّرِيعَةِ، مِنَ الْأَوْامِرِ وَالنَّوَاهِيِّ، فَقَالَ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَقْرُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩] وَقَوْلُهُ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ فَمَعْنَاهُ: «رَضِيَ اللَّهُ عَنْ هُؤُلَاءِ الصَّادِقِينَ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي الْوَفَاءِ لِهِ بِمَا وَعْدُوهُ، مِنَ الْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ»<sup>(٣)</sup>، وَقَوْلُهُ: ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فَمَعْنَاهُ: «وَرَضُوا هُمْ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ذَكْرُهُ فِي وَفَائِهِ لَهُمْ بِمَا وَعْدُهُمْ عَلَى طَاعَتِهِمْ إِيَاهُ فِيمَا أَمْرَهُمْ وَنَهَايُهُمْ، مِنْ جُزِيلِ ثَوَابِهِ»<sup>(٤)</sup>. وقد عَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُنَافِقِينَ ضَجْرَهُمْ مِنْ تَقْسِيمِ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَصَارِفَ الزَّكَاةِ وَتَوْزِيعِهَا عَلَى مُسْتَحْقِيقِهَا بِالْعَدْلِ، فَقَالَ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الْأَصْدَقَاتِ

(١) آخر جه مسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، برقم (٢٦٦٤).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٢٢-٣٢١/٢).

(٣) جامع البيان عن تأویل آی القرآن، للطبری (١١/٢٤٤-٢٤٥).

(٤) المرجع السابق (١١/٢٤٥).



فَإِنْ أُعْطُوهُ مِنْهَا رَضْوًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوهُ مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ [التوبه: ٥٨] هذا وقد أرشد الله تعالى المنافقين إلى ما كان ينبغي أن يكونوا عليه فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَاءَ أَتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسِبْنَا اللَّهَ سَيُوتَيْنَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَغِبُونَ﴾ [التوبه: ٥٩] وفي الآية: «إخبار بأن الرضا بفعل الله، يوجب المزيد من الخير جزاء للراضي على فعله»<sup>(١)</sup>، وأن السخط بفعل الله، يوجب المزيد من الشرور والمصائب جزاء للسخط على فعله. ويؤيد هذا ما ورد عن أبي هريرة رض قال: قال رسول الله ص: «وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس»<sup>(٢)</sup>. ومن مواقف رسول الله ص في الرضا ما صح عن أنس بن مالك رض، قال: دخلنا مع رسول الله ص على أبي سيف القين، وكان ظيراً<sup>(٣)</sup> لإبراهيم ص، فأخذ رسول الله ص إبراهيم، فقبله، وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يوجد بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ص تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رض: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «يا ابن عوف، إنها رحمة»، ثم أتبعها بأخرى، فقال رض: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنما بفارقك يا إبراهيم لمحزونون»<sup>(٤)</sup>، ومن أعظم

(١) أحكام القرآن، للرازي (٤/٣٢٢).

(٢) أخرجه الترمذى في صحيحه: أبواب الزهد، باب من اتقى المحارم فهو أبعد الناس، برقم (٢٣٠٥)، وحسنه الألبانى في صحيح وضعيف سنن الترمذى برقم (٢٣٠٥). كما أخرجه أحمد في مسنده: مسنن المكثرين من الصحابة، أبي هريرة رض، برقم (٨٠٩٦).

(٣) أي مريضاً، وأطلق عليه ذلك لأنه كان زوج المرضعة، وأصل الظاهر من ظارت الناقة إذا عطفت على غير ولدها، فقيل ذلك للتي ترضع غير ولدها، وأطلق ذلك على زوجها لأنه يشاركتها في تربيته غالباً. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (٣/١٧٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب قول النبي ص: «إنا بك لمحزونون»، برقم (١٣٠٣).



الموافق التي خلّدها القرآن الكريم: حادثة الإفك، في شأن عائشة أم المؤمنين ﷺ، حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين؛ فصبرت على غمّها؛ طلباً لمرضاة الله تعالى، وكذلك صبر رسول الله ﷺ والمؤمنون ﷺ على ما صبرت عليه؛ حتى أنزل الله براعتها في عشر آيات تُلَى على مسامع الناس إلى يوم القيمة، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوكُمْ بِالْإِفْكِ عَصَبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسِبُوهُ شَرَّ الْكُوْبَلِ كُلُّ أُمَّرِيٍّ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْرَ وَالَّذِي تَوَلَّ كَبِيرٌ مِّنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ أَعْظَمُ﴾ [النور: ١١]، وقوله تعالى: ﴿لَا تَحْسِبُوهُ شَرَّ الْكُوْبَلِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ أي: «لرجحان النفع والخير على جانب الشر»<sup>(١)</sup>، ومعنى كونه خيراً لهم: «أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم، لأنّه كان بلاءً مبيناً ومحنة ظاهرة، وأنه نزلت فيه ثمانى عشرة آية، كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله ﷺ، وتسليمة له، وتنزيه لأم المؤمنين رضوان الله عليها، وتطهير لأهل البيت، وتهويل من تكلم في ذلك أو سمع به، فلم تمجه أذناه، وعِدَّةُ الطاف للسامعين والتالين إلى يوم القيمة، وفوائد دينية، وأحكام وآداب لا تخفي على متأملها»<sup>(٢)</sup>، هذا وإنّ صبر أم المؤمنين عائشة ﷺ وثباتها في هذه المحنّة العظيمة - طلباً لمرضاة الله تعالى - لدلاله واضحة على فضلها، وقد عبرت بنفسها عن هذا حين قالت: «والله ما كنت أظنّ أنَّ الله منزّل في شأني وحّيأ يُتلى، ولأشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلّم الله فيَّ بأمر يُتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النّوم رؤيا يُبرئني الله بها»<sup>(٣)</sup>. وقد كان من دعائه ﷺ كما نقل عنه سماعاً عمّار بن ياسر ﷺ: «وأسألوك الرّضا بعد

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٢/١٩٨).

(٢) الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأقوال في وجوه التأويل، للزمخشري (٣/٢١٧).

(٣) آخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَلَا إِذْ سِعْتُمُوهُ طَلَّ أَمْوَالُهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ لَأَنَّهُمْ خَيْرٌ وَقَاتُلُوا هَذَا إِلَّا فَكُلُّ مُبِينٍ﴾ [النور: ١٢] إلى قوله: ﴿الْكَذَّابُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]، برقم ٤٧٥٠، ج ٦، ص ١٠١.

وآخرجه مسلم في صحيحه: كتاب التوبه، باب في حديث الإفك وقبول توبه القاذف، برقم ٢٧٧٠).



القضاء»<sup>(١)</sup>، وكان من ذكره حين يسمع تشهد المؤذن كما في صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص رض عن رسول الله صل أنه قال: «من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله ربّا وبمحمد رسوله، وبالإسلام دينًا، غفر له ذنبه»<sup>(٢)</sup>.



## المطلب السادس: البلاء بمقصد استخراج الشُّكر

جاء لفظ «الشُّكر» في خمسة وسبعين موضعًا من آي الذِّكر الحكيم، بعدَّ صيغ، واستتفاقات<sup>(٣)</sup>.

الشُّكر في اللُّغة مصدر الفعل الثلاثي: شَكَرَ، يشَكِّر، اشْكُرُ، شَكَرًا، فهو شاكر، والمفعول مشكور، وأصل الكلمة الشُّكر مركبة من: «الشين والكاف والراء، أصول أربعة متباعدة، بعيدة القياس. فالأول: الشُّكر: الثناء على الإنسان بمعرفة يُولِيكُه»<sup>(٤)</sup>، وفي اللُّسان: «الشُّكر: عرفان الإحسان ونشره، والشُّكر من الله: المجازاة والثناء الجميل، وشكُره لعباده: مغفرته لهم. والشُّكور: من أبنية المبالغة».

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر، برقم (١٩٢٣)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخر جاه، كما أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (١٩٧١)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلی على النبي صل ثم يسأل له الوسيلة، برقم (٣٨٦).

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٣٨٥-٣٨٦).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/٢٠٧).



وأما الشّكور من عباد الله فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما وُظّفَ عليه من عبادته. وقال الله تعالى: ﴿أَعْمَلُوا إِلَّا دَاءِدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عَبَادِي الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، والشّكر: مثل الحمد، إلا أنَّ الحمد أعمُّ منه، فإنَّك تحمد الإنسان على صفاته الجميلة وعلى معرفته، ولا تشكره إلا على معرفة دون صفاتة. والشّكر: مقابلة النّعمة بالقول والفعل والنّية، فيثنى على المنعم بلسانه ويدبّ نفسه في طاعته ويعتقد أنَّه مُولِّيَها<sup>(١)</sup>، إذن فالشّكر لغة يدور حول الثناء؛ لذا يقول ابن منظور: «والشّكر: الثناء على المحسن بما أولاً كهُ من المعروف»<sup>(٢)</sup>، ومن أسماء الله الحسنى الشّكور، ومعناه: «هو الذي يُجازى بيسير الطّاعات؛ كثير الدّرّجات، ويعطى بالعمل في أيام معدودة نعيمًا في الآخرة غير محدود»<sup>(٣)</sup>، وفي اصطلاح المفسّرين: الشّكر هو الاستخذاء لله، والإقرار بنعمته وهدايته وابتدائه<sup>(٤)</sup>، والشّكر للرّجل هو الثناء عليه بأفعاله المحمودة<sup>(٥)</sup>، ويقول آخر: «الشّكر تصور النّعمة وإظهارها، وهو ثلاثة أضرب: شكر القلب، وهو تصور النّعمة، وشكر اللّسان، وهو الثناء على المنعم، وشكر سائر الجوارح، وهو مكافأة النّعمة بقدر استحقاقه»<sup>(٦)</sup>، ويقول غيره: «الشّكر الاعتراف بحق المنعم، مع الثناء عليه»<sup>(٧)</sup>، ويرى آخر أنَّ: «شكر العبد لله تعالى ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه، وشكر الحقّ سبحانه للعبد ثناؤه عليه بطاعته له، إلا

(١) لسان العرب، لابن منظور (٤/٤٢٣-٤٢٤).

(٢) المرجع السابق (٤/٤٢٤).

(٣) المقاصد الأنسني في شرح معاني أسماء الله الحسنى، للغزالى (١/١٠٥).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبرى (١/١٣٥).

(٥) المرجع السابق (٤/٢١٣).

(٦) المفردات في غريب القرآن، للرازق (١/٤٦).

(٧) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (١/١٢٣).



أَنَّ شَكْرَ الْعَبْدِ نَطْقُ الْلِّسَانِ، وَإِقْرَارُ الْقَلْبِ بِإِنْعَامِ الرَّبِّ، مَعَ الطَّاعَاتِ<sup>(١)</sup>، وَعَرَفَهُ غَيْرُهُ بِقَوْلِهِ: «شَكْرُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ يَنْحَصِرُ مَعْنَاهُ فِي اسْتِعْمَالِهِ جَمِيعَ نَعْمَهُ فِيمَا يَرْضِيهِ تَعَالَى، وَأَمَّا شَكْرُ الرَّبِّ لِعَبْدِهِ فَهُوَ أَنْ يُشَيِّبَ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ مِنْ عَمَلِهِ الْقَلِيلِ»<sup>(٢)</sup>. وَالْحَاصِلُ أَنَّ الشَّكْرَ يَأْتِي بِمَعْنَيَيْنِ، الْأَوَّلُ: شَكْرُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ؛ بِاعْتِرَافِهِ بِحَقِّ الْمُنْعَمِ، وَالثَّانِي عَلَيْهِ، وَالْعَمَلُ بِطَاعَتِهِ، وَالآخِرُ: شَكْرُ الرَّبِّ لِعَبْدِهِ؛ بِإِثَابَتِهِ؛ إِذَا اعْتَرَفَ الْعَبْدُ بِالْنَّعْمَ، وَأَثْنَى عَلَى بَارِيَّهَا، وَعَمِلَ بِطَاعَتِهِ.

لَقَدْ أَخْبَرَ تَعَالَى ذِكْرَهُ أَنَّهُ فِي غَنَّىٰ عَنْ تَعْذِيبِ عَبَادِهِ إِنْ هُمْ تَابُوا إِلَيْهِ وَأَطَاعُوهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهِيهِ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَعْذِبُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَمُخَالَفَتِهِمْ أَمْرُهُ وَنَهِيهُ فَقَالَ: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَإِمْسَحْمَ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلَيْمًا﴾ [النساء: ١٤٧]، يَقُولُ الرَّمَخْشَرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّمَا قَمْتُ بِشَكْرِ نَعْمَتِهِ وَآمَنْتُ بِهِ فَقَدْ أَبْعَدْتُمُونِي عَنْ أَنْفُسِكُمْ اسْتِحْقَاقَ الْعَذَابِ»<sup>(٣)</sup>، قَالَ قَاتَادَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَا يَعْذِبُ شَاكِرًا وَلَا مُؤْمِنًا»<sup>(٤)</sup>، هَذَا وَفِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ وَاضْعَافَةٌ عَلَى أَنَّ الشُّكْرَ لِلَّهِ طَرِيقٌ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَالإِيمَانِ بِهِ، وَهُوَ أَمَانٌ -أَيْ: الشُّكْرُ لِلَّهِ- مِنْ نَزْوَلِ الْبَلَى وَالْمَصَابِ، وَلِهَذَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ قَوْمٍ لَوْطَ كَيْفَ أَخْذُهُمْ بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ؛ بِسَبِبِ مُخَالَفَتِهِمْ أَمْرَ اللَّهِ، غَيْرُ أَهْلِ لَوْطٍ الَّذِينَ شَكَرُوا اللَّهَ فَصَدَّقُوا لَوْطًا وَاتَّبَعُوهُ عَلَى دِينِهِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا إِلَّا لَوْطٌ مُّجَيَّنُهُمْ بِسَحْرٍ﴾<sup>(٥)</sup> نَعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذِلِكَ بَخِزِي مَنْ شَكَرَ<sup>(٦)</sup> [القمر: ٣٤ - ٣٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿كَذِلِكَ بَخِزِي مَنْ شَكَرَ﴾ فَمَعْنَاهُ: «كَذِلِكَ نُشِيبُ مَنْ شَكَرَنَا عَلَى نَعْمَتِنَا عَلَيْهِ، فَأَطَاعَنَا وَانْتَهَى إِلَى أَمْرِنَا شَكَرَ».

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٧٢/٢).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٥٣٤/٧).

(٣) الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأقوال في وجوه التأويل، للزمخشري (٥٨٢/١).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبرى (٣٤٣/٩).



ونهينا من جميع خلقنا»<sup>(١)</sup>. وقد امتنَ الله تعالى على بني إسرائيل بنعمة الإنجاء من آل فرعون بعدما كانوا فيه من العذاب، وذلك لأجل استخراج شكرهم على المسار فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُ وَنَعِمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَنَّكُمْ مِنْ أَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَبِّحُونَ أَنْتَأَنَّكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [ابراهيم:٦]، وقد بين تعالى أن الشُّكر يُربِي النعم، والكفر يُزيلها، إلا ما كان منها على وجه الاستدراج، فقال في شكر النعمة: ﴿وَإِذْ تَذَنَّ رَبُّكُمْ لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَيْنَ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَدَلِيَ لَشَدِيدٌ﴾ [ابراهيم:٧]، وضرب مثلاً بأهل القرى الذين كفروا بأنعم الله التي أنعم بها عليهم، فقال في قرية مكة التي سكنتها أهل الشرك بالله، والتي كانت آمنة: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيَّةَ كَانَتْ أَمْنَةً مُظْمِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدَأَمِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْحَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]، وأخبر الله تعالى عن قوم سبأ الذين أعرضوا عن شكر المنعم، فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكِنِهِمْ أَيَّةً جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينِ وَشَمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ بِلَادَةً طَيْبَةً وَرَبِّ عَفْوٍ ﴿٥﴾ فَأَعْرَضُوا أَنْعَمَهُمْ سَيْلَ الْعَرِيمِ وَبَدَلُنَّهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ دَوَّانَيْ أَكْلٍ حَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَنِيِّ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ بُخْزِنَى إِلَّا الْكَفُورُ﴾ [سبأ: ١٥-١٧]، ووجه الدلالة من الآيات: «النحل» و«سبأ»؛ أنَّ الله ﷺ يبتلي عباده بالنعم والخيرات؛ لأجل استخراج شكرهم على المسار، وأنهم إن لم يقابلوا بلاء الله الحسن بالشُّكر والطاعة؛ فإنَّ ما لهم مآل تلك القرى التي هانت على الله غاية الهوان، وحلَّ عليها سخط الله، وغضبه، بعد جحود أهلها لكلِّ نعم الله وعدم شكره، وقد أمر الله تعالى آل داود ﷺ بعد امتنانه عليهم بأصناف من النعم، وألوان من المحن؛ بأن يشкроه حقَّ الشُّكر على نعمة التي سخرها لهم ما لم يسخر منها لغيرهم، فقال: «أَعْمَلُوا إِلَّا دَاؤُدَ شُكُرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورُ» [سبأ: ١٣]،

(١) المرجع السابق (٥٩٦/٢٢).



والمعنى: «اشكروا ربكم بطاعتكم إياه يا آل داود؛ على ما أنعم عليكم من النعم في الدين والدنيا»<sup>(١)</sup>، والآية دلالة واضحة على أن شكر النعم بالحال والمقال؛ مؤذن بحفظ النعم، ورفع النقم، وقد كان آل داود قائمين بشكر الله قوله وعملاً، ففي الصحيحين أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أخبره: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود رضي الله عنه، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوماً، ويفطر يوماً»<sup>(٢)</sup>.

وقد ابتهل سليمان عليه السلام إلى ربّه؛ ليوفّقه على شكر نعمه التي أنعمها عليه وعلى والديه، لما في الشكر من الثواب، ومن ازدياد النعم، ومن اندثار النقم فقال: «وَقَالَ رَبِّ أُوْزَعْنِي أَنَّ أَشَكُّ بِعِمَّتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالَّدِيَّ وَأَنَّ أَعْمَلَ صَلَاحًا تَرَضَهُ وَأَدْخَلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ» [النمل: ١٩]، كما استشعر سليمان عليه السلام فضل الله عليه بالنبوة والملك، والعلم، وتسخير الجن والإنس، والطير له، وأن ذلك بلاء من ربّه عظيم؛ ليرى منه أيسكر على نعمائه، أم أيكفر، فقال: «هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّ لِبَلْوَنِي أَشَكُّ أَمْ أَكُوْكُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشَكُّ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَيْرُ كَرِيمٌ» [النمل: ٤٠]. يقول النسفي رضي الله عنه في تعليقه على قول سليمان عليه السلام «وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشَكُّ لِنَفْسِهِ»: «فالشّكر قيد للنّعمة الموجودة، وصيده للنّعمة المفقودة»<sup>(٣)</sup>. ويخبر تعالى ذكره بأنه اختبر عباده بأن فاوت بينهم في الأرزاق، والقوّة، والجاه، والأخلاق، وغير ذلك؛ ليستخرج منهم الشّكر على المسار والصّبر على المضار، فقال: «وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبرى (٣٦٨/٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التهجد، باب: من نام عند السحر، برقم (١١٣١)، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حفلاً أو لم يفطر العيدان والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم، برقم (١١٥٩).

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٦٠٧/٢).



لَيَبْلُوْكُمْ فِي مَآءَ اتَّكُمْ [الأنعام: ١٦٥] قوله: لَيَبْلُوْكُمْ فِي مَآءَ اتَّكُمْ أي: «ليختبر الغني في غناه، ويسأله عن شكره، والفقير في فقره، ويسأله عن صبره»<sup>(١)</sup>، وقد اختبر الله عباده المؤمنين بنعمة النَّصر والغنية يوم بدر؛ لإظهار الشُّكر منهم؛ فيزدادوا شكرًا فقال: وَلَيُبَلِّيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا [الأنفال: ١٧] ويعني بالبلاء الحسن: «النُّعمة الحسنة الجميلة»<sup>(٢)</sup>.

ومن التطبيقات النبوية للشُّكر على النُّعمة الحسنة الجميلة ما صح عن عائشة رض: أنَّ نَبِيَ اللَّهِ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيلِ حَتَّى تَنْفَطِرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رض: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخَرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا»، فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكِعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكِعَ<sup>(٣)</sup>، وَمِنْ دُعَائِهِ الْمَأْثُورُ رض فِي التَّعَالَمِ مَعَ السَّرَّاءِ تَارَةً، وَالضَّرَّاءِ تَارَةً أُخْرَى، مَا رَوَتْهُ أُمُّنَا عَائِشَةُ رض أَنَّ النَّبِيَّ رض كَانَ إِذَا أَتَاهُ الْأَمْرَ يُسَرُّهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَنَعَمَتْهُ تَمَّ الصَّالِحَاتُ»، وَإِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ يَكْرِهُهُ، قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»<sup>(٤)</sup>.



(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣٨٥/٣).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبراني (٤٤٨/١٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب: لَيَقْفِرَكَ اللَّهُ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخَرَ وَيُسَمِّ نَفْمَتَهُ، عَلَيْكَ وَقَدِيرَكَ صَرَطًا مُسْتَقِيمًا [الفتح: ٢]، برقم ٤٨٣٧، ج ٦، ص ١٣٥.

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر، برقم (١٨٤٠)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخر جاه، كما أخرجه ابن ماجه في سنته: كتاب الأدب، باب فضل الحامدين ، برقم (٣٨٠٣)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجه برقم (٣٨٠٣).



## المطلب السابع: البلاء بمقصد استخراج التّوبة

جاء لفظ «التّوبة» في سبعة وثمانين موضعًا من آيات الذّكر الحكيم، بعدَّة صيغ، واستتفاقات <sup>(١)</sup>.

التّوبة في اللّغة مصدر الفعل الثلاثي: تابَ، يتوبَ، تُبْ، توبَةً، فهو تائب، والمفعول مَتُوب، وأصل الكلمة التّوبة مركبة من: «الباء والواو والباء» كلمة واحدة تدلُّ على الرّجوع، يقال: تاب من ذنبه؛ أي رجع عنه، يتوب إلى الله توبَةً ومتابَةً، فهو تائب، والتّوب: التّوبة، وهو العودة إلى الله <sup>(٢)</sup>، وفي اللّسان: «أصل تاب: عاد إلى الله ورجع وأناب، وتاب الله عليه، أي: عاد عليه بالغفرة، وقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إلى الله جمِيعًا﴾ [النُّور: ٣١]، والتّوبة: الرّجوع من الذّنب، وتاب الله عليه: وفَّقه لها، ورجل تَوَّاب: تائب إلى الله، والله تَوَّاب: يتوب على عبده بفضلِه إذا تاب إليه من ذنبه، واستتبَّت فلانًا: عرضت عليه التّوبة مما اقترف؛ أي الرّجوع والندم على ما فَرَطَ منه، واستتابَه: سأله أن يتوب» <sup>(٣)</sup>، وفي الحديث عن ابن مَعْقِل، وأبيه، عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الندم توبَة» <sup>(٤)</sup>، ومن

(١) المعجم المفهوس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٤٥٥-٤٥٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١/٣٥٧).

(٣) لسان العرب، لابن منظور (١/٢٣٣).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سنته: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، برقم (٤٢٥٢)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجه برقم (٤٢٥٢). كما أخرجه أحمد في مسنده: مسنن المكثرين من الصحابة، مسنن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، برقم الحديث: (٤١٢٣)، وقال عنه محققون مسنده: «صحيح، وهذا إسناد حسن».



أسماء الله الحسنى التَّوَاب، ومعناه: «هو الذي يرجع إلى تيسير أسباب التوبة لعباده مرة بعد أخرى، بما يُظْهِر لهم من آياته، ويُسُوق إليهم من تنبيهاته، ويُطْلِعُهم عليه من تخويفاته، وتحذيراته؛ حتى إذا أطْلَعُوا بتعريفه على غوايَلَ الدُّنُوب، استشعروا الخوف بتخويفه؛ فرجعوا إلى التَّوَبَة؛ فرجع إليهم فضل الله تعالى بالقبول»<sup>(١)</sup>، بينما التَّوَبَة في اصطلاح المفسِّرين هي: «ترك الذَّنب لِقُبْحِه، والنَّدَم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أُمْكِنَه أن يتدارك من الأعمال بالأعمال بالإعادة»<sup>(٢)</sup>، ويقول آخر: هي: «أن يكون العبد نادماً على ما مضى مجمعاً على ألا يعود إليه»<sup>(٣)</sup>، ويقول غيره: «العزم على عدم العود إلى العصيان مع النَّدَم على ما فرط منه فيما مضى»<sup>(٤)</sup>، وقد أورد محمد بن كعب القرظي رض أنَّ التَّوَبَة تُنَعَّد بتوافر أربعة أمور، وهي: «الاستغفار باللُّسان، والإقلال بالأبدان، وإضمار ترك العُود بالجَنَان، ومهاجرة سَيِّئِ الإخوان»<sup>(٥)</sup>. والحاصل أنَّ التَّوَبَة هي: الرجوع إلى طاعة الله تعالى قلباً، ولساناً، وحالاً، وترك معاصيه؛ عاجلاً غير آجل.

لقد أخبر الله تعالى أنَّه عَلِمَ آدَمَ ﷺ كلامات التَّوَبَة؛ فتلقَّفَها بالقبول، والعمل، والتسليم، فقال: «فَتَلَقَّ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَمَتِ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ» [البقرة: ٣٧]، وهذه الكلمات التي تلقاها آدَمَ من ربِّه ﷺ مفسَّرة بقوله تعالى: «فَالَّرَبُّنَا أَطَلَمَنَا أَنفُسَنَا وَلَنَّ لَمْ تَغْفِرَنَا وَتَرْحَمَنَا لَنْ كُنَّ مِنَ الْخَيْرِينَ» [الأعراف: ٢٣]، ووجه الدلالة من الآية أنَّ المقصد من ابتلاء آدَمَ وزوجه ﷺ بالأكل من الشجرة؛ هو استخراج التَّوَبَة منهَا،

(١) المقصد الأُسْنَى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، للغزالى (١٣٩/١).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للرازبى (١٦٩/١).

(٣) لباب التأویل في معانی التنزیل، للخازن (٣١٦/٤).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٦٧/٢٨).

(٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للشعبي (٣٥٠/٩).



وببيان أنَّ عداوة إبليس للناس جميـعاً ممتدة جذورها في عمق التاريخ، من آدم ﷺ، وقد قام آدم وزوجـه بواجب التوبة تجاه ربـهما؛ فأنعم الله عليهـما بالرَّحـمة والمـغـفرـة، بينما أعرضـ إبليس عن التـوبة إلـى الله؛ فـسـخـطـ اللهـ عـلـيـهـ، وـلـعـنـهـ، وـطـرـدـهـ من رـحـمـتـهـ. هذا وقد بيـنـ المـولـيـ فيـ كتابـهـ أنـَّ منـ مقـاصـدـ الـبـلـاءـ استـخـرـاجـ التـوـبـةـ منـ عـبـادـهـ فـقـالـ: ﴿وَبَأَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨] وـيعـنيـ بالـحـسـنـاتـ: «الـرـخـاءـ فـيـ الـعـيـشـ، وـالـخـفـضـ فـيـ الدـُّنـيـاـ وـالـدـُّعـةـ، وـالـسـعـةـ فـيـ الرـزـقـ»<sup>(١)</sup>، وـيعـنيـ بـالـسـيـئـاتـ: «الـشـدـةـ فـيـ الـعـيـشـ، وـالـشـظـفـ فـيـهـ، وـالـمـصـائبـ وـالـرـزـاـيـاـ فـيـ الـأـمـوـالـ»<sup>(٢)</sup>، وـجـملـةـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ تـعـلـيلـ لـقـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿وَبَأَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ وـالـمـعـنـىـ: «لـيـرـجـعـواـ إـلـىـ طـاعـةـ رـبـهـمـ وـيـنـبـيـوـاـ إـلـيـهـ، وـيـتـوـبـواـ مـنـ مـعـاصـيـهـ»<sup>(٣)</sup>، وـنـظـيرـهـ: ﴿وَتَبَلُّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وـقـوـلـهـ: ﴿وَلَنْذِيقَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدِنِيِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١]، عنـ ابنـ عـباسـ<sup>(٤)</sup> ﴿وَلَنْذِيقَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدِنِيِّ﴾ يـقـولـ: «مـصـائبـ الدـُّنـيـاـ، وـأـسـقـامـهـاـ، وـبـلـاؤـهـاـ مـاـ يـبـتـلـيـ اللهـ بـهـ الـعـبـادـ؛ حـتـىـ يـتـوـبـواـ»<sup>(٥)</sup>، وقد بيـنـ اللهـ<sup>ﷺ</sup> أـنـ الغـرضـ مـنـ اـبـلـاءـ عـبـادـهـ بـظـهـورـ الـفـسـادـ فـيـ بـرـ الـأـرـضـ وـبـحـرـهـ؛ اـسـتـخـرـاجـ التـوـبـةـ، كـمـاـ قـالـ تـعـالـىـ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتِ أَيْدِيُ النَّاسِ لِيُذْيِقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، قالـ أبوـ العـالـيـةـ<sup>ﷺ</sup>: «مـنـ عـصـىـ اللهـ فـيـ الـأـرـضـ فـقـدـ أـفـسـدـ فـيـ الـأـرـضـ؛ لـأـنـ صـلـاحـ الـأـرـضـ وـالـسـمـاءـ بـالـطـاعـةـ»<sup>(٦)</sup>، وـمـعـنـىـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أـيـ: «كـيـ يـنـبـيـوـاـ

(١) جامـعـ الـبـيـانـ عنـ تـأـوـيلـ آـيـ الـقـرـآنـ، لـلـطـبـرـيـ (٢٠٨/١٣).

(٢) المـرـجـعـ السـاـبـقـ (٢٠٩/١٣).

(٣) المـرـجـعـ السـاـبـقـ (٢٠٩/١٣).

(٤) المـرـجـعـ السـاـبـقـ (٢٠٩/٢٠).

(٥) تـفـسـيرـ الـقـرـآنـ الـعـظـيمـ، لـابـنـ كـثـيرـ (٦/٣٢٠).



إلى الحق، ويرجعوا إلى التوبة، ويترکوا معاصي الله<sup>(١)</sup>، ومن أروع النماذج التي تروي لنا صوراً رائعة عن التوبة بعد البلاء، ما قصه القرآن الكريم في حق ثلاثة من صحابة رسول الله ﷺ، وهم: «كعب بن مالك، وهلال بن الربيع [رضوان الله عليهم جميعاً]، وكلهم من الأنصار»<sup>(٢)</sup>، الذين تخلّفوا عن الخروج معه في غزوة تبوك، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الْثَّلَاثَةِ الَّذِينَ حُلِّفُوا حَتَّى إِذَا أَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ يُمَارِجُهُنَّ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُوا أَنَّ لَهُمْ مَلْجَأً مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]، قوله: ﴿وَظَنُوا أَنَّ لَهُمْ مَلْجَأً مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ يقول ابن جرير رحمه الله: «وأيقنوا بقلوبهم أن لا شيء لهم يلجؤون إليه مما نزل بهم من أمر الله من البلاء؛ بتخلفهم خلاف رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، ينجيهم من كربله، ولا مما يحدرون من عذاب الله، إلا الله، ثم رزقهم الإنابة إلى طاعته، والرجوع إلى ما يرضيه عنهم، لينبوا إليه، ويرجعوا إلى طاعته والانتهاء إلى أمره ونبيه»<sup>(٣)</sup>، في حين ذم الله تعالى المنافقين؛ لتخلفهم عن التوبة من المعاصي بقوله: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦]، قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فإنه يعني: «ثم هم مع البلاء الذي يحل بهم من الله، والاختبار الذي يعرض لهم، لا ينبوون من نفاقهم، ولا يتوبون من كفرهم، ولا هم يتذكرون بما يرون من حجج الله ويعاينون من آياته؛ فيتعظوا بها، ولكنهم مصرون على نفاقهم»<sup>(٤)</sup>، هذا، والآيات دلالة واضحة على أن الله تعالى يبتلي عباده بأنواع البلاء والمصائب؛ لأجل أن يستخرج منهم التوبة وقت

(١) جامع البيان عن تأویل آی القرآن، للطبری (٢٠/١٠٩).

(٢) المرجع السابق (١٤/٥٤٤).

(٣) المرجع السابق (١٤/٥٤٤).

(٤) المرجع السابق (١٤/٥٧٩).



البلاء، أو عدمها، فيميز التائب من المتصّر، والطّيّب من الخبيث.

ومن الأدعية النبوية الجامعة لمعاني التّوبة ما صحّ عن شدّاد بن أوس رض : عن النّبّي ص : «سِيّد الاستغفار أَنْ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خلقتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّ مَا صَنَعْتَ، أَبُوءُ لَكَ بِنَعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»، قال: «وَمِنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقَنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمٍ قَبْلَ أَنْ يَمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمِنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقَنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup> .



### المطلب الثامن:

### البلاء بمقصد الرّحمة

لقد وردت مادة «رحم» في ثلاثة وتسعة وثلاثين موضعًا من آي الذّكر الحكيم، بصياغات، واشتقاقات مختلفة<sup>(٢)</sup> .

و«الرّحمة» في اللغة مصدر الفعل الثلاثي المتعدي: رَحِمَ، يَرْحَمُ، ارْحَمْ، رحمة، فهو رَاحِم، والمفعول مَرْحُوم، وأصل مادة (رحم) يدلُّ على: «الرّقة» والعطف والرأفة، يقال من ذلك: رحمه يرحمه، إذا رق له وتعطف عليه، والرّحْمُ والمرّحْمَةُ والرّحْمَةُ بمعنى<sup>(٣)</sup> ؛ وفي اللّسان: «الرّقة» والتعطف، والمرحمة مثله، وقد رحّمته وترحّمت عليه، وترحّم القوم: رحّم بعضهم بعضاً، والرّحمة: المغفرة<sup>(٤)</sup> ،

(١) آخر جه البخاري في صحيحه: كتاب الدّعوات، باب أفضّل الاستغفار، برقم (٦٣٠٦).

(٢) المعجم المفهوس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٣٠٩-٣٠٤).

(٣) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٤٩٨/٢).

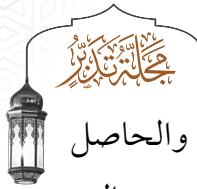
(٤) لسان العرب، ابن منظور (١٢/٢٣٠).



ومن أسماء الله تعالى الحسنة: الرَّحْمَن، والرَّحِيم، وهما أسمان مشتقة من الرَّحْمة على وجه المبالغة، والرَّحْمن أشد مبالغةً من الرَّحِيم؛ لأنَّ «رَبَّنَا جَلَّ ثناؤه رَحْمَن جَمِيع خلقه في الدُّنيا والآخرة، ورَحِيمُ المؤمنين خاصَّةً في الدُّنيا والآخرة، فَأَمَّا الَّذِي عَمَّ جَمِيعَهُمْ بِهِ فِي الدُّنيا مِنْ رَحْمَتِهِ فَكَانَ رَحْمَانًا لَهُمْ بِهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثناؤه: ﴿وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوْهَا﴾ [سورة إبراهيم: ٣٤] ﴿وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوْهَا﴾ [سورة النحل: ١٨]، فِي الْبَسْطِ فِي الرِّزْقِ، وَتَسْخِيرِ السَّحَابِ بِالْغَيْثِ، وَإِخْرَاجِ الْبَاتِ من الْأَرْضِ، وَصَحَّةِ الْأَجْسَامِ وَالْعُقُولِ، وَسَائِرِ النِّعَمِ الَّتِي لَا تُحْصَى، الَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا الْمُؤْمِنُونَ وَالْكَافِرُونَ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ، فَالَّذِي عَمَّ جَمِيعَهُمْ بِهِ فِي رَحْمَتِهِ، فَكَانَ لَهُمْ رَحْمَانًا، تَسْوِيَتْ بَيْنَ جَمِيعِهِمْ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي عَدْلِهِ وَقَضَائِهِ، فَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْهُمْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، فَذَلِكَ مَعْنَى عَمَومِهِ فِي الْآخِرَةِ جَمِيعَهُمْ بِرَحْمَتِهِ، وَأَمَّا مَا خُصَّ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ فِي عَاجِلِ الدُّنيا مِنْ رَحْمَتِهِ، الَّذِي كَانَ بِهِ رَحِيمًا لَهُمْ فِيهَا، كَمَا قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٤٣] بِمَا لَطْفَ بَهُمْ مِنْ تَوْفِيقِهِ إِيَّاهُمْ لطاعتِهِ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَبِرْسَلِهِ، وَاتِّبَاعُ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابُ مَعَاصِيهِ، مَمَّا خُذِلَ عَنْهُ مِنْ أَشْرَكَ بِهِ، وَكَفَرَ وَخَالَفَ مَا أَمْرَهُ بِهِ، وَرَكَبَ مَعَاصِيهِ؛ وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ قَدْ جَعَلَ جَلَّ ثَناؤَهُ، مَا أَعْدَّ فِي آجِلِ الْآخِرَةِ فِي جَنَّاتِهِ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَالْفَوْزِ الْمُبِينِ، لِمَنْ آمَنَ بِهِ، وَصَدَّقَ رَسْلَهُ، وَعَمِلَ بِطَاعَتِهِ، خَالِصًا، دُونَ مَنْ أَشْرَكَ وَكَفَرَ بِهِ﴾<sup>(١)</sup>؛ أَمَّا الرَّحْمَةُ فِي اصطلاحِ الْمُفَسِّرِينَ فَهِيَ: «رَقَّةٌ تَقْتَضِي الْإِحْسَانَ إِلَى الْمَرْحُومِ، وَقَدْ تَسْتَعْمِلُ تَارِةً فِي الرَّقَّةِ الْمَجَرَّدَةِ، وَتَارِةً فِي الْإِحْسَانِ الْمَجَرَّدِ عَنِ الرَّقَّةِ، وَعَلَى هَذَا رُوِيَ أَنَّ الرَّحْمَةَ مِنَ اللَّهِ إِنْعَامٌ وَإِفْضَالٌ، وَمِنَ الْأَدْمَيْنِ رَقَّةٌ وَتَعَطُّفٌ»<sup>(٢)</sup>، وَيَقُولُ آخَرُ: هِيَ: «الرَّفْقُ

(١) جامع البيان عن تأویل آی القرآن، للطبری (١٢٨-١٢٩/١).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب (٣٤٧/١).



بالمرحوم، والإحسان إليه، ودفع الضر عنه، وإعانته على المشاق»<sup>(١)</sup>، والحاصل أن الرّحمة المقصودة في بحثنا تأتي بمعنىَيْن؛ الأول: الإفضال والإمهال، وهي التي يشترك فيها جميع الخلق في عاجل الدُّنيا، والآخر: التطهير والتَّوفيق، وهي التي تخصُّ المؤمنين، دون غيرهم في عاجل الدُّنيا.

لقد أوجب الله تعالى على نفسه الكريمة تفضلاً منه، وتكررُّماً؛ أن يرحم ويغفر؛ لمن تاب من عباده، وأصلح العمل، وأن يُمهل، ولا يعجل العقوبة؛ لمن لم يتبع من عباده، فقال: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَارِبَّ فِيهِ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢]، قوله: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ معناه: «قضى الله تعالى بعباده رحيم، لا يعجل عليهم بالعقوبة، ويقبل منهم الإنابة والتوبه، وهذا من الله - تعالى - ذكره - استعطاف للمعرضين عنه إلى الإقبال إليه بالتوبه»<sup>(٢)</sup>، ونظيره قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا يُجْهَلُهُ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ وَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وفي الصحيح عن أبي هريرة رض عن النبي صل، قال «إِنَّ اللهَ تَعَالَى كَتَبَ كِتَابًا فَهُوَ عَنْهُ فَوْقُ الْعَرْشِ، إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضْبِي»<sup>(٣)</sup>، وبهذا الإسناد عن النبي صل يقول: «جعل الله الرّحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعه وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراءِحُ الْخَلْقُ، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه»<sup>(٤)</sup>، والآياتان مع الحديثين دلالة واضحة على أن رحمة الله تسع جميع خلقه في عاجل

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٦٩/١).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبرى (٢٧٣/١١).

(٣) آخر جه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]، ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيْرِ﴾ [التوبه: ١٢٩]، برقم (٧٤٢٢).

(٤) آخر جه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب: جعل الله الرّحمة مائة جزء، برقم (٦٠٠٠).



دنياهم، بطريق الإفضل، والإنعام عليهم بالذات المقدسة، فيرحم أهل الكفر والظلم والطغيان أيامهم، واستعطاف قلوبهم؛ إلى الإقبال إليه بالتوبة، والإنابة، مع إفراطهم في الكفر والظلم والطغيان ومحاربتهم الله ورسوله والمؤمنين، ويرحم أهل المعصية؛ بتوفيقهم للإنابة إليه، ومغفرة ذنوبهم، مع إفراطهم في هتك محارم الله، ويرحم أهل طاعته؛ بتثبيتهم على العمل الصالح، والاستقامة في الدين، كما أمروا، مع تقصيرهم في العبادة.

ثم ذكر -تعالى ذكره- دليلاً رحمته بجميع خلقه، مؤمنهم وكافرهم، وهو كونه تعالى لو يعقوب الناس على ما اقترفوه من المعاشي والآثام؛ لعجل لهم العذاب في الدنيا، غير أنه سبحانه أمهلهم لوقت معلوم؛ حتى يتوبوا من سوء أعمالهم فقال: ﴿وَرَبُّكَ الْعَفُورُ دُولَرَحْمَةٌ لَوْيَأْخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنَ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوِيلًا﴾ [الكهف: ٥٨]، قوله: دُولَرَحْمَةٌ فمعناه: «يؤخر العذاب عنهم»<sup>(١)</sup> و «يقبل توبتهم إذا تابوا»<sup>(٢)</sup>.

لقد أوضح الله تعالى في سوري الأعراف، وهود، ومواضع أخرى؛ أنه أنجى هوداً، وصالحاً، وشعيباً، وسائر أنبيائه ﷺ، والذين آمنوا معهم، برحمة منه، وتفضيل، وتكرم، من بطش الذين كفروا، فقال في هود ﷺ، ومن آمن معه: ﴿فَانْجِنِهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ وَرَحْمَةٌ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَارِرَالْدِينَ كَذَبُوا يَأْتِيَنَا وَمَا كَلُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٧٢]، وقال في صالح ﷺ، ومن آمن معه: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَبُّنَا بَعَثَنَا صَلِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَرَحْمَةٌ مِنَّا وَمِنْ خَزِنِي يَوْمَئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦]، وقال في شعيب ﷺ، ومن آمن معه: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَبُّنَا بَعَثَنَا شَعِيبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَرَحْمَةٌ مِنَّا وَأَخْذَتِ

(١) بحر العلوم، للسموقدى (٣٥٢/٢).

(٢) تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي (١٨٩/٧).



الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَاصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ حَشِيمَينَ ﴿٩٤﴾ [هود: ٩٤]، ويستفاد من آيات الإنجاء، أنه من تمام رحمة الله بعباده عند اشتداد البلاء، أنه لا يسلط أعداءه على أوليائه؛ لأنَّهم إذا ظفروا؛ طغوا في البلاد؛ فأكثروا فيها الفساد، وأهلكوا الحرج والنسل.

### و سنيرز الآن أهم مقاصد الابتلاء بغض رحمة في النقاط الآتية:

١ - زيادة الشواب و مضاعفة الأجر؛ لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصْبَتْهُمْ مُّصِيبَةً قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [١٥٦]، [القراءة: ١٥٦-١٥٧]، ووجه الدلالة من الآية؛ لأنَّ الله يتلي عباده بصنوف المصائب، والابتلاءات في الأرض، وفي أنفسهم؛ لأنَّ أعمالنا وطاعاتنا لا تؤهلنا لنيل مغفرة الله ورضوانه، ولأجل هذا قضى الله علينا برحمة منه، وتفضُّل، وتكريم، وأن نمرض ونعتل، ونصاب بأنواع المصائب، والبلايا؛ حتى نستكمل جانب النقص فينا؛ إذ لو لم نُتَّبَّل؛ لما تلذَّذ مؤمن قطُّ بنعيم الجنة، وقد صح أن أبا هريرة رض قال: سمعت رسول الله ص يقول: «لن يُدخل أحداً عمله الجنة»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «لا، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا، ولا يتمنَّين أحدكم الموت؛ إما محسناً فعله أن يزداد خيراً، وإما مسيئاً فعله أن يستعتب» (١) . وقد ورد في عن أم سلمة رض أنها قالت: سمعت رسول الله ص يقول: «ما من عبد تضييه مصيبة فيقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ اللهم أُرجُنْي في مصيبي، وأَخْلِفْ لي خيراً منها، إلا آجره الله من مصيبيه، وأَخْلِفْ له خيراً منها» قالت: فلما تُوفِي أبو سلمة، قلت كما أمرني رسول الله ص، فأَخْلِفْ الله لي خيراً منه، رسول الله ص (٢) ، روي في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود رض قال: دخلت على رسول الله ص

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضى، باب: تمني المريض الموت، برقم (٥٦٧٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، برقم (٩١٨).



وهو يوعلك وعكاً شديداً، فمسسته بيدي، فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعلك وعكاً شديداً؟ فقال رسول الله ﷺ: «أجل، إني أوعلك كما يوعلك رجلان منكم» فقلت: ذلك أن لك أجررين؟ فقال رسول الله ﷺ: «أجل»، ثم قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يصبه أذى، مرض فما سواه، إلا حط الله له سيناته، كما تحط الشجرة ورقها»<sup>(١)</sup>. وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ، قال: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمِنْ رَضِيَ فِلَهُ الرِّضَا، وَمِنْ سُخْطَةِ فِلَهُ السُّخْطَةُ»<sup>(٢)</sup>.

٢- تكبير السينات، لقوله تعالى: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمِيلٍ مِّنْكُمْ مَّنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْتَ بِعَضُّكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَلَمْ يَجِدُوا مِنْ دِيرِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلٍ وَقَاتَلُوا وَقُتُلُوا لَا كَفَرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ ثُوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وفي الصحيح عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ﷺ: عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكلها، إلا كفر الله بها من خطایاه»<sup>(٣)</sup>.

٣- إرادة الخير بالناس، لما رواه محمد بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة ﷺ، أنه قال: سمعت سعيد بن يسار أبا الحباب، يقول: سمعت أبا هريرة، يقول: قال رسول الله ﷺ: «من يُرِدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصْبِبُ مِنْهُ»<sup>(٤)</sup>، وروى الترمذى في سُنْنَةِ أَنْسٍ ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعِبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَلَ لِهِ الْعَقُوبَةِ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضى، باب: ما يقال للمريض، وما يجيب، برقم (٥٦٦١).

(٢) أخرجه الترمذى في صحيحه: أبواب الزهد، باب من اتقى المحارم فهو أبعد الناس، برقم (٢٣٩٦)،

وحسنه الألبانى في صحيح وضعيف سنن الترمذى برقم: (٢٣٩٦). كما أخرجه ابن ماجه في سننه:

كتاب الفتنة، باب الصبر على البلاء، يوم النحر، برقم (٤٠٣١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض، برقم (٥٦٤١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض، برقم (٥٦٤٥).



في الدنيا، وإذا أراد الله بعده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة»<sup>(١)</sup>.

٤- نيل أجر الشهيد لمن أصيب بالأوباء والطّواعين، لما روي في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه عن الطاعون، فأخبرني «أنه عذاب يعنه الله على من يشاء، وأن الله جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحد يقع الطاعون، فيمكث في بلده صابراً محتسباً، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر شهيد»<sup>(٢)</sup>.

٥- رفع الدرجات للمبتلى كما هو في حق الأنبياء صلوات الله عليهم، وشهاد ذلك متعددة في القرآن الكريم، ومن ذلك نبي الله أويوب صلوات الله عليه وآله وسلامه الذي ابتلاه الله بالمرض في جسده، فصبر واحتسب؛ حتى فرج الله عنه، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي الشَّيْطَنُ بِنُصُبٍ وَعَذَابٍ ﴾١﴿ أَرْكَضَ بِرِجْلَكَ هَذَا مُغَنَّسِلٌ بَارِدٌ وَشَرِبٌ ﴾٢﴿ وَوَهَبَنَا لَهُ وَأَهْلَهُ وَمَتَّهُمْ مَعْهُرَ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَنَا لِأُولَئِكَ الْأَلْبَيْبِ ﴾٣﴿ وَخُذْ يَدِكَ ضَعْثَافَ صَرِبَ بِهِ وَلَا تَحْتَنْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا يَعْمَلُ الْعَبْدُ إِنَّهُ وَأَوَّبٌ ﴾٤﴿ [٤٤-٤١]، قال ابن كثير: «هذه تذكرة لمن ابتلى في جسده أو ماله أو ولده، فله أسوة بنبي الله أويوب؛ حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك فصبر واحتسب، حتى فرج الله عنه»<sup>(٣)</sup>، وكما هو في حقّ الجهاد في سبيل الله، الذي فيه أصناف من الأذى والابتلاء، في الأموال بنقصها وهلاكها، وفي الأنفس بالقروح والآلام والقتل، قال تعالى: ﴿لَتُسْبِلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا

(١) أخرجه الترمذى في صحيحه: أبواب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم (٢٣٩٦)، وقد صححه الألبانى في صحيح وضعيف سنن الترمذى برقم (٢٣٩٦). كما أخرجه الحاكم فى مستدركه: كتاب العلم، برقم (٨٧٩٩).

(٢) أخرجه البخارى في صحيحه: كتاب فضائل الأنبياء، باب: حديث الغار، برقم (٣٤٧٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢٢٤ / ١).

أَذَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَقْتُلُوا إِلَيْهِ ذَلِكَ مِنْ عَرْمَ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ [آل عمران: ١٨٦]، قوله: «ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَا تَنْصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَيَبْلُو بَعْضُكُمْ بِعَيْنِهِ» [محمد: ٤]، قوله: «وَلَنَبْلُو نَكْوَهُ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَبَلَوْ أَخْبَارَكُمْ» [محمد: ٣١].

٦- تطهير القلوب من الكبر والخيالء، كما حديث يوم حنين، قال تعالى: «لَقَدْ نَصَرَ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَلَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتْكُمْ فَلَمْ تُقْنَ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ ثُمَّ وَلَيْلَتُمْ مُدَبِّرِينَ» [التوبه: ٢٥].

٧- الرّدع عن القبائح، والآثام، والظلم، والطغيان، لذا أخبر الله تعالى بأنه قادر على أن يذيق الجاحدين بألوهيته ألوان المصائب والابتلاءات، فلا يدفعه عنهم أحد، فقال: «قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَعْثَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقَكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْيِسَكُمْ شَيْئًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرَّفُ الْأَيَّاتِ لَعَلَّهُمْ يَقْهُونَ» [الأنعام: ٦٥]، قوله: «لَعَلَّهُمْ يَقْهُونَ» قال أبو السعود رحمه الله: «كي يفهوا ويقفوا على جلية الأمر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد» <sup>(١)</sup>، ووجه الدلالة من هذه الآية؛ أن هذا التهديد للمسرken، هو رحمة من رحمات الله تعالى عليهم؛ حتى يصرفهم عنما هم فيه من الشرك، وعبادة الأوثان، والأهواء، إلى ما هم مكّلّفون به من أنواع العبادة، كما يُستفاد من الآية الكريمة أن الله تعالى رحم هذه الأمة، وحفظها من الإهلاك العام، وعذاب الاستصال، كحال الأمم السابقة، ودلّ على هذا ما رواه جابر رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية: «قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَعْثَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقَكُمْ» الأنعام: ٦٥، قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «أَعُوذُ بِجَهَنَّمِكَ»، قال: «أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ» الأنعام: ٦٥، قال: «أَعُوذُ بِجَهَنَّمِكَ» أَوْ يَلْيِسَكُمْ شَيْئًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ الأنعام: ٦٥ قال

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي (١٤٦/٣).



رسول الله ﷺ: «هذا أهون - أو: هذا أيسر -» <sup>(١)</sup>.

**٨- إظهار الإسلام على الدين كله، وإقامة الحجّة على جميع الخلق ليميزوا بين الحق والباطل، والكفر والضلال، والزيف والإيمان، يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ وَإِلَيْهِ مُهَدِّدًا وَدِينُهُ الْحَقُّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كُفَّارٌ وَلَوْكَرَهُ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبه: ٣٣]، ونظيره قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ وَإِلَيْهِ مُهَدِّدًا وَدِينُهُ الْحَقُّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كُفَّارٌ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨]، يقول ابن عاشور: «وظهور الإسلام على الدين كله حصل في العالم باتباع أهل الملل إياه فيسائر الأقطار، بالرغم على كراهية أقوامهم وعظماء ملتهم ذلك، ومقاومتهم إياه بكل حيلة، ومع ذلك فقد ظهر وعلا وبيان فضله على الأديان التي جاورها، وسلامته من الخرافات والأوهام التي تعلّقوا بها، وما صلحت بعض أمورهم إلّا فيما حاكوه من أحوال المسلمين وأسباب نهوضهم، ولا يلزم من إظهاره على الأديان أن تفرض تلك الأديان» <sup>(٢)</sup>.**

ذلك أنّ إقامة الله حجّته على الكفار بإظهار الإسلام على الدين كله، وإرسال آياته الدلالة عليه، لهو من تمام رحمة الله تعالى المقتضية إمهال عباده، وعدم تعجّيل العقوبة على كفرهم وفسقهم، وتذكيرهم بين الحين والآخر بأحقّيّة ملة الإسلام على الدين كله، واستعطاف قلوبهم إلى الإقبال إليه بالتوبه والإنابة، يقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَاءِ كُوَّنَ يَهْدِي إِلَى الْحُقْقِيْقَى قُلْ اللَّهُ يَهْدِي إِلَى الْحُقْقِيْقَى أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحُقْقِيْقَى أَحَقُّ أَنْ يُهْدَى أَمْنَ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا الْكُوَّكِيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥]، ويقول: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدَرَهُ إِلَيْسَلَمٌ وَمَنْ يُرِدِ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدَرَهُ صَيْقَانَ حَرَجَانَ كَأَنَّمَا يَهْدِيَهُ وَيَسْرَحْ صَدَرَهُ إِلَيْسَلَمٌ وَمَنْ يُرِدِ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدَرَهُ صَيْقَانَ حَرَجَانَ كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ أَرِجَسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ويقول:

(١) آخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] الآية، برقم (٤٦٢٨).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٠/١٧٣-١٧٤).



﴿سَرِّيْهُمْ ءَيْتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

إذنْ فبناء على ما تقدّم، يتبيّن لنا أنَّ الإصابة بالابتلاء من تمام رحمة الله بعباده، وحبّه لهم، وشفقته عليهم، حتى يواظبهم من غفلتهم، فيقيّم عليهم الحُجَّة، فيظهر لهم الحقَّ من الباطل، فيوفّقهم للتوبة، فيربّيهم على طاعته، فيكفر عنهم سُيّئاتهم، فيضاعف لهم حسناتهم، فيرفع درجاتهم، فيزيدهم من فضله، فيرضى عنهم.

وقد تعلّمنا من هَدْيِ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في القرآن الكريم عامةً، وهَدْيِ النبي ﷺ على وجه الخصوص؛ كثرة التَّعُودُ من كُلّ أنواع البلاء والابتلاء، واللُّجوء إلى الله ﷺ، مع كثرة التَّضُرُّعُ إليه في حال الإصابة بالبلاء، والصَّبر والاحتساب على ذلك، مع الإيقان التَّامُ أنه: ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبه: ٥١]، واتخاذ الإصابة بالبلاء، فرصة للتَّقرُّب إلى الله تعالى بفعل الخيرات، وترك المنكرات، والتَّكثير من أنواع الطَّاعات، والقربات، مع العناية الكاملة بغسل أدران النَّفْس، والقلب، صباغًا ومساءً؛ حتى نظفر عند الله بالسعادة الدُّنيوية، والأخروية.





## المطلب التاسع: الباء بمقصد التّمحيق

لقد ورد لفظ «الْتَّمْحِيق» في موضعين من آي الْذِكْر الحكيم بصيغة الفعل المضارع<sup>(١)</sup>.

و«الْتَّمْحِيق» في اللُّغة مصدر الفعل الثلاثي المضعف: مَحَصْ يُمَحَّص، تمْحِيقاً، فهو مُمَحَّص، والمفعول مُمَحَّص، أصل التَّمْحِيق في اللُّغة مركب من: «(محص) الميم والباء والصاد أصل واحد صحيح يدلُّ على تخلص شيئاً وتنقيته. ومحَصَه مَحَصًا: خَلَصَه من كل عيب، [و] مَحَصَ اللَّهُ الْعَبْدُ مِنَ الذَّنْبِ: طَهَرَه منه ونقَاه، ومحَصَه، ومحَصَتُ الْذَّهَبُ بِالنَّارِ: خَلَصَتُه مِنَ الشَّوْبِ»<sup>(٢)</sup>، وفي اللُّسان: «ومَحَصَ الشَّيْءَ يَمْحَصُه مَحَصًا، ومحَصَه: خَلَصَه من كُلِّ عَيْبٍ، ومحَصُ في اللُّغَةِ التَّخْلِيْصُ وَالتَّنْقِيَّةُ، وتمْحِيقُ الذُّنُوبِ: تَطْهِيرُهَا، وَمَعْنَى التَّمْحِيقِ التَّنْقِصُ». يقال: مَحَصَ اللَّهُ عَنْكَ ذُنُوبَكَ؛ أي نقصها، فسمَّى اللَّهُ مَا أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَلَاءٍ تمْحِيقًا؛ لأنَّه ينقص به ذنوبهم، والْتَّمْحِيقُ: الاختبار والابتلاء»<sup>(٣)</sup>، أمَّا التَّمْحِيقُ في اصطلاح المفسِّرين فهو: «الْتَّطْهِيرُ وَالتَّصْفِيَّةُ»<sup>(٤)</sup>، ويقول غيره: هو: «إِزَالَةُ مَا قَدْ انْفَصَلَ مِنَ الْخَيْرِ عَنِ الشَّرِّ، وَكَانَ الْمَقْصُودُ بِهِ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: لِيَمْبَرِزَ»

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٦٦٢).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/٣٠٠).

(٣) لسان العرب، لابن منظور (٧/٩٠).

(٤) الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأقوایل في وجوه التأویل، للزمخشري (١/٤٢٠).



اللَّهُ أَكْبَرُ الْخَيْثَ مِنْ أَلْقَبِي ﴿١﴾ [الأنفال: ٣٧]، ويرى آخر أَنَّهُ: «تخليص الشيء مما يخالطه مما فيه عيب له، فهو كالتركيه» <sup>(٢)</sup>، وعبر عنه آخر بأنه: «محو للآثار وإزالة للأوضار» <sup>(٣)</sup>، إذن مما سبق من تعريفات للتحميس لغةً واصطلاحاً؛ يتبيّن لنا أن التَّمَحِيص هو عبارة عن اختبار قلوب النَّاس بتنقيتها من المعايب والمثالب؛ حتى يتميّز المؤمن من غيره في الدُّنيا والآخرة، أو يتطرّف المؤمن من الذَّنب إن كان له ذنب، وإلا فهو رفع لدرجاته.

يقول ابن القيم رحمه الله: «وهذا التَّمَحِيص يكون في دار الدُّنيا بأربعة أشياء: بالتوبه، والاستغفار، وعمل الحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، وإن لم تفِ هذه الأربعه بتحميسه وتخليصه، محض في البرزخ بثلاثة أشياء: بصلة أهل الإيمان الجنائزه عليه، وبفتنه القبر، وبما يهدي إخوانه المسلمين إليه من هدايا الأعمال، وجعل ثواب ذلك له، فإن لم تفِ هذه بالتحميس، محض بين يدي ربه في الموقف بأربعة أشياء: أهواه القيامة، وشدة الموقف، وشفاعة الشفعاء، وعفو الله عز وجل، فإن لم تفِ هذه الثلاثه بتحميسه فلا بد له من دخول الكير، رحمة في حقه؛ ليتخلص ويتمحص، ويتطهّر في النار، ويكون مكثه فيها على حسب كثرة الخبث وقلّته، فإذا خرج خبيه وصار خالصاً طيباً، أخرج من النار، وأدخل الجنة» <sup>(٤)</sup>.

لقد أخبر الله تعالى في كتابه أنَّ سنته جارية في امتحان الناس بضروب الفتن والمحن فقال: «أَحَسِبَ النَّاسُ أَنَّ يُرَكَّوْا أَنْ يَقُولُوا إِنَّا مَنَا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» [العنكبوت: ٢]، فتارة يكون الامتحان بشدائيد التَّكْلِيف؛ حتى يطهّر قلوب المؤمنين، ويخلصها من

(١) تفسير الراغب الأصفهاني، للراغب (٩٣٦/٣).

(٢) التحرير والتوير، لابن عاشور (١٣٩/٤).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي (٩١/٢).

(٤) مدارج السالكين بين منازل ﴿إِنَّكَ تَفْعِلُ وَإِنَّكَ تَسْتَعِيْلُ﴾، لابن قيم (١٦٣/١).



العيوب، أو يكرمها بالشهادة؛ لتنال الدرجات العلا، يقول الله: ﴿وَلِيَمْحَصَ اللَّهُ الَّذِينَ أَمْنَوْا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١]، قوله: ﴿وَلِيَمْحَصَ اللَّهُ الَّذِينَ أَمْنَوْا﴾ معناه: «يُكَفِّرُ عنهم من ذنوبهم، إن كان لهم ذنب، وإلا رفع لهم في درجاتهم بحسب ما أص比وا به»<sup>(١)</sup>، وبهذا المعنى صَحَّ عن أبي هريرة رض أنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَيْه﴾ [النساء: ١٢٣] بلغت من المسلمين مبلغًا شديداً، فقال رسول الله صل: «قاربوا، وسدّدوا؛ ففي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كُفَّارًا، حَتَّى النَّكَبةَ يَنْكَبُهَا، أَوِ الشَّوْكَةَ يُشَاكِهَا»<sup>(٢)</sup>، وفيه أَيْضًا عن جابر بن عبد الله رض أنَّ رسول الله صل دخل على أم السَّائب، أو أمَّ الْمُسِيَّبِ فقال: «مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائبِ -أَوِ يَا أُمَّ الْمُسِيَّبِ- تَزْفَرَفِينِ؟» قالت: الْحَمَّى، لا بارك الله فيها، فقال: «لَا تَسْبِي الْحَمَّى؛ فَإِنَّهَا تُذَهِّبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذَهِّبُ الْكَيْرُ خَبْثَ الْحَدِيدِ»<sup>(٣)</sup>، ونظير هذا قد ذُكر في السُّنْنَةِ في غير موضع. وتارة يكون الامتحان بشدائِدِ التَّكْلِيفِ حتى يميِّز الصَّادِقِ في إيمانِهِ من غيرِهِ، ويظهر أمره للنَّاسِ؛ لأَجْلِ أَخْذِ الْحَذَرِ والْحِيطَةِ، مَنْ يَدْعُ عَيْشَةَ لِيُسِّفِهِ، فيقول: ﴿وَلَيَبْتَتِ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيَمْحَصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلَيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] قوله: ﴿وَلِيَمْحَصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: «ولِيُمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ»، ويظهر أمر المؤمن والمنافق للنَّاسِ في الأقوال والأفعال<sup>(٤)</sup>، وهذا تماماً مثل ما حصل يوم أحد عندما اشتَدَّتِ الْحَرْبُ بينَ الْمُسْلِمِينَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فكاد الانتصار

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١٢٧/٢).

(٢) آخر جه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والأداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها، برقم (٢٥٧٤).

(٣) آخر جه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والأداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، برقم (٢٥٧٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١٤٦/٢).

وقتئذ يكون حليف المؤمنين، لو لا معصية الرّمّة أمر رسول الله ﷺ، ومخالفتهم طاعته، فقال: ﴿ثُمَّ صَرَّقُكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢] قوله: ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ فمعناه: «ليختبركم، فيتميّز المنافق منكم من المخلص الصادق في إيمانه منكم»<sup>(١)</sup>، وروي أنَّ رأس النّفاق عبد الله بن أبي بن سلول انفصل وقتئذ بثلث الجيش، أو قريب منه، فعن مَعْمَر عن الزهري عن عروة في قوله تعالى: ﴿وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَنَتُكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] قوله: «حتى إذا كان بالشّوّط من الجَبَانَةِ انخلَ عبد الله بن أبي، ابن سلول بثلث الجيش، أو قريب من ثلث الجيش»<sup>(٢)</sup>، ويدخل في معنى التّمحيص تطهير قلوب المؤمنين الصادقين من الكِبَرِ والخِيالِ، كما حديث يوم حنين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَلَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذَا أَعْجَبَتُكُمْ كَثِيرًا فَمَا تُقْنَى عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ شَمَّرَةٌ مُّدَبِّرَاتٍ﴾ [التوبه: ٢٥]، وفي الآية دلالة على «أنَّ النّصر بيده» [أي: الله تعالى] ومن عنده، وأنه ليس بكثره العدد وشدة البطش»<sup>(٣)</sup>.

ومن خلال هذا التّمحيص تتمايز العناصر المؤمنة الصالحة من العناصر السيئة، فيظهر:

١ - الخبيث من الطيب؛ لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩] قوله: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ أي: «حتى يفرق»<sup>(٤)</sup>.

(١) جامع البيان عن تأویل آی القرآن، للطبری (٢٩٨/٧).

(٢) أخرجه الصناعي في مصنفه: كتاب المغازي، باب ما جاء في حفر زمزم، وقد دخل في الحج أول ما ذكر من عبد المطلب، وقعة أحد، برقم (٩٧٣٥)، وتفسیر القرآن العظيم، لابن كثير (٣٧١/٢).

(٣) جامع البيان عن تأویل آی القرآن، للطبری (١٧٩/١٤).

(٤) المرجع السابق (٥٣٥/١٣).



٢- الصادق من الكاذب؛ لقوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَيَعْلَمَنَّ اللَّهَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ لَمْ يَكُنْوا﴾ [العنكبوت: ٣].

٣- الشاكر من الجاحد؛ لقوله: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَّهَا إِيَّاكَ بِهِ قُتِلَ أَنْ يَرَتَهُ إِلَيْكَ طَرُفُكَ فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقْرًا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُو فِي أَشْكُرٍ أَكْفُرٍ وَمَنْ شَكَرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كِرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

٤- الصابر على مناجزة الأعداء من الفارّ؛ لقوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهَ الَّذِينَ إِذَا أَمْنُوا وَيَتَّخِذُنَّ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمَنَّ اللَّهَ الَّذِينَ جَهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَنَّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

٥- المؤمن من المنافق؛ لقوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهَ الَّذِينَ إِذَا أَمْنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١١]، وقوله: ﴿وَمَا أَصَبَكُمْ كُبُرُ مَا تَقَرَّبُونَ إِلَيَّنَّ اللَّهَ وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَتَلَوْا فِي سَيِّلِ اللَّهِ أَوْ أَدْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قَاتَلًا لَا لَتَبْعَثُنَّهُمْ هُمْ لِلْكُفَّرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ يَا أَفْوَهُمْ مَا مَا لِيَسْ فِي قُوَّتِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٦-١٦٧].

٦- الخائف من الله بالغيب من الجريء؛ لقوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِذَا أَمْنُوا لِيَبْلُو نَفْسُهُمُ اللَّهُ يُشَّئِ عَمِّنَ الْحَسِيدِ تَنَاهُهُ أَيْدِي كُوْرَمَا حُكْمُ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ وَبِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَأُدُّ عَذَابُ الْيَمِّ﴾ [المائدة: ٩٤].

٧- النّاصِر لِدِينِ اللهِ مِنِ الْمُتَقَاعِسِ؛ لقوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

٨- المُحْسِن من المُسِيء؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُو صُمُّمُ أَيْكُمْ أَحَسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا النَّبِلُو هُمْ أَيْمَنُ

أَحَسْنُ عَمَلًا)، [الكهف: ٧]، قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُو كُلَّ أَكْثَرٍ أَحَسْنُ عَمَلًا وَهُوَ أَعْزِيزُ الْعَفْوُرُ﴾ [الملك: ٢].

٩- المفسد من المصلح؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحُهُمْ خَيْرٌ وَلَا إِنْ تُحَاذِلُهُمْ فَإِلَّا خَوْفُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، والآية دلالة واضحة على أنَّ الله تعالى ابتلى الأوصياء بجواز مخالطة أموالهم مع أموال اليتامي؛ ليظهر منهم المفسد من المصلح؛ لهذا رُوي عن ابن زيد في قول الله تعالى ذكره: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ أنه قال: «الله يعلم حين تخلط مالك بماله: أتريد أن تصلح ماله، أو تفسده، فتأكله بغير حق»<sup>(١)</sup>.

إذن فالقصد من ابتلاء التَّمْحِيص كما دلت الآيات؛ هو تنقية القلوب وتخليصها من العيوب، وتكفير السيئات؛ لأنَّ كُلَّ ما يصاب به المسلم في الدُّنيا من المصائب والأحزان هو كفارة له، كما تقدم في الحديث<sup>(٢)</sup>، هذا من جهة، ومن جهة أخرى المقصد من ابتلاء التَّمْحِيص هو التَّفَرِيق بين الصَّادِقِ في إيمانه والكاذب فيه، وبين الشَّاكِر لِأَنَّمِّ الله والجاحِد لِهَا، وبين الصَّابِر عَلَى أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ، والجَازِع لِهَا، وبين المُخلص في عبادته والمنافق فيها، وبين الثَّابِتِ فِي الدِّينِ والمُضطَرُبُ فِيهِ، وبين النَّاصِر لِدِينِ الله والخَاذِل لِهِ، وبين الْخَائِفِ مِنَ الله بِالْغَيْبِ وَالْجَرِيَّةِ، وبين المُحْسِن في عَمَلِهِ وَالْمُسْيِء فِيهِ، وبين المصلح في تعامله والمفسد فيه.

هذا وإنَّ المؤمن الصادق إذا أصابته المحنَّة؛ صبر واحتسب، وأحسن الظنَّ بالله؛ لأنَّه يعلم أنه لا يصيِّب إلا ما كُتب له، وأنَّ المحن والإحن تربية، وتنقية، وتخليص، وتهذيب، فتزيده إيماناً وثباتاً، أما المنافق، أو الكافر، أو الفاسق، أو الجاهل،

(١) جامع البيان عن تأویل آی القرآن، للطبری (٤/ ٣٥٧).

(٢) ينظر: الابتلاء بمقصد الرَّحْمَة، هامش ٢، (ص ٥٢).



فإذا أصابه شرٌ وبلاءٌ في جسده وضيق في معيشته؛ فزع وأضطرب، وجزع وغضب، وأساء الظنَّ بالله تعالى، يقول ابن القيم رحمه الله: «إِنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ أَقْتَضَى حُكْمَتِهِ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَمْتَحِنَ النُّفُوسَ وَيَبْتَلِيهَا، فَيُظَهِّرُ بِالْامْتِحَانِ طَيِّبَاهَا مِنْ خَبِيْثَاهَا، وَمَنْ يَصْلِحُ لِمَوَالَتِهِ وَكَرَامَاتِهِ وَمَنْ لَا يَصْلِحُ، وَلِيَمْحَصُ النُّفُوسَ الَّتِي تَصْلِحُ لَهُ، وَيُخْلِصُهَا بِكِيرِ الْامْتِحَانِ، كَالْذَّهَبِ الَّذِي لَا يَخْلُصُ وَلَا يَصْفُو مِنْ غَشَّهُ إِلَّا بِالْامْتِحَانِ؛ إِذَا النَّفْسُ فِي الْأَصْلِ جَاهِلَةٌ ظَالِمَةٌ، وَقَدْ حَصَلَ لَهَا بِالْجَهَلِ وَالظُّلْمِ مِنَ الْخَبِثِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ إِلَى السَّبِكِ وَالتَّصْفِيَةِ، فَإِنْ خَرَجَ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَّا فَفِي كَيْرِ جَهَنَّمَ، فَإِذَا هُذِبَ الْعَبْدُ وَنُقِّيَ أُذْنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ» (١).



#### المطلب العاشر:

### الباء بمقاصد الاستدراج

لقد وردت لفظة «استدراج» في موضعين من القرآن الكريم (٢)، بصيغة الفعل المضارع المبدوء بسين الاستقبال، وفاعله «نحن»؛ للتعظيم.

«الاستدراج» في اللُّغَةِ مصدر الفعل الثلاثي (درج) المزيد بثلاثة أحرف: استدرج، يستدرج، استدرج، فهو مُستدرج، والمفعول مُستدرج، وأصل مادة (درج) يدلُّ على: «مُضيِّ الشَّيْءِ، والمُضيُّ فِي الشَّيْءِ»، من ذلك قولهم: درج الشيء، إذا مضى لسيمه، ورجع فلان أدرجه، إذا رجع في الطريق الذي جاء منه، ودرج الصّبي، إذا مشى مشيته» (٣)؛ وفي اللُّسَانِ: «استدرجه؛ أي أدناه منه على التدريج،

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم (٣/١٦-١٧).

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٢٥٥).

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٤/٧٧-٧٨).



فتدرج هو، وفي التنزيل العزيز: ﴿سَنَسْتَدِرُّ جَهَنَّمَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]؛ قال بعضهم: معناه سنأخذهم قليلاً ولا نباغتهم؛ وقيل: معناه سنأخذهم من حيث لا يحتسبون؛ وذلك أنَّ الله تعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغبطون به فيكونون إليه وينسون به، فلا يذكرون الموت، فياخذهم على غررِهم أغفل ما كانوا، وروي عن أبي الهيثم: امتنع فلان من كذا وكذا حتى أتاه فلان فاستدرجه؛ أي خَدَعَه حتى حَمَلَه على أنْ درج في ذلك، أبو سعيد: استدرجه كلامي؛ أي ألقه حتى تركه يدرج على الأرض؛ قال الأعشى: لَيَسْتَدِرِّ جَنَّكَ الْقَوْلُ حَتَّى تَهَزَّ... وَتَعْلَمُ أَنِّي مِنْكُمْ غَيْرَ مُلْجَمٍ<sup>(١)</sup>، وفي اصطلاح المفسرين، الاستدرج: «أن تأتيه من حيث لا يعلم، ومن حيث تُلْطَفُ له حتى تغترَّه»<sup>(٢)</sup>، ويقول آخر: «اغترار المستدرج بطريق من استدرجه، حيث يرى المستدرج أن المستدرج إليه محسنٌ، حتى يورّطه مكرورها»<sup>(٣)</sup>، ويرى أحدهم أنَّه عبارة عن: «الإمداد بالنعم وإنساد الشُّكُر عليها، فإذا سكروا وحجبوا عن المنعم أخذوا»<sup>(٤)</sup>، ويرى آخر أنَّ الاستدرج: «هو الأخذ في حال الغفلة، من حيث أمنَّ الرَّجُل بعنته»<sup>(٥)</sup>، ويرى ابن عجيبة رض أنَّ الاستدرج ليس خاصاً بالكافر، بل يكون في المؤمنين خواصهم وعوامهم، ثم نقل عن ابن عبَّاد رض قوله: «الخوف من الاستدرج بالنعم من صفة المؤمنين، وعدم الخوف منه مع الدوام على الإساءة من صفة الكافرين»<sup>(٦)</sup>، وبعد الوقوف على معنى الاستدرج في اللغة والاصطلاح، نجد أنَّ الاستدرج لغةً يدور حول معنى الاستدناه والتقريب، وحاصل معناه في الاصطلاح

(١) لسان العرب، لابن منظور (٢٦٨/٢).

(٢) مجاز القرآن، لأبي عبيدة (٢٣٣/١).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبرى (١٣/٢٨٧).

(٤) تفسير التستري، للتستري (١/٧٠).

(٥) تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي (٥/١٠١).

(٦) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة (٢/٢٨٧).



هو: سوق الجاحدين، والماردin على المعاشي، شيئاً بعد شيء، ودرجة بعد درجة، إلى ما يهلكهم، ويضاعف لهم العذاب، دون أن يعلموا ما يراد بهم، وذلك بالإفضال عليهم بازدياد النعمة، ورخاء العيش، والإمهال لهم بالإنصاف في الأجل، والإطالة في العمر، مع إدامة الصحة؛ حتى يزعموا أنه تكريم لهم من الله، وإيشار لهم على سائر المخلوقين؛ فيتمادوا في المعاشي؛ «ليبلغوا بمعصيتهم ربهم، المقدار الذي قد كتبه لهم من العقاب وال العذاب، ثم يقبضهم إليه»<sup>(١)</sup> في حال غفلة، أو فتور.

لقد ورد لفظ الاستدراج كما بينا آنفًا في موضعين في القرآن الكريم، الأول في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِأَيْتَنَا سَنَسْتَدِرُّهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١٨٥ وَأَمْلَى لَهُمْ إِنَّ كِيدِي مَتِينُ﴾ ١٨٣-١٨٢ [الأعراف: ١٨٢]، والآخر في قوله: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدِرُّهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٤٤ وَأَمْلَى لَهُمْ إِنَّ كِيدِي مَتِينُ﴾ ٤٥ [القلم: ٤٤]، وقوله في الآيتين: ﴿سَنَسْتَدِرُّهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ معناه: «سنستدراهم قليلاً قليلاً إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم، وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهم لا يدركون في الغيّ، فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرًا وجددوا معصية، فيتدرّجون في المعاشي بسبب تراصف النعم، ظانين أنّ موافر النعم أثرة من الله وتقرّيب، وإنما هي خذلان منه وتبعد، فهو استدراج الله تعالى، نعوذ بالله منه»<sup>(٢)</sup>، ويقول آخر: «أي: سُنْمُهُلُّهُم بِغَرَّهُمْ، ونُزِّيَّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ؛ حتَّى يُحْسَبَ أَنَّهُ فِي كُفْرِهِ مُحْسِنٌ، فَإِذَا بَلَغَ الْغَايَةَ الَّتِي كُتُبَتْ لَهُ، أَخْذَ بِأَعْمَالِهِ السَّيِّئَةِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ»<sup>(٣)</sup>، قال ابن قتيبة رض: «الاستدراج أن يأخذهم قليلاً قليلاً، ولا

(١) جامع البيان عن تأویل آی القرآن، للطبری (٢٨٨/١٣).

(٢) الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأقوال في وجوه التأویل، للزمخشري (٢/١٨٢).

(٣) الهدایة إلى بلوغ النهاية في علم معانی القرآن وتفسیره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبی

محمد مکی (٤/٢٦٥٣).



يَبْاغْتُهُمْ<sup>(١)</sup>، وَقَالَ الصَّحَّاْكُ<sup>رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ</sup>: «كُلُّمَا جَدَّدُوا مُعْصِيَةً جَدَّدَنَا لَهُمْ نِعْمَةً»<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ سَفِيَّانُ التَّوْرِي<sup>رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ</sup>: «نَسْبِغُ عَلَيْهِمُ النِّعْمَةَ وَنَسْبِيَّهُمُ السُّكْرَ»<sup>(٣)</sup>، وَلِهَذَا قَالَ عُمَرُ<sup>رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ</sup> لَمَّا حُمِلَ إِلَيْهِ كُنُوزُ كُسْرَى: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَكُونَ مُسْتَدْرِجًا؛ فَإِنِّي أَسْمَعُكُّ تَقُولَ: ﴿سَتَسْتَدِرُّ جَهَنَّمَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾»<sup>(٤)</sup> [الأعراف: ١٨٢].

وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي الْآيَتَيْنِ: ﴿وَأَمْلَأِ لَهُمْ﴾ فَمَعْنَاهُ: «أَمْهَلْهُمْ، وَأَطْلِيلُ لَهُمْ مَدَةً عُمُرُهُمْ؛ لِيَتَمَادُوا فِي الْمَعَاصِي، وَلَا أَعْجَلُهُمْ بِالْعِقَوبَةِ عَلَى الْمُعَصِيَةِ؛ لِيَقْلِعُوا عَنْهَا بِالْتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ»<sup>(٥)</sup>. وَمَا تَضَمَّنَهُ هَاتَانِ الْآيَتَيْنِ الْكَرِيمَتَانِ، قَدْ أَوْضَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ بِأَسْمَاءِ أُخْرَى، وَقَدْ ذَكَرَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ أَرْبَعَةً أَسْمَاءً لِلْاستِدْرَاجِ، وَهِيَ: الْمَكْرُ، الْكِيدُ، الْإِمْلَاءُ، الْإِهْلَاكُ»<sup>(٦)</sup>، كَمَا ظَهَرَ لَنَا خَمْسَةً أُخْرَى، وَهِيَ: الْإِمْهَالُ، الْخَدَاعُ، الْإِمْدادُ، التَّرَكُ، الْفَتْحُ، هَذَا هُوَ بِيَانُهَا:

١ - الْمَكْرُ: كَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَّا مَكَرَ اللَّهُ فَلَيَأْمُنَ مَكَرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، أَيْ: «أَنْ يَسْتَدِرُّ جَهَنَّمَ بِالنِّعْمَ حَتَّى يَأْخُذُهُمْ بِغَتَةٍ»<sup>(٧)</sup>، وَ﴿مَكَرَ اللَّهُ﴾: «اسْتِعْارَةٌ لِأَخْذِهِ الْعَبْدُ مِنْ حَيْثُ لَا يُشَعِّرُ، وَلَا سْتَدْرَاجُهُ»<sup>(٨)</sup>.

(١) غَرِيبُ الْقُرْآنِ، لَابْنِ قَتِيَّةٍ (٤١١/١).

(٢) مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، لِبَغْوَى (٢/٢٥٥).

(٣) الْمَرْجَعُ السَّابِقُ (٢/٢٥٥).

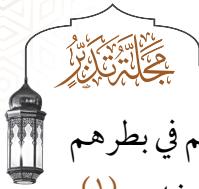
(٤) مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ، لِلْرَّازِيِّ (٤١٨/١٥)، وَقَدْ أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي سِنْتَهُ: كِتَابُ أَبْوَابِ تَفْرِيقِ مَا أَخْذَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَخْمَاسِ الْفَيْءِ غَيْرِ الْمَوْجَفِ عَلَيْهِ، بَابُ الْاِخْتِيَارِ فِي التَّعْجِيلِ بِقِسْمَةِ مَالِ الْفَيْءِ إِذَا اجْتَمَعَ، بِرَقْمِ (١٣٠٣٣).

(٥) الْمَرْجَعُ السَّابِقُ (١٥/٤١٨).

(٦) الْمَرْجَعُ السَّابِقُ (٢١/٤٣٨).

(٧) الْبَحْرُ الْمَدِيدُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، لَابْنِ عَجَيْبَةَ (٢/٢٤١).

(٨) الْكَشَافُ عَنْ حَقَّاتِ التَّنْزِيلِ وَعَيْنِ الْأَقْوَابِلِ فِي وَجْهِ التَّأْوِيلِ، لِلْزَّمَخْشَرِيِّ (٢/١٣٤).



٢- الكيد: كقوله: ﴿وَأَمْلَأْتُ لَهُمْ كِيدَرِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٥]، أي: «أمهلهم في بطرهم وغفلتهم إلى حيث ازدادوا على نفوسيهم العتو والعناid الموجب لشدة العذاب»<sup>(١)</sup>.

٣- الإملاء: كقوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَمَانَلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نَهَى لَهُمْ لِيَزَدَادُوا إِيمَانَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، أي: «نؤخر العذاب عنهم ليزدادوا إثماً؛ أي جرأة على المعاصي»<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿وَكَانَ مِنْ قَرِيَّةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخْذَتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٤٨].

٤- الإهلاك: كقوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجَنُودَهُ فَبَذَّلَهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: ٤٠]، والمعنى: «انظر بعين قلبك، وفك بفهمك، فكذلك نفعل بمن كذبك فقتلهم الله بالسيف»<sup>(٣)</sup>، والآية فيها استدراج بالنعم لمن كذب بمحمد ﷺ بأن يأخذه الله فجأة، كإغداقه العطاء على فرعون وشيعته ثم إهلاكهم فجأة.

٥- الإمهال: كقوله: ﴿فَمَهَلَ الْكَافِرِينَ أَمْهَلَهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٧]، أي: «آخرهم، ولا تسأل الله تعجيل إهلاكهم»<sup>(٤)</sup>.

٦- الخداع: كقوله: ﴿وَمَا يَحْدَدُ عَوْنَاتٍ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]، أي: «بالاستدراج والإمهال الذي يزيدهم عذاباً»<sup>(٥)</sup>.

٧- الإمداد: كقوله تعالى: ﴿الَّهُ يَسْتَهِرُ بِهِمْ وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٥]،

(١) الفواثق الإلهية والمفاتح الغيبة الموضحة للكلام القرآنية والحكم الفرقانية، للنخجواني (١/ ٢٧٥).

(٢) بحر العلوم، للسمري قندي (١/ ٢٦٧).

(٣) الهدایة إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي (٨/ ٥٥٣٦).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٨/ ٣٧٦).

(٥) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (١١/ ٣٠).

وقوله: ﴿وَيَمْدُهُم﴾: (بمعنى يزيدهم، على وجه الإملاء والترك لهم في عُتُّهم وتمردُهم<sup>(١)</sup>، ونظيره قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ حَلَّتْ وَجِيدًا﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَمْ مُدُودًا<sup>(٢)</sup> وَبَيْنَ شُهُودًا<sup>(٣)</sup> وَمَهَدَتْ لَهُ تَهْيِدًا<sup>(٤)</sup> ثُرِّيَّضْمَعْ أَنْ أَزِيدَ<sup>(٥)</sup> كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لَا يَكْتَنِعْنَا عَنِيدًا<sup>(٦)</sup> سَارُّهُقُهُ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧ - ١١]. وغيرها من الآيات.

٨ - التَّرَك: قوله: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغَيَّنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١٠]، والمعنى: «نذرُهم وتركُهم فيه، ونملي لهم ليزدادوا إنما إلى إنهم»<sup>(٧)</sup>.

٩ - الفتح: قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِرُوا بِهِ فَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَقَّ إِذَا فَرَحُوا بِمَا أَوْتُوا وَخَذَنَهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]، أي: «فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون، وهذا استدرج منه تعالى وإملاء لهم، عيادةً بالله من مكره»<sup>(٨)</sup>.

هذا وما ذكرناه في معنى البلاء بالاستدرج والإملاء، أنَّ أهل الكفر والزَّيْغ كلما ازدادوا تماديًّا في الكفر والفسق والعصيان، زادهم الله نعمة، ورغدًا في العيش، وإدامة الصَّحَّة؛ حتى يظنُّوا أنَّ هذا من تقريب الله لهم، وكرامته، وإيثاره، فيصير ذلك الإنعام والإمهال سببًا لتماديهم في الانكفاء عن ذكر الله، واتّباع السُّنَّة، وبعد عن الرجوع إلى طاعة الله، والاتساع بنيَّه، وهذه الحالة نشاهدها في كثير من الكفرة، وفي بعضٍ من فسقة المسلمين كالمبتدعة وغيرهم؛ حيث يُستدرجون في الطَّاعات، مع ثناء النَّاس عليهم؛ حتى يحسبون أنهم على خير عظيم، وأنه من تكريم الله لهم، فلا يزالون على هذه الحالة؛ حتى يأخذهم الله على غررة، أو فترة، إلَّا من تاب منهم، وأناب إلى الله، وعمل صالحًا قبل الأخذ، وقد كان النبي ﷺ يسأل الله الثبات على الطَّاعة والإعانة على شكرها والعصمة من الاستدرج بها، كما روي

(١) جامع البيان عن تأویل آی القرآن، للطبری (٣٠٧ / ١).

(٢) جامع البيان عن تأویل آی القرآن، للطبری (٣٠٨ / ١).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣ / ٢٥٦).



عن ابن عباس رض، قال: كان النبي صل يدعوه: «ربّ أعني ولا تُعن عَلَيَّ، وانصرني ولا تنصر عَلَيَّ، وامكر لي ولا تمكر عَلَيَّ، واهدني ويسِّر هدايَي إِلَيَّ، وانصرني على من بعْنِي عَلَيَّ، اللهم اجعلني لك شاكراً، لك ذاكراً، لك راهباً، لك مطواعاً، إليك مختباً، أو منيّاً، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدّد لسانِي، واسلل سخيمة قلبي»<sup>(١)</sup>، والشاهد قوله: «وامكر لي ولا تمكر عَلَيَّ» قال الطيبي: «المكر: الخداع، وهو من الله إيقاع بلائه بأعدائه من حيث لا يشعرون، وقيل: استدرج العبد بالطاعة فيتوجهُمْ أنها مقبولة وهي مردودة»<sup>(٢)</sup>.



## المطلب الحادي عشر: البلاء بمقصد التَّخويف

وردت مادة «خوف» في مائة وأربعة وعشرين موضعًا من آي الذّكر الحكيم بصياغات واشتقاقات مختلفة<sup>(٣)</sup>.

و«التَّخويف» في اللُّغة مصدر الفعل الثلاثي المضَعَّف: خَوْفٌ، يَخْوُفُ، تخويفًا، فهو مُخَوْفٌ، والمفعول مُخَوَّفٌ، ومادة (خوف): «الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفزع»<sup>(٤)</sup>؛ وفي اللُّسان: «الخوف: الفزع، خافه يخافه خوفاً

(١) أخرجه أبو داود في سنته: أبواب تفريع أبواب الوتر، باب ما يقول الرجل إذا سلم، برقم (١٥١٠)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (١٥١٠)، كما أخرجه الترمذى في سنته: أبواب الدعوات، لم يسم بابه، برقم (٣٥٥١)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذى برقم (٣٥٥١).

(٢) عون المعبد شرح سنن أبي داود، للآبادى الصديقى (٤/٢٦٣).

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٢٤٦-٢٤٨).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٩/٩٩-١٠٠).



وَخِيفَةٌ وَمَخَافَةٌ، وَخَوْفٌ الرَّجُلُ إِذَا جَعَلَ فِيهِ الْخَوْفَ، وَخَوْفُهُ إِذَا جَعَلْتَهُ بِحَالَةٍ يَخَافُهُ النَّاسُ، وَالْإِخَافَةُ: التَّخْوِيفُ»<sup>(١)</sup>، وَفِي اسْتِلَاحِ الْمُفَسِّرِينَ هُوَ: «إِدْخَالُ الْفَزَعِ فِي قَلْبِ الْمُخَاطِبِ؛ حَتَّى عَلَى التَّحْرُزِ مِنْ ارْتِكَابِ مَحْظُورٍ»<sup>(٢)</sup>، وَيَقُولُ آخَرُ: «بَعْثَ النَّفْسِ عَلَى تَحْمِيلِ مَعَاكِسَةٍ هُوَاهَا خَيْفَةُ الْوَقْوَعِ فِي سُوءِ الْعَاقِبَةِ»<sup>(٣)</sup>، وَيَقُولُ غَيْرُهُ: «هُوَ مَا تَدَلُّ عَلَيْهِ مِنْ الرِّسَالَةِ الْمُنْذَرَةِ الْمُخَوْفَةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى»<sup>(٤)</sup>، مَا سَبَقَ مِنْ تَعْرِيفَاتِ لِلتَّخْوِيفِ فِي الْلُّغَةِ وَالْاِسْتِلَاحِ يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّهُ يَدُورُ حَوْلَ الدُّعْرِ وَالْفَزَعِ، وَإِخَافَةِ النَّاسِ مِنْ الْوَقْوَعِ فِي الشُّرُورِ وَالْأَثَامِ. إِذْنُ، فَالْتَّخْوِيفُ هُوَ: إِفْزَاعُ النَّفْسِ بِأَنْوَاعِ الْمَصَابِ وَالْبَلَاءِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَبِسُوءِ الْعَاقِبَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فِي حَالِ اسْتِمْرَارِهَا عَلَى فَعْلِ الْمَنْهِيَاتِ وَتَرْكِ الْمَأْمُورَاتِ.

لَقَدْ خَوَفَ اللَّهُ عَبَادَهُ فِي كِتَابِهِ بِإِنْزَالِ الْآيَاتِ عَلَيْهِمْ تَتْرَى، كَالْجَوَاهِحِ السَّمَوَاءِ، وَانْتِشَارِ الْأَمْرَاضِ الْفَتَاكَةِ، وَغَيْرُ ذَلِكِ؛ لِتَعْضُورِهِ، وَيَعْتَبِرُونَ فَقَالُوا: «وَمَا نُرِسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا»<sup>(٥)</sup> [الإِسْرَاءٌ: ٥٩]، قَالَ قَتَادَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَإِنَّ اللَّهَ يَخْوُفُ النَّاسَ بِمَا شَاءَ مِنْ آيَةٍ؛ لِعَلِيهِمْ يَعْتَبِرُونَ، أَوْ يَذَكَّرُونَ، أَوْ يَرْجِعُونَ، ذُكْرُ لَنَا أَنَّ الْكَوْفَةَ رَجَفَتْ عَلَى عَهْدِ ابْنِ مُسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ يَسْتَعْتِبُكُمْ فَأَعْتَبُوهُ»<sup>(٦)</sup>، وَفِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَنْكِسُفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَخْوُفُ بِهَا عَبَادَهُ»<sup>(٧)</sup>، وَعَنْ

(١) لِسَانُ الْعَرَبِ، لَابْنِ مَنْظُورٍ، (١٢/ ٢٣٠).

(٢) انْظُرْ: الْمَفَرَدَاتِ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ، لِلرَّاغِبِ (١١/ ٣٠٣).

(٣) التَّحْرِيرُ وَالْتَّنْوِيرُ، لَابْنِ عَاشُورٍ (١٣/ ١٩١).

(٤) زَهْرَةُ التَّفَاسِيرِ، لِأَبِي زَهْرَةٍ (٨/ ٤٤٠٩).

(٥) جَامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ، لِلْطَّبَرِيِّ (١٧/ ٤٧٨).

(٦) أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: أَبْوَابُ الْكَسْوَفِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَخْوُفُ اللَّهُ عَبَادَهُ بِالْكَسْوَفِ»،



الحسن ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْأَيَّتِ إِلَّا حَوْيِقًا﴾ قال: «الموت الذريع»<sup>(١)</sup>. والغرض من هذا التخويف الإلهي للبشرية جمِيعاً؛ حتى تَعَظُ وَتَذَكَّرَ وَتَرْجِعَ إِلَى بَارِئَهَا، فَتَؤْمِنُ بِهِ إِيمَانًا جَازِمًا لَا يَخَالِطُهُ رِيبٌ، وَتَؤْدِي مَا هِي مَكْلُوفَةٌ بِهِ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ فِي الْعُبُودِيَّةِ، وَتَوْحِيدهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَالْأَلْوَهِيَّةِ، وَالْأَسْمَاءِ وَالصَّفَاتِ، وَنَفْيُ الشَّرِيكِ عَنْهُ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الدَّعْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَمَحْورُ رِسَالَةِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ وَرَسُلِهِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ ﷺ، إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يَكْشِفُ الضُّرَّ عَنْ مَنْ تَضَرَّعُ إِلَيْهِ وَتَذَلَّلُ وَتَمْسَكَ، وَلَا يُخَيِّبَ مَقْصُودُ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ وَأَظْهَرَ فَقْرَهُ وَعَجْزَهُ بَيْنَ يَدِيهِ.

كما حَذَرَ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ يَخَالِفُونَ أَمْرَهُ وَيَقْعُونَ فِيمَا يَغْضِبُهُ -سَوَاءً أَكَانَ ذَلِكَ بِاطِّنًا أَمْ ظَاهِرًا- مِنِ الْإِصَابَةِ بِأَنْوَاعِ مِنِ الْمَصَابِ وَالْإِبْلَاعَاتِ فَقَالَ: ﴿فَإِنْ حَذَرَ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ تُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ يَقُولُ الشُّوكَانِيُّ: «وَالْفَتْنَةُ هُنَا: غَيْرُ مَقِيدَةٍ بِنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَتْنَةِ، وَقَيْلُ: هِيَ الْقَتْلُ، وَقَيْلُ: الْزَّلَازِلُ، وَقَيْلُ: تَسْلُطُ سُلْطَانٍ جَائِرٍ عَلَيْهِمْ، وَقَيْلُ: الطَّبَّعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ»<sup>(٢)</sup>، وَقَوْلُهُ: ﴿أَوْ تُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فَمَعْنَاهُ: «أَوْ يَصِيبُهُمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ مَوْجِعٌ، عَلَى صَنْعِهِمْ ذَلِكُ، وَخَلَافُهُمْ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»<sup>(٣)</sup>، وَقَدْ يَكُونُ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ظَهُورُ الْأَمْرَاضِ وَالْأَوْجَاعِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلَافِنَا، وَقَدْ عَبَرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنْ هَذَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْرُ قَالُوا يَمْوِسِي أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَاهَدَ عَنَّدَكَ لِئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْرَ لَنُؤْمِنَ لَكَ وَلَرُسُلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الْأَعْرَافِ: ١٣٤]،

= بِرَقْمِ (١٠٤٨)، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ الْكَسْوَفِ، بَابُ ذِكْرِ النَّدَاءِ بِصَلَاةِ الْكَسْوَفِ الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، بِرَقْمِ (٩١١).

(١) جامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ، لِلطَّبَرِيِّ (٤٧٨/١٧).

(٢) فَتْحُ الْقَدِيرِ، لِلشُّوكَانِيِّ (٤/٦٨).

(٣) جامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ، لِلطَّبَرِيِّ (٢٣١/١٩).

وقال سعيد بن جبیر: «الرِّجزُ الطَّاعُونُ»<sup>(١)</sup>.

وَحَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ عَقوبَتِهِ فِي حَالِ رُكُوبِهِمْ مَا يَغْضِبُهُ، فَقَالَ: ﴿وَيُحَدِّرُ كُمُّ اللَّهِ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] وَالْمَعْنَى: «وَيُخْوِّفُكُمُ اللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ تَرْكِبُوا مَعَاصِيهِ، أَوْ تَوَالُوا أَعْدَاءَهُ»<sup>(٢)</sup>، ذَلِكَ وَقَدْ سُجِّلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَنَّ عِبَادَهُ الَّذِينَ لَا يُتَوَقَّعُ إِيمَانُهُمْ، لَا تَنْفَعُ فِيهِمْ آيَاتُهُ، وَمُخَوْفَاتُهُ، وَلَا تُجْدِي مَعْهُمْ، فَقَالَ: ﴿وَمَا تُعْنِي الْأَيْكَتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يُونُس: ١٠١]؛ أَيْ: «لَا تَنْجُعُ فِيهِمَا الْآيَاتُ، وَالْأَدْلَةُ، وَلَا النُّذُرُ وَالْمُخَوْفَاتُ»<sup>(٣)</sup>.

هَذَا وَإِنَّ النَّاسَ إِذَا اتَّعَظُوا بِمَا خُوَفُوا بِهِ، وَحُدِّرُوا مِنْهُ، وَأَنذَرُوا بِهِ، دَعَاهُمْ هَذَا إِلَى النَّظَرِ فِي أَحْوَالِهِمْ؛ حَتَّى يَتَوَصَّلُوا إِلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، وَالْإِنْبَاتِ الصَّادِقَةِ، وَلِزُومِ الطَّاعَةِ، وَتَرْكِ الْمُنْكَرِ.

وَقَدْ كَانَ مِنْ هَدْيِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدَ ﷺ فِي التَّعَامِلِ مَعَ الْمُخَوْفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ مَا صَحَّ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَمْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسَلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسَلَتْ بِهِ»، قَالَتْ: «إِذَا تَخَيَّلَتِ السَّمَاءُ، تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ، وَأَقْبَلَ وَأَدَبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ، سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَفَتْ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ عَائِشَةَ: فَسَأْلُهُ، فَقَالَ: «لَعَلَّهُ، يَا عَائِشَةَ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادَ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقِيلًا أَوْدَيْتُهُمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمَطَّرُنَا﴾ [الْأَحْقَاف: ٢٤]»<sup>(٤)</sup>.

وَلَا يَخْفَى أَنَّ السُّنْنَةَ النَّبُوَيَّةَ حَدَّرَتْ مِنَ الْابْتِلَاءَتِ الَّتِي قَدْ يَسْلِطُهَا اللَّهُ عَلَىٰ

(١) مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، لِلْبَغْوِيِّ (٢٢٥٣/٢).

(٢) جَامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِّ الْقُرْآنِ، لِلْطَّبَرِيِّ (٣١٧/٦).

(٣) التَّحْرِيرُ وَالتَّوْبِيرُ، لِابْنِ عَاشُورِ، (١١/٢٩٧).

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: كِتَابُ صَلَاةِ الْاسْتِسْقَاءِ، بَابُ التَّعْوِذِ عَنْ رَؤْيَا الرِّيحِ وَالْغَيْمِ، وَالْفَرَحِ بِالْمَطَرِ، بِرَقْمِ (٨٩٩).



عباده في حال إعراضهم عن طاعته، وركوبهم المعاشي، فقد رُوي عن عبد الله بن عمر رض أنه قال: أقبل علينا رسول الله ص، فقال: «يا معاشر المهاجرين، خمس إذا ابْتُلِيْتُم بِهِنَّ، وَأَعُوْذُ بِاللَّهِ أَنْ تَدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهُرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّىٰ يَعْلَمُنَا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الْطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضْتُ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضُوا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمَكِيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أَخْذُوا بِالسَّنِينِ، وَشَدَّةِ الْمَؤْوِنَةِ، وَجُورُ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَّةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مَنْعَوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يَمْطِرُوا، وَلَمْ يَنْقُصُوا عَهْدَ اللَّهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سُلْطَنُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخْذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَمْتَهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخِرُّوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهِمِ بَيْنَهُمْ»<sup>(١)</sup>. وقد كان من هديه ص التَّعُوذُ مِنَ الرَّوَعَاتِ، فعن جبیر بن أبي سلیمان بن جبیر بن مطعم، قال: سمعت ابن عمر رض يقول: لم يكن رسول الله ص يدع هؤلاء الكلمات حين يصبح وحين يمسي: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدِنْيَايِي، وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتَرْ عُورَاتِي، وَآمِنْ رُوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيِّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شَمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوْذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغَتَّالَ مِنْ تَحْتِي»<sup>(٢)</sup>. والشاهد قوله: «اللَّهُمَّ آمِنْ رُوْعَاتِي»، قال ابن الأثير في النهاية: «هي جمع روعة، وهي المرأة الواحدة من الرَّوْعِ: الفزع»<sup>(٣)</sup>.

(١) آخر جه ابن ماجه في سننه: أبواب الفتنة، باب العقوبات، برقم (٤٠١٩)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (٤٠١٩)، كما أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب الفتنة والملاحم، أما حديث أبي عوانة، برقم (٨٦٢٣).

(٢) آخر جه الحاكم في مستدركه: كتاب الدعاء، والتکبير، والتهليل، والتسبیح والذکر، برقم (١٩٠٢)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجه أحد في مسنده: مسنده المكثرين من الصحابة، عبدالله بن عمر رض، برقم (٤٧٨٥)، وقال عنه محققون الإسناد: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢٢٧٧/٢).



## المطلب الثاني عشر: البلاء بمقصد العقوبة

لقد وردت مادة «عقب» في ثمانين موضعًا من آي الْذِكْر الحكيم بصياغات واشتقات مختلفة<sup>(١)</sup>.

و«العقوبة» في اللُّغة مصدر الفعل الرباعي المزيد بحرف: عاقب، يعقوب، عقاباً، وُمُعاقبَةً، وعقوبةً، فهو مُعاقِب، والمفعول مُعَاقَب، وأصل مادة (عقب) يدلُّ على: «تأخير شيء وإتيانه بعد غيره، كل شيء يعقب شيئاً فهو عقيبه، وإنما سُمِّيت عقوبة لأنَّها تكون آخرًا وثاني الذَّنب»<sup>(٢)</sup>؛ أي: تأتي بعد الذَّنب، وفي الفروق: «العقاب ينبع عن استحقاق، وُسُمِّي بذلك لأنَّ الفاعل يستحقُه عَقِيبَ فعله، وأصل العقاب التَّلُو، وهو تأدية الأوَّل إلى الثَّانِي، يقال: عقب الثاني الأوَّل إذا تلاه، وعاقبت اللَّصَّ بالقطع الذي يتلو سرقته»<sup>(٣)</sup> وفي اللُّسان: «العقاب والمعاقبة أن تجزي الرَّجُل بما فعل سوءاً؛ والاسم العقوبة، وعاقبته بذنبه معاقبةً وعقاباً: أخذه به، وتعقبَت الرَّجُل إذا أخذته بذنب كان منه»<sup>(٤)</sup>، وفي اصطلاح القرآن الكريم، العقوبة هي: ما يلقاه الإنسان في الدُّنيا من الأحزان، والمصائب، والعقوبات الشرعية، وما يلقاه في الآخرة من عذاب أليم؛ جزاءً عن سوء أفعاله.

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٤٦٧-٤٨٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٤/٧٧-٧٨).

(٣) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري (١/٢٣٩-٢٤٠).

(٤) لسان العرب، لابن منظور (١/٦١٩).



يخبرنا الله تعالى أنه يعاقب الناس بالمصائب، والشدائد، والبلايا في الدنيا؛ مجازاً لهم عن سوء أعمالهم فقال: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْرِيَهُ﴾ [النساء: ١٢٣] ومعنى ﴿سُوءًا﴾: «ما يسوء من القبائح»<sup>(١)</sup>، ومعنى ﴿يُجْرِيَهُ﴾: «ما يلقاء الإنسان في الدنيا من الأحزان والمصائب جزاءً عن سيئاته»<sup>(٢)</sup>، ويقول أيضاً: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾ [البقرة: ٥٩] وقوله: ﴿رِجْزًا﴾ فمعنى: «ما يعاف عنه، وكذلك الرّجس، والمراد به الطّاعون، رُوِيَ أَنَّهُ ماتَ فِي سَاعَةٍ أَرْبَعَةٍ وَعَشْرَوْنَ أَلْفًا»<sup>(٣)</sup>، ويؤيّد هذا ما رواه عن أسامة بن زيد رض أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطّاعون رجز، أو عذاب أُرسل على بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم»<sup>(٤)</sup>، هذا وإنَّ الإصابة بهذه الأمراض الفتاكَة هي نوع من أنواع العقاب الذي كان يرسله الله على الأمم قبلنا، وإلى الآن، وكانت سُنن الله فيهم أن يمْتَعُهم بمتاع الدُّنيا؛ حتى يظُنُّوا أنهم ما مَتَّعوا به من خير، إلَّا لعُلُوٌّ منزَلُهم عند الله؛ فيتمادوا في طغيانهم، ثم يأخذهم الله فجأةً بأنواع العذاب وهم لا يشعرون. وقد صحَّ عن أبي موسى رض قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخْذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ وَكَذَلِكَ أَخْذُرِيَّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرْبَى وَهِيَ ظَلَمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ وَالْيَمْ شَدِيدٌ» [هود: ١٠٢]<sup>(٥)</sup>.

وقد دعا الله مشركي قريش إلى التَّدْبُّر في حال الأمم التي أهلكها بسبب كفرها وتکذيبها رسُلِهِ، وأنه قادر على إهلاكهم، ثم إدخالهم ناراً خالدين فيها، إنَّ هم استمروا على شرِّكِهم فقال: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ

(١) النكٰت والعيون، الماوردٰي (١/٥٣١).

(٢) المرجع السَّابِق (١/٥٣١).

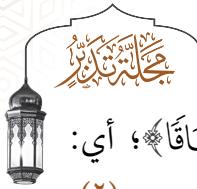
(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأویل، للبيضاوی (١/٨٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب السلام، باب الطاعون والطير والكهانة ونحوها، برقم (٢٢١٨).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٨٣).

قَبْلَهُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمُهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٦٧ ثُمَّ كَانَ عِلْقَبَةُ الَّذِينَ أَسْأَلُوا أَلْسُونَى أَنَّ كَيْدَنُو بِيَأْيَتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهِنُونَ [الروم: ١٠-٩]، ونظيره قوله تعالى: «وَلَمْ يَسِرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِلْقَبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَعْجِزُهُ وَمِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا» [فاطر: ٤٤]، وفي المفردات: «والعاقبة إطلاقها يختص بالثواب، وبالإضافة قد تُستعمل في العقوبة»<sup>(١)</sup>، وقد أوضح الله تعالى في سورة الشُّعراء، ومواضع أخرى، عاقبة الأمم الخالية بسبب ظلمها، كحكايته عن إغراق فرعون وقومه، وإكباب قوم إبراهيم وأبيه في الجحيم، وإهلاك قوم نوح بالإغراب، وإهلاك قوم هود، وهم قبيلة عاد، بريح صرصر، وأخذ قوم صالح وهو قبيلة ثمود بالصّاعقة، وإهلاك قوم لوط بإقلاب الأرض عليهم، وإهلاك قوم شعيب وهو أصحاب الأيكة بالصّيحة، وغيرها من الأمم التي انتقم الله منها بعذاب حسّيٍّ، أو جسميٍّ؛ بسبب ظلمها وكفرها بأنعم الله، وأنَّ سُنْتَهُ جَلَّ وعَزَّ ماضية في إلهاق العقوبة بالمتمرّدين عن طاعته، والمارددين في معصيته، وأنَّها تجري على جميع خلقه من لدن آدم إلى قيام الساعة فقال: «فَهُلْ يُنْظَرُونَ إِلَّا سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ فَنَّ تَحْدِلُ سُنْتَ اللَّهِ تَبَدِّلًا وَلَنْ تَحْدِلُ سُنَّتَ اللَّهِ تَحْوِيلًا» [فاطر: ٤٣]، وقد ينتقم الله تعالى من العصاة بعذاب معنويٍّ، أو قلبيٍّ كما هو حال المنافقين، وهذا النوع من العذاب أشدُّ من سابقه، وقد كان رسول الله ﷺ كثير التَّعُوذُ منه، وأرشد أمته إلى ذلك، ويتمثل هذا النوع من العذاب في الطَّبع، والختم، والوقر، والغشاوة، والأكنة، والطمس، المانعة من فهم ما ينفع، كما قال تعالى في شأن المنافقين: «وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لِئِنْ أَتَدَنَا مِنْ فَضْلِهِ لَتَصَدَّقَ بِهِ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الْمُلْحِينَ ٧٥ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِمَّنْ فَضَلَّهُمْ بَخْلُوْبِهِ وَتَوَلَّوْهُمْ مُعَرِّضُونَ ٧٦ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب (١/٥٧٥).



مَا وَعَدُوهُ وَيَمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٥﴾ [التوبه: ٧٥-٧٧]، قوله: ﴿فَاعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾؛ أي: «جعل نفاقاً عقب ذلك؛ أي إثره»<sup>(١)</sup>، وهذا يستلزم أنه: «أضلهم الله بفعلهم»<sup>(٢)</sup>، ويقول ابن عاشور رحمه الله: «جعل فعلهم ذلك؛ سبباً في بقاء النفاق في قلوبهم إلى موتهم، وذلك جزاء تمردتهم على النفاق»<sup>(٣)</sup>؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ حَوَّلَ كُمْرَنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمَنْ أَهْلَ الْمَدِينَةَ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ تَحْنُنْ نَعْلَمُهُمْ سَعْدَدُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبه: ١٠١]، قوله: ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ فمعناه: «مرأوا عليه ودرّبوا به»<sup>(٤)</sup>، و«تمهّروا فيه»<sup>(٥)</sup>، وأحسن ما وقفت عليهم قول من قال: «أخبر عنهم أنهم خرّيجون في النفاق»<sup>(٦)</sup>، ومعنى الخرّيج في اللغة: «أدبه كما يُخرج المعلم تلميذه، وفلان خرّيج مال وخرّيجه، بالتشديد، وهو فعيلٌ بمعنى مفعول، إذا درّبه وعلّمه، وقد خرّجه في الأدب فتخرج»<sup>(٧)</sup>. هذا وإنَّ الآية دلالة واضحة على أنَّ كُلَّ من أقام على الذَّنْب، واستمرَّ عليه، وتمهّر فيه، فلم يتوب منه ويستغفر، ولم يقرَّ به، صار -أي: الذَّنْب- صفة متّصلةً متّجذرةً فيه إلى درجة صيره خرّيج ذنبه؛ أي: متخرّجاً فيه، فيختتم له به إلى موته جزاء تمرُّسه فيه، فيكون بهذا الفعل قد جمع العاصي المتمادي على نفسه عذابيْن: الأول في الدُّنيا بأنواع المصائب والمحن، والآخر في الآخرة بعذاب أليم، عياداً بالله من الخذلان.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٠ / ٢٧٢-٢٧٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٢ / ٤٦٢).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٠ / ٢٧٢-٢٧٣).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبرى (١٤ / ٤٤٠).

(٥) الكشاف عن حفائق التنزيل وعيون الأقواب في وجوه التأويل، للزمخشري (٢ / ٣٥٥).

(٦) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيَّان الأندلسي (٥ / ٤٩٦).

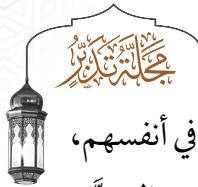
(٧) لسان العرب، لابن منظور، (٢ / ٢٥٠).



كما قد ينتقم الله من الفسقة بعذاب جسديٌّ، كما هو حال مرتكبي الجرائم، والساعين في الأرض فساداً، ويتمثل هذا في العقوبات الشرعية من حدود وقصاص وتعازير شرعية؛ لأنَّ إقامة الحدود من المصائب التي تصيب الأنفس كما في قوله تعالى: **«مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ»** [الحديد: ٢٢] <sup>(١)</sup>، قال عليه السلام عن عقوبة الحرابة: **«إِنَّمَا جَرَأَ عَلَى الَّذِينَ يَحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقْطَعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلِيفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خَرْقٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ»** [المائدة: ٣٣]، وقال عن عقوبة السرقة: **«وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطُعُوا أَيْدِيهِمَا جَزاءً بِمَا كَسَبُوا كَلَّا مِنَ اللَّهِ وَلِلَّهِ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»** [المائدة: ٣٨]، وقال عن عقوبة الصيد في حال الإحرام، أو في أرض الحرم: **«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَإِنْ تُمْرُّ مَنْ قَتَلَهُ وَمِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُهُ مُثُلُّ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَاعْدَلٍ مِنْكُمْ هَذِهِ يَابِلُغُ الْكَعْبَةَ أَوْ كَفَرَةَ طَعَامُ مَسَكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا إِلَيْدُوقَ وَبِالْأَمْرِ هُوَ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَلِلَّهِ عَزِيزٌ ذُو الْإِنْتِقَامِ»** [المائدة: ٩٥]، وقال عن عقوبة القتل العمد: **«وَمَنْ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَرَأَهُ وَجَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَصِيبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا»** [النساء: ٩٣] ويعني بالجزاء في الآيات: «معاملة العامل بما يعادل أعماله المجزي عليها في الخير والشر» <sup>(٢)</sup>، وقال عن عقوبة الزنا: **«إِنَّ زَنِيَةَ وَزَنِيَ فَاجْلِدُو كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَائَةً جَلَدَةً وَلَا تَأْخُذُكُمْ بِهِمَا رَأْفَةً فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُقْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَسْهَدَ عَدَّهُمَا طَالِبَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»** [النور: ٢]، وقال عن عقوبة القذف: **«وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شَهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَنِيَنَ جَلَدَةً وَلَا تَقْبِلُوهُمْ شَهَدَةً أَبَدًا وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْفَسِقُونَ»** [النور: ٤]، وغير ذلك من الجرائم الاجتماعية التي رتب عليها الشارع عقوبات مغلظة.

(١) بتصرُّف: مفاتيح الغيب، للرزاي (٤٦٦/٢٩).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٧٧/١).



وقد قرر الله تعالى أنَّ ما يصيب النَّاسَ من أنواع المصائب، والمحن في أنفسهم، وأهليهم، وأموالهم، والعقوبات الشرعية، وشيوخ الأمراض النفسيَّة، والبدنيَّة، والعقلية؛ فإنَّما يصيبهم ذلك عقوبة من الله لهم على ما اقترفوه من المعاصي، والآثام، والبعد عن شرع الله تعالى، ومخالفتهم أمره، وارتكابهم نهيه فقال: ﴿وَمَا أَصَبْكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، ونظيره قوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فِينَ نَفْسِكُمْ﴾ [النساء: ٧٩]، أي: «من بلية ومصيبة فمن عندك، لأنك السبب فيها بما اكتسبت يداك»<sup>(١)</sup>، وقد عاتب الله تعالى الصَّحابة رضي الله عنهم أجمعين على ما أصابهم يوم أحد من هزيمة، وقتل، وجرح، وأسر، فقال: ﴿أَوَلَمَّا أَصَبْتُكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مُشَيْهَا قُشْتُمْ أَنَّ هَذَا قُلُّ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وقوله ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: «أصابكم بمعصيتكم النبيَّ ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

هذا وقد اقتضت رحمة الله ﷺ أنَّ كُلَّ ما يرتكبه الناس من كُفر لأنَّم الله، ومن فساد في بُرِّ الأرض وبحرها، ومن ظلم، وطغيان، وغير ذلك من الذُّنوب الفَظيعة، التي لو عاقب الله النَّاسَ عليها ما أبقى أحداً على ظهر الأرض، غير أنَّ الله حليم بعباده، فلا يعجل عليهم العقوبة، وإنَّما يمهلهم؛ حتى يتوبوا، ويستدركون في الدُّنيا ما فرَّطوا في جنب الله، يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسُ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُ عَلَيْهِمْ هَا مِنْ دَآبَةٍ وَلَا كُنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّىٍ فَإِذَا جَاءَهُمْ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر: ٤٥].

وقد كان من هديه ﷺ التَّعُوذُ بالله من العقوبة، فعن جبير بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم، قال: سمعت ابن عمر ﷺ يقول: لم يكن رسول الله ﷺ يدع

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقوایل في وجوب التأویل، للزمخشري (١/٥٣٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١/٤٨٨).



هؤلاء الكلمات حين يصبح وحين يمسي: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدِنْيَاهُ، وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتِرْ عُورَاتِي، وَآمِنْ رُوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدِي، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شَمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»<sup>(١)</sup>. والشَّاهِدُ قَوْلُهُ: «وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»، قال ابن الأثير في النهاية: «أَيُّ أُدْهِيٌّ مِنْ حَيْثُ لَا أَشْعُرُ، يُرِيدُ بِهِ الْخَسْفُ»<sup>(٢)</sup>.

وكان من هديه ﷺ التَّعُوذُ وَهُوَ سَاجِدٌ، مِنْ غَضْبِ اللَّهِ، وَسَخْطِهِ، وَعَقُوبَتِهِ كَمَا صَحَّ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: فَقَدِتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ مِنَ الْفَرَاشِ فَالْتَّمَسَهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدْمِيهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرَضَاكَ مِنْ سَخْطِكَ، وَبِمَعافِتِكَ مِنْ عَقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»<sup>(٣)</sup>.



(١) سبق تحريرجه في مطلب الابتلاء بمقصد التخويف، هامش ٣، (ص ٦٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٤٠٣/٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم (٤٨٦).



## الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلوة والسلام على من لا نبي بعده، أمّا بعد؛

فبعد هذه الإشارة على مقاصد البلاء التي تم إبرازها من خلال هذه الدراسة الموضوعية لآيات من الذكر الحكيم، نصل إلى عدّة نتائج ووصيات، وهذا بيانها:

### ◆ أولاً: أهم النتائج ◆

- يعني بالمقاصد القرآنية: الغايات والأهداف التي أُنزل القرآن الكريم من أجلها؛ تحقيقاً لجلب مصالح العباد في المعاش والمعاد من جهة، وتحقيقاً للدرء مفاسد العباد في المعاش والمعاد من جهة أخرى.
- يعني بمقاصد البلاء في القرآن الكريم: الغايات والحكم التي يدور حولها اختبار أحوال الناس في تلقي التكاليف، وأنواع النعم، والنقم.
- يستنتج أنَّ بين البلاء والابتلاء عموماً وخصوصاً، فالبلاء أعمُّ من الابتلاء، والابتلاء أخصُّ منه؛ إذ فيه زيادة مشقة وكلفة، وكلاهما يكون في الخير والشرّ معاً، من غير فرق بين فعليهما.
- يستنتج أنَّ البلاء يظهر حال البشر، ومدى تطبيقهم للتکاليف والنواهي، وتنجلي به نياتهم في سرعة الاستجابة لله، وللرسول ﷺ، ويختلف ذلك من شخص لآخر، حسب قوة الإيمان في القلب، وحسب إدراك المعاني والحكم للبلاء في الخير والشرّ.
- يستنتج أنَّ المقصود الرئيسي من البلاء؛ استخراج ما عند المبتلى من معانٍ



العبدية لله وحده، وتعرّف حاله في الطّاعة والمعصية؛ بتحميله الضّيق، والمشقة، والألم.

- يستنتج أنَّ من مقاصد إصابة الإنسان بالبلاء؛ يكون:
  ١. لإفراد المبتلى من بيده الأمر بالطّاعة قولًا، وفعلاً، واعتقادًا.
  ٢. لإظهار المبتلى الحاجة إلى الله وحده لتدبير أمره.
  ٣. لاعتراف المبتلى بقدرة الله في قضاء حوائجه وكشف كرباته؛ بحيث يتوجه إليه وحده بالدُّعاء.
  ٤. لتحمل المبتلى التكاليف التشريعية الشّاقة من الأوامر والنواهي والضّيق، والآلام.
  ٥. لإظهار المبتلى تسليمه الكلّي لقضاء الله، وأحكامه الشرعية من غير شكٍ في حكمها، ولا منازعة في أحكامها.
  ٦. لإقرار المبتلى بنعمة الله وهدايته، واستعمال جميع نعمه فيما يرضيه تعالى.
  ٧. لرجوع المبتلى إلى طاعة الله تعالى، والانتهاء عن المعاصي.
  ٨. لاعتراف المبتلى أنَّ ما يصيبه من المصائب هو من تمام رحمة الله عليه؛ حتى يستيقظ من غفلته.
  ٩. لتمحیص المبتلى، وبيان حد المفاصلة بينه وبين أهل الكفر، إن كان من أهل الإيمان.
  ١٠. لتنبيه المبتلى أنَّ الله قد يمدُّ الفاسق بالنّعم، وإنسأه الشّكر عليها؛ ليبلغ أقصى مراتب العقوبة وال العذاب.



١١. لتهذيد المبتلى بأنَّ الله يفزع الأنفس بأنواع المصائب في الحياة الدنيا، وبسوء العاقبة يوم القيمة في حال إصرارها على الذُّنوب.

١٢. لإنذار المبتلى أنَّ ما يلقاه الإنسان في الدنيا من الأحزان، والمصائب، والعقوبات الشرعية، وما يلقاه في الآخرة من عذاب أليم؛ جزاء عن سوء أفعاله.

### ◆ ثانياً: أهم التوصيات:

١. يوصي الباحث بعُقُد مؤتمرات علمية عن مقاصد البلاء في ضوء الوحيين، وأثرها في حياة الفرد والمجتمع.

٢. يوصي الباحث بإدراج موضوع مقاصد البلاء ضمن مفردات أحد مقررات الثقافة الإسلامية على سبيل المثال.

٣. يوصي الباحث المجالات العلمية العالمية الممحَّكة بإفراد عدد خاص عن مقاصد البلاء في القرآن والسنّة.

سائين الله ﷺ أن يعرِّفنا مقاصد ابتلاءاتنا، وأن يعيننا على حسن التعامل معها، وأن يرفعنا بها درجات في دنيانا وأخرانا.

تمَّت الدراسة والله الحمد والمنة، اللهم هذا الجهد، وعليك التكلان، وصلَّى الله وسلَّمَ على نبِيِّنا محمدَ، وعلى آله وصحبه. والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾١٨٠ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾١٨١ وَلَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

[الصفات: ١٨٠ - ١٨٢]





## ثَبَتُ الْمَصَادِرُ وَالْمَارِجِعُ

- **«أحكام القرآن».** الرازى، أبو بكر، تحقيق: محمد صادق القمحاوى، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربى، ١٤٠٥ هـ.
- **«إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم».** العمادى محمد، أبو السعود، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربى، د.ت.
- **«أسباب نزول القرآن».** الوادى، أبو الحسن علي، تحقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، الدمام: دار الإصلاح، ط٢، ١٩٩٢.
- **«أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن».** الشنقيطي، محمد الأمين. (د. ط)، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥ م.
- **«أنوار التنزيل وأسرار التأويل».** البيضاوى، ناصر الدين، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلى، (ط١)، بيروت: دار إحياء التراث العربى، ١٤١٨ هـ.
- **«البحر المحيط في التفسير».** أبو حيان الأندلسى، محمد بن يوسف، تحقيق: صدقى محمد جميل، (د.ط)، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠ هـ.
- **«البحر المديد في تفسير القرآن المجيد».** ابن عجيبة، أبو العباس، تحقيق: أحمد عبدالله القرشى، (د.ط)، د.ن، ١٤٢٩ هـ.
- **«تأویلات أهل السُّنَّة».** الماتريدي، أبو منصور. تحقيق: مجدي باسلوم، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥ م.
- **«التحرير والتنوير».** ابن عاشور، الطَّاهِر. (د. ط)، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م.
- **«تفسير التستري».** التستري، أبو محمد، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣ هـ.
- **«تفسير الراغب الأصفهانى».** الراغب الأصفهانى، أبو القاسم، تحقيق: عادل بن علي الشدّى، (ط١)، الرياض: دار الوطن، ٢٠٠٣ م.



- ١٢ - «تفسير القرآن الحكيم». رشيد رضا، محمد. (د. ط)، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
- ١٣ - «تفسير القرآن العظيم». ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. (ط٢)، لبنان: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩ م.
- ١٤ - «تفسير المراغي». المراغي، أحمد بن مصطفى، (ط١)، مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٤٦ م.
- ١٥ - «جامع البيان عن تأويل آي القرآن». الطبرى، محمد بن جرير. (ط١)، الجيزه: دار الهجر، ٢٠٠١ م.
- ١٦ - «الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل». الترمذى، محمد بن عيسى بن سورة. (ط٢)، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٥ م.
- ١٧ - «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه». البخارى، محمد بن إسماعيل. (ط٢)، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢ م.
- ١٨ - «الجامع لأحكام القرآن». القرطبي، أبو عبدالله. تحقيق: أحمد البردونى وإبراهيم أطفيش، (ط٢)، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤ م.
- ١٩ - «زاد المسير في علم التفسير». ابن الجوزي، أبو الفرج، تحقيق: عبد الرزاق المهدى، (ط١)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢ هـ.
- ٢٠ - «زاد المعاد في هدي خير العباد». ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ط٢٧)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤ م.
- ٢١ - «زهرة التفاسير». أبو زهرة، محمد بن أحمد، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الدمام: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.
- ٢٢ - «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها». الألبانى، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين. (ط١)، الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٩٥ م.
- ٢٣ - «سنن ابن ماجه». ابن ماجه، أبو عبدالله، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، (ط١)، بيروت: دار الرسالة، ٢٠٠٩ م.



- ٢٤ - «سنن أبي داود». أبو داود، سليمان بن الأشعث. (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠ م.
- ٢٥ - «السنن الكبرى». البهقي، أحمد بن الحسين، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، (ط٣)، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣ م.
- ٢٦ - «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية». الجوهرى، أبو نصر إسماعيل، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٧.
- ٢٧ - «صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان». ابن حبان، أبو حاتم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (ط٢)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣ م.
- ٢٨ - «العبودية». ابن تيمية، تقي الدين، (ط١)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧ م.
- ٢٩ - «عون المعبد شرح سنن أبي داود». العظيم آبادى، الصديقى، (ط٢)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥).
- ٣٠ - «غريب القرآن لابن قتيبة». ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله، تحقيق: سعيد اللحام، (د.ط)، د.ت.
- ٣١ - «الفتاوى الكبرى». ابن تيمية، تقي الدين، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧ م.
- ٣٢ - «فتح الباري شرح صحيح البخاري». العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، (د.ط)، بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٩.
- ٣٣ - «فتح القدير». الشوكاني، محمد بن علي، (ط١)، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٤ هـ.
- ٣٤ - «الفرقون اللغوية». العسكري، أبو هلال، (د.ط)، القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، د.ت.
- ٣٥ - «الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبة الموضحة للكلام القرآنية والحكم الفرقانية». النسخجوابي، نعمة الله بن محمود، (ط١)، مصر: دار ركابي للنشر، ١٩٩٩ م.
- ٣٦ - «قواعد الأحكام في مصالح الأئم». ابن عبدالسلام، عز الدين، تحقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، د.ط، ١٩٩١.
- ٣٧ - «كتاب العين». الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (د.ط)، بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت.



- ٣٨ - «الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأفوايل في وجوه التأويل». الزمخشري، محمود بن عمر، (ط٣)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ.
- ٣٩ - «الكشف والبيان عن تفسير القرآن». الشعبي، أبو إسحاق، تحقيق: محمد بن عاشور، (ط١)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢ م.
- ٤٠ - «الباب التأويلي في معاني التنزيل». الخازن، علاء الدين، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ.
- ٤١ - «اللباب في علوم الكتاب». النعماني، أبو حفص سراج الدين، تحقيق: عادل أحمد عبدال موجود وعلي محمد مغوض، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ م.
- ٤٢ - «لسان العرب». ابن منظور، محمد بن مكرم. (ط٣)، بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ.
- ٤٣ - «مجاز القرآن». معمر بن المثنى، أبو عبيدة. تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، (ط٢)، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٦٢ م.
- ٤٤ - «المحكم والمحيط الأعظم». المرسي، أبو الحسن، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠.
- ٤٥ - «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين». ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ط٣)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٦ م.
- ٤٦ - «مدارك التنزيل وحقائق التأويل». النسفي، أبو البركات، (ط١)، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٩٩٨ م.
- ٤٧ - «المستدرك على الصحيحين». الحاكم، أبو عبدالله. (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠ م.
- ٤٨ - «مسند الإمام أحمد بن حنبل». أحمد، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرين، (ط١)، ٢٠٠١ م.
- ٤٩ - «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ». مسلم، أبو الحسن. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.
- ٥٠ - «المصنف». الصنعاني، أبو بكر عبدالرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، (ط٢)، كراتشي باكستان: المجلس العلمي، ١٩٨٣ م.



- ٥١ - «معالم التنزيل في تفسير القرآن». البغوي، أبو محمد الحسين، تحقيق: عبدالرزاق المهدى، (ط١)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.
- ٥٢ - «معاني القرآن وإعرابه». الزجاج، أبو إسحاق. تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي. (ط١)، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨ م.
- ٥٣ - «المعجم الكبير». الطبراني، سليمان بن أحمد. تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، (ط٢)، الرياض: دار الصميمى، ١٩٩٤ م.
- ٥٤ - «معجم اللغة العربية المعاصرة». مختار، أحمد، (ط١)، بيروت: عالم الكتب، ٢٠٠٨ م.
- ٥٥ - «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم». عبدالباقي، محمد فواد، (د.ط)، مصر: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٤٥ م.
- ٥٦ - «معجم مقاييس اللغة». ابن فارس، أبو الحسين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (د.ط)، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩ م.
- ٥٧ - «مفآتيح الغيب». الرازي، أبو عبدالله. (ط٣)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.
- ٥٨ - «مفردات في غريب القرآن». راغب الأصفهاني، أبو القاسم. (ط١)، بيروت: دار القلم، ١٩٩٢ م.
- ٥٩ - «مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها». عاشور، وصفي أبو زيد، الهند: مجلة وحدة الأمة، العدد التاسع، ديسمبر ٢٠١٧.
- ٦٠ - «المقصد الأسمى في شرح معاني أسماء الله الحسنى». الغزالى، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، تحقيق: بسام عبدالوهاب الجابي، (ط١)، قبرص: الجفان والجابي، ١٩٨٧ م.
- ٦١ - «المنتخب من مسنن عبد بن حميد». عبد بن حميد، أبو محمد، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، (ط١)، القاهرة: مكتبة السنة، ١٩٨٨ م.
- ٦٢ - «الموطأ». مالك، أنس بن مالك، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، (د.ط)، بيروت: المكتبة العلمية، د.ت.
- ٦٣ - «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر». ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن، تحقيق: محمد عبدالكريم كاظم الراضي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٤.
- ٦٤ - «النكت والعيون». الماوردي، أبو الحسن. تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبد الرحيم.



(د. ط)، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.

٦٥ - «النهاية في غريب الحديث والأثر». ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، (د.ط)، بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩ م.

٦٦ - «الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه». القيرواني، أبو محمد مكي، (ط١)، جامعة الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، ٢٠٠٨ م.

٦٧ - «الوجوه والنظائر». العسكري، أبو هلال، تحقيق: محمد عثمان، (ط١)، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٧ م.





## References and Sources

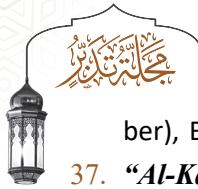
1. «*Ahkamu Al-Quran*». Al-Razi, Abu Bakr, investigated by: Mohammed Sadiq Al-Qamhawi, (no edition number), Beirut: Dar Ihia Atturath Alarabi, 1405 AH.
2. «*Guidance of Sound Mind to the Merits of the Holy Quran*». Al-Emadi Mohammed, Abu Al-Saud, (no edition number), Beirut: Dar Ihia Atturath Alarabi, (without publishing date).
3. «*Asbab Nozol Al-Quran*» Al-Wahidi, Abu Al-Hassan Ali, investigated by: Es-sam bin Abdul Mohsen Al-Humaidan, Dammam: Dar Al-Islah, 2<sup>nd</sup> Edition, 1992.
4. «*Adwau el-Bayan fi Edahu Al-Quran bil-Quran*». Al-Shanqiti, Mohammed Al-Amin. (No edition number), Beirut: Dar Al-Fikr, 1995 AD.
5. «*Anwaru Attanzil wa Asraru Altawil*». Al-Baydawi, Nasser Al-Din, investigated by: Mohammed Abdul Rahman Al-Mara'ashli, (1<sup>st</sup> edition), Beirut: Dar Ihia Atturath Alarabi, 1418 AH.
6. «*Al-Bahru Al-Moheet fi Al-Tafseer*». Abu Hayyan Al-Andalusi, Mohammed bin Yusuf, investigated by: Sidqi Mohammed Jamil, (d. I), Beirut: Dar Al-Fikr, 1420 AH.
7. «*Al-bahrul-Madeed fi Tafseer Al-Quran Al-Majeed*». Ibn Ajiba, Abu al-Abbas, investigated by: Ahmed Abdullah al-Qurashi, (no edition number), no publisher name, 1429 AH.
8. «*Tawilat Ahlu Assunah*». Al-Matridi, Abu Mansour. investigated by: Majdi Basloum, (1<sup>st</sup> edition), Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2005 AD.
9. «*Al-Tahreer wa Al-tanweer*». Ibn Ashour, al-Taher. (No edition number), Tunisia: Tunisian Publishing House, 1984 AD.
10. «*Tafsir Al-Tasri*». Al-Tustari, Abu Mohammed, investigated by: Mohammed Basil Oyoun Al-Soud, (1<sup>st</sup> edition), Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1423 AH.



11. «*Tafsir Al-Raghib Al-Asfahani*». Al-Raghib Al-Asfahani, Abu Al-Qasim, investigated by: Adel bin Ali Al-Shaddi, (1<sup>st</sup> edition), Riyadh: Dar Al-Watan, 2003 AD.
12. «*Tafseer Al-Quran Al-Hakeem*». Rashid Reda, Mohammed. (No edition number), Egypt: The Egyptian General Book Authority, 1990 AD.
13. «*Tafseer Al-Quran Al-Azeem*». Ibn Kathir, Abu Al-Fida Ismail. (2<sup>nd</sup> Edition), Lebanon: Dar Taiba for Publishing and Distribution, 1999 AD.
14. «*Tafsir Al-Maraghi*». Al-Maraghi, Ahmed bin Mustafa, (1<sup>st</sup> edition), Egypt: Mustafa Al-Babi Al-Halabi Bookstore, 1946 AD.
15. «*Jami' al-Bayan an Taweil Ayat Al-Quran*» Al-Tabari, Mohammed bin Jarir. (1<sup>st</sup> edition), Giza: Dar Al-Hijrah, 2001 AD.
16. «*Al-Jameiu Al-Mukhtassar m'n Sunan Arrrasul (PBUH) wa Marifatu Assahih wal Maaloul wa ma Alihi Al-amal*» Al-Tirmizi, Mohammed bin Isa bin Surah. (2<sup>nd</sup> edition), Egypt: Mustafa Al-Babi Al-Halabi Bookstore and Press Company, 1975 AD.
17. «*Al-Jamu Al-Musnad Assahih Al-Mukhtasar m'n Omor Arrasul (PBUH)*». Al-Bukhari, Mohammed bin Ismail. (2nd Edition), Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2002 AD.
18. «*Al-Jamei Li-Ahkam Al-Quran*». Al-Qurtubi, Abu Abdullah. investigated by: Ahmed Al-Baradouni and Ibrahim Atfiesh, (2nd ed.), Cairo: Egyptian Book House, 1964 AD.
19. «*Zadul-Massir fi Elm Attafseer*». Ibnul Jawzi, Abu al-Faraj, investigated by: Abd al-Razzaq al-Mahdi, (1<sup>st</sup> edition), Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1422 AH.
20. «*Zadu el-Maad fi Hadi Khairu el-Ebad*». Ibn Qayyim al-Jawziyya, Mohammed ibn Abi Bakr, (27<sup>th</sup> edition), Beirut: Al-Risala Foundation, 1994 AD.
21. «*Zahratu a-T'tafaseer*» Abu Zahra, Mohammed bin Ahmed, investigated by: Essam bin Abdul Mohsen Al-Humaidan, Dammam: Dar Al-Fikr Al-Arabi, d.T., d.T.
22. «*Series of Authentic Hadiths with Certain of their Jurisprudence and Benefits*». Al-Albani, Abu Abd al-Rahman Mohammed Nasir al-Din. (1<sup>st</sup> Edition), Riyadh: Knowledge Bookstore, 1995 AD.
23. «*Sunan Ibn Majah*». Ibn Majah, Abu Abdullah, investigated by: Shuaib Al-Arnaout et al, (1<sup>st</sup> Edition), Beirut: Dar Al-Resala, 2009 AD.



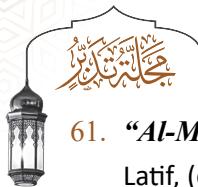
24. **“Sunan Abi Dawood”**. Abu Dawood, Suleiman bin Al-Ashaat. (1<sup>st</sup> edition), Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1990 AD.
25. **“Al-Sunan Al-Kubra”**. Al-Bayhaqi, Ahmed bin Al-Hussein, investigated by: Mohammed Abdul-Qadir Atta, (3<sup>rd</sup> Edition), Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 2003 AD.
26. **“As’sehah Tajul’lughah wa Sehah Alarabiah”**. Al-Gohari, Abu Nasr Ismail, investigated by: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Beirut: Dar Al-Ilm Lilmalaein, 4<sup>th</sup> edition, 1987.
27. **“Sahih Ibn Hibban, by Ibn Balban”**. Ibn Hibban, Abu Hatim, investigated by: Shuaib Al-Arnaout, (2<sup>nd</sup> Edition), Beirut: Al-Resala Foundation, 1993 AD.
28. **“Al-Obodyyah.”** Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din, (1<sup>st</sup> Edition), Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1987 AD.
29. **“Awn al-Mabood Sharh Sunan Abi Dawood”**. Al-Azim Abadi, Al-Siddiqi, (2<sup>nd</sup> Edition), Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1415 AH.
30. **“Gharib Al-Qur’an li Ibn Qutayba.”** Ibn Qutaiba, Abu Mohammed Abdul-lah, investigated by: Saeed Al-Lahham, (no edition number), without publishing date.
31. **«Al-Fatawa Al-Kobra»**. Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din, (1<sup>st</sup> Edition), Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1987 AD.
32. **«Fatah Al-Qadeer»**. Al-Shawkani, Mohammed bin Ali, (1<sup>st</sup> Edition), Beirut: Dar Al-Kalim Al-Tayyib, 1414 AH.
33. **«Al-Forouq Allughawiyah»**. Al-Askari, Abu Hilal, (No edition number), Cairo: House of Science and Culture for Publishing and Distribution, without publishing date.
34. **“Al-fotouh Al\_elahyyah wa al-Mafatih Al-Ghaybiyyah Al-Moddihah Lil-kalim Al-Quraaniyah wal Al-Hikam Al-Forqaniyyah”**. Al-Nakhjawaní, Ni-matu’llah bin Mahmoud, (1<sup>st</sup> Edition), Egypt: Rakabi Publishing House, 1999 AD.
35. **“Qawa'idul-Ahkam fi Masaleh Al-Anam”**. Ibn Abd al-Salam, Izz al-Din, investigated by: Essam Ibn Abd al-Muhsin al-Humaidan, Cairo: Al-Azhar Colleges Library, d.T, 1991.
36. **“Kitab Al-Ain”**. Al-Farahidi, Abu Abdul Rahman Al-Khalil bin Ahmed, investigated by: Mahdi Al-Makhzoumi, Ibrahim Al-Samarrai, (No edition num-



- ber), Beirut: Al-Hilal Library and Library, without publishing date.
37. **“Al-Ka’shafa a’n Haqiu e’Tanzeel wa Ayoun Al-Aqaveel fi Wojoh Al-Taweel”**. Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Omar, (3<sup>rd</sup> Edition), Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1407 AH.
38. **«Al-Kashf wal Bayan a’n Tafseer al-Quran»**. Al-Thalabi, Abu Ishaq, investigated by: Mohammed bin Ashour, (1st edition), Beirut: Dar Ihia Atturath Alarabi, 2002 AD.
39. **“Lobab A’ttawil fi Maani At’tanzil”**. Al-Khazen, Aladdin, (1<sup>st</sup> Edition), Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1415 AH.
40. **“Al-Lobab fi Oluum Al-Kitab”**, Al-Noamani, Abu Hafs Siraj Al-Din, investigated by: Adel Ahmed Abdel Mawgoed and Ali Mohammed Moawad, (1st edition), Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1998 AD.
41. **“Lisan Al-Arab”**. Ibn Manzur, Mohammed bin Makram. (3rd Edition), Beirut: Dar Sader, 1414 AH.
42. **“Majazul Quran”**. Muammar bin Al-Muthanna, Abu Obeida. investigated by: Abdel Fattah Abu Ghadda, (2nd Edition), Cairo: Al-Khanji Library, 1962.
43. **“Al-Mohkam wal Moheet al-Azam”** Al-Mursi, Abu Al-Hassan, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmia, 1, 2000.
44. **“Madaraj Assalikeen baina Manazil Iyyaka Nabodu wa Iyyaka Nastaeen”**. Ibn Qayyim al-Jawziyya, Mohammed ibn Abi Bakr, (third edition), Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1996 AD.
45. **«Madarik Al-Tanzil wa Haqaiqu Al-Taweel”**. Al-Nasafi, Abu Al-Barakat, (1st ed.), Beirut: Dar Al-Kalam Al-Tayyib, 1998 AD. No edition number
46. **“Al-Mostadrak al-Assahihain”**. Al-Hakim, Abu Abdullah. (1<sup>st</sup> edition), Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1990 AD.
47. **“Musnad al-Imam Ahmad bin Hanbal”**. Ahmed, Abu Abdullah Ahmed bin Mohammed bin Hanbal. investigated by: Shuaib Al-Arnaout, Adel Murshid, et al (1<sup>st</sup> edition), 2001 AD.
48. **“Al-Mosnad Al-Sahihi Al-Mokhtasar Bi’Naql Al-Adl a’n Al-Adl ela Ar-rasoul (PBUH)”**. Muslim, Abul-Hasan. investigated by: Mohammed Fouad Abdel-Baqi, (No edition number), Beirut: Dar Ihia Atturath Al-Arabi, without publishing date.



49. **“Al-Mosannaf”**. Al-San’ani, Abu Bakr Abdul-Razzaq, investigated by: Habib Al-Rahman Al-Azami, (2nd edition), Karachi, Pakistan: The Academic Board, 1983 AD.
50. **“Maalimu Tanzil fi Tafseer al-Quran”**. Al-Baghawi, Abu Mohammed Al-Hussein, investigated by: Abdul Razzaq Al-Mahdi, (1st edition), Beirut: Dar Ihia Atturath Alarabi, 1420 AH.
51. **“Maani Al-Quran wa Eaboh”**. Al-Zaggag, Abu Is’haq. investigated by: Abdel-Jalil Abdo Shalaby. (1<sup>st</sup> edition), Beirut: Alam Al-Kutub, 1988 AD.
52. **“Al-Mojamu Al-Kabeer”**. Al-Tabarani, Suleiman bin Ahmed. investigated by: Hamdi bin Abdul Majeed Al-Salafi, (2<sup>nd</sup> Edition), Riyadh: Dar Al-Sumaei, 1994 AD.
53. **“Mojam Al-Lughah al-Arabiyyah Al-Moasirah”**. Mokhtar, Ahmed, (1<sup>st</sup> Edition), Beirut: Alam Al-Kutub, 2008.
54. **“Al-Mojam Al-Mofahras Lalfaz Al-Quran Al-Kareem”**. Abdel-Baqi, Mohammed Fouad, (No edition number), Egypt: The Egyptian House of Books Press, 1945 AD.
55. **“Mujam Maqaeis Al-Lughah”**. Ibn Faris, Abu Al-Hussein, investigated by: Abdel Salam Mohammed Haroun, (No edition number), Beirut: Dar Al-Fikr, 1979 AD.
56. **“Mafatihu el-Ghaib”**. Al-Razi, Abu Abdullah. (3<sup>rd</sup> Edition), Beirut: Dar Ihia Atturath Al-Arabi, 1420 AH.
57. **“Mofradat fi Gharibul Quran”**. Ragheb Al-Asfahani, Abu Al-Qasim. (1<sup>st</sup> edition.), Beirut: Dar Al-Qalam, 1992 AD.
58. **“The Objectives of Islamic Sharia and its Merits.”** Ashour, Wasfi Abu Zaid, India: The Nation Unity Magazine, Issue No. 9, December 2017.
59. **“The Most High Purpose in Explaining the Meanings of Allah’s Most Beautiful Names”**. Al-Ghazali, Abu Hamid Mohammed bin Mohammed Al-Tusi, investigated by: Bassam Abdel-Wahhab Al-Jabi, (1<sup>st</sup> Edition), Cyprus: Al-Jafan and Al-Jabi, 1987 AD.
60. **“Al-Montakhab m’n Musnad Abd ibn Hamid»**. Abd bin Hamid, Abu Mohammed, investigated by: Subhi Al-Badri Al-Samarrai, Mahmoud Mohammed Khalil Al-Saidi, (1<sup>st</sup> edition), Cairo: Maktabat Al-Sunna, 1988 AD.



61. **“Al-Muwatta”.** *Malik, Anas bin Malik*, investigated by: Abdel Wahab Abdel Latif, (d.), Beirut: The Scientific Library, d.T.
62. **“Nozhat Al-Oyoun Al-Nawazir fi Elm Alwojoh wan-Nawazir”.** *Ibn al-Jawzi*, Abu al-Faraj Abdurrahman, investigated by: Mohammed Abd al-Karim Kazem al-Radi, Beirut: Al-Resala Foundation, 1<sup>st</sup> edition, 1984.
63. **“Al-Nokat wal-Oyoun”.** Al-Mawardi, Abul-Hasan. investigated by: Al-Sayyid bin Abdul-Maqsoud bin Abdul-Rahim. (No edition number), Beirut: Dar Al-Kotub al-Elmiyah,
64. **“The End in Strange Hadith and Impact”.** Ibn al-Atheer, Majd al-Din Abu al-Saadat, investigated by: Taher Ahmad al-Zawi - Mahmoud Mohammed al-Tanahi, (No edition number), Beirut: Al-Maktabah El-Elmiyah, 1979. AD
65. **“Al-Hidayah ela Bolough Al-Nihayah fi Elm Maani Al-Quran wa Tasseerih wa Ahkamih wa Jomalon m'n Olomih”.** Al-Qayrawani, Abu Mohammed Makki, (1<sup>st</sup> Edition), University of Sharjah: Al-Kitab and Al-Sunnah Research Group, 2008.
66. **“Al-Wojoh wal Nazair”.** Al-Askari, Abu Hilal, investigated by: Mohammed Othman, (1<sup>st</sup> Edition), Cairo: Religious Culture Library, 2007 AD.







## فهرس المُوْضُعَاتِ

٢٣ .....	المُسْتَخْلَص .....
٢٧ .....	المُقْدِّمة .....
٣٥ .....	الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ: تَعْرِيفُ الْمَقَاصِدِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَتَعْرِيفُ الْبَلَاءِ وَمَوَاطِنِهِ وَرُوْدُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .....
٣٦ .....	الْمَطْلُبُ الْأَوَّلُ: تَعْرِيفُ الْمَقَاصِدِ الْقُرْآنِيَّةِ .....
٣٩ .....	الْمَطْلُبُ الثَّانِي: تَعْرِيفُ الْبَلَاءِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .....
٤٠ .....	الْمَطْلُبُ الثَّالِثُ: مَفْهُومُ مَقَاصِدِ الْبَلَاءِ فِي ضُوءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .....
٤١ .....	الْمَطْلُبُ الرَّابِعُ: الْأَلْفَاظُ ذَاتُ الْصِّلَةِ بِالْبَلَاءِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .....
٤١ .....	أَوَّلًا: الْبَلَاءُ بِالْخَيْرِ .....
٤٣ .....	ثَانِيًّا: الْبَلَاءُ بِالشَّرِّ .....
٤٧ .....	الْمَطْلُبُ الْخَامِسُ: الْفَرْقُ بَيْنَ ابْتِلَاءِ الرَّحْمَةِ وَابْتِلَاءِ الْعَقُوبَةِ .....
٤٩ .....	الْمَطْلُبُ السَّادِسُ: اسْتِقْدَامُ مَادَةِ «بَلَا» وَتَصْرِيفَاتِهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .....
٥٠ .....	الْمَطْلُبُ السَّابِعُ: رَسْوَمَاتُ بِيَانِيَّةٍ تَبَيَّنُ الصِّيَغَ التَّصْرِيفِيَّةَ لِمَادَةِ «بَلَا» فِي سُورَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .....
٥٥ .....	الْمَطْلُبُ الثَّامِنُ: تَحْلِيلُ نَتَائِجِ الرُّسُومَاتِ الْبِيَانِيَّةِ .....



المبحث الثاني: مقاصد البلاء في القرآن الكريم .....	٦٣
المطلب الأول: البلاء بمقصد تحقيق العبادة لله وحده .....	٦٥
المطلب الثاني: البلاء بمقصد استخراج التوكل .....	٧٠
المطلب الثالث: البلاء بمقصد استخراج الدُّعاء .....	٧٤
المطلب الرابع: البلاء بمقصد استخراج الصَّبر .....	٨٢
المطلب الخامس: البلاء بمقصد استخراج الرُّضا .....	٨٧
المطلب السادس: البلاء بمقصد استخراج الشُّكْر .....	٩٣
المطلب السابع: البلاء بمقصد استخراج التَّوْبَة .....	٩٩
المطلب الثامن: البلاء بمقصد الرَّحْمَة .....	١٠٣
المطلب التاسع: البلاء بمقصد التَّمْحِيص .....	١١٣
المطلب العاشر: البلاء بمقصد الاستدراج .....	١١٩
المطلب الحادي عشر: البلاء بمقصد التَّخْوِيف .....	١٢٥
المطلب الثاني عشر: البلاء بمقصد العقوبة .....	١٣٠
الخاتمة .....	١٣٧
ثبات المصادر والمراجع .....	١٤٠
رومنة المصادر والمراجع .....	١٤٦
فهرس الموضوعات .....	١٥٢





الضيافة مشروعيتها، وآدابها، وحكمها  
في ضوء القرآن الكريم



د. سلطان بن عبد الله الجبرو

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه  
في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

قدم للنشر في: ١٤٤٢/٥/١  
قبل للنشر في: ١٤٤٢/٦/١٤  
نشر في: ١٤٤٣/٧/١

- ◆ حصل على درجة الماجستير في القرآن وعلومه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وعنوانها (أقوال الحافظ ابن حجر في التفسير في فتح الباري - جمعاً ودراسة -).
- ◆ حصل على درجة الدكتوراة في القرآن وعلومه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وعنوانها: (أقوال القاضي عياض في التفسير - جمعاً ودراسة -).

◆ النتاج العلمي:

- ١- بحث بعنوان: (الاستشفاء بالقرآن الكريم)
- ٢- بحث بعنوان: (قصة إبراهيم ﷺ مع أبيه في القرآن الكريم في ضوء سورة مريم)
- ٣- بحث بعنوان: (فضائل الآيات القرآنية في ضوء السنة النبوية).

◆ البريد الشبكي: [soltan.a.g@gmail.com](mailto:soltan.a.g@gmail.com)





## المُسْتَخَلَصُ

بَيْنَ الْإِسْلَامِ مِنْ خَلَالِ الْقُرْآنِ وَالسُّنْنَةِ الصَّحِيحةِ كَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ  
حَالُ الْمُسْلِمِ فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ، وَفِي سَلَامِهِ وَاسْتِئْذَانِهِ، وَفِي مَجَالِسِهِ وَحَدِيثِهِ، وَفِي  
جَدِّهِ وَمَزَاحِهِ، وَفِي قِيَامِهِ وَجُلوْسِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَدَابِ الَّتِي لَا حَصْرَ لَهَا.

**وَالْأَدَبُ أَنْوَاعٌ:** أَدَبٌ مَعَ اللَّهِ، وَأَدَبٌ مَعَ رَسُولِهِ ﷺ وَشَرِيعَتِهِ، وَأَدَبٌ مَعَ الْخَلْقِ،  
وَأَدَبٌ مَعَ النَّفْسِ، وَبَحَثْنَا هَذَا عَنْ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ أَدَبِ الْإِنْسَانِ مَعَ الْخَلْقِ وَهُوَ «أَدَبُ  
الضِيَافَةِ».

وَسَبَبَ اخْتِيَارُنَا لِهَذَا الْمَوْضِعِ هُوَ الرَّغْبَةُ فِي خَدْمَةِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، بِبَيَانِ  
آدَابِ الضِيَافَةِ الْوَارِدَةِ فِيهِ، وَلِحَاجَتِنَا إِلَى مَعْرِفَةِ أَحْكَامِ الضِيَافَةِ، وَآدَابِهَا؛ لِأَنَّهَا مِنَ  
الْأَخْلَاقِ النَّبِيَّةِ وَالْقِيمِ الْمُحْمُودَةِ.

وَبَيَّنَّا فِي هَذَا الْبَحْثِ أَنَّ الضِيَافَةَ: اسْمٌ لِإِكْرَامِ الضِيَافَةِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ. وَقَدْ  
وَرَدَ فِي مَشْرُوعِيَّةِ الضِيَافَةِ وَفَضْلِهَا نَصْوَاتٌ عَدَدُوا، مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ، كَمَا جَاءَ عَنْ  
سَلْفِ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالْتَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَحْوَالِ مَا يَبْيَّنُ فَضْلَ هَذَا  
الْخُلُقِ الْجَمِيلِ.

كَمَا أَشَرْنَا إِلَى أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ آدَابٌ عَدَدٌ لِلضِيَافَةِ -وَهَذَا مَقْصِدُ  
الْبَحْثِ- كَمَشْرُوعِيَّةِ السَّلَامِ قَبْلِ الْكَلَامِ عِنْدِ الدُّخُولِ لِلضِيَافَةِ، وَأَنَّ يَكُونَ رَدُّ التَّحْيَةِ  
بِأَفْضَلِ وَأَبْلَغِ مِنِ الْابْتِدَاءِ مَعَ حَسْنِ مَخَاتِبَةِ الضِيَافَةِ، وَالتَّلَطُّفِ فِي الْحَدِيثِ مَعَهُ،



مع الاستعجال بالضيافة للضيف، وأن يكون الإنسان مستعداً لإكرام الضيف في كل وقت، وأن يخدم الضيف بنفسه، وأن يحضر الإنسان لضيوفه أطيب ما عنده.. وغيرها من الآداب، وهناك آداب أخرى دلت عليها السنة النبوية.

كما ذكرنا أن الضيافة فيما زاد على ثلاثة أيام صدقة من الصدقات، وأما في الأيام الثلاثة فاختلاف أهل العلم على أقوال، والراجح -والله أعلم- أن ضيافة المسافر المجتاز -لا المقيم- واجبة، وأن جوبها على أهل القرى والأماكن دون تفريق؛ لقوة ما استدلوا به.

هذا، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسلیماً كثیراً، والحمد لله رب العالمين.

### الكلمات المفتاحية:

الضيافة، آداب، القرآن، السنة، الأخلاق.





# Hospitality: Legitimacy, Rules of Etiquette, and Ruling in the light of the Holy Quran

prepared by

**Dr. Sultan bin Abdullah Al-Garbou'**

Assistant Professor at the Department of Quran and its Sciences, the College of Sharia and Islamic Studies, Qassim University

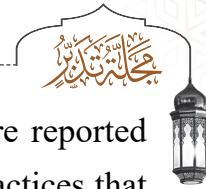
## Abstract

Islam clarifies, through the Holy Quran and the authentic Sunnah, how a Muslim should behave in his daily routines, including eating and drinking, greeting, asking permission (to enter someone else's house), socializing with others, speaking, jesting and seriousness and all other countless rules of etiquette.

Rules of etiquette can be divided into rules of etiquette concerning Allah, rules of etiquette concerning the Prophet, rules of etiquette concerning Sharia, rules of etiquette concerning people, and rules of etiquette concerning oneself. The topic of this paper is about rules of etiquette concerning people, namely the etiquette of hospitality.

The reason why we choose this topic is that we have a desire to serve the Book of Allah, the Almighty, by highlighting the etiquette of hospitality contained therein and need to learn about the rulings and etiquette of hospitality. Because hospitality is one of the good manners and laudable values.

We have explained in this paper that hospitality means entertaining and treating a guest kindly. Numerous texts from the Quran and the Sunnah confirm the legitimacy and virtue of hospital-



ity. Moreover, the Companions, Followers and others are reported to have made meaningful statements and had habitual practices that cast more light on the virtue of this good manner.

We also point out that a number of the rules of etiquette on hospitality are reflected in the Quran- the purpose of the paper –, and they include the following: that one should extend the greeting before speaking when the guest is let in; that the greeting is to be returned in a better and more expressive way; that one should talk to the guest in a friendly and polite manner; that one should entertain the guest as quickly as possible; that one should be ready to entertain the guest at any time; that one himself should serve the guest; that one should bring the best stuff he has for the guest. There are other rules of etiquette clarified by the Prophetic Sunnah.

We also state that hospitality that lasts for more than three days is a kind of charity. As for the three-day hospitality, scholars differ on it. However, the most correct view is that giving hospitality to a transiting traveler, not the expatriate is obligatory for the inhabitants of villages and cities alike. This ruling is based on rigorous reasoning.

### **Keywords:**

*Hospitality-etiquette-the Quran-the Sunnah-manners*





## المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ رُوْحِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضْلِلٌ لَّهُ، وَمَنْ يَضْلِلُ اللَّهُ هُوَ لَا يَهْدِي، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِذَا مَأْمُوا أَتَقْوُا اللَّهَ حَقَّ نِعَمِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنَّمُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا بَرُّكُوْلَذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفِيسٍ وَجِدَّهُ وَحَقَّ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَقْوُا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ حَقِيقِيَا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِذَا مَأْمُوا أَتَقْوُا اللَّهَ وَقُولُوا قَلْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٦] يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيْمًا﴾ [الأحزاب: ٧١ - ٧٣].

أَمَّا بَعْدَ<sup>(١)</sup>:

فقد قال الله تعالى: ﴿وَرَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِيْنَ﴾ [النحل: ٨٩].

(١) هذه خطبة تُسمى عند العلماء خطبة الحاجة، وكان رسول الله ﷺ يبدأ بها خطبه، ويعلمها أصحابه. رواها أبو داود في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح (ح ٢١١٨)، والترمذمي في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح (ح ١١٥)، وغيرهما. وصححها الألباني في صحيح أبي داود (ح ١٨٦٠)، وقد أفردها الشيخ الألباني في رسالة خاصة باسم خطبة الحاجة فجمع ألفاظها، وطرقها، وبيّن من خرجها.



وقال ﷺ: (إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلّٰٓئِي هٰٓيْ أَقْوَمُ وَيُشَرِّعُ الْمُؤْمِنِيْنَ الَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ الْصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كِبِيرًا) [الإِسْرَاءٌ: ٩].

#### ◆ أ- موضوع البحث، وأهميته:

القرآن الكريم تبیانٌ وبيانٌ تامٌّ لكلٌّ ما يحتاجه الإنسان في مسیرته في الحياة الدنيا؛ من عقيدةٍ صحيحةٍ، وسلوكٍ قويمٍ، وشريعةٍ مُحْكَمٍ، فلا حجَّةٌ بعده لمحتجٍ، ولا عذر لمعتذر، فلا عقيدة أو سلوك أو شريعة يرضاها الله إِلَّا ما جاء فيه، ولا صلاح للفرد والجماعة إِلَّا بالتمسك بما جاء فيه.

لقد بَيَّنَ الإِسْلَامُ مِنْ خَلَالِ الْقُرْءَانِ الْكَرِيمِ، وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحةِ كِيفَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ حَالُ الْمُسْلِمِ فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ، وَفِي سَلَامِهِ وَاستِئْذَانِهِ، وَفِي مَجَالِسِهِ وَحَدِيثِهِ، وَفِي جِدِّهِ وَمَزَاحِهِ، وَفِي تَهْنِيَّتِهِ وَتَعْزِيَّتِهِ، وَفِي عَطَاسِهِ وَتَثَاؤِبِهِ، وَفِي قِيَامِهِ وَجُلوْسِهِ، وَفِي حَلَّهِ وَتَرْحَالِهِ، وَنَوْمِهِ وَقِيَامِهِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآدَابِ الَّتِي لَا حُصْرٌ لَهَا.

إِنَّ هَذِهِ الْآدَابِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الشَّرِيعَةُ هِيَ مِنْ جُوَانِبِ عَظَمَةِ هَذَا الدِّينِ لِتَقْوِيمِ حَيَاةِ النَّاسِ وَتَمْيِيزِ الْمُسْلِمِيْنَ عَنْ غَيْرِهِمْ؛ لِيُظَهِّرَ سُمْوَ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ وَكَمَالَهَا وَعَظَمَتِهَا، وَالَّذِينَ أَدْبُرُ كُلُّهُ، وَنَحْنُ بِأَمْسِ الحاجَةِ إِلَى التَّمْسِكِ بِالْآدَابِ الشَّرِيعَةِ الَّذِي يَقُودُ إِلَى التَّمْسِكِ بِالدِّينِ كُلِّهِ. وَكَانَ ابْنُ الْمَبَارِكَ يَقُولُ لِأَصْحَابِ الْحَدِيثِ:

«أَنْتُمْ إِلَى قَلِيلٍ مِّنَ الْآدَابِ أَحْوَجُ إِلَى كَثِيرٍ مِّنَ الْعِلْمِ»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه ابن المقرئ في معجمه (ص: ٢٦٨، رقم: ٨٧١). انظر: لباب الآداب لأسامة بن منقذ (١).

.٣٥٦ / ٢ (٢٣١)، ومدارج السالكين لابن القيم (٢).



**والأدب أنواع:** أدب مع الله، وأدب مع رسوله ﷺ وشرعه، وأدب مع الخلق<sup>(١)</sup>، وأدب مع النفس، وبحثنا هذا عن نوع من أنواع أدب الإنسان مع الخلق، وهو: «آداب الضيافة».

**قال ابن القيم -مبينًا الأدب مع الخلق وأهميته-**: «أمّا الأدب مع الخلق فهو معاملتهم -على اختلاف مراتبهم- بما يليق بهم، فلكلّ مرتبة أدب، والمراتب فيها أدب خاص، فمع الوالدين أدبٌ خاصٌ، وللأب منها أدب هو أخصُّ به، ومع العالم أدب آخر، ومع السلطان أدب يليق به، ومع الضّييف أدب غير أدبٍ مع أهله، ولكلّ حالٍ أدب: فللأكل أداب، وللشرب آداب...، وأدب المرأة عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره، فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب...».

**ثم قال عن حقوق الخلق:** «ألا يفترط في القيام بحقوقهم، ولا يستغرق فيها بحيث يشتغل بها عن حقوق الله، أو عن تكميلها، أو عن مصلحة دينه وقلبه»<sup>(٢)</sup>.

وبحيثي هذا ليس لتفصيل كل ما يتعلّق بالضيافة، وإنما هو عن: «الضيافة: مشروعاتها، وأدابها، وحكمها في ضوء القرآن الكريم»، وما يلزم من المباحث المرتبطة بأصل البحث.

## ◆ ب-أسباب اختيار الموضوع:

١- الرغبة في خدمة كتاب الله تعالى، ببيان آداب الضيافة الواردة فيه.

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢/٣٥٦).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢/٣٦٨-٣٧١).



٢- بيان عظمة هذا الدين، وسمو الشريعة وكمالها وشموليتها لجميع مناحي الحياة.

٣- الدعوة إلى التمسك بدین الله الذي جاء لسعادتنا في الدنيا والآخرة، وذلك بالدعوة إلى التمسك بمكارم الأخلاق ومعالي الآداب؛ لأن الدين كله خلق، والتمسك بالأداب الشرعية يقود إلى التمسك بالدين كله.

٤- حاجتنا إلى معرفة أحكام الضيافة، وآدابها؛ لأنها من الأخلاق النبيلة المنتشرة بيننا بفضل الله تعالى، فما من أحد إلا وقد كان -أو يكون- ضيفاً أو مضيفاً.

٥- إظهار محسن الإسلام ببيان عنایته الفائقة بالضيف وإكرامه، حيث جعل الضيافة واجبة على المضيف لمدة يوم وليلة، والكمال ثلاثة أيام.

٦- أن الضيافة من القيم المحمودة، والعادات النبيلة للعرب قبل الإسلام، وجاء الإسلام بإقرارها. كما قالت عائشة رضي الله عنها: «لقد جاء الإسلام وفي العرب بضع وستون خصلة كلها زادها الإسلام شدة، منها: قرئ الضيف، وحسن الجوار، والوفاء بالعهد» <sup>(١)</sup>.

٧- أنها تزيد من تماسك المجتمع وتلامحه، وتنقى الروابط الاجتماعية، وتزيل ما في النفوس من الحزازات.

#### ♦ جـ- الدراسات السابقة :

موضوع الضيافة عموماً من الموضوعات التي تناولتها الكتب التي تعنى بالأداب الشرعية عموماً ضمن أبوابها ومباحثها، مثل: الغزالي أفرد لها باباً في

(١) رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (ص: ٢٦، رقمه: ٣٥).



كتابه (إحياء علوم الدين)<sup>(١)</sup>، والسفاريني في (غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب)<sup>(٢)</sup>، وابن مفلح في (الآداب الشرعية) وغيرهم. وأفردها بعض العلماء بالتأليف خصوصاً، ومما وقفت عليه منه:

١ - (قرى الضيف) لابن أبي الدنيا، وهو: أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي، المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١ هـ)، حقق الكتاب وأخرج أحاديثه: عبدالله بن حمد المنصور، والناشر: أصوات السلف، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، (١٤١٨-١٩٩٧ هـ)، وعدد صفحاته: (٥٤).

يعتبر الكتاب من كتب السنة، خرّج فيه مؤلفه الله الأحاديث والآثار الواردة في قرى الضيف، وبيان فضله، وأول من ضيّف الضيف، وما إلى ذلك، وهو بهذا يختلف عن موضوع البحث تماماً.

٢ - (إكرام الضيف) لإبراهيم الحربي، وهو: أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير البغدادي الحربي من أعلام المحدثين، أصله من مرو، واشتهر وتوفي ببغداد، ونسبته إلى محلة فيها. ولد سنة (١٩٨ هـ)، وتوفي سنة (٢٨٥ هـ)، كان حافظاً للحديث، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام، قيّماً بالأدب، زاهداً، وحقق الكتاب وخرج أحاديثه: أبو عمار عبدالله بن عائض الغرازي، ومراجعة وتقديم: مقبل بن هادي الوادعي، والناشر: مكتبة الصحابة - طنطا، الطبعة الأولى، (١٤٠٧ هـ)، وعدد الصفحات: (٦٠).

(١) انظر: إحياء علوم الدين للغزالى (٢/١٢ وما بعدها)، وفيه: «الباب الرابع: في آداب الضيافة».

(٢) انظر: «غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» للسفاريني (٢/١٤٨ وما بعدها) وفيه: «مطلوب: في آداب الضيافة».



ويعتبر من كتب السنة حيث خرج فيه مؤلفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحاديث في فضل إكرام الضيف، والترهيب من تركه بغیر ضيافة أو إكرام، وذكر فيه الآداب المتعلقة بالضيافة؛ كحكم الضيافة وما إلى ذلك، وبهذا يتبيّن الفرق بينه وبين ما تناوله البحث.

٣- (أحكام الضيافة في الشريعة الإسلامية) لإسماعيل شندي، بحث منشور في مجلة جامعة الخليل للبحوث. المجلد (٣)، العدد (١)، ص (٢٣٧ - ٢٦٦)، عام (٢٠٠٧م). ويدور البحث حول موضوع: (أحكام الضيافة في الشريعة الإسلامية)، وقد انبني من ستة مباحث: الأول في بيان معنى الضيافة. والثاني في فضلها، والثالث في حكمها. والرابع في المخاطب بها، والخامس في بيان ما تشمله. والسادس في آدابها.

ولا يخفى أن البحث عام في أحكام الضيافة في الشريعة الإسلامية، ويختلف عن بحثي الذي هو في (الضيافة: مشروعيتها، آدابها، وحكمها في ضوء القرآن الكريم).

٤- (الضيافة في الإسلام: دراسة فقهية اقتصادية) لعبدالعزيز بن أحمد العليوي، بحث منشور في المجلة العالمية للتسويق الإسلامي، المجلد (٣)، العدد (٣)، ٣١ أغسطس / آب (٢٠١٤م)، ص (١٣٦ - ١٤٤). الناشر: الهيئة العالمية للتسويق الإسلامي، دولة النشر: المملكة المتحدة.

اطلعت على البحث في الشبكة العنكبوتية اطلاعاً عاماً، وواضح من عنوانه أنه تناول الضيافة في الإسلام بدراسة فقهية اقتصادية، وبذلك يختلف عن بحثي اختلافاً واضحاً.



#### ♦ د- خطة البحث:

ستكون خطة البحث من: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وختمة، وفهرس. **المقدمة:** وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

**التمهيد** في تعريف الأدب، والضيافة [و فيه مطلبان]:

**المطلب الأول:** تعريف الأدب لغةً واصطلاحًا.

**المطلب الثاني:** تعريف الضيافة لغةً واصطلاحًا.

**المبحث الأول:** مشروعية الضيافة وفضلها في القرآن الكريم.

**المبحث الثاني:** آداب الضيافة في القرآن الكريم [و فيه مطلبان]:

**المطلب الأول:** آداب المضيف.

**المطلب الثاني:** آداب الضيف.

**المبحث الثالث:** حكم الضيافة في القرآن الكريم.

**الختامة:** وفيها أهم التائج التي توصل إليها البحث.

**والفهرسان:** أحدهما للمصادر والمراجع، والآخر للموضوعات.

#### ♦ ه- منهج البحث:

تمت الكتابة - بحمد الله - في هذا البحث وفق المنهج الآتي:

١- جمع واستقصاء الآيات الواردة في آداب الضيافة في القرآن الكريم.



- ٢- دراسة تلك الآيات من عدة من الجوانب معتمداً على كلام أهل التفسير والعلماء المتقدمين والمتاخرين:
- بيان معنى الضيافة في اللغة والاصطلاح.
  - مشروعية الضيافة، وفضائلها.
  - آداب الضيافة.
  - حكم الضيافة.
- ٣- إفراد الآية - أو الآيات - التي تضمنت أدبًا من آداب الضيافة بشرح مستقل، مرقماً إياته برقم خاص ضمن الأرقام التسلسلية، وقد بلغت تلك الآداب تسعة عشر (١٩) أدبًا: فثلاثة عشر (١٣) منها متعلقة بالمضيف، وستة (٦) منها متعلقة بالضيف.
- ٤- اعتمدت على كلام أهل التفسير وغيرهم من المتقدمين والمتاخرين في دلالة الآية - أو الآيات - على هذا الأدب، مع ذكر بعض الأحاديث والآثار المتعلقة به من باب زيادة التوضيح والبيان.
- ٥- عزو الآيات الواردة في البحث إلى موضعها من القرآن الكريم، مع بيان اسم السورة ورقم الآية داخل المتن.
- ٦- نسخ الآيات الواردة في البحث من مصحف مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة.
- ٧- تخریج الأحاديث الواردة في البحث من كتب السنة المعتمدة، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وإن لم يكن خرجته من كتب السنة الأخرى مع بيان حكم أهل العلم عليه.



٨- توثيق ما أورده من أقوال أهل العلم، بعزوها إلى مصادرها ومظانها.

٩- شرح الكلمات التي قد تحتاج إلى بيان وإيضاح.

وأخيراً، فهذا قدرني، وهذه قدرتي، وهو جهد المقل، وعمل بشري يعتريه النقص والخطأ، والزلل والسهوا، وتخالف فيه وجهات النظر، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله منه، وأنظر تصويب أهل العلم، وأداء النصيحة فيه، سائلاً الله أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يكون هذا العمل حجة لنا لا علينا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسلیمًا كثیراً، والحمد لله رب العالمين.







## التمهيد في تعريف الأدب، والضيافة

### [وفيه مطلبات]

#### ◆ المطلب الأول: تعريف الأدب لغة:

**يُقال:** أدبٌ فتأدب؟ علّمه، وفلان قد استأدب، بمعنى: تأدّب. والأدب: الذي يتأدّب به الأديب من الناس، سُمي أدبًا لأنّه يأدّب الناس إلى المحامد—أي: يدعوهم إليها—، وينهاهم عن المقايم. وأصل الأدب: الدّعاء، ومنه قيل للصنّيع يُدعى إليه الناس: مدعاهة ومأدبة<sup>(١)</sup>.

**والأدب في الاصطلاح:** استعمال ما يُحمد قوّاً وفعلاً.

**وقيل:** هو الأخذ بمحارات الأخلاق.

**وقيل:** هو الوقوف مع المستحسنات.

**وقيل:** هو تعظيم من فوقك، والرّفق بمن دونك.

**وقيل:** هو ما يحصل للنّفس من الأخلاق الحسنة والعلوم المكتسبة.

**وقيل:** هو ما يؤدي بالنّاس إلى المحامد.

**وقيل:** اجتماع خصال الخير في العبد<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: المغرب في ترتيب المعرف للهطري (ص: ٢٢) (أدب)، ولسان العرب لابن منظور (٢٠٦/١) (أدب).

(٢) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢/٣٧٤)، وفتح الباري لابن حجر (٣/١٢)، وفيض القدير



وَقَيلٌ: «عِبَارَةٌ عَنْ مَعْرِفَةٍ مَا يُحِترِزُ بِهِ عَنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْخَطَأِ»<sup>(١)</sup>.

وَقَيلٌ: «كُلُّ رِيَاضَةٍ مُحَمُّودَةٌ يَتَخَرُّجُ بِهَا إِلَيْنَا إِنْسَانٌ فِي فَضْلَةٍ مِنَ الْفَضَائِلِ»<sup>(٢)</sup>.

وَهَذِهِ تَعَارِيفٌ مُتَقَارِبةٌ وَمُتَدَاخِلَةٌ، وَكَثِيرٌ مِنْهَا أَشَارَ إِلَى جَانِبٍ مِنْ جُوانِبِ الْأَدْبِ، وَخَصْلَةٌ مِنْ خَصَالِهِ، وَلَعِلَّ التَّعْرِيفُ الْأَخِيرُ هُوَ أَشَمْلُهَا.

## ◆ الْمُطْلَبُ الثَّانِي: تَعْرِيفُ الضَّيَافَةِ :

هِيَ لُغَةٌ مُصْدَرٌ ضَافٌ، وَضَفَتُ الرَّجُلِ ضَيْفًا وَضَيَافَةً. وَيَصْلَحُ الضَّيْفُ لِلْوَاحِدِ وَالْأَلَّاثِينَ وَالْجَمْعِ، وَالْمَؤْنَثُ وَالْمَذْكُورُ؛ كَعَدْلٍ وَخَصْمٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «هَلْ أَتَنَّكَ حَدِيثُ ضَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ الْمُكَرَّمَيْنَ»<sup>(١)</sup> [النَّازِيَاتِ: ٢٤]، وَقَدْ يُجْمَعُ فِي قَالٍ: أَضِيافٌ، وَضَيْوَفٌ، وَضِيَافَانٌ.

وَالْأَسْمَ: الضَّيَافَةُ. وَ«ضِفْتَهُ» إِذَا نَزَلْتَ بِهِ وَأَنْتَ ضَيْفٌ عَنْهُ، وَ«أَضَفْتُهُ» بِالْأَلْفِ إِذَا نَزَلْتَهُ عَنْكَ ضَيْفًا. وَيَقَالُ: أَضَفْتُهُ إِضَافَةً إِذَا لَجَأْتَ إِلَيْكَ مِنْ خَوْفٍ فَأَجْرَتَهُ، وَتَضَيَّفَنِي فَضَيَّقَتِهُ إِذَا طَلَبَ الْقِرْيَ فَقَرِيَتَهُ، وَسُمِيَ الضَّيْفُ ضَيْفًا لِإِضَافَتِهِ إِلَيْكَ، وَنَزَولِهِ عَلَيْكَ<sup>(٣)</sup>.

= للمناوي (١/٢٢٤)، وَتَاجُ الْعَرُوسِ لِلزَّبِيدِي (٢/١٢ - ١٣)، مَادَةٌ: (أَدْبٌ).

(١) التَّعْرِيفَاتُ لِلْجَرْجَانِيِّ (ص: ١٥).

(٢) الْكَلِيلَاتُ لِلْكَفْوِيِّ (ص: ٦٥).

(٣) انظر: جامِعُ الْبَيَانِ لِطَبْرِيِّ (١٤/٨٣)، الْكَشْفُ وَالْبَيَانُ لِلشَّعْلَبِيِّ (٥/٣٤٤)، وَالْمَفَرَدَاتُ لِلرَّاغِبِ (ص: ٥١٣)، وَمُخْتَارُ الصَّاحِحِ لِلرَّازِيِّ (ص: ٣٨٦)، وَلِسَانُ الْعَرَبِ لِابْنِ مَنْظُورِ (٩/٢٠٨) كُلُّهُمْ فِي (ضَيْفِ). وَانظر: الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ لِلقرطَبِيِّ (١٠/٣٥)، وَعَمَدةُ الْحَفَاظِ لِلسمِينِ الْحَلَبِيِّ (٢/٣٩١) (ضَيْفِ)، وَالْمَصْبَاحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرِحِ الْكَبِيرِ لِلْفَيُومِيِّ (٢/٣٦٦) (ضَيْفِ)، وَبِصَائِرِ ذُوِّيِّ التَّمِيزِ فِي لَطَائِفِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ لِفِيروزِ أَبَادِيِّ (٣/٤٨٩).



**اصطلاحاً:** «اسم لإكرام الضيف، والإحسان إليه»<sup>(١)</sup>.

**وقيل:** «القيام بحاجات النازل بالدار ونحوها إذا كان من غير أهلها»<sup>(٢)</sup>.

**والضييف معروفة، وهو:** النازل في منزل أحد فيأكل من طعامه، أو يشرب من شرابه؛ نزولاً غير دائم؛ لأجل مرور في سفر، أو إجابة دعوة، وغير ذلك<sup>(٣)</sup>.



(١) الموسوعة الفقهية الكويتية لمجموعة من العلماء (٢٨/٣١٦).

(٢) معجم لغة الفقهاء لمحمد رواس قلعي وحامد صادق قنبي (ص ٢٨٦).

(٣) انظر: المفہم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (١/٢٢٩)، ولسان العرب لابن منظور

(٩/٢٠٨) (ضيف)، والمفردات للراغب (ص ٥١٣)، وعمدة الحفاظ للسمين (٢/٣٩١)

(ضيف)، والموسوعة الفقهية الكويتية لمجموعة من العلماء (٢٨/٣١٦)، والتحرير والتنوير

لابن عاشور (٦/١٢٨)، والشرح الممتع لابن عثيمين (٤٨/١٥).



## المبحث الأول:

### مشروعية الضيافة وفضلها في القرآن الكريم

الضيافة من سنن المرسلين، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الدين، ومن العادات النبيلة التي تفاحت بها العرب في جاهليتهم، وجاء الإسلام بإقرارها، والإشادة بها، والتأكيد عليها، وقد أجمع العلماء على مدح مكرم الضيف، والثناء عليه<sup>(١)</sup>. وورد في مشروعية الضيافة وفضلها نصوص عدّة من الكتاب، ومن ذلك:

١ - ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الِّرَّأْنَ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الِّرَّأْنَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَأَيَّوْمَ الْآخِرِ وَالْمَلَكَةُ وَالْكَتَبُ وَالثَّيْنَ وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُسْنِهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَمَّ وَالْمَسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فمن البر: إعطاء ابن السبيل، على قول من فسر من المفسرين (وَابْنَ السَّبِيلِ)<sup>(٢)</sup> بأنه الضيف ينزل بالرجل<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: «ويدخل في ذلك الضيف»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: المفہم لما أشكل من تلخیص كتاب مسلم لأبی العباس القرطبي (١/٢٣٠)، والاستذکار لابن عبدالبر (٨/٣٦٧)، والتمہید لابن عبدالبر (٢١/٤٣)، وشرح مسلم للنبوی (٢/١٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/٦٤).

(٢) جامع البيان للطبری (٣/٨٢)، وتفہیم القرآن العظیم لابن کثیر (١/٤٨٧)، وقد ذکر ابن کثیر عدداً من أئمۃ التفسیر رأوا هذا.

(٣) تفسیر القرآن العظیم لابن کثیر (١/٤٨٧).



وقال ابن تيمية: «﴿وَأَبْنَ السَّبِيل﴾: قِرَى الصَّيف»<sup>(١)</sup>.

٢- ومن ذلك قوله تعالى: «﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهَرُ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨].

على تفسير مجاهد، حيث قال: «هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن إليه، فقد رَّحَصَ الله له أن يقول فيه»<sup>(٢)</sup>.

وعنه -أيضاً- أنه قال: «هو في الضيافة، يأتي الرجل القوم، فينزل عليهم فلا يضيغونه، رخص له أن يقول فيه»<sup>(٣)</sup>. فالمؤمن يتتجنب أن يُذَكَّر بسوء.

قال الطبرى: «لا يحب الله -أيها الناس- أن يجهر أحد لأحد بالسوء من القول ﴿إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ بمعنى: إلا من ظلم فلا حرج عليه أن يخبر بما أسيء عليه. وإذا كان ذلك معناه، دخل فيه إخبار من لم يُقْرَأ، أو أُسْيَء قِرَاه، أو نُيل بظلم في نفسه أو ماله عنوةً من سائر الناس. وكذلك دعاؤه على من ناله بظلم أن ينصره الله عليه، لأن في دعائه عليه إعلاماً منه لمن سمع دعاءه عليه بالسوء له»<sup>(٤)</sup>.

٣- ومن ذلك قوله تعالى: «﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَنْتُمْ يَا أَخْ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكِيلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزَلِينَ﴾ [يوسف: ٥٩].

قال السعدي -معدداً فوائد الآية-: «ومنها: مشروعية الضيافة، وأنها من سنن

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠/١٣٤).

(٢) رواه عنه الطبرى في جامع البيان (٧/٦٢٨). وذكره عنه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤٤٣/٢).

(٣) رواه عنه الطبرى في جامع البيان (٧/٦٢٩). وذكره عنه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤٤٣/٢).

(٤) جامع البيان للطبرى (٧/٦٣١ - ٦٣٢).



المرسلين، وإكرام الضيف لقول يوسف لإخوته: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْلَىٰ بِالْكِيلَ وَأَنَا خَيْرٌ مُّمْزَلِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

٤ - قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَاهُنَّى إِذَا أَتَيْنَا أَهْلَ قَرْيَةً أُسْتَطَعُمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأْنَ يُضَيِّقُوهُمَا فَرَجَدَ أَفِيهَا حِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَمَهُ وَقَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذَّلَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾<sup>(٢)</sup> [الكهف: ٧٧].

قال ابن عاشور: «وفي الآية مشروعية ضيافة عابر السبيل إذا نزل بأحد من الحي أو القرية»<sup>(٣)</sup>.

كما أن في الآية ذمًا من الله لمن لم يقم بها، قال القرطبي: «قوله: ﴿فَأَبْوَأْنَ يُضَيِّقُوهُمَا﴾ [الكهف: ٧٧] فاستحق أهل القرية لذلك أن يذمُوا، وينسبوا إلى اللؤم والبخل»<sup>(٤)</sup>.

وقال قتادة في هذه الآية: «شُرُّ القرى التي لا تضيف الضيف، ولا تعرف لابن السبيل حقه»<sup>(٥)</sup>.

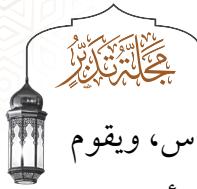
«وإظهار لفظ ﴿أَهْلَهَا﴾ دون الإitan بضميرهم بأن يقال: استطعماهم، لزيادة التصریح تشنجاً بهم في لؤمهم، إذ أبوا أن يضيقوهـما، وذلك لؤم؛ لأن الضيافة كانت

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٤٥٠ / ٢).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨ / ١٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٥ / ١١). ويظهر أن الضيافة كانت عليهم واجبة، وأن الخضر وموسى ﷺ إنما سألاً ما وجب لهما من الضيافة، وهذا هو الألائق بحال الأنبياء، ومنصب الفضلاء والأولياء. انظر في ذلك: المرجع السابق (٢٥ / ١١)، وفتح القدير للشوكاني (٣٠٣ / ٣).

(٤) رواه عنه الطبرى في جامع البيان (٣٤٧ / ١٥)، وذكره عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٥ / ١١).



شائعة في الأمم من عهد إبراهيم ﷺ وهي من الموسامة المتبعة عند الناس، ويقوم بها من يُنتدب إليها ممن يمر عليهم عابر السبيل، ويسألهم الضيافة، أو من أعد نفسه لذلك من كرام القبيلة، فإنّ أهلاً قرية كلهم من الضيافة لؤم لتلك القرية»<sup>(١)</sup>.

٥- قوله تعالى: ﴿هَلْ أَنْتَكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكَرَّمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤].

قال ابن سعدي -في فوائد هذه الآية-: «ومنها: مشروعية الضيافة، وأنّها من سنن إبراهيم الخليل، الذي أمر الله محمداً وأمته أن يتبعوا ملته، وساقها الله في هذا الموضع على وجه المدح والثناء»<sup>(٢)</sup>.

وكان إبراهيم ﷺ مِضيافاً، ويُكْنَى أبا الضيافان<sup>(٣)</sup>، بل جاء أنه أول من ضيّف الضيف<sup>(٤)</sup>.

قال ابن عطية: «وحسبك أنه أوقف للضيافة أو قافاً تمضيها الأمم على اختلاف أديانها وأجناسها»<sup>(٥)</sup>.

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٦/٧). انظر: فتح القدير للشوكاني (٣٠٣/٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥/٩٨).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (١٥/٢١٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/٣٥)، والنكت والعيون للماوردي (٥/٣٦٩).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا مرفوعاً من حديث أبي هريرة ﷺ، في قرئ الضيف (ص ١٨) (٥)، ومكارم الأخلاق (ص ٣٥) (٢٦). وابن أبي عاصم في الأوائل (ص ٦٣) (١٨). والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/١٣٦) رقمه (٩١٧٠). وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٣٦١، ح ٧٢٥): «... سند حسن، رجاله كلهم ثقات معروفون». ورواه مالك في الموطأ (٢/٩٢٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/٣٣١)، رقم (٣١٨٣١) موقعاً على سعيد بن المسيب.

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (١٥/٢١٣).



٦- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا وَمَا نَقِدُمُ لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجُدُهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعَظَمُ أَجْرًا﴾ [المزمول: ٢٠] كما قال ابن عباس رض في تفسير الآية: «يريد سوى الزكاة في صلة الرحم، وقرئ الضيف»<sup>(١)</sup>.

وجاءت السنة بالتأكيد على هذه المشروعية<sup>(٢)</sup>، ومن ذلك:

١- أن من أعظم أخلاق وصفات رسول الهدى ص أنه كان يقرى الضيف، فمن تحلى بها فهو مقتدٍ بخير البشرية ص، كما جاء عن خديجة ص أنها قالت لرسول الله ص: «أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلَّ<sup>(٣)</sup>، وتقرى الضيف...»<sup>(٤)</sup>.

٢- ومن ذلك أن إكرام الضيف من خصال الإيمان<sup>(٥)</sup>، كما جاء عن أبي هريرة أن رسول الله ص قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِنَ جَارُهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيُقْلِعُ خَيْرًا أَوْ لِيَضْمُنْ»<sup>(٦)</sup>.

(١) ذكره عنه الواعظي في التفسير الوسيط (٤ / ٣٧٨)، والبغوي في معالم التنزيل (٨ / ٢٥٨).

(٢) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٦ / ٥٤٣)، وشرح مسلم للنووي (١٣ / ١٢)، وفتح الباري لابن حجر (١٠ / ٧٠٢).

(٣) هو: الإنفاق على الضعيف واليتيم. انظر: إكمال المعلم لعياض (١ / ٤٨٦)، وشرح مسلم للنووي (٢ / ٢٠١)، والنهاية لابن الأثير (٤ / ١٩٨) (كمل).

(٤) رواه البخاري في كتاب الإيمان (٣ / ١٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ص (١ / ٢٥٢)، (١ / ١٣٩).

(٥) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (١ / ٣٣٣).

(٦) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمِّن بالله واليَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِنَ جَارَهُ (١٨ / ٦٠١)،



**قال ابن حجر:** اشتمل الحديث على أمور ثلاثة تجمع مكارم الأخلاق الفعلية والقولية، أما الأولان فمن الفعلية، وأولهما يرجع إلى الأمر بالتخلي عن الرذيلة، والثاني يرجع إلى الأمر بالتحلية بالفضيلة، وحاصله من كان حامل الإيمان فهو متصرف بالشفقة على خلق الله، قوله بالخير، وسكتاً عن الشر، وفعلاً لما ينفع، أو تركاً لما يضر<sup>(١)</sup>.

٣- ومن ذلك ما جاء من حديث عقبة بن عامر رض أن رسول الله صل قال: «لَا حَيْرَ فِيمَنْ لَا يُضِيفُ»<sup>(٢)</sup>.

٤- ومن ذلك أن قرئ الضيف كان معروفاً عند العرب، يتنافس فيه كرامهم، ويُعدُّ من مناقبهم؛ بل كان عند كرامهم بيت ضيافة ينزل فيه من يمرُّ بهم، فلما جاء الإسلام أقرَّ هذا الخلق الكريم، وزاده شدةً وتوثيقاً؛ كما جاء عن السائب بن عَبْدِ الله قَالَ: جِيءَ بِي إِلَى النَّبِيِّ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، جَاءَ بِي عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَزُهْيَرٌ، فَجَعَلُوا يَشْتُونَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صل: لَا تُعْلَمُونِي بِهِ، قَدْ كَانَ صَاحِبِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ» قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَنَعْمَ الصَّاحِبُ كُنْتَ؟ فَقَالَ: يَا سَائِبُ، انْظُرْ أَخْلَاقَ الَّتِي

= (٤/٩٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان (ح ٧٤)، (١/٦٨).

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٢/٦٠).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٨/٦٣٥، ح ١٧٤١٩). وقال محققو المسند (٢٨/٦٣٥): «حديث حسن». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٧٥): «ورجاله رجال الصحيح، غير ابن لهيعة، وحديثه حسن». وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/٥٦١، ح ٢٤٣٤) قائلاً: «... وحديث ابن لهيعة من روایة عبد الله بن وهب صحيح؛ لأنَّه روی عنه قبل أن يسوء حفظه كما حقه بعض الأئمة... فصح الحديث بهذه الروایة، والحمد لله».



كُنْتَ تَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَاجْعَلْهَا فِي الْإِسْلَامِ: أَفْرِضْتَهَا، وَأَكْرَمْتَهَا، وَأَخْسَنْتَهَا إِلَيْكَ»<sup>(١)</sup>.

وَأَمَّا الْأَثَارُ عَنِ السَّلْفِ فِي الْحَضْرِ عَلَى الْضِيَافَةِ وَإِكْرَامِ الْضَّيْوَفِ فَكَثِيرَةٌ جَدًّا، وَمِنْهَا:

١ - مَا جَاءَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: «إِنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ عَشْرَةً: صَدَقُ الْحَدِيثِ، وَصَدَقُ الْبَأْسِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَإِعْطَاءِ السَّائِلِ، وَمَكَافَأَةِ الْمُصْنَعِ، وَصَلَةِ الرَّحْمِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَالتَّذَمُّنَ لِلْجَارِ، وَالتَّذَمُّنَ لِلصَّاحِبِ، وَقِرَى الْضَّيْفِ، وَرَأْسَهُنَّ الْحَيَاءَ»<sup>(٢)</sup>.

٢ - وَعَنْ عَلَيِّ قَالَ: «لَأَنْ أَجْمَعَ نَاسًا مِّنْ إِخْرَانِي عَلَى صَاعِدِ طَعَامِ أَحَبِّ إِلَيْيَّ مَنْ أَدْخِلَ سَوْقَكُمْ هَذِهِ فَأَبْتَاعَ نَسْمَةً فَأَعْتَقَهَا»<sup>(٣)</sup>.

٣ - وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ لِقَوْمٍ نَزَلُوا عَلَيْهِمْ فَاسْتَضَافُوهُمْ فَلَمْ يَضْيِفُوهُمْ فَتَنَحَّى وَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى طَعَامِهِ فَلَمْ يَجِدُوهُ فَقَالَ لَهُمْ: «لَا تُنْزَلُونَ الضَّيْفَ، وَلَا تَجِدُونَ الدُّعَوَةَ! مَا أَنْتُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ عَلَى شَيْءٍ، فَعُرِفَ رَجُلٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ لَهُ: انْزِلْ عَافَكَ اللَّهُ،

(١) رواهُ أَحْمَدُ فِي الْمَسْنَدِ (٢٤/٢٥٨، ح٢٥٥٠٠)، وَضَعَفَ مَحْقُوقُ الْمَسْنَدِ (٢٤/٢٥٨) إِسْنَادُهُ وَقَالَ الْهَيْشَمِيُّ فِي مَجْمِعِ الزَّوَادِ (٨/١٩٠): وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيفِ.

(٢) رواهُ ابْنُ أَبِي الدَّنْيَا فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ (ص٢٦، رَقْم٣٦). قَالَ مَحْقُوقُهُ مُجَدِّيُّ السَّيِّدِ إِبْرَاهِيمَ: «إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ»، وَذَكَرَ الْأَثْرُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي التَّمَهِيدِ (٢٤/٣٣٤). وَمَعْنَى التَّذَمُّنَ لِلصَّاحِبِ أَوِ الْجَارِ هُوَ أَنْ يَحْفَظَ ذَمَامَهُ، وَيَطْرُحَ عَنْ نَفْسِهِ ذَمَّ النَّاسِ إِنْ لَمْ يَحْفَظْهُ. اَنْظُرْ: غَرِيبُ الْحَدِيثِ لِابْنِ الْجُوزِيِّ (١/٣٦٥)، لِسَانِ الْعَرَبِ (١٢/٢٢٠) (ذَمَّ)، وَتَاجُ الْعَرَوْسِ (٣٢/٢٠٩) (ذَمَّ).

(٣) رواهُ الْبُرْجَلَانِيُّ فِي الْكَرْمِ وَالْجُودِ (ص٤٩، رَقْم٤٣)، وَالْطَّبَرَانِيُّ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ (ص٣٧٥، رقم١٧١).



قال: هذا شرٌّ وشُرٌّ، لا تُنزلون إلا من تعرفون؟!»<sup>(١)</sup>.

٤- وقال عبدالله بن الحارث بن جُزء: «من لم يُكرِّم ضيوفه فليس من محمد، ولا من إبراهيم»<sup>(٢)</sup>.

٥- وعن أنس رضي الله عنه قال: «إن زكاة الرجل في داره أن يجعل فيها بيتاً للضيافة»<sup>(٣)</sup>.

ولعل ما ذُكر فيه كفاية، وإلا فالأخبار الواردة في فضل الضيافة والإطعام لا تُحصى، كما قال الغزالى<sup>(٤)</sup>. وأجمع العلماء على مدح مكرِّم الضيف، وأن قِرَى الضيف وحسن القيام عليه لم يزل من شيم الكرام، وعادات الصالحين، ومنع القِرَى مذموم على الألسن، وصاحبها ملوم<sup>(٥)</sup>.

- قال شقيق البلاخي: «ليس شيء أحب إلى من الضيف؛ لأن مؤنته على الله تعالى، ومحمدته لي»<sup>(٦)</sup>.

(١) ذكره عنه ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/ ٣٥٦).

(٢) رواه ابن المبارك في الجهاد (ص ١٤٧، رقمه ١٨٤٤)، والزهد (ص ٢١٨، رقمه ٦١٤) وسعید بن منصور في سنته (٢/ ١٦٧، رقمه ٢٤٣٧)، وابن أبي حاتم في علل الحديث (٢/ ٢٧٧، رقمه ٢٣٣١) قال: «قال أبي:

روى هذا الحديث ابن المبارك فقال عن إبراهيم بن نشيط عَمَّن حدثه عن عبدالله بن الحارث بن جُزء».

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في قِرَى الضيف (ص ٤٧، رقمه ٦٦)، والبيهقي في الشعب (١٢/ ١٤٢، رقمه ٩١٨٠)، والأصفهاني في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٩، رقمه ٢٠٣٠) من طريق سويد بن سعيد وهو ضعيف. انظر: تقريب التهذيب (ص ٢٦٠)، ومن طريق حمزة بن حسان وهو مجهول. لسان الميزان (٢/ ٣٥٩).

(٤) انظر: إحياء علوم الدين للغزالى (٢/ ١٤).

(٥) انظر: معالم السنن للخطابي (٤/ ٢٢١)، والاستذكار لابن عبدالبر (٨/ ٣٦٧).

(٦) ذكره عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٩/ ٣١٥).



- **وقال أبو حاتم:** «وقرئ الضيف يرفع المرء وإن رق نسبه إلى منتهي بغيته، ونهاية محبته، ويشرفه برفع الذكر، وكمال الذخر»<sup>(١)</sup>.

- **وقال ابن العربي:** «هي من مكارم الأخلاق، وحسن المعاملة بين الخلق»<sup>(٢)</sup>.

- **وقال القاضي عياض:** «والضيافة من آداب الإسلام، وخلق النبيين والصالحين»<sup>(٣)</sup>.

**وقال ابن عبد البر:** «لا أعلم خلافاً بين العلماء في مدح ضيف الضيف وحمده، والثناء عليه، وكلهم يندب إلى ذلك، ويجعله من مكارم الأخلاق وسفن المرسلين؛ لأنه ثبت أن إبراهيم ص أول من ضيّق الضيف، وحضر رسول الله ص على الضيافة، وندب إليها»<sup>(٤)</sup>.



(١) روضة العقلاء ونرفة الفضلاء لأبي حاتم محمد بن حبان (ص ٢٥٨).

(٢) أحكام القرآن للقرطبي (٣ / ٢٠).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (١ / ٢٨٥).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر (٢١ / ٤٣). انظر: الاستذكار لابن عبد البر (٨ / ٣٦٧).



## المبحث الثاني:

### آداب الضيافة في القرآن الكريم [وفيه مطليان]

#### ◆ المطلب الأول: آداب المُضيف:

ورد في كتاب الله آداب كثيرة، وعلى قدر تحلي المضيف بها ومراعاتها يكتمل إحسانه لضيوفه، وتقديره إياه، وتم ضيافته على أحسن وجه، وهي أشرف الآداب إطلاقاً، وما عدتها من التكلفات إنما هي من أوضاع الناس وعوائدهم، وكفى بهذه الآداب القرآنية شرفاً وفخرًا لمن تمسك بها<sup>(١)</sup>. ومن أهمّها:

#### ١- أن يكون رد تحية الضيف بأفضل وأبلغ من الابتداء:

كما دل على ذلك قوله ﷺ: ﴿قَالُوا سَلَّمَ قَالَ سَلَّمَ﴾ [هود: ٦٩]، فسلامهم بالجملة الفعلية الدالة على التجدد، ورده بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستمرار، وبينهما فرق، فرفع المصدر أبلغ من نصبه؛ لأن الرفع فيه تنامي معنى الفعل فهو أدل على الدوام والثبات، ولذلك خالف بينهما للدلالة على أن إبراهيم ﷺ رد السلام بعبارة أحسن من عبارة الرسل زيادة في الإكرام<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: جلاء الأفهام لابن القيم (ص ٢٧٣ - ٢٧٤).

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري (٤/٤٠١)، والتفسير الكبير للرازي (٢٨/١٨٢)، وتفسير النسفي (٤/١٨٥)، وغذاء الألباب للسفاريني (٢/١١٥)، وفتح القدير للشوكاني (٢/٥٠٩)، وتيشيري الكريم الرحمن للسعدي (٢/٣٧٧)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٢/١١٦).

**قال ابن عطية:** «وكان سلام الملائكة دعاءً مرجوًّا؛ فلذلك نصب، وحيًا الخليل بأحسن مما حُبِّي، وهو الثابت المتقرر، ولذلك جاء مرفوعًا»<sup>(١)</sup>.

**وقال ابن كثير في تفسير الآية:** «أي: عليكم، قال علماء البيان: هذا أحسن مما حيوه به؛ لأن الرفع يدل على الثبوت والدوام»<sup>(٢)</sup>.

**وقال ابن القيم:** إبراهيم رد على أضيفه بأحسن مما حيوه به، فتحييهم باسم منصوب متضمن لجملة فعلية تقديره: سلمنا عليك سلامًا. وتحية إبراهيم لهم باسم مرفوع متضمن لجملة اسمية تقديره: سلام ثابت أو دائم عليكم، ولا ريب أن الجملة الاسمية تقتضي الثبوت واللزموم، والفعلية تقتضي التجدد والحدث، فكانت تحية إبراهيم أكمل وأحسن<sup>(٣)</sup>.

## ٢ - حسن مخاطبة الضيف، والتلطاف في الحديث معه :

من حسن استقبال الضيف ملاحظته بالكلام اللين، خصوصًا عند تقديم الطعام إليه؛ ألا ترى أنَّ إبراهيم عرض على أضيفه عرضًا لطيفًا فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧]، ولم يقل: كلوا، ونحوه من الألفاظ التي غيرها أولى منها، بل أتى بأداة العرض فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؛ فينبغي للمقتدي به أن يستعمل من الألفاظ الحسنة ما هو المناسب واللائق بالحال؛ كقوله لأضيفه: ألا تأكلون؟ أو ألا تتفضّلون؟ أو تشرّفوننا، وتحسنون إلينا، ونحو ذلك<sup>(٤)</sup>.

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٩/١٨٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٣٣٢).

(٣) انظر: الرسالة التبوكيَّة لابن القيم (ص ٧٥)، وجلاء الأفهام لابن القيم (ص ٣١٠).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥/٩٩). وانظر للاستزادَة: التفسير الكبير للرازي (٢٨/١٨٤)،

وروح المعاني للألوسي (٢٧/١٣).



**قال ابن القيم في قوله تعالى:** «قَوْمٌ مُنْكَرُوْتَ» [الذاريات: ٢٥]: «وفي هذا من حسن مخاطبة الضيف والتذمّر<sup>(١)</sup> منه وجهان في المدح: أحدهما: أنه حذف المبتدأ، والتقدير: أنتم منكرون، فتذمّر منهم، ولم يواجههم بهذا الخطاب؛ لمّا فيه من الاستيحاش، وكان النبي ﷺ لا يواجهه أحداً بما يكرهه، كما جاء عن عائشة رض قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ الشَّيْءُ لَمْ يَقُلْ مَا بَالُ فُلَانٍ يَقُولُ، وَلَكِنْ يَقُولُ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا؟»<sup>(٢)</sup>.

**الثاني:** قوله: «سَلَّمُ قَوْمٌ مُنْكَرُوْتَ» [الذاريات: ٢٥] فحذف فاعل الإنكار، وهو الذي كان أنكراهم كما قال في موضع آخر: «نَكَرُهُمْ» [هود: ٧٠] ولا ريب أن قوله: «مُنْكَرُوْتَ» ألطف من أن يقول: أنكرتكم<sup>(٣)</sup>. وبين اللفظين من الفرق ما لا يخفى<sup>(٤)</sup>. ومن التلطف ما عرضه عليهم بقوله: «أَلَا تَأْكُلُونَ» [الذاريات: ٢٧] كما قال ابن القيم: «فإنه عرض عليهم الأكل بقوله: «أَلَا تَأْكُلُونَ» وهذه صيغة عرض مؤذنة بالتلطف بخلاف من يقول: ضعوا أيديكم في الطعام، كلوا، تقدموا، ونحو هذا»<sup>(٥)</sup>.

(١) التذمّر للصاحب: أن يحفظ ذمامه، ويطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه. لسان العرب (١٢ / ٢٢٠)، وتاح العروس (٢٢٠ / ٣٢) كلاماً في (ذم).

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في حسن العشرة (ح ٤٧٨٨ / ٥) (١٤٣ / ٤)، قال الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٠٠٥ / ٣)، (٩٠٩): «صحيح». وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (ح ٢٠٦٤ / ٥)، (٩٧).

(٣) الرسالة التبوكيّة لابن القيم (ص ٧٥-٧٦)، وجلاء الأفهام لابن القيم (ص ٣١٠).

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥ / ٩٨).

(٥) الرسالة التبوكيّة لابن القيم (ص ٧٨). انظر: جلاء الأفهام لابن القيم (ص ٣١٢)، وغذاء الألباب للسفاريني (٢ / ١١٦).



وقال ابن كثير: «﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧]: تلطف في العبارة، وعرض حسن»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عاشور: «والعرض على الضيف عقب وضع الطعام بين يديه زيادة في الإكرام بإظهار الحرص على ما ينفع الضيف»<sup>(٢)</sup>.

### ٣- الاحتفاء والترحيب بضيفه:

لقوله تعالى: «﴿هَلْ أَتَنَّكَ حَدِيثُ صَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ الْمُكَرَّمِينَ ﴾٢٤﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَّمًا قَالَ سَلَّمًا قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾٢٥﴿فَرَأَيْتَ إِلَى أَهْلِهِ بَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾٢٦﴿فَقَرَبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٤ - ٢٧].

في الآيات احتفاء إبراهيم ﷺ بضيفه وترحيبه بهم. قال مقاتل ومجاحد في قوله: «﴿الْمُكَرَّمِينَ﴾»: «أكرمهم إبراهيم، فأحسن عليهم القيام، وكان لا يقوم على رأس ضيف، فلما رأى هياتهم حسنة قام هو وامرأته سارة لخدمتهم»<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن القيم في تفسير الآيات: «ففي هذا الثناء على إبراهيم من وجوه متعددة، أحدها: أنه وصف ضيفه بأنهم مكرمون، وهذا على أحد القولين أنه إكرام إبراهيم لهم لأنهم المكرمون عند الله، ولا تنافي بين القولين فالآية تدل على المعنيين»<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٤٢١). انظر: تفسير المراغي (٢٦/ ١٨٣).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٦/ ٣٦٠).

(٣) انظر: تفسير مجاهد (ص ٦١٩)، وجامع البيان للطبرى (٢١/ ٥٢٥)، وبحر العلوم للسمرقندى

(٤) والتفسير البسيط للواحدى (٢٠/ ٤٤٩).

(٥) جلاء الأفهام لابن القيم (ص ٢٧١).



وقد كان من عادته **الترحيب بالضيف وحسن استقبالهم ومعاملتهم** وملاطفتهم، ومن ذلك ما جاء في حديث ابن عباس **قال: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا آتَوْا النَّبِيَّ قَالَ: «مَنِ الْقَوْمُ؟ أَوْ مَنِ الْوَفْدُ؟» قَالُوا: رَبِيعَةُ، قَالَ: «مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ، أَوْ بِالْوَفْدِ، غَيْرُ خَرَابًا وَلَا نَدَامًا»** <sup>(١)</sup>.

#### ٤- الاستعجال بالضيافة للضيف، والمبادرة لذلك:

كما دل على ذلك قوله تعالى - في قصة أضياف إبراهيم **فَمَا لَيْثَ أَنْ جَاءَ بِعَجْلٍ حَنِيدًا** <sup>(٢)</sup> [الذاريات: ٢٦]، تفيد الآيات أن من أدب الضيف أن يعجل قراه، فيقدم الموجود الميسّر في الحال، ثم يتبعه بغيره إن كان له جدة <sup>(٣)</sup>، وتعجيل القرى سُنة عربية أقرها الإسلام، ظن إبراهيم **أَنَّهُمْ نَاسٌ فَبَادَرَ إِلَى تَعْجِيلِ قِرَاهِمْ** <sup>(٤)</sup>.

**قال أبو حيان:** «وهذا من أدب الضيافة، وهو تعجيل القرى» <sup>(٥)</sup>.

**وقال ابن عاشور:** «والإسراع بالقرى من تمام الكرم» <sup>(٦)</sup>.

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان (ح ٥٣ / ١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بالله تعالى ورسوله (ح ٤٦ / ١٧). «الخرايا» جمع: خزيان، كحيران وحيارى، والخزيان: المستحي. وقيل: الذليل المهان. وأما الندامى فقيل: إنه جمع ندمان بمعنى نادم. وقيل: هو جمع نادم اتباعاً للخزيان، وكان الأصل نادمين فاتبع لخزيانا تحسيناً للكلام، وهذا الإتباع كثير في كلام العرب، وهو من فصيحه. شرح النووي على مسلم (١ / ١٨٧).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩ / ٦٤).

(٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٣ / ١٨٨)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٦ / ١١٧).

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ١٨٠).

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٦ / ٣٥٩).



**وقال السعدي:** «المبادرة إلى الضيافة والإسراع بها؛ لأن خير البر عاجل، ولهذا بادر إبراهيم بإحضار قرئ أضيافه»<sup>(١)</sup>.

**وقال ابن عثيمين:** «انسل بخفية وسرعة، وذلك من حسن ضيافته، لم يقل: انتظروا آتي لكم بالطعام. ولم يقم متباطئاً كأنما يُدفع دفعاً، وإنما قام بسرعة منسلاً؛ لئلا يقوموا إذا رأوه ذهب إلى أهله، فكأنه أخفى الأمر عنهم»<sup>(٢)</sup>.

وقد دلت هذه الآيات على هذا الأدب من وجوه:

منها «الفاء» في قوله: ﴿فَمَا لَيْثَ﴾ [هود: ٦٩] للدلالة على التعقيب إسراعاً في إكرام الضيف<sup>(٣)</sup>.

وفي الآية الأخرى جاءت (الفاء) لعطف أفعال: ﴿فَأَغَ﴾ [الذاريات: ٢٦]، ﴿فَجَاءَ﴾ [الذاريات: ٢٧]، ﴿فَقَرَرَهُ﴾ [الذاريات: ٢٦] للدلالة على أن هذه الأفعال وقعت في سرعة<sup>(٤)</sup>.

ومنها: أنه ﴿جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾، والحنيد هو المشوي، والشي أسرع من الطبخ، فهو أعنون على تعجيل إحضار الطعام للضيف<sup>(٥)</sup>.

قال محمد رشيد رضا: «وهو نص في المبادرة إلى الإتيان به بدون مهلة، كأنه كان مشوياً معداً لمن يجيء من الضيف، أو شوي عند وصولهم من غير ترث»<sup>(٦)</sup>.

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥ / ٩٩).

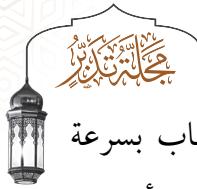
(٢) لقاء الباب المفتوح لابن عثيمين (١٤٣).

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٢ / ١١٧).

(٤) انظر: المرجع السابق (٢٦ / ٣٥٩).

(٥) انظر: المرجع السابق (١٢ / ١١٧).

(٦) تفسير القرآن الحكيم (المنار) لرشيد رضا (١٢٨ / ١٢٨).



ومنها: ما تحمله لفظة **فَرَاغَ** [الذاريات: ٢٦]، فالروغان هو الذهاب بسرعة واختفاء، فإخفاء إبراهيم ميله إلى أهله من حسن الضيافة؛ كيلا يُوهم الضيف أنه يريد أن يُحضر لهم شيئاً فلعل الضيف أن يُكْفَه عن ذلك ويعذر، وهذا منزع لطيف <sup>(١)</sup>.

ويؤكد هذا الأدب ما جاء في حديث أبى هريرة **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: خرج رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بآبى بكر وعمر، فقال: «ما أخر جكما من بيتكما هذه الساعة؟»، قال: الجوع يا رسول الله. قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وأنا، والذى نفسي بيده لأخر جني الذى أخر جكما، قوموا»، فقاموا معه، فاتى رجلا من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحبا وأهلا، فقال لها رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أين فلان؟» قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله، ما أخذ اليوم أكرم أضيافا مني، قال: فانطلق فجاءهم بعذق فيه بُسر وتمر ورطب، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المدية <sup>(٢)</sup>، فقال له رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إياك والحلوب»، فذبح لهم، فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العذق، وشربوا، فلما أن شبعوا ورأوا، قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لأبى بكر وعمر: «والذى نفسي بيده لتسائلن عن هذا النعيم يوم القيمة، أخر جكم من بيتكما الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم» <sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: الرسالة التبوكيه لابن القيم (ص ٧٦). وانظر: الكشاف للزمخشري (٤ / ٤٠١)، والتفسير الكبير للرازي (٢٨ / ١٨٤)، وتفسير البيضاوي (٢ / ٤٢٩)، وغذاء الألباب للسفاريني (٢ / ١١٦)، وروح المعاني للألوسي (٢٧ / ١٣)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٦ / ٣٥٩).

(٢) هي: السكين، جمعها: مَدَى وَمُدَى وَمُدَيَاتُ الْمُدَى. انظر: النهاية لابن الأثير (٤ / ٣١٠ (مدا)، ولسان العرب لابن منظور (١٥ / ٢٧٢) (مدى).

(٣) رواه مسلم في كتاب الأشربة، باب جواز استباعه غيره إلى دار من يشق برضاه بذلك (ح ٢٠٣٨)، (٣ / ١٦٠٩).

## ٥- أن يكون الإنسان مستعداً لإكرام الضيف في كل وقت وحين :

في قوله في قصة إبراهيم مع أضيفاه: ﴿فَرَأَعَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦] إشعار بأن كرامة الضيف معدّة حاصلة عند أهله، وأنه لا يحتاج أن يستقرض من جيرانه، ولا يذهب إلى غير أهله إذ نُزل الضيف حاصل عندهم <sup>(١)</sup>.

## ٦- أن يخدم الضيف بنفسه :

لقوله تعالى: ﴿هَلْ أَنْتَكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكَرَّمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤]. قال مقاتل ومجاهد في قوله: ﴿الْمُكَرَّمِينَ﴾: «أكرمهم إبراهيم، فأحسن عليهم القيام، وكان لا يقوم على رأس ضيف، فلما رأى هياتهم حسنة قام هو وامرأته سارة لخدمتهم» <sup>(٢)</sup>. وقال مجاهد في الآية أيضاً: «خدمته إياهم، خدمهم بنفسه» <sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى عن إبراهيم ﴿فَمَا لَيْثَ﴾ [هود: ٦٩]. قال السعدي: «إنَّ إِبْرَاهِيمَ هو الذي خدم أضيفاه، وهو خليل الرحمن، وسيّد من ضيّق الضيّفان» <sup>(٤)</sup>.

## ٧- إحضار الطعام المعدّ لغير الضيف الحاضر إذا جُعل له ليس فيه إهانة :

بل ذلك من الإكرام، كما يفيد قوله ﴿فَرَأَعَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦].

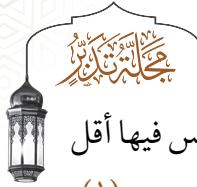
قال السعدي <sup>الله</sup>: «ومنها - أي: من فوائد قصة إبراهيم <sup>الله</sup> مع الملائكة -: أن

(١) انظر: الرسالة التبوكيّة لابن القيم (ص ٧٧)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥ / ٩٩).

(٢) انظر: تفسير مجاهد (ص ٦١٩)، وجامع البيان للطبراني (٢١ / ٥٢٥)، والتفسير البسيط للواحدي (٤٤٩ / ٢٠)، وفتح القدير للشوكاني (٥ / ١٠٤).

(٣) رواه عنه ابن أبي الدنيا في قرئ الضيف (ص ١٨).

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥ / ٩٩)، انظر: الرسالة التبوكيّة لابن القيم (ص ٧٧).



الذبيحة الحاضرة، التي قد أعدت لغير الضيف الحاضر إذا جُعلت له، ليس فيها أقل إهانة، بل ذلك من الإكرام، كما فعل إبراهيم ﷺ وأخبر الله أن ضيفه مكرمون»<sup>(١)</sup>.

#### ٨- إحضار الإنسان لضيوفه أطيب ما عنده:

فإبراهيم ﷺ من كرمه وحبّه للضيوف أتاهم بأحسن وأطيب ما عنده، وهو عجل سمين ليس بمهزول، وحيوان تامٌ، ولم يأتهم ببعضه حتى يتخيروا من أطيب لحمه ما شاؤوا، وكانوا يعجبون بولد البقر السمين<sup>(٢)</sup>.

قال قتادة: «كان عامة مال نبي الله إبراهيم ﷺ البقر»<sup>(٣)</sup>.

واختاره لهم سميّناً زيادة في إكرامهم<sup>(٤)</sup>. كما قال الله: ﴿جَاءَهُ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦]، كما أن من طيب هذا الطعام أنه كان مشوياً كما قال الله في الآية الأخرى: ﴿أَنَّ جَاءَهُ بِعِجْلٍ حَيِّنِدٍ﴾ [هود: ٦٩] (أي: مشوي)، واللحم إذا شوّي يكون أطعم وأذى؛ لأن طعمه يبقى فيه لا يمتزج بالماء، بخلاف ما إذا طُبخ يمتزج ببعضه بالماء، فتقل لذته، لكن إذا كان مشوياً صار أطيب وأحسن»<sup>(٥)</sup>.

#### ٩- تقديم ما تيسّر من الموجود وعدم التكلف:

كما دل على ذلك قوله تعالى في قصة أضيف إبراهيم ﷺ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥ / ٩٩). انظر: لقاء الباب المفتوح لابن عثيمين (١٤٣).

(٢) انظر: الرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٧٧)، وغذاء الألباب للسفاريني (٢ / ١١٦).

(٣) رواه عنه الطبراني في جامع البيان (٢١ / ٥٢٦)، وذكره عنه البغوي في معالم التنزيل (٤ / ١٨٨) والشعبي في الكشف والبيان (٢٤ / ٥٤٦).

(٤) النكت والعيون للماوردي (٥ / ٣٧٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧ / ٤٩).

(٥) لقاء الباب المفتوح لابن عثيمين (ص ١٤٣).



إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْبَشَّارِ قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَيْثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ [هود: ٦٩]. قال القرطبي: «إِنَّمَا جَاءَ بِعِجْلٍ لَأَنَّ الْبَقَرَ كَانَ أَكْثَرَ أَمْوَالَهُ»، ثم قال: «فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ أَدْبُ الْضَّيْفِ أَنْ يَعْجَلَ قِرَاءَهُ، فَيُقْدِّمَ الْمَوْجُودَ الْمَيْسِرَ فِي الْحَالِ، ثُمَّ يَتَّبِعُهُ بِغَيْرِهِ إِنْ كَانَ لَهُ حِدَّةٌ، وَلَا يَتَكَلَّفَ مَا يَضِرُّ بِهِ» <sup>(١)</sup>.

قال بكر بن عبد الله المزنبي: «إِذَا أَتَاكَ ضَيْفٌ فَلَا تَنْتَظِرْ بِهِ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ، وَتَمْنَعْ مَا عِنْدَكَ، قَدْمٌ إِلَيْهِ مَا حَضَرَ، وَانتَظِرْ بِهِ مَا بَعْدَ ذَلِكَ مَا تَرِيدُ مِنْ إِكْرَامِهِ» <sup>(٢)</sup>.

وَإِكْرَامُ الضَّيْفِ وَإِنْ اخْتَلَفَ حَسْبُ حَالِ الضَّيْفِ وَالْمُضِيْفِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي التَّكْلُفُ فِي الْضِيَافَةِ بِحِيثُ يَخْرُجُ عَنِ الْحَدِّ الْمُعْقُولِ؛ فَلَا يَتَكَلَّفُ لِضَيْفِهِ مَا يَثْقُلُ عَلَيْهِ ثُمَّنَهُ، أَوْ يَأْخُذُهُ بَدِينَ، وَمِنْ التَّكْلُفِ أَنْ يَقْدِمَ جَمِيعَ مَا عِنْدَهُ، فَيُجْحَفِ بِعِيَالِهِ، وَيُؤْذَى قُلُوبَهُمْ. لَأَنَّ التَّكْلُفَ عَمُومًا مِنْهِي عَنْهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فُلْ مَا أَسْعَلْتُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَّمِنَ الْمُتَكَلَّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، قَالَ ابْنُ زِيدٍ: «وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلَّفِينَ، أَتَخْرُصُ وَأَتَكَلَّفُ مَا لَمْ يَأْمُرَنِي اللَّهُ بِهِ» <sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ أَنْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَنَا عَنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: «نُهِيَّنَا عَنِ التَّكْلُفِ» <sup>(٤)</sup>.

بَلْ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي السُّنَّةِ النَّبِيِّ عَنِ التَّكْلُفِ فِي إِكْرَامِ الضَّيْفِ حَتَّى يُلْحِقَ الضَّرَرَ بِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ لِفَرْطِ تَكْلُفِهِ. فَقَدْ جَاءَ أَنَّ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَدَعَاهُ لِمَا كَانَ

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/٦٤).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في قرئ الضييف (ص ٤٥).

(٣) أخرجه عنه الطبراني في جامع البيان، ت: شاكر (٢٤٣/٢١).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب ما يُكره من كثرة السؤال (ح ٧٢٩٣)،

.(٣٦٢/٤)



عِنْهُ، وَقَالَ: «لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَانَا - أَوْ: لَوْلَا أَنَّا نُهِيَّنَا - أَنْ يَتَكَلَّفَ أَحَدُنَا لِصَاحِبِهِ لِتَكَلَّفَنَا لَكَ» <sup>(١)</sup>.

وَقَالَ ﷺ: «لَا يَتَكَلَّفَنَّ أَحَدٌ لِضَيْفِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ» <sup>(٢)</sup>.

والتكلف مذموم في الشرع، وهو السبب في قلة الزيارات، كما قيل: «إِنَّمَا تَنَاطَعُ النَّاسُ بِالْتَّكَلُّفِ» <sup>(٣)</sup>. إلا أنه ليس هناك حد معتبر لقولنا: هذا فيه تكلف، أو ليس فيه تكلف، وإنما المرجع في ذلك إلى العرف، فما تعارف الناس على أمرٍ وأعدوه تكلاً فهو تكلف، وما لا فلا. ويختلف باعتبار الضيف والمضيف، وصنع الطعام للضيوف يكون بالقدر الذي يفي بالمقصود بلا إسراف ولا تقدير، وخير الأمور أوسطها.

قد جاء في حديث جابر بن عبد الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الْأَثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الْأَثْنَيْنِ يَكْفِي الْأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الْأَرْبَعَةِ يَكْفِي الشَّمَانِيَّةَ» <sup>(٤)</sup>.

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (ح ٢٢٧٣٣ / ٣٩) (١٣٦). وقال محققون المسند (١٣٦ / ٣٩): « الحديث محتمل للتحسين بمجموع طرقه ». ورواه الحاكم في المستدرك (٦ / ٩١) وقال: «هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وله شاهد بمثل هذا الإسناد ». وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (ح ٢٤٤٠، ٥ / ٥٧٠): «لكن الحديث قوي بمجموع هذه الطرق، ولا سيما يشهد له عموم حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: «نُهِيَّنَا عَنِ التَّكَلُّفِ».

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، باب في إكرام الضيف (رقم ٩٥٩٩) (٧ / ٩٤) من حديث سلمان قال الألباني كما في صحيح الجامع (ح ٧٦٠٨)، (٢ / ١٢٦١): «حسن»، انظر: السلسلة الصحيحة (ح ٢٤٤٠) (٥٦٨ / ٥).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في قرئ الضيف (ص ٤٥) عن المفضل؛ وصيي جعفر بن بُرْقانَ.

(٤) رواه البخاري في كتاب الأطعمة، باب طعام الواحد يكفي الاثنين (ح ٥٣٩٢، ٤٣٤ / ٣)، ومسلم - واللفظ له - في كتاب الأشربة، باب فضل المواساة في الطعام القليل (ح ٢٠٥٩، ١٦٣٠ / ٣).



**قال الغزالى:** «وأما آداب التقديم: فترك التكلف أولًا، وتقديم ما حضر؛ فإن لم يحضره شيء ولم يملك فلا يستقرض لأجل ذلك؛ فيشوش على نفسه، وإن حضره ما هو محتاج إليه لقوته ولم تسمح نفسه بالتقديم؛ فلا ينبغي أن يقدم...، وكان الفضيل يقول: إنما تقاطع الناس بالتكلف، يدعوا أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه. وقال بعضهم: ما أبالي بمن أتاني من إخواني؛ فإني لا أتكلف له، إنما أقرب ما عندي، ولو تكلفت له لكرهت مجئه وملته...»<sup>(١)</sup>.

**وقال ابن عثيمين:** «إكرام الضيف بما جرت به العادة يختلف باختلاف الضيف والمضيف، فأما المضيف فلقوله تعالى: ﴿لَيُنْفِقُ دُوْسَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدْرَ عَلَيْهِ رِزْقٌ فَلَيُنْفِقُ مَمَّا أَتَهُ اللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧]، فإذا نزل شخص ضيفاً على رجلٍ غني فإنه يُكرمه بما وسّع الله عليه، وإذا نزل بإنسان فقير فُيكرمه بما قدر عليه، فقد ينزل هذا الرجل على شخص غني، ويكون إكرامه بأن يذبح له ذبيحة، ويدعو من حوله، وقد ينزل على آخر ويكون إكرامه له أن يقدم له صحناً من التمر؛ لأن الأول عنده مال، وهذا فقير، كذلك باعتبار الضيف، فالضيوف ليسوا على حد سواء، ينزل بك ضيف، صاحب لك، ليس بينك وبينه شيء من التكلف فتكرمه بما يليق به، وينزل عليك ضيف كبير عند الناس في ماله، وفي علمه، أو في سلطانه، فتكرمه بما يليق به، وينزل عليك شخص من سطوة الناس تكرمه -أيضاً- بما يليق به»<sup>(٢)</sup>.

#### ١٠- إحضار الطعام بين يدي الضيف:

**قوله تعالى:** ﴿فَقَرَرَكُمْ إِلَيْهِمْ﴾ [الذاريات: ٢٧]. قال ابن عاشور: «ومعنى (قربه)

(١) إحياء علوم الدين للغزالى (٢/ ١٢).

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع لابن عثيمين (١٥/ ٤٩).



وضعه قريباً منهم، أي: لم ينقلهم من مجلسهم إلى موضع آخر، بل جعل الطعام بين أيديهم. وهذا من تمام الإكرام للضيف»<sup>(١)</sup>.

**وقال السعدي:** «أَنَّهُ قَرَبَهُ إِلَيْهِمْ فِي الْمَكَانِ الَّذِي هُمْ فِيهِ، فَلَمْ يَجْعَلْهُ فِي مَوْضِعٍ  
وَيَقُولُ لَهُمْ: تَفْضَلُوا، أَوْ اتَّهُوا عَلَيْهِ؛ لَأَنَّهُ هَذَا أَيْسَرُ وَأَحْسَنُ»<sup>(٢)</sup>.

وهنا مسألة: هل نقول: إن السُّنة والأفضل أن الإنسان إذا دعا ضيوفاً أو أتاه ضيوف أن يقربه إليهم في مجلس الجلوس؟ أو نقول هذا يختلف باختلاف الأحوال؟

**قال ابن عثيمين** ﷺ: «الثاني هو الأفضل؛ لأن عموم قول الرسول ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»<sup>(٣)</sup> يدل على أنك تكرمهم بما جرت به العادة في إكرامهم به، عندنا الآن إذا عزمت أصحابك وأصدقاءك وهم قلة فلا يُعَدُّون تقديم الطعام - مثلاً - في المجلس إهانة؛ لأنهم إخوانك وأصدقاءك، الأدب بينكم متسامح فيه، لكن لو نزل بك ضيف أو دعوت ضيفاً ليس بينك وبينه الصلة التي يسقط بها كما يقال الأدب، فإنه في عرفنا الآن ليس من إكرامه أن تقدم الطعام في محل الجلوس، اللهم إلا لضرورة إذا لم يكن عندهك مكان، الآن الإكرام أن تجعل الطعام في مكان، ثم إذا أردت أن يأكلوا تقول: تفضلوا، ألا تفضلون أو غير المجلس، أو ما أشبه ذلك من الكلمات المتدولة، فالمعنى أن قوله ﷺ عن إبراهيم: ﴿فَقَرَرَتْهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧]. ينبغي أن يجعل هذا حسب

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور /٢٦ /٣٥٩. انظر: التفسير الكبير للرازي (٢٨ /١٨٤)، والرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٧٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥ /٩٩).

(٣) متفق عليه، وقد تقدم تخریجه في المبحث الثاني: مشروعية الضيافة وفضلها في القرآن الكريم (ص: ١١).

عادة الناس، إذا كان من الإكرام أن تأتي بالطعام إلى محل جلوسهم فأتِ به، وإذا كان من الإكرام أن تجعله في مكان آخر فافعل، دليل ذلك قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه». <sup>(١)</sup>

١١- ومن أدب الضيافة أن الضيف له أن ينظر في ضيفه، مسارقة لا بتحديد النظر،

هل يأكل أم لا :

لقوله تعالى عن إبراهيم مع أضيفه: ﴿فَلَمَّا رَأَهُمْ آتَيْدُهُمْ لَا تَصِلُّ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٧٠]، وذلك ينبغي أن يكون بتلفت أو مسارقة لا بالتدقيق وتحديد النظر.

قال أبو حيان: «وينبغي أن ينظر من الضيف هل يأكل أو لا، ويكون بتلفت ومسارقة لا بتحديد النظر؛ لأن ذلك مما يجعل الضيف مقصراً في الأكل». <sup>(٢)</sup>

وقال ابن عطية: «وذلك ينبغي أن يكون بتلفت ومسارقة لا بتحديد النظر، فروي أن أعرابياً أكل مع سليمان بن عبد الملك، فرأى سليمان في لقمة الأعرابي شرة فقال له: أزل الشرة عن لقمتك، فقال له: أتنظر إلى نظر من يرى الشّعر في لقمتى، والله لا أكلت معك». <sup>(٣)</sup>

١٢- ومن أدب الضيافة أن يقوم الضيف بحماية ضيفه من الأذى القولي والفعلي :

لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزِنُوْنَ فِي ضَيْفِهِ أَلَيْسَ مِنْ كُوْرَجٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨].  
وحق على الرجل إكرام ضيفه، وكانوا يتغيرةون بإهانة الضيف، ويعذّون ذلك مذلة

(١) لقاء الباب المفتوح لابن عثيمين (١٤٣).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (٦/١٨٠)، انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/٦٥).

(٣) التفسير الكبير للرازبي (٢٨/١٧٧).



لمضيفه، فخزي الضيف خزي للمضيف؛ لأن الضيافة جوار عند رب المنزل، فإذا لحقت الضيف إهانة كانت عاراً على رب المنزل<sup>(١)</sup>.

#### ١٣- استحباب إيثار الضيف على نفسه وعياله:

لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَنْهَا أَهْلُهُ لِمَجَّأَةٍ يَعِجِّلُ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦].

قال ابن القيم - في معرض تعداده وبيانه لثناء الله تعالى على إبراهيم في قصة استضافته الملائكة -: «العاشر: إنه سمين لا هزيل، ومعلوم أن ذلك من أخرين أموالهم، ومثله يُتَخَذ للاقتناء والتربية، فآخر به ضيفانه»<sup>(٢)</sup>.

وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُونَ الدَّارَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْبَوْنَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحْدُوْنَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُتُوا وَلَا يُثْرُوْنَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَا كَانَ بِهِمْ خَصَّاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شَحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

عن أبي هريرة رض أن رجلاً أتى النبي ص، فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ص: «من يضم - أو يُضيّف - هذا»، فقال رجلٌ من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضييف رسول الله ص، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أردوا عشاءً<sup>(٤)</sup>،

(١) انظر جامع البيان للطبراني (١٢ / ٥٠٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤ / ٣٨٧)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٢ / ١١٧).

(٢) جلاء الأفهام لابن القيم (ص ٢٧٣).

(٣) في لفظ: «فَقَالَ إِنِّي مَجْهُودٌ» أي: مهزول جائع. جامع الأصول لابن الأثير (٩ / ٧٤).

(٤) وفي لفظ: «فَعَلَّلَهُمْ بِشَيْءٍ» وتعليق الطفل: وعده وتسويقه وتمنيته، وشغله بما يراد صرفه عنه. انظر: جامع الأصول لابن الأثير (٩ / ٧٤).



فَهَيَّأْتُ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمْتْ صِبَانَهَا، ثُمَّ فَامَّتْ كَانَهَا تُصلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَاهُ يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَّا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «صَحِحَّ اللَّهُ اللَّيْلَةُ - أَوْ عَجَبٌ - مِنْ فَعَالِكُمَا»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَاصَّةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

هذه جملة من آداب المضيف الواردة في القرآن الكريم، وهناك آداب أخرى وردت في السنة والآثار <sup>(٢)</sup> منها:

- السهر والسمر لإكرام الضيف، وهو مستحب، وقد بُوَّب البخاري في صحيحه، فقال: «بَابُ السَّمَرِ مَعَ الضَّيْفِ وَالْأَهْلِ»، وساق تحته حديثاً طويلاً عن عبد الرحمن بن أبي بكر في سهر أبي بكر <sup>رض</sup>، وذكر فيه قصة أضيفاف من فقراء أهل الصفة، حملهم أبو بكر إلى منزله، وأمرهم أن يطعموهم، وبقي أبو بكر عند النبي ﷺ حتى تعشى، ومضى من الليل ما شاء، فلما جاءت له امرأته: ما حبسك عن أضيفاك؟ قال: أَوْ مَا عَشَّتُهُمْ؟ قالت: أَبْوَا حَتَّى تَجِيءُ، قال: فذهبت أنا فاختبأت، فَقَالَ: يَا غُشْرُ <sup>(٣)</sup> فَجَدَعَ

(١) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب قول الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَاصَّةٌ﴾ [الحشر: ٩] (ح ٣٧٩٨، ٤٢ / ٣)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إشاره (ح ٢٠٥٤)، (٢٠٥٤ / ٣).

(٢) انظر: آداباً أخرى للضيافة - غير ما ذكر - في إحياء علوم الدين للغزالى (٢٠ / ٢٠)، وروضة العقلاء لابن حبان (ص ٢٦١)، وغذاء الألباب للسفاريني (٢ / ١١٦ فما بعدها)، والموسوعة الفقهية الكويتية لمجموعة من العلماء (٣١٧ / ٢٨).

(٣) بناء مفتوحة ومصمومة لغتان، وهو: الشفيل الوخيم. وقيل: هو الجاهل، مأخوذه من الغثارة وهي الجهل. وقيل: هو السفيه مأخوذه من الغث، وهو اللؤم. و(جدع) أي: دعا بالجدع وهو قطع الأنف وغيره من الأعضاء. انظر: شرح النووي على مسلم (١٤ / ١٩)، وفتح الباري لابن حجر (٦ / ٥٩٧-٥٩٨).



وَسَبَّ، وَذَكْرُ الْحَدِيثِ بِطُولِهِ<sup>(١)</sup>.

– أن يُشَيِّعَ ضيفه عند خروجه إلى باب الدار، وهذا الأدب وإن لم يثبت في القرآن ولا في خبر مرفوع صحيح يعول عليه<sup>(٢)</sup>، إلا أنه داخل ضمن المبالغة في إكرام الضيف، وحسن ضيافته ومعاملته، وكمال الأدب معه، وقد أمرنا يا كرامه. وأيضاً قال الحافظ ابن حجر - في شرح حديث أنس عن أبي طلحة قال: سمعت صوت النبي ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع، قال: فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ معه حتى دخل... الحديث<sup>(٣)</sup> -: «ويوخذ من قصة أبي طلحة أن من أدب من يضيف أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار تكرمة له»<sup>(٤)</sup>.

وإنما وردت آثار من سلف الأمة وأئمتهم في تشيع الضيف إلى باب الدار،  
نقتصر على واحد منها:

زار أبو عبيد القاسم بن سلام الإمام أحمد بن حنبل...، قال أبو عبيد: «فلما

(١) رواه البخاري في مواقيت الصلاة وفضائلها، باب السمر مع الضيف والأهل (ح ٦٠٢)، ومسلم في الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره (ح ٢٠٥٧).

(٢) جاء من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من السنة أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار»، رواه ابن ماجه في كتاب الأطعمة، باب الضيافة (ح ٣٣٥٨)، (٢ / ١١١٤)، وابن أبي الدنيا في «قرى الضيف» (ص ٤٢)، وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية (٣ / ٢٢٦): «رواه ابن ماجه وغيره بإسناد ضعيف»، وحكم الألباني بوضعه كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١ / ٢٨٠)، (ح ٢٥٨)، وضعيف ابن ماجه (ص ٢٧١)، (ح ٧٣٤).

(٣) رواه البخاري في باب علامات النبوة في الإسلام (ح ٣٥٧٨)، (٤ / ١٩٣)، ومسلم في الأشربة، باب جواز استتبعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك (ح ٢٠٤٠)، (٣ / ١٦١٢).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٩ / ٥٢٨). انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٦ / ٩٥).



أردت القيام قام معي، قلت: لا تفعل يا أبا عبدالله، فقال: قال الشعبي: من تمام زيارة الزائر أن تمشي معه إلى باب الدار، وتأخذ بركابه»<sup>(١)</sup>.

- وإذا حضر المدعوون وتأخر واحد أو اثنان عن الوقت الموعود فحق الحاضرين في التعجيل أولى من حقها في التأخير، إلا أن يكون المؤخر فقيراً ينكسر قلبه بذلك، فلا بأس به<sup>(٢)</sup>.

## ◆ المطلب الثاني: آداب الضيف:

وردت- أيضاً- جملة من الآداب للضيف في القرآن الكريم، ينبغي أن يراعيها الضيف عملاً بالهدي القرآني الكريم، واحتساباً للأجر والمثوبة، ورداً على إحسان مضيفه بالإحسان، وحتى يكتمل عقد الآداب من الطرفين: المضيف والضيف، ومن هذه الآداب:

### ١- مشروعية سلام الضيف على المضيف قبل الكلام:

كما في قصة أضيف إبراهيم ﷺ إذ قال الله تعالى: «وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَّمًَا قَالَ سَلَّمَ» [هود: ٦٩].

قال السعدي: «أي: سلموا عليه، وردَ ﷺ، ففي هذا مشروعية السلام، وأنه لم يزل من ملة إبراهيم ﷺ، وأن السلام قبل الكلام»<sup>(٣)</sup>. وقال في موضع آخر: «وإنما

(١) ذكره ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص ١٥٢)، وابن مفلح في الآداب الشرعية (٣ / ٢٢٧).

(٢) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٩٥ / ٢٦)، والنجم الوهاب في شرح المنهاج للدميري (٧ / ٣٨٩)، ومعنى المحتاج للشرباني (٤ / ٤١٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٢ / ٣٧٧).



سلكوا طريق الأدب في ابتداء السلام»<sup>(١)</sup>.

٢- من آداب الضيافة أن يأكل الضيف من طعام رب المنزل، ويبادر إلى ذلك حتى يطمئن

رب المنزل إليه، ويأنس به :

ويدل على هذا أن إبراهيم ﷺ لما رأى أضيفه لا يأكلون من طعامه أصرم منهم خوفاً أن يكون معهم شر؛ لأنهم خرجو عن العادة، فقال الله: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [الذاريات: ٢٨] وفي الآية الأخرى: ﴿فَلَمَّا رَأَهُمْ لَا تَصِلُّ إِلَيْهِمْ نَكَرُهُمْ﴾ [هود: ٧٠]، فلما علموا منه ذلك قالوا: ﴿لَا تَخَفْ﴾ [هود: ٧٠].

قال ابن عطية: «إن أكل الضيف أمنة ودليل على انبساط نفسه، والطعام حرمة وذمام<sup>(٢)</sup>. والامتناع منه وحشة. فخشى إبراهيم ﷺ أن امتناعهم من أكل طعامه إنما هو لشر يريدونه، فقالوا له: ﴿لَا تَخَفْ﴾ [هود: ٧٠]»<sup>(٣)</sup>.

٣- ومن الآداب أن يحفظ الضيف حق المؤكلة :

لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَهُمْ لَا تَصِلُّ إِلَيْهِ نَكَرُهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٧٠]، وقوله سبحانه: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَلَبَثَرُوهُ بِعْلَمِ عَلِيهِ﴾ [الذاريات: ٢٨].

قال الرازي في تفسير الآية: «أدب الضيف أنه إذا أكل حفظ حق المؤكلة، يدل عليه أنه خافهم حيث لم يأكلوا»<sup>(٤)</sup>.

(١) المرجع السابق (٥/٩٨).

(٢) الذمام: كل حرمة تلزسك إذا ضيعتها المذمة. وعلى الرفيق من الرفيق ذمام، أي: حشمة؛ أي: حق. انظر: العين للفراهيدي (٨/١٧٩) (ذم). وتهذيب اللغة للأزهري (١٤/٢٩٨ - ٣٠٠) (ذم).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (١٥/٢١٤).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٩/١٨٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/٦٥).



**قال الألوسي:** «... ولل الطعام حرمة وذمام، والامتناع منه وحشة موجبة لظن الشر»<sup>(١)</sup>.

وما من شك أن هذا من الوفاء وحسن العهد وحفظ الجميل لأهله، وهو أدب عظيم، وخلق رفيع، يدل على أصالة المعدن، وحسن النشأة، وسمو النفس، ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أولو الفضل، وإن الله ﷺ قد حث على الإحسان إلى من أحسن إلينا، فقال تعالى: ﴿وَأَحَسِنُ كَمَا أَحَسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُم﴾ [القصص: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]. وعدَه النبي ﷺ من الإيمان فقال: «إن حسن العهد من الإيمان»<sup>(٢)</sup>.

#### ٤- اعتذار الضيف لضيوفه بعبارة حسنة إذا كان الطعام لا يصلح له :

لقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَاتِلُ الْأَنْجَفَ وَيَشْرُوْهُ بِعُلَمَاءِ عَلَيْمِ﴾ [الذاريات: ٢٨].

قال ابن عادل<sup>(٣)</sup>: «ومن آداب الضيف إذا حضره الطعام ولم يكن يصلح له

(١) روح المعاني للألوسي (٢٧/١٣)، انظر: جامع البيان للطبراني (١٢/٤٧١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/٦٥)، والرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٧٨)، وفتح القدير للشوكاني (٢/٥١٠)، وتفسير النسفي (٢/١٩٧)، والنكت والعيون للماوردي (٥/٣٦٩)، وأيسير التفاسير للجزائري (٤/٣٢١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/٦٢)، وصححه على شرط الشيحيين، ووافقه الذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان (١١/٣٧٨). وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/٤١٣) (٤١٣). انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٤٢٥).

(٣) هو: عمر بن علي، الشهير بابن عادل الحنبلي الدمشقي، الإمام العالم الفاضل. صنف التفسير المسمى اللباب في علم الكتاب، وهو من أحسن التفاسير، مشحون بأنواع قواعد العربية والعلوم السائرة في التفسير. انظر: طبقات المفسرين للأدنه وي (ص ٤١٨ - ٤١٩)، والأعلام للزركلي (٥/٥٨).



لكونه مضرًا به، أو يكون ضعيفًا القوة عن هضم ذلك الطعام فلا يقول: هذا طعام غليظ لا يصلح لي، بل يأتي بعبارة حسنة، ويقول: بي مانع من أكل الطعام، لأنهم أجابوه بقولهم: ﴿لَا تَخَفُ﴾، ولم يذكروا في الطعام شيئاً، ولا أنه يضرّ بهم بل بشّروه بالولد إشعاراً بأنهم ملائكة﴾<sup>(١)</sup>.

٦- ومن الآداب: عدم الدخول إلا بأذن. ومن الآداب أيضاً - وهو أدب الله به الثقلاء -:

عدم البقاء بعد الانتهاء من الطعام، إلا إذا كان البقاء برغبة صاحب المنزل:

ورد هذان الأدبان في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوْبِيُّوتَ الَّتِي إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ عَيْرَ نَظَرِيْنَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيْتُمْ فَادْخُلُوْفَإِذَا طَعَمْتُمْ فَانْتَشِرُوْلَا مُسْتَقْنِسِيْنَ لِحَدِيْثٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

و جاء في حديث أنس رض أنه قال: «لَمَّا تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ دَعَا الْقَوْمَ فَطَعِمُوْا، ثُمَّ جَلَسُوْا يَتَحَدَّثُوْنَ، قَالَ: فَأَخْذَ كَاهَنَهُ يَتَهَمِّ لِلْقِيَامِ فَلَمْ يَقُوْمُوْا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ، فَلَمَّا قَامَ، قَامَ مَنْ قَامَ مِنَ الْقَوْمِ، قَالَ: فَقَعَدَ ثَلَاثَةُ، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَ لِيَدْخُلَ، فَإِذَا الْقَوْمُ جُلُوسُ، ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا فَانْطَلَقُوا، قَالَ: فَجَئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُمْ قَدِ انْطَلَقُوا. قَالَ: فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ، فَدَهَبْتُ أَدْخُلُ فَالْقَوْمَ الْحِجَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، قَالَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوْبِيُّوتَ الَّتِي إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ عَيْرَ نَظَرِيْنَ إِنَّهُ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ: «إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيْمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]<sup>(٢)</sup>.

(١) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٨ / ٨٥).

(٢) رواه مسلم في كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش ونزع الحجاب (ح ١٤٢٨)، (٢ / ١٠٤٨).

**قال الطبرى:** «﴿فَإِذَا كَلَمْتُمْ فَأَنْتُمْ رُوْا﴾ [الأحزاب: ٥٣] يقول: فإذا أكلتم الطعام الذى دُعُيتم لأكله فانتشروا، يعني: فنفرقوا وآخر جوا من منزله»<sup>(١)</sup>.

**وقال الرازى:** «فوردت الآية جامعة لآداب، منها: الممنع من إطالة المكث في بيوت الناس»<sup>(٢)</sup>.

**وقال ابن عاشور:** «وكذلك البقاء بعد انقضاء الطعام، فإنه تجاوز لحد الدعوة؛ لأن الدعوة لحضور شيء تقتضي مفارقة المكان عند انتهائه؛ لأن تقييد الدعوة بالغرض المخصوص يتضمن تحديدها بانتهاء ما دُعى لأجله، وكذلك الشأن في كل دخول لغرض من مشاورة أو محاادة أو سمر أو نحو ذلك، وكل ذلك يتحدد بالعرف وما لا يقبل على صاحب المحل»<sup>(٣)</sup>.

**وقال الشوكاني في تفسير الآية:** «فنهى الله المؤمنين عن ذلك في بيت النبي ﷺ، ودخل في النهي سائر المؤمنين، والتزم الناس أدب الله لهم في ذلك، فمنعهم من الدخول إلا بإذن عند الأكل لا قبله لانتظار نضج الطعام»<sup>(٤)</sup>.

**وقال السعدي:** «أي: لا تدخلوها بغير إذن للدخول فيها، لأجل الطعام. وأيضاً ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَّهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣] أي: متظرين استواءه، ومت Hwyين نضجه، أو سعة صدر بعد الفراغ منه. والمعنى: أنكم لا تدخلوا بيوت النبي ﷺ إلا بشرطين: الإذن

(١) جامع البيان للطبرى (١٩ / ١٦٠).

(٢) التفسير الكبير للرازى (٢٥ / ١٩٤).

(٣) التحرير والتوير لابن عاشور (٢٢ / ٨٣).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٤ / ٢٩٨)، انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤ / ٢٢٥)، والآداب الشرعية لابن مفلح (٣ / ٢٢٣).



لكم بالدخول، وأن يكون جلوسكم بمقدار الحاجة، ولهذا قال: **﴿وَلَكُنْ إِذَا دُعِيْتُمْ فَادْخُلُوا فِإِذَا طَعْمَتُمْ فَانْشِرُوا وَلَا مُسْتَغْنِيْنَ لِحَدِيْثٍ﴾** [الأحزاب: ٥٣] أي: قبل الطعام وبعده»<sup>(١)</sup>.

فلا ينبغي المكث بعد الطعام إلا أن يكون رب البيت يرغب في بقائهم، أو أن تكون عادة القوم كذلك، ولم يكن هناك مشقة ولا أذى فلا بأس بذلك؛ لأن العلة التي من أجلها جاء النهي انتفت.

**ومن الآداب المتعلقة بالضيوف أيضًا:** أن النبي ﷺ كان إذا أكل طعامًا عند قوم دعا لهم بعد الفراغ منه<sup>(٢)</sup>، فعن أنسٍ أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة، فجاء بخبز وزيت، فأكل ثم قال النبي ﷺ: «أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ»<sup>(٣)</sup>.

وفيه -أيضاً- من حديث المقداد **قال: أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي، وَقَدْ ذَهَبْتُ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الْجَهَدِ، فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ ...**-ذكر الحديث بطوله- وفيه: أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمْنِي، وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي»<sup>(٤)</sup>.

وروى عبد الله بن بُسر **قال: نزل رسول الله ﷺ على أبيه، قال: فقربنا إليه**

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٤ / ١٦٥).

(٢) انظر: إكمال المعلم لعياض (٦ / ٥٢٥)، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٣ / ٢٢٦).

(٣) رواه أبو داود في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام (ح ٣٨٥٤ / ٤)، (١٨٩)، وقال النووي في الأذكار (ص ٢٧٦): «إسناده صحيح»، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (ح ٣٢٦٣ / ٢)، (٧٣٠).

(٤) رواه مسلم في كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره (ح ٢٠٥٥ / ٣)، (١٦٢٥).



طعاماً وَطَبَّةً<sup>(١)</sup>، فَأَكَلَ مِنْهَا، ثُمَّ أُتِيَ بِتَمْرٍ، فَكَانَ يَأْكُلُهُ وَيَلْقَى النَّوْيَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ، وَيَجْمِعُ السَّبَابَةَ وَالْوَسْطَى، ثُمَّ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرَبَهُ، ثُمَّ نَاوَلَهُ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ، قَالَ: فَقَالَ أَبِي وَأَخْذَ بِلِجَامِ دَابِتِهِ: ادْعُ اللَّهَ لَنَا. فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتُهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

- ورد في السنة - أيضاً - أن الضيف يقول لمن استضافه إذا تبعه رجل لم يدع: «إِنَّ هَذَا اتَّبَعَنَا، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ، وَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ»؛ كما في حديث أبي مسعود<sup>(٣)</sup> الأنصاري<sup>(٤)</sup> قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُ أَبُو شَعِيْبٍ، وَكَانَ لَهُ غَلَامٌ لَحَّامٌ، فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ<sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> فَعَرَفَ فِي وَجْهِهِ الْجُوعَ، فَقَالَ لِغَلَامِهِ: وَيْحَكَ، اصْنِعْ لَنَا طَعَامًا لِخَمْسَةٍ نَعَرِ، فَإِنِّي أَرِيدُ أَنْ أَدْعُو النَّبِيَّ<sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> خَامِسَ خَمْسَةٍ، قَالَ: فَصَنَعَ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ<sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> فَدَعَاهُ خَامِسَ خَمْسَةٍ، وَاتَّبَعَهُمْ رَجُلٌ، فَلَمَّا بَلَغَ الْبَابَ قَالَ النَّبِيُّ<sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup>: إِنَّ هَذَا اتَّبَعَنَا، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ، وَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ. قَالَ: لَا، بَلْ آذَنْ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ»<sup>(٥)</sup>.

**قال القرطبي:** «فاستأذن صاحب المكان تطبيباً لقلبه، وبياناً للمشروعية في ذلك»<sup>(٦)</sup>.

(١) وَطَبَّة - بالواو وإسكان الطاء وبعدها باء موحدة - هي: الحيس، يجمع بين التمر والأقط والسمن. النهاية لابن الأثير (٥/٥)، مادة (وطب).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب استحباب وضع النوى خارج التمر، واستحباب دعاء الضيف لأهل الطعام (ح ٢٠٤٢)، (٣/٣)، (١٦١).

(٣) رواه البخاري في كتاب الأطعمة، باب الرجل يتتكلف الطعام لأخوانه (ح ٥٤٣٤)، (٣/٣)، (٤٤٢)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب ما يفعله الضيف إذا تبعه غير من دعاه صاحب الطعام، واستحباب إذن صاحب الطعام للتتابع (ح ٢٠٣٦)، (٣/٣)، (١٦٠٨).

(٤) المفهوم لأبي العباس القرطبي (٥/٣٠٢)، انظر: صحيح مسلم للنووي (١٣/٢٠٨)، وفتح الباري لابن حجر (١٠/٧٠٢ - ٧٠٣).



وقال ابن مفلح: «ويستحب لصاحب الطعام أن يأذن له، مالم يكن في حضوره مفسدة»<sup>(١)</sup>.

- ومن آداب الضيف: ألا يخرج إلا برضاء صاحب المنزل وإذنه، وألا يجلس في مقابلة حجرة النساء وسترهن، ولا يُكثر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام<sup>(٢)</sup>. وغير ذلك.



(١) الآداب الشرعية لابن مقلح (١٧٢/٣).

(٢) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٢٦/٩٥)، والنجم الوهاج في شرح المنهاج للدميري (٧/٣٨٩)، ومغني المحتاج للشربini (٤/٤١٢).



### المبحث الثالث

## حكم الضيافة في القرآن الكريم

ذهب جماعة من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهَرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨]، نزل في الضيافة.

قال مجاهد: «هو الرجل ينزل بالرجل فلا يُحسن إليه، فقد رخص الله له أن يقول فيه»<sup>(١)</sup>.

وقد رجح الطبرى أن عموم الآية يتناول من لم يُقر الضيف، فقال في تفسير الآية: «لا يحب الله - أيها الناس - أن يجهر أحد لأحد بالسوء من القول ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ بمعنى: إلا من ظلم فلا حرج عليه أن يخبر بما أُسيء عليه. وإذا كان ذلك معناه، دخل فيه إخبار من لم يُقر، أو أسيء قرابة، أو نيل بظلم في نفسه، أو ماله عنوةً من سائر الناس. وكذلك دعاؤه على من ناله بظلم أن ينصره الله عليه، لأن في دعائه عليه إعلاماً منه لمن سمع دعاءه عليه بالسوء له»<sup>(٢)</sup>.

بعد الاتفاق على مشروعية الضيافة اختلف أهل العلم في حكمها على أقوال، أهمها قولان:

**القول الأول:** أن الضيافة واجبة. وهو روایة عن الإمام أحمد، وبه قال طائفة

(١) رواه عنه الطبرى في جامع البيان (٧/ ٦٢٨)، وذكره عنه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤٤٣/ ٢). انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٦٤٤).

(٢) جامع البيان للطبرى (٧/ ٦٣١ - ٦٣٢).



من العلماء، ومنهم الليث بن سعد<sup>(١)</sup>؛ مستدلين بالآية السابقة، وقالوا: لأن الظلم ممنوع منه فدلل على وجوبها<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: «وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للنزيل، وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل»<sup>(٣)</sup>.

ومدة الضيافة الواجبة يوم وليلة، والكمال ثلاثة أيام. قال ابن قدامة: «والواجب يوم وليلة، والكمال ثلاثة أيام لما روى أبو شريح الخزاعي<sup>(٤)</sup>. ونص الحديث: عن أبي شريح الخزاعي رض قال: سمعت أذنائي وأبصرت عينائي حين تكلم النبي ص فقال: «من كان يؤمِّن بالله واليَوْمِ الآخِرِ فليُكْرِمْ ضيْفَهِ جائِزَتْهُ» قال: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضيافة ثلاثة أيام، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ»<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن القيم: «إن للضييف حقاً على من نزل به، وهو ثلاثة مراتب: حق

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٤٣ / ٢١)، والمجموع للنwoي (٥٧ / ٩)، والمغني لابن قدامة (٣٥٢ / ١٣)، جامع العلوم والحكم لابن رجب (١ / ٣٥٦ - ٣٦٠)، والموسوعة الفقهية الكويتية لمجموعة من العلماء (٢٨ / ٣١٦).

(٢) انظر: جامع البيان للطبرى (٦٢٨ / ٧)، وأحكام القرآن لابن العربي (٥٤٩ / ١)، وأحكام القرآن لابن الفرس (٢٩١ / ٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦ / ٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٤٣ / ٢)، والتفسير المنير للزحيلي (٦ / ٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧ / ٤٢٠).

(٤) المغني لابن قدامة (١٣ / ٣٥٣).

(٥) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب حق الضييف (ح ٦١٣٥)، ومسلم - واللفظ له - في كتاب اللقطة، باب الضيافة ونحوها (ح ١٤).



واجب، وتمام مستحب، وصدقة من الصدقات، فالحق الواجب: يوم وليلة، وقد ذكر النبي ﷺ المراتب الثلاثة في الحديث المتفق على صحته من حديث أبي شريح الخزاعي...»<sup>(١)</sup>. وساق الحديث.

ومن أدلةهم -أيضاً- من السنة:

١- قوله ﷺ: «ليلة الضيف واجبة على كل مسلم، فإن أصبح بفنائه محرومًا، كان دينًا له عليه، إن شاء اقتضاه، وإن شاء تركه»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم: «وهو دليل على وجوب الضيافة»<sup>(٣)</sup>.

وقال الشوكاني: «فهذا تصريح بالوجوب، لم يأتِ ما يدل على تأويله»<sup>(٤)</sup>.

٢- ما جاء عن عقبة بن عامر رض آنه قال: قلنا: يا رسول الله، إنك تبعثنا، فنتردد بِقَوْمٍ فَلَا يَقْرُونَا، فَمَا تَرَى؟ فَقَالَ لَنَا: «إِنْ نَرَلْتُمْ بِقَوْمٍ، فَأَمِرْ لَكُمْ بِمَا يَبْغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبِلُوا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) زاد المعاد لابن القيم (٦٥٨/٣).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤٠٩/٢٨)، ح (١٧١٧٢). وقال محقق المسند (٤٠٩/٢٨): «إسناده صحيح على شرط الشيفيين». ورواه أبو داود في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الضيافة (ح ٣٧٥٠)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب حق الضيف (ح ٣٦٧٧). وقال التوسي في المجموع (٩/٥٧): «رواه أبو داود بإسناد صحيح»، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢/٢٩٧، ح ٢٩٦٦).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (٤/٣٨٥).

(٤) نيل الأوطار للشوكاني (٨/١٥٧).

(٥) رواه البخاري في كتاب المظالم، باب قصاص المظلوم (ح ٢٤٦١)، ومسلم في كتاب اللقطة، باب الضيافة ونحوها (ح ١٧٢٧).



ووجه الدلاله: حيث جاء في الحديث إباحة العقوبة بأخذ المال لمن ترك ذلك، وهذا لا يكون في غير واجب، فلو لم تجب لم يأمر النبي ﷺ بالأخذ<sup>(١)</sup>.

٣- قوله ﷺ: «... ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»<sup>(٢)</sup>.

قال الشوكاني - حول هذا الحديث - بأن فيه: «التأكيد البالغ يجعل ذلك فرع الإيمان بالله واليوم الآخر، ويفيد أنّ فعل خلافه فعل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، وعلوم أن فروع الإيمان مأمور بها، ثم تعلق ذلك بالإكرام، وهو أخص من الضيافة، فهو دال على لزومها بالأولى»<sup>(٣)</sup>.

وقال محمد بن عثيمين: «فحكم الضيافة واجب، وإكرام الضيف - أيضًا - واجب، وهو أمر زائد على مطلق الضيافة، قال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»، أي: من كان يؤمن إيمانًا كاملاً فليكرم ضيفه...»<sup>(٤)</sup>.

والقول الثاني: ذهب الجمهور إلى أن الضيافة سُنة، ومن مكارم الأخلاق، ولن يست واجبة، وبه قال الحنفية، والمالكية، والشافعية، ورواية عن أحمد<sup>(٥)</sup>.

(١) نيل الأوطار للشوكاني (٨ / ١٥٧)، منار السبيل لابن ضويان (٢ / ٤٢٠).

(٢) متفق عليه، وقد تقدم تخریجه في المبحث الثاني: مشروعية الضيافة وفضليتها في القرآن الكريم (ص ١٧٨).

(٣) نيل الأوطار للشوكاني (٨ / ١٥٧).

(٤) الشرح الممتع على زاد المستقنع لابن عثيمين (١٥ / ٤٨).

(٥) انظر: الاستذكار لابن عبدالبر (٢٦ / ٣٠٨ - ٣٠٩)، والمجموع شرح المذهب للنبو (٩ / ٥٧)، والمعنى لابن قدامة (١٣ / ٣٥٣)، وعمدة القاري للعیني (٢٢ / ١٧٣ - ١٧٤)، وفتاوی قاضیخان بهامش الهندية (٣ / ٤٠١)، والبيان والتحصیل لابن رشد (١٨ / ٢٨١)، والموسوعة الفقهية الكويتية (٢٨ / ٣١٦).



ونسبة بعض أهل العلم بأنه قول الجمهور، وعامة أهل العلم <sup>(١)</sup>.

**قال النووي:** «الضيافة سُنة، فإذا استضاف مسلم لا اضطرار به مسلماً استُحب له ضيافته، ولا تجب» <sup>(٢)</sup>.

ومن أدلةهم من السنة:

١ - قوله ﷺ في حديث أبي شريح السابق: «فَلَيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِرَةً»، قال: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضيافة ثلاثة أيام، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ» فالجائزة تفضل وإحسان، وعطية وصلة، وليس واجبة <sup>(٣)</sup>.

٢ - قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» <sup>(٤)</sup>. عبر بالإكرام، وهو ليس بواجب، قال القرطبي: «إكرام الجار ليس بواجب إجماعاً، فالضيافة مثله» <sup>(٥)</sup>.

٣ - ما رواه البخاري <sup>(٦)</sup> من حديث أبي سعيد الخدري رض أنه قال: «انطلق

(١) كالنوعي في المجموع (٩/٥٧)، وابن العربي في أحكام القرآن (٣/٢٠)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩/٦٤).

(٢) المجموع شرح المذهب للنوعي (٩/٥٧)، وروضۃ الطالبین للنوعي (٢/٥٥٨).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/٦٤)، وفتح الباري لابن حجر (١٢/١٦٦).

(٤) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (ح ٦٠١٩)، (٨/١١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان (ح ٤٧) (١/٦٨).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/٦٤).

(٦) في صحيحه، في كتاب الإجارة، باب ما يعطى في الرقية (ح ٢٢٧٦)، ومسلم في كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجر على الرقية بالقرآن والأذكار (ح ٢٢٠١).



نفر من أصحاب النبي ﷺ في سفرة سافر وها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب، فاستضافوه، فأبوا أن يضيفوهم».

**قال ابن العربي:** «قوله في هذا الحديث: (فاستضافناهم فأبوا أن يضيفونا) ظاهر في أن الضيافة لو كانت حَقًّا لَلَّامَ النَّبِيَّ ﷺ القوم الذين أبوا، وبيَّن لهم ذلك»<sup>(١)</sup>.  
**والراجح - والله أعلم -** أن ضيافة المسافر المجتاز - لا المقيم - واجبة، وأن وجوبها على أهل القرى، والأمصار، دون تفريق؛ لقوة ما استدلوا به.

**قال محمد بن عثيمين في شرحه لكتاب زاد المستقنع:** « قوله<sup>(٢)</sup>: (وتجب ضيافة المسلم)، (تجب) هذا بيان حكم الضيافة...، قوله: (المجتاز به) يعني: الذي مر بك وهو مسافر، وأمّا المقيم فإنه ليس له حق ضيافة، ولو كان المقيم له حق الضيافة لكن ما أكثر المقيمين الذين يقرعون الأبواب! فلابد أن يكون مجتازاً، أي: مسافراً وما رأى، حتى لو كان مسافراً مقيماً يومين، أو ثلاثة، أو أكثر، فلا حق له في ذلك، بل لابد أن يكون مجتازاً.

**قوله:** «في القرى» دون الأمصار، والقرى: البلاد الصغيرة، والأمصار: البلاد الكبيرة، قالوا: لأن القرى هي مظنة الحاجة، والأمصار بلاد كبيرة فيها مطاعم وفنادق وأشياء يستغني بها الإنسان عن الضيافة، وهذا - أيضاً - خلاف القول الصحيح؛ لأن الحديث عامٌ، وكم من إنسان يأتي إلى الأمصار، وفيها الفنادق، وفيها المطاعم، وفيها كل شيء، لكن يكرهها ويرأب بنفسه أن يذهب إليها، فينزل

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٣/٢١).

(٢) المراد: الإمام الحجاوي رحمه الله - صاحب متن زاد المستقنع - حيث قال: «وتجب ضيافة المسلم المجتاز به في القرى يوماً وليلة».



ضيًّا على صديق، أو على إنسان معروف، فلو نزل بك ضيف، ولو في الأنصار،  
فالصحيح الوجوب»<sup>(١)</sup>.

وأما الضيافة فيما زاد على الثلاثة أيام فهي صدقة من الصدقات لظاهر حديث  
أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه المتقدم وفيه: قال ص: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
فَلَيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتْهُ» قال: وَمَا جَائِزَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضيافة  
ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ»<sup>(٢)</sup>.

فقوله: «فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ» ظاهر في ذلك.



(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع لابن عثيمين (١٥ / ٤٨ - ٥١).

(٢) متفق عليه، وقد تقدم تخريره في أول هذا المبحث (ص ٢٠٩).



## الخاتمة

توصيل البحث إلى عدد من النتائج يحسن ذكرها في الخاتمة، ولعل من أبرزها :

- ١- الآداب السامية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية التي تُظهر جوانب من عظمة هذا الدين الحنيف؛ لتقويم حياة الناس، وتمييز المسلمين عن غيرهم؛ وتُظهر كمال هذه الشريعة وشموليتها لجميع مناحي الحياة.
- ٢- أن الدين أدب كُلُّه، والتمسك بالآداب الشرعية يقود إلى التمسك بالدين كله.
- ٣- أن إكرام الضيف من القيم النبيلة، ومن العادات العريقة الم محمودة للعرب في جاهليتهم، وجاء الإسلام بإقرارها وتهذيبها، وبيان حكمها، وجعل لها من الآداب الرفيعة ما يرفع درجتها.
- ٤- أن الضيافة والإحسان إلى الضيف وإكرامه من خلق الأنبياء والمرسلين، ومن محسن الدين، ومن مكارم الأخلاق التي جاء الإسلام بإتمامها.
- ٥- تضافرت النصوص من الكتاب والسنّة على فضل الضيافة والإطعام، وبيان أنها من شيم الكرام، وربطها رسول الله ﷺ بكمال الإيمان.
- ٦- منع القرى عن الضيف مذموم في الإسلام، وعلى كل الألسن، وصاحبه ملوم.
- ٧- ورد في كتاب الله آداب جمّة للضيافة، وعلى قدر تحلّي المضييف والضيوف بها ومراعاتها يكتمل الإحسان بينهما، وتم الضيافة على أحسن وجه، وهي أشرف



الآداب إطلاقاً، وما عداها من التكلفات إنما هي من أوضاع الناس وعوائدهم، وكفى بهذه الآداب القرآنية شرفاً وفخرًا لمن تمسك بها.

٨- أن حق الضيف على من نزل به على ثلاث مراتب: حق واجب لمدة يوم وليلة، وحق مستحب لمدة ثلاثة أيام، وصدقة من الصدقات بعد ثلاثة أيام.

٩- الراجح- والله أعلم- أن ضيافة المسافر المجتاز- لا المقيم- واجبة، وأن وجوبها على أهل القرى والأمصار دون تفريق.

هذا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، والحمد لله رب العالمين.





## ثَبَتُ الْمَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ

- ١- القرآن الكريم، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- ٢- أحكام القرآن، ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبدالله، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبدالقادر عطا، ط١، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية (١٤٠٨هـ).
- ٣- إحياء علوم الدين، الغزالى، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، بيروت: دار المعرفة.
- ٤- الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبدالله، شمس الدين المقدسي الرامياني ثم الصالحي الحنفي (ت: ٧٦٣هـ)، عالم الكتب.
- ٥- الأذكار، النwoي، محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النwoي، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، ط٢، الرياض، دار الهدى (١٤٠٩هـ).
- ٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، صيدا، بيروت: المكتبة العصرية (١٤٠٧هـ).
- ٧- إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، ط١، دار الوفاء، (١٤١٩هـ).
- ٨- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوى، ناصر الدين الشيرازى، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٠٨هـ).
- ٩- أيسر التفاسير لكتاب الله العلیي الكبير، أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبدالقادر بن جابر، ط٥، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية: مكتبة العلوم والحكم (١٤٢٤هـ).



- ١٠ - **تاج العروس من جواهر القاموس**، للزبيدي، محمد بن محمد (ت: ١٢٠٥ هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهدایة.
- ١١ - **التحریر والتنویر** «تحریر المعنى السدید وتنویر العقل الجدید من تفسیر الكتاب المجيد»، ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، تونس: دار سحون للنشر.
- ١٢ - **التعريفات**، الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشریف (ت: ٨١٦ هـ)، بيروت: مکتبة لبنان، (١٩٨٥ م).
- ١٣ - **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثیر، إسماعيل بن عمر، تحقيق: سامي السلامه، ط ١، دار طيبة (١٤١٨ هـ).
- ١٤ - **التفسير الكبير**، أو (مفاتیح الغیب)، الرازی، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسین التیمی أبو عبدالله (ت: ٦٠٦ هـ). ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١١ هـ).
- ١٥ - **تفسير المراغی**، أحمد بن مصطفی (ت: ١٣٧١ هـ)، ط ١، مصر: مطبعة مصطفی البابی وأولاده (١٣٦٥ هـ).
- ١٦ - **التمهید لِمَا فِي الْمُوْطَأِ مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَسَانِيدِ**، لابن عبد البر، يوسف بن عبدالله أبو عمر (ت: ٤٦٤ هـ)، تحقيق: مصطفی العلوی، ومحمد البکری، المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- ١٧ - **تهذیب اللغة**، للأزهري، محمد بن أحمد الھروي أبي منصور (ت: ٣٧٠ هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي (٢٠٠١ م).
- ١٨ - **تيسیر الكریم الرحمن فی تفسیر کلام المنان**، السعیدی، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله (ت: ١٣٧٦ هـ)، تقدیم: محمد زھری النجار، جدہ: دار المدنی.
- ١٩ - **جامع الأصول فی أحادیث الرسول**، لابن الأثیر، المبارك بن محمد الشیبانی أبي السعادات (ت: ٦٠٦ هـ)، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، التسمرة: تحقيق: بشیر عیون، ط ١، مکتبة الحلواني، مطبعة الملاح، دار البيان (١٣٨٩ هـ).
- ٢٠ - **جامع البيان عن تأویل آی القرآن**، الطبری، محمد بن جریر أبو جعفر، تحقيق: د. عبدالله



التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ط١، دار هجر للطباعة (١٤٢٢هـ).

٢١- الجامع الصحيح، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، مراجعة وضبط: محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وقصي محب الدين الخطيب، ط١، مصر: المكتبة السلفية (١٤٠٠هـ).

٢٢- جامع العلوم والحكم، ابن رجب، زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنفي (ت: ٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوطاً وإبراهيم باجس، ط٧، بيروت: مؤسسة الرسالة (١٤٢٢هـ).

٢٣- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد أبو عبدالله الأنباري، ط٢، دار الفكر.

٢٤- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: ٧٥١هـ)، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية (١٤٠٥هـ).

٢٥- الرسالة التبوكية (زاد المهاجر إلى ربه) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: د. محمد جميل غازي، جدة: مكتبة المدنى.

٢٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، شهاب الدين السيد محمود أبو الفضل البغدادي، ضبطه وصححه: علي عبدالباري عطية، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية (١٤١٥هـ).

٢٧- روضة الطالبين، النووي، محبي الدين يحيى بن شرف أبو زكريا (ت: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عادل عبدالموجود، وعلي محمد معوض، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية (١٤١٢هـ).

٢٨- روضة العلاء ونزة الفضلاء، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبُدَ التميمي، أبو حاتم الدارمي البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق: محمد محبي الدين عبدالحميد، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٩- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، ط١، ١٤٠٠هـ.



- ٣٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقروري أبو عبد الرحمن (ت: ١٤٢٠ هـ)، ط٤، بيروت: المكتب الإسلامي (١٤٠٥ هـ).
- ٣١- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقروري أبو عبد الرحمن (ت: ١٤٢٠ هـ)، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي.
- ٣٢- سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث الأزدي، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعايس، وعادل السيد، ط١، بيروت: دار الحديث.
- ٣٣- سنن ابن ماجه، القرزيوني، محمد بن يزيد أبو عبدالله، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت: المكتبة العلمية.
- ٣٤- سنن الترمذى (الجامع الصحيح) أبو عيسى الترمذى، محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية (١٤٠٨ هـ).
- ٣٥- سير أعلام النبلاء، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة (١٤٠٢ هـ).
- ٣٦- شرح صحيح مسلم، النووي، محيي الدين يحيى بن شرف أبو زكريا (ت: ٦٧٦ هـ)، دار الكتب العربية (١٤٠٧ هـ).
- ٣٧- الشرح الممتع على زاد المستقنع، العشيمين، محمد بن صالح (ت: ١٤٢١ هـ)، ط١، دار ابن الجوزي (١٤٢٢ - ١٤٢٨ هـ).
- ٣٨- شعب الإيمان، البهقي، أحمد بن الحسين أبو بكر (ت: ٤٥٨ هـ)، تحقيق: عبدالعلي حامد، بإشراف: مختار الندوى، ط١، الرياض: مكتبة الرشد بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م).
- ٣٩- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي، أحمد بن علي (ت: ٨٢١ هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية.



- ٤٠ - صحيح الجامع الصغير وزياداته، الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقرودري أبو عبدالرحمن (ت: ١٤٢٠ هـ)، المكتب الإسلامي.
- ٤١ - صحيح سنن أبي داود، للألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقرودري أبو عبدالرحمن (ت: ١٤٢٠ هـ)، ط١، المكتب الإسلامي (١٤٠٩ هـ).
- ٤٢ - صحيح سنن ابن ماجه، الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقرودري أبو عبدالرحمن (ت: ١٤٢٠ هـ)، ط١، المكتب الإسلامي (١٤٠٨ هـ).
- ٤٣ - صحيح مسلم، النيسابوري، مسلم بن حجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- ٤٤ - ضعيف ابن ماجه، الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقرودري أبو عبدالرحمن (ت: ١٤٢٠ هـ)، ط١، المكتب الإسلامي (١٤٠٨ هـ).
- ٤٥ - عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، تحقيق: محمد باسل، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية (١٤١٧ هـ).
- ٤٦ - غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، السفاريني، شمس الدين محمد بن أحمد أبو العون الحنبلي (ت: ١١٨٨ هـ)، ط٢، مصر: مؤسسة قرطبة (١٤١٤ هـ).
- ٤٧ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد أبو الفضل العسقلاني، مكة المكرمة: دار الفكر للطباعة والنشر، والمكتبة التجارية لمصطفى الباز (١٤١٤ هـ).
- ٤٨ - فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي اليماني (ت: ١٢٥٠ هـ)، بيروت: دار الفكر (١٤٠٣ هـ).
- ٤٩ - فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١ هـ)، ط١، مصر: المكتبة التجارية الكبرى (١٣٥٦ هـ).
- ٥٠ - قرئ الضيف، ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد أبي بكر البغدادي الأموي القرشي



(ت: ٢٨١ هـ)، تحقيق: عبدالله بن حمد المنصور، ط١، الرياض، السعودية: أضواء السلف (١٤١٨ هـ).

٥١ - كتاب العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠ هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الهلال.

٥٢ - الكشاف، الزمخشري، محمود بن عمر أبو القاسم، رتبه: مصطفى أحمد، ط٣، دار الكتاب العربي (١٤٠٧ هـ).

٥٣ - الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق التعلبي، أحمد بن محمد (ت: ٤٢٧ هـ)، تحقيق: محمد بن عاشور، مراجعة: نظير الساعدي، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي (١٤٢٢ هـ).

٥٤ - الكليات (معجم في المصطلحات والفرق اللغوية) تلكتفوبي، أيووب بن موسى الحسيني أبي البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤ هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة (١٤١٩ هـ).

٥٥ - لسان العرب، لابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، ط١، دار صادر (١٣٧٤ هـ).

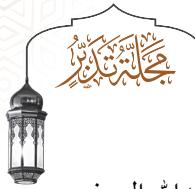
٥٦ - لقاء الباب المفتوح، العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت: ١٤٢١ هـ)، [لقاءات كان يعقدها الشيخ بمنزله كل خميس. بدأت في أواخر شوال ١٤١٢ هـ وانتهت في الخميس ١٤ صفر، عام ١٤٢١ هـ].

٥٧ - مجمع الزوائد ومنع الفوائد، للهيثمي، علي بن أبي بكر، بيروت: دار الفكر، ودار الكتب العلمية (١٤٠٨ هـ).

٥٨ - المجموع شرح المهدب (مع تكميلة السبكي والمطبي)، النووي، يحيى بن شرف أبو زكريا (ت: ٦٧٦ هـ)، دار الفكر.

٥٩ - مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام بن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

٦٠ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، عبدالحق بن غالب أبي محمد



- الأندلسي، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، مكتبة ابن تيمية (١٤١٣هـ).
- ٦١- مختار الصحاح، للرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر أبو عبدالله الحنفي (ت: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، صيدا، بيروت: المكتبة العصرية، الدار النموذجية (١٤٢٠هـ).
- ٦٢- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد الفقي، ط٢، دار الكتاب العربي (١٣٩٣هـ).
- ٦٣- مدارك التنزيل وحقائق التأویل، النسفي، عبدالله بن أحمد أبو البركات (ت: ٧١٠هـ)، حققه: يوسف علي بدبوی، قدم له: محيي الدين مستو، ط١، بيروت: دار الكلم الطيب (١٤١٩هـ).
- ٦٤- المستدرک على الصحيحين، الحاکم الیسابوری، محمد بن عبدالله، وبذیله التلخیص للذہبی، بإشراف: يوسف عبدالرحمن المرعشلی، بيروت: دار المعرفة.
- ٦٥- المستند، الشیبانی، أحمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد شاکر، ط٣، دار المعارف.
- ٦٦- المستند، الشیبانی، أحمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعیب الأرناؤوط، وعادل مرشد، وآخرين، بإشراف: د. عبدالله التركي، ط١، مؤسسة الرسالة (١٤٢١هـ).
- ٦٧- مستند الرویانی، أبو بکر محمد بن هارون، تحقيق: أيمن أبویمانی، ط١، القاهره: مؤسسة قرطبة (١٤١٦هـ).
- ٦٨- معالم السنن، الخطابی، حمْد بن محمد أبي سليمان البستی، ط١، حلب: المطبعة العلمية (١٣٥١هـ).
- ٦٩- المغرب في ترتیب المعرف، المُطَرَّزِي، ناصر بن عبدالسید أبو الفتح الخوارزمی (ت: ٦١٠هـ)، دار الكتاب العربي.
- ٧٠- المصنف في الأحادیث والآثار، ابن أبي شیبة، تحقيق: کمال الحوت، ط١، الیاضص: مکتبة الرشد (١٤٠٩هـ).



- ٧١- المفردات في غريب القرآن، الراغب، الحسين بن محمد أبي القاسم، تحقيق: صفوان الداودي، ط١ ، دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية (١٤١٢ هـ).
- ٧٢- المفہم لما أشکل من تلخیص صحيح مسلم، أبو العباس القرطبي، أحمد بن عمر الأنصاري، تقديم وتحقيق: د. عبدالهادي النازی، الرباط، المغرب: مطبعة الكراة (١٤٢٦ هـ).
- ٧٣- مکارم الأخلاق، ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد (ت: ٢٨١ هـ)، تحقيق: مجدى السيد، القاهرة: مکتبة القرآن.
- ٧٤- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة عن: وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية (الأجزاء: ١ - ٢٣: ط٢، الكويت: دارالسلسل، الأجزاء: ٢٤ - ٣٨: ط١ ، مصر: مطبع دار الصفو، الأجزاء: ٣٩ - ٤٥: ط٢، الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية).
- ٧٥- النکت والعيون، للماوردي، علي بن محمد، المحقق: السيد بن عبدالمقصود، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ٧٦- النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، المبارك بن محمد، تحقيق: الطناجي والزاوي، ط٢، دار الفكر (١٣٩٩ هـ).
- ٧٧- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، الشوكاني، محمد بن علي اليمني (ت: ١٢٥٠ هـ)، تحقيق: عصام الدين الصباطي، ط١ ، دار الحديث، مصر (١٤١٣ هـ).
- ٧٨- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، علي بن أحمد أبي الحسن (ت: ٤٦٨ هـ)، تحقيق: عادل عبدالموجود وزملائه، قدمه وقرظه: عبدالحي الفرماوي، ط١ ، بيروت: دار الكتب العلمية (١٤١٥ هـ).





## References and Sources

1. *The Holy Quran*, al-Madinah al-Nabawiyyah Mushaf for Computer Publishing, King Fahd Glorious Qur'an Printing Complex.
2. *Ahkamul Quran*, Ibn al-Arabi, Abu Bakr Mohammed ibn Abdullah, reviewed its origins, investigated its hadiths and commented by: Mohammed Abd al-Qadir Atta, 1<sup>st</sup> edition, Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-Ilmiyya (1408 AH).
3. *Ehiyaa Oloum Al-Din*, Al-Ghazali, Abu Hamid Mohammed bin Mohammed Al-Tusi (died.: 505 AH), Beirut: Dar Al-Maarifah.
4. *Al-Adaabu a'shariyah, Ibn Muflih*, Mohammed bin Muflih bin Mohammed bin Mufarrej, Abu Abdullah, Shams al-Din al-Maqdisi al-Ramini, then al-Salihi al-Hanbali (died: 763 AH), Alam Alkotob .
5. *Al-Azkar*, Al-Nawawi, Muhyi Al-Din Abi Zakaria Yahya Bin Sharaf Al-Nawawi, investigation: Abdul Qadir Al-Arnaout, 2<sup>nd</sup> Edition, Riyadh, Dar Al-Huda (1409 AH).
6. *Elamul-Mowafeqin a'n Rabul-alameen*, Ibn Qayyim al-Jawziyya, Shamsu-Ddin Abu Abdullah Mohammed ibn Abi Bakr, investigation: Mohammed Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Sidon, Beirut: Al-Maqtabah Al-Asriyya (1407 AH).
7. *Ekmalul-Moaleim bi-Fawaed Mulsim*, Al-Qadi Iyadh, Abu Al-Fadl Iyadh bin Musa Al-Yahsabi, investigation: Dr. Yahya Ismail, 1<sup>st</sup> edition, Dar Al-Wafa, (1419 AH).
8. *Anwaru-tanzil wa Asraru-Taweeel*, Al-Baydawi, Nasser Al-Din Al-Shirazi, 1<sup>st</sup> Edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, (1408 AH).
9. *The Easiest Interpretations of the Words of The Almighty*, Abu Bakr al-Jaza'iri, Jaber bin Musa bin Abdul Qadir bin Jaber, 5<sup>th</sup> edition, Medina, Saudi Arabia: Maktabat Al-Oloum wal-Hekam (1424 AH).
10. *Tajul-Arous m'n Jawaher Al-Qamous*, by Al-Zubaidi, Mohammed bin Mo-



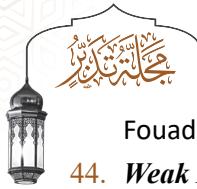
- hammed (Died: 1205 AH), investigation by a group of investigators, Dar Al-Hedaya.
11. *Al-Tahreer wal-tanweer* "Editing the Right Meaning and New Enlightening the Mind by the Interpretation of the Glorious Book", Ibn Ashour, Mohammed Al-Taher bin Ashour, Tunisia: Sahnoun Publishing House.
  12. *Al-Tarifat, Al-Jurjani*, Ali bin Mohammed bin Ali Al-Zein Al-Sharif (died. 816), Beirut: Library of Lebanon, (1985 AD).
  13. *Tafseerul-Quran Al- Azeem*, Ibn Katheer, Ismail bin Omar, investigation: Sami Al-Salama, 1<sup>st</sup> edition, Dar Taiba (1418 AH).
  14. *Al-tarfseer Al-Akabeer*, or (Mafatihul-Ghaib), Al-Razi, Mohammed bin Omar bin Al-Hassan bin Al-Hussein Al-Taimi Abu Abdullah (DIED: 606 AH) – 1<sup>st</sup> edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, (1411 AH).
  15. *Tafseer Al-Maraghi*, Ahmed bin Mustafa (died. 1371 AH), 1<sup>st</sup> Edition, Egypt: Mustafa Al-Babi and Sons Press (1365 AH).
  16. *Al-Tamheed lima fil-Muttaa m'na al-Maani wal-Asaneed*, Ibn Abd al-Bar, Youssef bin Abdullah Abu Omar (died.: 463 AH), investigation: Mustafa Al-Alawi and Mohammed Al-Bakri, Morocco: Ministry of All Endowments and Islamic Affairs.
  17. *Tahzeeb al-lughah*, by Al-Azhari, Mohammed bin Ahmed Al-Harawi Abi Mansour (died.: 370 AH), Investigated by: Mohammed Awad Mereb, 1<sup>st</sup> Edition, Beirut: dar Ihia Alturathu Al-Arabi (2001 AD).
  18. *Tayseer Al-Karim Al-Rahman fi Tafseer Kalam Al-Mannan*, Al-Saadi, Abdurrahman bin Nasser bin Abdullah (Died.: 1376 AH), presented by: Mohammed Zuhri Al-Najjar, Jeddah: Dar Al-Madani.
  19. *Jamul-Osoul fi Ahadith Al-Rasoul*, by Ibn Al-Atheer, Al-Mubarak bin Mohammed Al-Shaibani Abi Al-Saadat (Died: 606 AH), investigation: Abdul-Qadir Al-Arnaout, the sequel, Investigated by: Bashir Oyoun, 1st Edition, Al-Hawani Bookstore, Al-Mallah Press, Dar Al-Bayan (1389 AH).
  20. *Jami' al-Bayan a'n Taweeل Aye Al-Quran* , al-Tabari, Mohammed bin Jarir Abu Jaafar, investigation: Dr. Abdullah Al-Turki, in cooperation with the Center for Arab and Islamic Research and Studies, Dar Hajar, 1<sup>st</sup> edition, Dar Hajar for Printing (1422 AH).
  21. *Al-Jami Al-Sahih, Al-Bukhari*, Mohammed bin Ismail Abu Abdullah, re-



- view and control: Muhib Al-Din Al-Khatib, Mohammed Fouad Abdul-Baqi, and Qusai Muhib Al-Din Al-Khatib, 1<sup>st</sup> Edition, Egypt: The Salafi Bookstore (1400 AH).
22. *Jameu Al-Oloum wal-Hekam*, Ibn Rajab, Zainu Ddin Abdurrahman bin Ahmed bin Rajab bin Al-Hassan Al-Hanbali (Died: 795 AH), investigation: Shuaib Al-Arnaout, and Ibrahim Bagis, 7<sup>th</sup> edition, Beirut: Al-Resala Foundation (1422 AH).
23. *Al-Jamei Li-Ahkam al-Quran*, Al-Qurtubi, Mohammed bin Ahmed Abu Abdullah Al-Ansari, 2<sup>nd</sup> Edition, Dar Al-Fikr.
24. *Jalau' al-Afham fi-Salati wa-Salam ala-Khairul-Anam, Ibn Qayyim al-Jawziyya*, Mohammed ibn Abi Bakr ibn Ayoub ibn Saad Shamsu Ddin (Died: 751 AH), 1<sup>st</sup> edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya (1405 AH).
25. *Al-Resalah Al-Taboukiyah" (Zad Al-Mosafer)* Ibn Qayyim Al-Jawziyah, Mohammed bin Abi Bakr bin Ayoub bin Saad **Shams Al-Din** (Died: 751 AH), investigation: Dr. Mohammed Jamil Ghazi, Jeddah: Al-Madani Library.
26. *Ruhul-Maani fi-Tafseer Al-Quran Al-Azeem wa-Assabeul-Mathani*, Al-Alusi, Shihab Al-Din Al-Sayyid Mahmoud Abu Al-Fadl Al-Baghdadi, edited and corrected by: Ali Abdel-Bari Attia, 1<sup>st</sup> Edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya (1415 AH).
27. *Rawdat Al-Talibeen, Al-Nawawi*, Muhyi Al-Din Yahya bin Sharaf Abu Zakaria (Died: 676 AH), investigation: Adel Abdel-Mawgoed, and Ali Mohammed Moawad, 1<sup>st</sup> Edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya (1412 AH).
28. *Rawdat Al-Okalaa wa-Nohat Al-Fodala*, Mohammed Ibn Habban Ibn Ahmad Ibn Habban Ibn Muadh Ibn Ma'bad al-Tamimi, Abu Hatim al-Darami al-Busti (d.: 354 AH), investigation: Mohammed Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
29. *Zadul-Maad fi-Hadi Khairu el-Ebad*, Ibn Qayyim al-Jawziyah, Shams al-Din Mohammed ibn Abi Bakr, verified the texts, extracted the hadiths and commented by: Shuaib al-Arnaout and Abd al-Qadir al-Arna'oot, 14th edition, Beirut: Foundation of the Resala (1407 AH).
30. *Series of Authenticated Hadiths*, Al-Albani, Mohammed Nasir Al-Din bin Al-Hajj Noah bin Najati bin Adam, Al-Ashqoudari Abu Abdurrahman (Died: 1420 AH), 4<sup>th</sup> Edition, Beirut: The Islamic Office (1405 AH).



31. **Series of Weak and Fabricated Hadiths**, Al-Albani, Mohammed Nasir Al-Din bin Al-Hajj Noah bin Najati bin Adam, Al-Ashqudari Abu Abdurrahman (Died: 1420 AH), 2<sup>nd</sup> edition, Beirut: The Islamic Bureau.
32. **Sunan Abi Dawood**, Abu Dawood Al-Sijistani, Sulaiman bin Al-Ashaath Al-Azdi, prepared and commented by: Ezzat Obaid Al-Daas, and Adel Al-Sayed, 1<sup>st</sup> Edition, Beirut: Dar Al-Hadith.
33. **Sunan Ibn Majah**, Al-Qazwini, Mohammed bin Yazid Abu Abdullaah, investigation: Mohammed Fouad Abdel-Baqi, Beirut: Al-Maktabah Al-Elmiyyah.
34. **Sunan al-Tirmidhi (Al-Jameiu Al-Sahih)**, Abu Issa al-Tirmidhi, Mohammed bin Issa bin Surah, investigated and explained: Ahmad Mohammed Shakir, 1<sup>st</sup> Edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya (1408 AH).
35. **Siyar Alaam Al-Nobalaat**, Al-Dhahabi, Mohammed bin Ahmed bin Othman, 2<sup>nd</sup> Edition, Beirut: Al-Resala Foundation (1402 AH).
36. **Sharh Sahih Muslim**, Al-Nawawi, Muhyi al-Din Yahya bin Sharaf Abu Zakaria (Died: 676 AH), Dar al-Kitab al-Arabi (1407 AH).
37. **Al-Sharhu al-Mumti' al Zadu al-Mustaqna**, Al-Uthaymeen, Mohammed bin Saleh (Died: 1421 AH) 1<sup>st</sup> edition, Ibn al-Jawzi House (1422-1428 AH).
38. **Shu'ab Al-Iman**, Al-Bayhaqi, Ahmed bin Al-Hussein Abu Bakr (d.: 458 AH), investigation: Abdul Ali Hamid, under the supervision of: Mukhtar Al-Nadawi, 1st edition, Riyadh: Al-Rushd Library in cooperation with the Salafi House in Bombay, India (1423 AH - 2003 AD).
39. **Sobh Al-Asha fi Senaatu Al-Inshaa**, Al-Qalqashandi, Ahmed bin Ali (Died: 821 AH), Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
40. **Sahih al-Jamiu al-Sagheer wa-Edafatooh**, al-Albani, Mohammed Nasir al-Din ibn al-Hajj Nuh ibn Najati ibn Adam, al-Ashqudari Abu Abd al-Rahman (Died: 1420 AH), the Islamic Office.
41. **Sahih Sunan Abi Dawood**, by Al-Albani, Mohammed Nasir Al-Din bin Al-Hajj Noah bin Najati bin Adam, Al-Ashqoudari Abu Abdurrahman (Died: 1420 AH), 1st edition, The Islamic Office (1409 AH).
42. **Sahih Sunan Ibn Majah**, Al-Albani, Mohammed Nasir Al-Din Bin Al-Hajj Noah Bin Najati Bin Adam, Al-Ashqoudari Abu Abdurrahman (Died: 1420 AH), 1st edition, The Islamic Office (1408 AH).
43. **Sahih Muslim**, Al-Nisaburi, Muslim bin Hajjaj, investigation: Mohammed

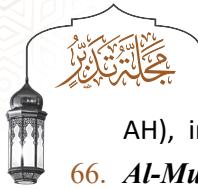


Fouad Abdel-Baqi, Dar Ihiya Al-Kotub Al-Arabiya

44. **Weak Hadiths of Ibn Majah**, Al-Albani, Mohammed Nasir Al-Din bin Al-Hajj Noah bin Najati bin Adam, Al-Ashqoudari Abu Abdurrahman (Died: 1420 AH), 1<sup>st</sup> edition, The Islamic Office (1408 AH).
45. **Umdat al-Hoffaz fi Tafeeir Ashraf al-Alfaz**, Al-Samin Al-Halabi, Ahmed bin Youssef, investigation: Mohammed Basil, 1<sup>st</sup> Edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya (1417 AH).
46. **Ghezaau Al-Albab fi Sharhu Manzoumatu Al-Aadab**, Al-Saffarini, Shams Al-Din Mohammed bin Ahmed Abu Al-Awn Al-Hanbali (Died: 1188 AH), 2<sup>nd</sup> Edition, Egypt: Cordoba Foundation (1414 AH).
47. **Fathu el-Bari Sharhu Sahih Al-Bukhari**, Al-Hafiz Ibn Hajar, Ahmed bin Ali bin Mohammed bin Ahmed Abu Al-Fadl Al-Asqalani, Makkah Al-Mukarramah: Dar Al-Fikr for Printing and Publishing, and Mustafa Al-Baz Commercial Bookstore (1414 AH).
48. **Fat'hu al-Qadir**, Al-Shawkani, Mohammed bin Ali al-Yamani (Died: 1250 AH), Beirut: Dar al-Fikr (1403 AH).
49. **Fayd Al-Qadeer**, Sharh al-Jami al-Saghir, al-Manawi, Zain al-Din Mohammed, called Abd al-Raouf ibn Taj al-Arifin ibn Ali ibn Zain al-Abidin al-Hadadi, then al-Manawi al-Qahiri (Died: 1031 AH), 1<sup>st</sup> edition, Egypt: The Great Trade Bookstore (1356 AH).
50. **Qira Al-Dhaif**, Ibn Abi Al-Doniya, Abdullah bin Mohammed Abi Bakr Al-Baghadi, the Umayyad Al-Qurashi (Died: 281 AH), investigation: Abdullah bin Hamad Al-Mansour, 1<sup>st</sup> edition, Riyadh, Saudi Arabia: Adwau' Al-Salaf (1418 AH).
51. **Kitab Al-Ain**, Al-Farahidi, Al-Khalil bin Ahmed (Died: 170 AH), investigated by: Mahdi Al-Makhzoumi, and Ibrahim Al-Samarrai, Dar Al-Hilal.
52. **Al-Kashshaf**, Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Omar Abu Al-Qasim, arranged by: Mustafa Ahmed, 3<sup>rd</sup> edition, Dar Al-Kitab Al-Arabi (1407 AH).
53. **Al-Kashf wal-Bayan fi Tafseer Al-Quran**, Abi Is'haq Al-Thalabi, Ahmed bin Mohammed (Died: 427 AH), investigation: Mohammed bin Ashour, reviewed by: Nazeer Al-Saadi, 1<sup>st</sup> edition, Beirut: Dar Ihiyau Al-Turath Al-Arabi (1422 AH).
54. **Al-Kolliyat** (A Dictionary of Terminology and Linguistic Differences) Telk-



- afwi, Ayoub bin Musa Al-Husseini Abi Al-Baqa Al-Hanafi (Died: 1094 AH), investigation: Adnan Darwish, and Mohammed Al-Masri, 2<sup>nd</sup> edition, Beirut: Al-Resala Foundation (1419 AH).
55. *Lisan Al-Arab*, Ibn Manzoor, Jamal Al-Din Mohammed Bin Makram, 1<sup>st</sup> edition, Dar Sader (1374 AH).
56. *Open Door Meeting*, Al-Uthaymeen, Mohammed bin Saleh bin Mohammed (Died: 1421 AH), [meetings Sheikh used to hold at his home every Thursday. It began at the end of Shawwal 1412 AH and ended on Thursday, Safar 14, 1421 AH].
57. *Majma' al-Zawa'id wa Masdaru el-Fawaid*, by Al-Haythami, Ali bin Abi Bakr, Beirut: Dar al-Fikr, and Dar al-Kutub al-Ilmiyya (1408 AH).
58. *Al-Majmou Sharh Al-Muhadhab* (with the complement of *Al-Subki* and *Al-Mutaie*), Al-Nawawi, Yahya bin Sharaf Abu Zakaria (Died: 676 AH), Dar Al-Fikr.
59. *Majmou Al-Fatawa, Sheikhu el-Islam ibn Taymiyyah*, Ahmed bin Abdul Halim, compiled and arranged by Abdurrahman bin Mohammed bin Qasim.
60. *Al-Mohariru el-Wajeez fi Tafseer Al-Kitab el-Azeem*, Ibn Attia, Abd al-Haq bin Ghalib Abi Mohammed al-Andalusi, investigation: Academic Board in Fez, Ibn Taymiyyah Library (1413 AH).
61. *Mukhtar al-Sihah*, al-Razi, Zainu al-Din Mohammed ibn Abi Bakr ibn Abd al-Qadir Abu Abdullah al-Hanafi (Died: 666 AH), investigation: Youssef Sheikh Mohammed, 5<sup>th</sup> edition, Sidon, Beirut: Al-Mataba al-Asriya, Al-Dar Al-Tamaziah (1420 AH).
62. *Madarij al-Salikeen*, Ibn Qayyim al-Jawziyya, investigation: Mohammed al-Faki, 2nd edition, Dar al-Kitab al-Arabi (1393 AH).
63. *Madariku e-Tanzeel wa-Haqaiqu a-Taweel*, Al-Nasafi, Abdullah bin Ahmed Abu Al-Barakat (Died: 710 AH), investigated by: Youssef Ali Badawi, presented to him by: Mohieddin Misto, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Kalim Al-Tayyib (1419 AH).
64. *Al-Mustadrak ala As'sahihain*, Al-Hakim Al-Nisaburi, Mohammed bin Abdullah, and his tail is the summary of Al-Dhahabi, under the supervision of: Youssef Abdul Rahman Al-Mara'ashli, Beirut: Dar Al-Maarifa.
65. *Al-Musnad*, Al-Shaibani, Ahmed bin Mohammed bin Hanbal (Died: 241



- AH), investigation: Ahmed Shaker, 3<sup>rd</sup> edition, Dar Al-Maaref.
66. **Al-Musnad**, Al-Shaibani, Ahmed bin Mohammed bin Hanbal (Died: 241 AH), investigation: Shuaib Al-Arnaout, Adel Murshid, et al, under supervision of: Dr. Abdullah Al-Turki, 1<sup>st</sup> Edition, Al-Resala Foundation (1421 A.H.).
67. **Musnad Al-Ruyani**, Abu Bakr Mohammed bin Harun, investigation: Ayman Abu Oymani, 1<sup>st</sup> edition, Cairo: Cordoba Foundation (1416 AH).
68. **Maalim al-Sunan**, Al-Khattabi, Hamad bin Mohammed Abi Suleiman al-Basti, 1<sup>st</sup> edition, Aleppo: Academic Press (1351 AH).
69. **Al-Maghrib fi tarreeb Almoarrab**, Al-Mutarzi, Nasser bin Abdul-Sayed Abu Al-Fath Al-Khwarizmi (died: 610 AH), Dar Al-Kitab Al-Arabi.
70. **Al-Musannaf fi Al-Ahadiith wal- Athar**, Ibn Abi Shaybah, investigation: Kamal Al-Hout, 1<sup>st</sup> Edition, Riyadh: Al-Rushd Bookstore (1409 AH).
71. **Al-Mofradat fi Gharibu el-Quran**, Al-Ragheb, Al-Hussein bin Mohammed Abi Al-Qasim, investigated by: Safwan Al-Daoudi, 1<sup>st</sup> edition, Damascus, Beirut: Dar Al-Qalam, Al-Dar Al-Shamiya (1412 AH).
72. **Al-Mofhim li'ma Oshkila m'n Talkhisi Sahihi Muslim**, Abu Al-Abbas Al-Qurtubi, Ahmed Bin Omar Al-Ansari, introduced and verified by: Dr. Abd al-Hadi al-Nazi, Rabat, Morocco: Al-Karama Press (1426 AH).
73. **Makarim Al-Akhlaq**, Ibn Abi Al-Dunya, Abdullah bin Mohammed (Died: 281 AH), investigation: Magdi Al-Sayed, Cairo: Quran Library.
74. **Kuwaiti Encyclopedia of Jurisprudence**, issued by: The Ministry of Endowments and Islamic Affairs (Parts: 1-23: 2<sup>nd</sup> Edition, Kuwait: Dar Al-Silsil, Parts: 24-38: 1st Edition, Egypt: Dar Al-Safwa Press, Parts: 39-45: 2<sup>nd</sup> Edition, Kuwait: Ministry of Endowments and Islamic Affairs).
75. **Al-Nokat wal-Eyoun**, Al-Mawardi, Ali Bin Mohammed, Investigated: Al-Sayyid Bin Abdul-Maqsoud, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Elmiyya.
76. **Al-Nehayah fi Gharib Al-Hadith**, Ibn Al-Atheer, Al-Mubarak bin Mohammed, investigated by: Al-Tanaji and Al-Zawi, 2nd Edition, Dar Al-Fikr (1399 AH).
77. **Nailu Al-Awtar, Sharhu Muntaqa Al-Akhbar**, Al-Shawkani, Mohammed bin Ali Al-Yamani (Died: 1250 AH), investigation: Essam Al-Din Al-Sababati, 1<sup>st</sup> Edition, Dar Al-Hadith, Egypt (1413 AH).
78. **Al-Waseet fi Tafseer Al-Quran Al-Majeed**, Al-Wahidi, Ali bin Ahmed Abi



Al-Hassan (Died: 468 AH), investigation: Adel Abdul-Mawgoud and his colleagues, presented and reviewed by: Abdul-Hay Al-Farmawi, 1, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Elmiyya (1415 AH).





## فهرس المُوْضُعَاتِ

المستخلص .....	١٥٧
المقدمة .....	١٦١
التمهيد في تعريف الأدب، والضيافة .....	١٧١
المطلب الأول: تعريف الأدب لغةً .....	١٧١
المطلب الثاني: تعريف الضيافة .....	١٧٢
المبحث الأول: مشروعية الضيافة وفضلها في القرآن الكريم .....	١٧٤
المبحث الثاني: آداب الضيافة في القرآن الكريم .....	١٨٣
المطلب الأول: آداب المُضيِّف .....	١٨٣
المطلب الثاني: آداب الضييف .....	٢٠٠
المبحث الثالث: حكم الضيافة في القرآن الكريم .....	٢٠٨
خاتمة .....	٢١٥
ثبت المصادر والمراجع .....	٢١٧
رومنة المصادر والمراجع .....	٢٢٥
فهرس المُوْضُعَاتِ .....	٢٣٣





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



دَلَالَاتُ أَفْقَالِ خَلْقِ الْكَوْنِ وَالْإِنْسَانِ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ

بَثَّ، وَأَخْيَّا، وَأَبْنَتَ، وَأَخْرَجَ، وَجَعَلَ، وَنَسَرَ

نَمَذِيجٌ تَطْبِيقِيَّة



د. الْأَمِيرِ مَحْفُوظِ مُحَمَّدِ إِبْرَاهِيمَ

قدم للنشر في: ١٤٤١/١٢/١١

قبل للنشر في: ١٤٤٢/٢/١١

نشر في: ١٤٤٣/٧/١

◆ حاصل على درجة التخصص الماجستير في قسم الدعوة في كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، بأطروحته: «منهج الدعوة الإسلامية في وضع التدابير الواقية لعلاج البطالة».

◆ حاصل على درجة العالمية الدكتوراه في قسم الدعوة في كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، بأطروحته: «مسلمو أهل الكتاب في مصر في القرن العشرين وأثرهم في الدعوة».

## ◆ النتاج العلمي:

- ١ - «علاقة الكتب السماوية بالعلم و موقف العلماء منها و آثارها المترتبة».
- ٢ - «الكتابات الدعوية - المدعو نموذجاً تطبيقياً».
- ٣ - «قراءة صحيفة المدينة في ضوء فقه المواطنة».
- ٤ - «رسالة مدح السعي و ذم البطالة لابن كمال باشا - دراسة و تحقیق».
- ٥ - سلسلة بعنوان: (من وعي الأمة والمجتمع) وقد صدر لي منها: «فروض الكفاية وأثرها في تنمية الفرد والمجتمع»، و «الوسطية في الإسلام»، و «العقائد والمعتقدات وأثرها في المجتمع».





## المُسْتَخَلَصُ

إن دراسة الأفعال القرآنية الدالة على الخلق والإيجاد موضوع متشعب له منزلة كبيرة في الفكر الإسلامي ينالها من إسنادها إلى الله تعالى؛ إذ تحمل من الحكم وال عبر والعظات لكل مكلّف راشد، فضلاً عما تحمل من دلالة إعجاز القرآن فهو معجزة النبي العقلية القائمة إلى يوم القيمة، فهي باقية حية خالدة شاهدة بصدق نبوته ورسالته الخاتمة، فهذه دراسة بعنوان: (دلالاتُّ أفعال خلقِ الأكوان والإنسان في ضوء القرآن - بثَّ وأحيَا وأنبتَ وأخرجَ وجعلَ ونشرَ نماذجَ تطبيقية).

- **أسباب دراسة أفعال الخلق والإيجاد:** تدور بين العلم والإيمان؛ لضياع بوصلة الإيمان من بعض شبابنا المعاصر فيحتاج الفكر الإسلامي اليوم لإظهار دلالاتها.
- **أهداف الدراسة:** كثيرة، ومن أهمها: إظهار الدلالة على الإيمان بالله مالك القوى وخلق الخلق من محض العدم.
- **منهج الدراسة هو:** المنهج الوصفي التحليلي.
- **نتائج الدراسة:** توصلت إلى إثبات العقائد، وإظهار المنهج الربانية، والرد المفهوم على الملحّد منكر البعث.
- أوصت الدراسة عموم الباحثين بالبحث في المفردة القرآنية بصفة عامة، والمفردة الدالة على أفعال القرآن الكريم الدالة على الخلق والإيجاد بصفة أخص، وهي مستفيضة فيه.
- **الكلمات المفتاحية:** (أفعال الخلق - الدلالة)، و(بثَّ - وأحيَا - وأنبتَ) وهي من النماذج التطبيقية التي تناولتها في هذه الدراسة الحالية.



pure nothingness.

The study uses the descriptive analytical method.

- The findings of the study: it reaches some conclusions that prove creeds, bring to light the divine bestowals and blessings and make a compelling response to those who repudiate Final Resurrection.
- The study recommends that all researchers should explore the Quranic vocabulary in general and the verbs denoting creation and origination in particular.

### Keywords:

*Verbs of creation- semantics- scatter-revive-cause to grow*





# **The Semantics of the Verbs of the Creation of Universes and Man in the light of the Quran (scatter, revive, cause to grow, bring out, make, and resurrect): Applied Models**

by

**Dr. Al-Amir Mahfouz Mohammad Abu Aisha**

One of the scholars of Al-Azhar

## **Abstract**

The study of the Quranic verbs that refer to creation and origination is a complex topic that receives considerable attention in Islamic thought on the basis that they are attributed to Allah, the Almighty. They contain axioms and lessons for every responsible adult. These verbs also reveal the inimitability of the Quran as the top miracle of the Prophet's that will last until the Day of Resurrection. This paper is entitled "The Semantics of the Verbs of the Creation of Universes and Man in the light of the Quran (scatter, revive, cause to grow, bring out, make, and resurrect): Applied Models"

- The rationale for studying the verbs of creation and origination: the study is carried out for science and religious purposes because some of our contemporary young people have become less faithful and Islamic thought is in dire need of elucidating the implications and meanings of these verbs.
- The main objective of the study is to show evidence of belief in Allah, the omnipotent who creates all beings and creatures out of



## المُقدَّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد قائد الغُرُّ المُحَجَّلِينَ، المبعوث رحمة للعالمين بـوحيِّ معجزٍ، وبعد.. فإن القرآن الكريم خير الكلام، وأطيب الكلم، وهو كلام الله -تعالى- الذي لا تَمُلُّ الألسن من تردید ألفاظه، ولا تَكُلُّ الآذان من تكرار سماعه، ولا تسأم القلوب من التفكير في حكمة ألفاظه ومبانيه؛ للوقوف على غزارة معانيه، إذ دعا الله لقراءته، وتكرير ترتيله، وحضرنا على فهمه وتدبره، وأمرنا بالعمل بمحكمه، والإيمان بمتشابهه.

إن (الأفعال الدالة على الخلق) موضوع الدراسة لها منزلة كبيرة في العقيدة الإسلامية يظهر جلياً في نسبتها إلى الله ﷺ إذ تحمل من الشواهد والأدلة على عقيدة كُلِّ مكلف راشد، كما تحمل دلالة هادية للحائرين، فضلاً عما تحمل من دلالة إعجاز القرآن فهو معجزة النبي ﷺ مستمرة في خطاب عقلاه بنبي آدم إلى يوم القيمة، فهي باقية حية خالدة شاهدة بصدق نبوته ورسالته الخاتمة، فهذه دراسة بعنوان: (دلائلُ أفعالِ خَلْقِ الْأَكْوَانِ وَالْإِنْسَانِ فِي ضَرُوعِ الْقُرْآنِ - بَثٌ وَأَحْيَا وَأَبْنَتْ وأَخْرَجَ وَجَعَلَ وَنَشَرَ نَمَادِجَ تَطْبِيقِيَّةً).

## ◆ حدود الدراسة ◆

**أولاً:** لوحظ بعد تدبر القرآن المجيد وجود أفعالٍ قرآنية شريفة تدل على عموم خلق وإيجاد الأكوان والإنسان، وهي: (بَثٌ، وَأَحْيَا، وَأَبْنَتْ، وَأَخْرَجَ، وَجَعَلَ، وَنَشَرَ)، بعدما سبقت دراسة سبعة أفعال للخلق والإيجاد، هي: (خَلَقَ،



وصور، وسوئ، وأشأ، وفطر، وذرأ، وبرأ)، مستخرجاً دلالاتها الإيمانية، مبيناً وجه التحدي وإعجاز البشرية به، مكتفياً بها؛ (إذ ليس المقصود استقصاء جميع أفعال القرآن الدالة على الخلق).<sup>(١)</sup>

**ثانياً:** تبين لي -بعد البحث والتدبر في القرآن- وجود أفعالٍ قرآنية للخلق تدل على خصوص خلق وإيجاد الإنسان، وهي: (عدل، وركب، وجمع، وكسا)، كما وُجِدَتْ أفعالٌ تدل على خصوص خلق الأكون في النشأة الأولى، وهي: (بنا، ودحا، وطحا، وصنع، وأنقن) كما لوحظ وجود أفعالٌ تدل على إعادة عموم خلق الله تعالى وهمما فعلان: (بعث وأعاد)<sup>(٢)</sup>، وإن بقية الأفعال الدالة على الخلق في جملتها تدل على عموم إتقان الصنع، وتجوييد إحداث الخلق، فآيات القرآن تنص على خلق الأنفس والأفاق، وما فيها من حكمة الله تعالى حيث يكون تحت كل فعل دلالة أو إشارة تتعلق بالإعجاز العلمي في الكتاب الكريم، ومعلوم كثرة الأفعال الدالة على الخلق الواردة في القرآن، والقصد معقود على دراسة بقية الأفعال الدالة على الخلق، واستقرائها على سبيل التمام.

### ◆ دوافع دراسة الأفعال القرآنية الدالة على الخلق:

**أولاً:** فوائد دراسة الأفعال القرآنية الدالة على الخلق والإيجاد تبني العلم

(١) أفعال الخلق والإيجاد في القرآن ودلالاتها د. الأمير محفوظ محمد، مجلة تدبر التابعة لوزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية، العدد السادس، السنة الثالثة في شهر رجب سنة (١٤٤٠ هـ) مارس (٢٠١٩)، (ص: ٣٥٧).

(٢) سأتناول هذه الأفعال -إن شاء الله- في حدود الدراسة، فإذا ضاق المقام فسوف أتناول بقية الأفعال الدالة على الخلق والإيجاد في دراسة أخرى، بغية استخراج مواطن دلالتها على الإعجاز في فعل الخلق والإيجاد من عدم.

والإيمان؛ وذلك لضياع بوصلة الإيمان من بعض شبابنا المعاصر فيحتاج الفكر الإسلامي اليوم لإظهار دلالاتها لثبت ما ينكره بعض الملاحدة اليوم، فمن فوائد الدراسة ما يلي:

١- الإيمان بالله تعالى، حيث يجمعها جميعاً أنها أفعال الله ﷺ خالق الأكون والإنسان بما تحمل من دعوة للتحدي بالأفعال الدالة على الخلق والإيجاد من عدم، وثبوت إعجاز البشرية عن ذلك، وما تحمل من عقائد أساسية واجبة التسليم، كعقيدة البعث بعد الموت، وإعادة الخلق.

٢- يدعوا لدراسة الأفعال الدالة على الخلق غزارة معانيها اللغوية ودلالاتها، فيدل على ضرورة دراسة دلالاتها العلمية، وهذا مجال أهل الذكر في كافة مجالات العلم الطبيعي.

ثانياً: أن الخلق والأمر لله تعالى وحده، قال تعالى: ﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وليس لأحدٍ سواه خلْق شيء، أو أمر بشيء لا على سبيل المشاركة أو المعاونة لله تعالى في ذلك، ولا على سبيل الاستقلال من دون الله؛ فإن الخلق خلقه، والأمر أمره.

**ثالثاً:** دلالة أفعال الخلق والإيجاد على مواطن الامتنان الرباني على كافة العباد، إذ أوجد الإنسان من عدم، و منحه الحواس والمهارات المختلفة؛ فدراسة الأفعال القرآنية الدالة على الخلق تظهر، و تبرز مواطن امتنان الله على الإنسان؛ ليبيان استحقاق الله الخالق للتوحيد والعبادة، و ليشكّر الله - تعالى - على نعمائه وألاته متفكراً فيها، قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ إِلَهٍ رَبُّكُمْ تُكَذِّبَانِ﴾ [الرّحمن: ١٣].



## ◆ أهداف دراسة أفعال الخلق والإيجاد:

من أهداف دراسة أفعال الخلق والإيجاد إظهار دلالتها، وفوائدها الفرعية المستفادة؛ لأن كل فعل له دلالة عامة، وأخرى خاصة من حيث الجملة، وهي:

**الدلالة الأولى:** عامة تشتراك جميع أفعال الخلق والإيجاد كلها فيها سواء؛ وهي الدلالة على خلق الله تعالى، وإيجاد الأكون و والإنسان من عدم على السواء، ولو كانت دلالة على سبيل الإجمال؛ لأن هذا غرض أصلي هو بيان الخلق والإيجاد.

**الدلالة الثانية:** دلالة خاصة بذات كل فعل للخلق؛ بحكم الدلالة اللغوية التي قد تتعدد، فيفيد الفعل الواحد عدة معانٍ: الأولى: الخلق والإيجاد، والثانية: خصوص معنى معين فيه حيث تتنوع الدلالة الخاصة، وتختلف من فعل دالٌ على الخلق إلى آخر.

**الدلالة الثالثة:** تعدد الفوائد الفرعية المستفادة من الأفعال الدالة على الخلق، فشمرة غرض فرعي هو إبراز وإظهار مواضع الامتنان؛ لذا قال تعالى: ﴿كُلُوا وَأْرْعُوا أَعْمَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَكِتِ لِأُولَئِكَ الْمُهَمَّ﴾ [طه: ٥٤]، وقد سبقت الإشارة إليه.

وهنالك غرض فرعي آخر يتمثل في توجيه الخلق إلى أن عملية الخلق سواء قبل خروج الإنسان من بطن أمه للحياة، أو بعد خروجه، وكذلك بيان أحوال تنموية وتغذيته كجسم نام باستمرار؛ لذا قال: ﴿تَبَصَّرَةَ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٨] وهو دليل عنانية الله بخلقه.

وهنالك غرض فرعي ثالث يbedo في توجيه إثبات البعث بعد الموت، فتلك دلالة على توالي عنانية الخالق بخلقه بعد الميلاد؛ كدلالة بينها جميعاً دالة على الخلق



والإيجاد ابتداء في النشأة الأولى، أو إعادة في النشأة الأخرى، وربما كان بعض أفعال الخلق والإيجاد أظهر دلالة من بعض، وبعضها أخفى دلالة من بعض؛ إذًا لا تخلو أفعال الخلق من دلالة عامة.

ومن الجدير بالإشارة أن هناك فرقاً بين (الفائدة الفرعية) وبين (الدلالة الخاصة)؛ لأن الوقوف على الفوائد الفرعية يقف عليها الباحث من خلال البحث والنظر والتدبر في مواضع أفعال الخلق والإيجاد، فالفائدة الفرعية تتعدد مواضعها، وتتأكد بتكرار الإشارة إليها في تلك الأفعال؛ كالفائدة المستفادة من الفعل (يbeth)، ويعيد.. إلخ) على البعث، بينما (الدلالة الخاصة) تستقل بفعل معين من الأفعال الدالة على الخلق دون غيره من الأفعال؛ كدلالة خصوص التكثير من الفعل (بَثَّ).

#### ◆ الدراسات السابقة :

لا شك في أن مصنفات غريب اللغة العربية قد تطرقت إلى جانب من أفعال الخلق والإيجاد، ومنمن اعنى بمفردات القرآن الإمام الراغب<sup>(١)</sup> في كتابه: (المفردات في غريب القرآن) وقد رجعت إليه وانتفعت به أيمما انتفاع، وهو مفيد في تقسيماته وتفريعاته، وللراغب كذلك دراسة أخرى اعنى فيها بلفت النظر إلى

(١) الراغب: (توفي حوالي: ٥٠٢ هـ) هو: الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني العلامة الماهر، المحقق الباهر، أبو القاسم الملقب بالراغب، صاحب التصانيف، ترجم له الإمام الذهبي في الطبقة الرابعة والعشرين، وقال: «كان من أذكياء المتكلمين، لم أظفر له بوفاة ولا بترجمة، وكان إن شاء الله - في هذا الوقت حيًا، يسأل عنه». ينظر: سير أعلام النبلاء شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف: الشيخ شعيب الأرناؤوط، (٢١٠-١٢١)، والأعلام، خير الدين الزركلي، (٢٥٥/٢).



خلق الأكوان والإنسان، هي كتابه: (تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين)، كما أن للإمام للفيروز آبادي<sup>(١)</sup> كتاب (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) جمع بين الشارد والوارد، ثم للإمام ابن قيم الجوزية<sup>(٢)</sup> كتاب نافع هو: (مفتاح دار السعادة) قد أشار فيه إلى مواطن العبرة، ومواضع المنة فأفاد وأجاد رحمة الله تعالى عليه، كما أن علماء تفسير القرآن شرحاً، وقدّموا زاداً مفيداً لشرح أفعال الخلق والإيجاد، مع خلط بين التفسير وبين استخلاص دلالة أفعال الخلق والإيجاد.

**كما وقفت على دراسةٍ بعنوان:** (من أفعال الخلق في القرآن الكريم دراسة معجمية و موضوعية) للدكتور عبد المجيد بن محمد بن علي الغيلي، وقد انصب جل اهتمامه على الجانب اللغوي لما عرض له من أفعال<sup>(٣)</sup>، فاعتنى بالجانب

(١) الفيروزآبادي: (٧٢٩-٨١٧هـ) هو: مجد الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن عمر الفيروزآبادي أبو الطاهر اللغوي الشافعي العلامة ولد بكارزون من أعمال شيراز، ونشأ بها فحفظ القرآن وهو ابن سبع وجود الخط، ثم نقل فيها كتابين من كتب اللغة وانتقل إلى شيراز وهو ابن ثمان وأخذ اللغة والأدب، وكثرت رحلاته بين مصر وفارس والهند والشام وبغداد واليمن وجاور بمكة فترة، ومات وقد متّع بسمعه وحواسه بزيده وكان يرجو وفاته بمكة فما قدر. ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السحاوي (ت: ٩٠٢هـ)، (٨٦-٧٩هـ)، وشذرات الذهب، لابن العماد، (١٨٦/٩-١٩٣).

(٢) ابن قيم: (٦٩١-٧٥١هـ)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الززعي، أبو عبدالله، مولده ووفاته بدمشق، وهو أحد كبار علماء الحنابلة، تعلم على التقى سليمان وابن عبد الدائم، وابن الشيرازي ولزم الشيخ ابن تيمية. ينظر: شذرات الذهب، لابن العماد، (٨/٢٨٧-٢٩١).

(٣) نشرت هذه الدراسة على موقع الدكتور عبد المجيد محمد الغيلي «رحى الحرف» سنة ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) وله عدة دراسات في بعض المفردات القرآنية هي: «الوهن في القرآن الكريم دراسة موضوعية»، و«من ألفاظ القوة و مقابلاتها في القرآن الكريم دراسة معجمية» و«دراسة معجمية =



اللغوي بينما تقوم دراستي لدلالات أفعال الخلق والإيجاد على التصنيف والتقسيم لها وفق تطابق الدلالة على الإيجاد من عدم.

وإن لكاتب هذه الدراسة تجربة أولية سابقة بعنوان: (أَفْعَالُ الْخَلْقِ وَالْإِيَاجَادِ فِي الْقُرْآنِ وَدِلَالَاتُهَا) <sup>(١)</sup>، ضمنتها مواضع الدلالة والفائدة لعدد من تلك الأفعال، وقد رأيت أن الحق بها دراسة أخرى لعدد آخر من أفعال الخلق والإيجاد؛ لذلك تقوم هذه الدراسة الحالية بإفاد أفعالٍ أخرى للخلق والإيجاد هي: (بَثٌ، وَأَحْيَا، وَأَنْبَتَ، وَأَخْرَجَ، وَجَعَلَ، وَنَشَرَ) بالبحث والنظر والتدبر.

### منهج دراسة بقية أفعال الخلق والإيجاد :

تقوم الدراسة على المنهج (الوصفي التحليلي) باستقراء ما في القرآن الكريم من أفعال تفيد دلالة الخلق من دلالات، من خلال جمع ما يتيسر في هذه الدراسة من أفعال الخلق والإيجاد، ثم أقوم بالبحث في كل فعل من هذه الأفعال عمما يلي:

١) المعاني اللغوية لكل فعل للخلق على جهة الاستقلال، مع استثمار ما يدل من هذه المعاني على الخلق والإيجاد سواء على جهة الإنشاء عند النشأة الأولى، أو استكمال الخلق وتسويته وتعديلها؛ وذلك لكمال الخالق -تعالى- فيما خلق في أحسن تقويم، أو عند النشأة الأخرى وهي منها.

= لخمسة ألفاظ في القرآن الكرين: بنى، ورفع، وسع، الضحى، الحبك» قوله: «السماء والسموات في القرآن الكريم» منشور سنة ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥هـ وقد اعتمت هذه الدراسات بدلالة المفردة القرآنية.

(١) أَفْعَالُ الْخَلْقِ وَالْإِيَاجَادِ فِي الْقُرْآنِ وَدِلَالَاتُهَا د. الأمير محفوظ محمد، منشور في مجلة تدبر التابعة لوزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية، العدد السادس السنة الثالثة في رجب (١٤٤٠هـ) مارس

(٢٠١٩).



٢) الوقوف بعد تدبر أفعال الخلق والإيجاد على أوجه دلالة الفعل على الخلق والتقدير، واستخراج مواطن الفائدة؛ لاستوفい دراستها جميًعاً قدر الجهد والطاقة.

٣) استخراج دلالة اختلاف القراءات المتواترة لبعض أفعال الخلق والإيجاد مثل (نشر ونشر) مع بيان معنى الفعل وفق كل قراءة، والوقوف على مواطن دلالة الأفعال على العقائد وهي كثيرة، أظهرها: عقيدة البعث والنشور، والمعاد بعد الموت.

### ◆ خطة الدراسة وتقسيمها :

ت تكون هذه الدراسة من مقدمة ومحчин:

**المقدمة:** وتشتمل على حدود الدراسة، ودوافعها، وأهدافها، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة، وتقسيمها.

**المبحث الأول:** (معاني أفعال القرآن الدالة على الخلق ودلالاتها).

ويتكون من المطالب التالية:

**المطلب الأول:** معاني الفعل (بٌثٌ) ودلالته.

**المطلب الثاني:** معاني الفعل (أحْيَا) ودلالته.

**المطلب الثالث:** معاني الفعل (أَبْتَ) ودلالته.

**المطلب الرابع:** معاني الفعل (جَعَلَ) ودلالته.

**المطلب الخامس:** معاني الفعل (أَخْرَجَ) ودلالته.

**المطلب السادس:** معاني الفعل (نَسَرَ) ودلالته.



**المبحث الثاني:** (مواجهة الإلحاد في ضوء أفعال القرآن الدالة على الخلق والإيجاد).

ويكون من مطلبين:

**المطلب الأول:** ضرورة النظر في أفعال القرآن الدالة على الخلق والإيجاد.

**المطلب الثاني:** علاقة الأفعال الدالة على الخلق بمعالجة الإلحاد.

**الخاتمة:** وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهرس العام بمحتوى الدراسة.

وهذا أوان الشروع فيما نويتُ، وتنفيذ ما قصدتُ، وفاء بما وعدت؛ لأن نية المرء خير من عمله سائلًا المولى ﷺ التوفيق مستتملاً منه -سبحانه- السداد والرشاد، إنه ولِي ذلك، وهو قادر عليه؛ عسى أن يوفّي عليه بالأجر الأوّلَي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

**د. الأمير محفوظ محمد**

القاهرة - ( ذو الحجة ١٤٤١ - أغسطس ٢٠٢٠).





## المبحث الأول

### معاني أفعال القرآن الدالة على الخلق ودلالاتها

إن أفعال الخلق والإيجاد التالية دلالتها عامة على خلق الإنسان والأكون، وسوف أقف على معانيها في اللغة أولاً، ثم أبين ما تيسر من دلالاتها، وهي كما يلي:

#### المطلب الأول:

#### معاني الفعل (بٌثٌ) ودلالته

##### ◆ أولاً: معاني الفعل (بٌثٌ) في اللغة ◆

ال فعل (بٌثٌ) أشار علماء اللغة إلى أن معنى: بٌثٌ يُثُث بٌثاً: نشر ينشر نشراً، وبٌثُ الشيء: تفريقه، وخلق الله الخلق فبٌثُهم في الأرض، ومنها قوله: ﴿وَيَثْمَنُهُمَا بِرَحْلَاتِكَيْرَأْ وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]، أي: نَشَر وَكَثُر، وبثت خبراً: نشرته، كما في حديث أم زرع: «زُوْجِي لَا أَبْثُ خَبَرَهُ» <sup>(١)</sup>، أي: لا أنشره لقبح آثاره، وبثت البُسْط: إذا بسطت، ومنه قوله: ﴿وَرَرَأْيُ مَبْثُوْثَةً﴾ [الغاشية: ١٦]، أي: كثيرة، وقوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُّبْثَثَّ﴾ [الواقعة: ٦]، أي: غباراً متشاراً، وتقول: بٌثٌ الريحُ التراب: إذا فرقته وأثارته دلالة

(١) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل، رقم: (٥١٨٩)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب فضائل الصحابة باب: حديث أم زرع، رقم: (٢٤٤٨) كلاماً من حديث السيدة عائشة.



على التفريق وإثارة الشيء، ومنها قوله: ﴿كَالْفَرَّاشُ الْمَبْثُوثُ﴾ [القارعة: ٤]، أي: المنتشر المهيج بعد ركونه وخفائه، وورد أن أصل البث: التفريق وإثارة الشيء.

**وبث النفس:** ما انطوت عليه من غمٌ وسرّ، وقيل: البث في الأصل شدة الحزن والمرض الشديد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشَّكُُّ أَبَّيَ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، بمعنى الغم الذي يبته عن الكتمان؛ أي: غمي الذي أبته عن كتمان، فهو مصدر في تقدير مفعول، أو بمعنى غمي الذي بث فكري، نحو: توزعني الفكر، فيكون في معنى الفاعل، وفي حديث كعب بن مالك قال: «فَلَمَّا تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تُبُوكَ حَضَرَنِي بَشِّي»<sup>(١)</sup>، أي: اشتد حزني<sup>(٢)</sup>.

إذاً يحمل فعل البث من المعاني ما يلي: أولاً: التكثير. ثانياً: التفريق والتهيج والإثارة. ثالثاً: الانتشار بالتكاثر وهو يكون بالتزاوج والاقتران، ومن المعاني المستفادة من الفعل (بث) إذاعة الأخبار ونشرها، ومنه بث لهم: كتمانه، فهو من الأصداد.

### ثانياً: دلالات الفعل (بث):

تدل دلالات الفعل (بث) على الخلق فيما يلي:

**أولاً:** اقتران الفعل (بث) بكلمة (الدَّابَّةَ)، وهي: كل شيء يدب على وجه

(١) آخر جه الإمام مسلم في «صحيحه» كتاب التوبه، باب: توبه كعب بن مالك صاحبيه، رقم: (٢٧٦٩)، وأحمد في «مسنده»، رقم: (١٥٧٨٩ / ٦٩)، كلاهما من حديث كعب بن مالك الأنصاري.

(٢) ينظر: مادة (بث) في: كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، (٢١٧ / ٨)، والصحاح تاج اللغة، للجوهري، (١ / ٢٧٣)، ولسان العرب لابن منظور، (٤ / ١١٤)، والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، (ص: ١٠٨).



الأرض من إنسان وحيوان، وفي العرف تطلق على الخيل والحمار والبغال<sup>(١)</sup>، ورد ذلك في قوله: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَآبَةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤]، أي: خلق الله كل دابة، وأوجدها من عدم، ثم انتشرت في الأرض، و قوله: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَآبَةٍ﴾ [لقمان: ١٠]، وقد ورد في القرآن الفعل (بَثَّ) مع خلق كل دابة بعد تهيئة الأرض للحياة، فقال: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَآبَةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤]؛ لبيان تمام خلق الأرض، وتهيئتها لاستقرار حياة الكائنات.

**ثانية:** ورد الفعل (بَثَّ) بعد استقرار الأرض بالجبال، وثبات الحياة في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَبِيَّاً أَنَّ تَمِيدَ بِكُوْنِهِ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَآبَةٍ﴾ [لقمان: ١٠] ليدل على أن البث كان بعد تهيئة الأرض لحياة الإنسان، وناسب هذا -أيضاً- ورود الفعل (بَثَّ) خاصًا بالدواب من دون الإنسان في قوله تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُوْمَا يَبُثُّ مِنْ دَآبَةٍ إِلَيْتُ لِقَوْمَ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٤]، خاص بخلق الدواب حيث عطف على خلق الناس، والعلف يقتضي المعايرة، ( قوله: ﴿وَفِي خَلْقِكُ﴾) أي: خلق الإنسان، و قوله: ﴿وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَآبَةٍ﴾ إشارة إلى خلق سائر الحيوانات، ووجه دلالتها على وجود الإله القادر المختار أن الأجسام متساوية فاختصاص كل واحد من الأعضاء بكونه المعين، وصفته المعينة وشكله المعين، لا بد أن يكون بتخصيص القادر المختار، ويدخل فيه انتقاله من سن إلى آخر، ومن حال إلى آخر)<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية، أبوبن موسى الكفووي أبو البقاء (ت: ١٠٩٤ هـ)، (ص: ٤٣٨).

(٢) التفسير الكبير، للإمام الرازى، (٢٢٧ / ٦٧٠).



**وقال الراغب:** (إشارة إلى إيجاده تعالى ما لم يكن موجوداً وإظهاره إياه)<sup>(١)</sup>، فال فعل (بـثـ) عام في خلق كل ما يدب على الأرض، مما يشمل الحيوان لإظهار مـنـة الله تعالى على الإنسان، دلالة هذا الفعل على إظهار مـوضـع المـنـة فيه أنه يـعـدـ إلى الـدـهـن دلالة الفعل (ذرـأـ)<sup>(٢)</sup>، فيه دلالة على التـكـثـير بالـنـسـلـ.

**ثالثاً:** ورد الفعل (بـثـ) مع خلق (الإنسان) خاصة في قوله: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]، ومعنى هذا الفعل في التفسير: (﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ أي: نـشـرـ من تلك النفس وزوجها المخلوقة منها -يقصد آدم وحواء- بطريق التـوالـدـ والـتـنـاسـلـ، ﴿رِجَالًا كَثِيرًا﴾ نـعـتـ لـكـلـمـةـ (رـجـالـاـ) مـؤـكـدـةـ لـمـاـ أـفـادـهـ التـنـكـيـرـ مـنـ الـكـثـرـةـ وـالـإـفـرـادـ باعتبار معنى الجمع، أو العدد، وقيل: هو نـعـتـ لـمـصـدـرـ مـؤـكـدـ لـلـفـعـلـ، أي: بـثـاـ كـثـيرـاـ ﴿وَنِسَاءً﴾ أي: كـثـيرـةـ، وترـكـ التـصـرـيـحـ بـهـاـ لـلـاـكـتـفـاءـ بـالـوـصـفـ الـمـذـكـورـ)<sup>(٣)</sup>، وقال ابن عـاشـورـ<sup>(٤)</sup>: (والـبـثـ: النـشـرـ وـالـتـفـرـيقـ لـلـأـشـيـاءـ الـكـثـيرـةـ.. مـعـ ماـ يـقـضـيـهـ فـعـلـ الـبـثـ مـنـ الـكـثـرـةـ)<sup>(٥)</sup>، فـدـلـالـةـ هـذـاـ الفـعـلـ عـلـىـ تـكـثـيرـ بـنـيـ آـدـمـ بـالـتـنـاسـلـ وـالـتـكـاثـرـ.

**رابعاً:** دلالة الفعل (بـثـ) مـقارـنةـ بـالـفـعـلـ (بـرـأـ وـذـرـأـ) فـهـنـاكـ فـرقـ بـيـنـهـاـ؛ لـأـنـ تـدـبـرـ

(١) المفردات في غريب القرآن، للإمام الراغب، (ص: ١٠٨).

(٢) يـنـظـرـ: أـفـعـالـ الـخـلـقـ وـالـإـيـجـادـ فـيـ الـقـرـآنـ، دـ.ـ الـأـمـيرـ مـحـفـظـ مـحـمـدـ، (ص: ٢٩٩).

(٣) إـرـشـادـ الـعـقـلـ السـلـيـمـ، أـبـوـ السـعـودـ الـعـمـادـيـ، (٢/ ١٣٨).

(٤) ابن عـاشـورـ: (...-١٢٨٤هـ/...-١٢٦٨هـ)، هو: محمد الطـاهـرـ بـنـ مـحـمـدـ الشـاذـلـيـ بـنـ عـبـدـ الـقـادـرـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ عـاشـورـ: نـقـيـبـ أـشـرـافـ تـونـسـ وـكـبـيرـ عـلـمـائـهـ، فـيـ عـهـدـ الـبـايـيـ مـحـمـدـ الصـادـقـ باـشاـ، وـلـيـ قـضـاءـهـ سـنـةـ (١٢٦٧هـ) ثـمـ الـفـتـيـاـ (سـنـةـ ١٢٧٧) فـنـقـابـةـ الـأـشـرـافـ وـتـوـفـيـ بـتـونـسـ. يـنـظـرـ:

الأـعـلـامـ الـزـرـكـلـيـ، (٦/ ١٧٣)، وـمـعـجمـ الـمـؤـلـفـيـنـ، عمرـ رـضاـ كـحـالـةـ، (١٠١/ ١٠١).

(٥) التـحـرـيرـ وـالـتـنـوـيرـ، محمدـ الطـاهـرـ بـنـ عـاشـورـ، (تـ: ١٣٩٣هـ)، (٤/ ٢١٧)، بـتـصـرـفـ.



دلالة الأفعال الثلاثة (بَثٌ، وَذَرَأً، وَبَرَأً) على الخلق والإيجاد يدعو إلى استشراف هذا الفرق الجوهري الذي بينها؛ ففي كُلِّ فعل منها دلالة معنى يختص به، حيث يفيد الفعل (بَثٌ): (تفريق أشياء كثيرة في مواضع مختلفة متباعدة)، وإذا فرق بين شيئين لم يقل: إنه بَثٌ، وفي القرآن: **﴿وَبَثَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَآبَةٍ﴾** [البقرة: ١٣٦]<sup>(١)</sup>، بينما يفيد الفعل (ذَرَأً) معنى الإظهار؛ لأن (معنى ذرَأ اللهُ الْخَلْقَ: أظهراهم بالإيجاد بعد العَدَم)<sup>(٢)</sup>، كما يفيد الفعل (بَرَأً) (تمييز الصُّورَةَ، وَقُولُهُمْ: بِرَأِ اللهِ الْخَلْقِ أَيْ: مَيَّزَ صُورَهُمْ، وَأَصْلَهُ الْقُطْعَ، وَمِنْهُ الْبَرَاءَة)<sup>(٣)</sup>، الأفعال الثلاثة تدور بين إفادة التكثير بالتفريق والبُثُّ، أو الإظهار بالذَّرَاءِ، أو تمييز الصورة بالبَرَاءَةِ مع اشتراكها واجتماعها على معنى الخلق والإيجاد من عدم، يدل على تنوع أساليب القرآن في التعبير عن الأمر الواحد.

**خامسًا:** دلالة الأفعال الثلاثة (بَثٌ، وَذَرَأً، وَبَرَأً) على التكثير كأحد دلالاتها بعد الخلق فيلاحظ استعمال القرآن لهذه الأفعال الثلاثة للدلالة على التكثير والانتشار دون استعمال الفعل (كَثَرَ)؛ فلما أريد بيان حقيقة الحياة الدنيا، قال تعالى: **﴿أَتَلَمُواْ أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَيْعَبُ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَنَفَاحُرُ بَيْنَهُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾** [الحديد: ٢٠]، وقال: **﴿أَلَهُدُكُمْ أَشْكَاثُرٌ ١ حَتَّى زُجُّوْهُ الْمَقَابِرُ﴾** [التكاثر: ١ - ٢]؛ ليبيّن أن الكثرة العددية ليست محل المنة؛ فرب عدٍ عاقلٍ يفوق عدًا كثيرًا جاهلاً لا يحسن عيش الحياة؛ لذلك يشير القرآن إلى معنى التكثير بالتكاثر والتناسل، فيؤكد على أن ذلك أحد

(١) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (توفي نحو: ٣٩٥هـ)، (ص: ١٥١). للفرق بين الفعل (فرق) والفعل (بَثٌ).

(٢) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، (ص: ١٣٨).

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.



مظاهر الحياة الدنيا، وأنه في محل الذم إذا كانت كثرة ضعيفة، أو شغلت عن عبادة الله تعالى، وطاعته.

إن استمداد المعنى اللغوي لفعل (البُثُّ) من الكثرة والانتشار عمل بمعتقد استخلاف الله الإنسان في الأرض؛ ليمارس الحياة وفق مراد الله تعالى، ولا يخالف ذلك ما ورد في السنة النبوية من قول النبي : «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَّمَ»<sup>(١)</sup>، الكثرة غير مراده لذاتها، فالحديث يدعو للكثرة العاقلة الرشيدة، وتدل روایات الحديث على ذلك، ومنها رواية: «وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَّمَ، فَلَا تُسَوِّدُوا وَجْهِي»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: «وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَّمَ، فَلَا تَمْشُوا بَعْدِي الْفَهْرَرَى»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية: «وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَّمَ، فَلَا تَقْتَلُنَّ بَعْدِي»<sup>(٤)</sup>، وفي رواية: «إِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَّمَ، فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»<sup>(٥)</sup>، فقد تؤدي

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» كتاب النكاح، باب: في تزويج الأبكار رقم: (٢٠٥٠) / (٣٩٥)، وإسناده قوي، والنسائي في «سننه» كتاب النكاح، باب: كراهة تزويج العقيم، رقم: (٣٢٢٧)، كلاما من حديث معقل بن يسار عن رجل من الصحابة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» رقم: (٢٢٤٩٧) / (٤٨٢) / (٣٨)، إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أن فيه عن رجل من الصحابة فاسم الصحابي منهم، ولا تضر الجهة باسمه؛ لأن الصحابة كلهم عدول .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» رقم: (١٤٨١١) / (١١٧)، من حديث جابر بن عبد الله، وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» رقم: (١٩٠٦٩) / (٤١٩)، من حديث الصنابح، إسناده صحيح مع خطأ في اسم الصحابي، وهو الصنابح بن الأَعْسَرِ الْأَحْمَسِي، فمن قال: الصنابحي بياء النسبة فقد أخطأ.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» رقم: (١٩٠٨٤) / (٣١)، من حديث الصنابح وإسناده ضعيف.



الكثرة لقتل واختلاف وسوء خلق، أو الحديث جوابٌ خاص لطلب رجل زواج امرأة عقيم فنهاه النبي ﷺ؛ وهي رواية أبي داود، أو الحديث بيان فضل كثرة الأتباع المهتدين من أهل الإيمان، وأن الكثرة تحسن بالتربية والتوجيه والمعرفة حتى بلوغ الرشد، وأن التكاثر يدل على التناسل المجرد، وليس هذا محظٌ مباهة أو مفاخرة، فأشارت السنة للكثرة المقيدة برعاية الناشئة وتربيتها.

**سادساً:** الإشارة إلى وجود خلق الله تعالى في السموات، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَيْمَنَهُ خَلْقُ الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَ فِيهِمَا مِنْ دَائِرَةٍ﴾ [الشورى: ٢٩]، وفي التفسير: (كيف جُوز إطلاق لفظ الدابة على الملائكة؟ قلنا: من وجوه: الأول: أنه قد يضاف الفعل لجماعة، وإن كان فاعله واحداً، ومنه قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا الْلُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]. الثاني: أن الدبب هو الحركة، والملائكة لهم حركة. الثالث: لا يبعد أن يقال: إن الله خلق في السموات أنواعاً من الحيوانات يمشون مشي الأناسي على الأرض)<sup>(١)</sup>، إذاً يدل الفعل (بٌثٌ) على تكثير خلق الإنسان والجن في الأرض، كما يدل على تكثير خلق الملك، كما قال: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]، دلالة على عموم تجدد خلق الله لما لا نعلم نوعه، أو جنسه، أو إحصاء عدده، وما لا نعلم من خلق الله في الأرض والسماء. إذاً يدور الفعل (بٌثٌ) في القرآن بين معاني الخلق من العدم، والتكثير، والانتشار، والتفريق؛ ليدل على عموم خلق كل ما يدب على الأرض من إنسان وحيوان، كما ورد الفعل (بٌثٌ) ليبرهن على انتشار المخلوقات في الأرض، كما يدل فعل البث على تكثير الخلق بعدم تهيأت الأرض، واستقرت بالجبل، وأتيحت الحياة للإنسان، كما يشير الفعل (بٌثٌ) لوجود حياة في السموات.

(١) التفسير الكبير، للرازي، (٢٧/٥٩٩-٦٠٠) بتصريف يسير.



## المطلب الثاني: معاني الفعل (أحيا) ودلالته

### ◆ أولاً: معاني الفعل (أحيا) في اللغة ◆

أفاد الخليل أن الفعل (أحيى) من (حيو)، والحياة كتبت بالواو **لِيعلم** أن الواو بعد الياء، ويقال: بل **كُتِبَتْ** على لغة من **يُفَخِّمُ** الألف التي **مَرْجِعُهَا** إلى الواو نحو: الصلة والزكوة. ويقال: **حَيِّي** يَحْيَا فهو **حَيٌّ**، ويقال للجميع: **حَيُّوا**. وحياة **الحياة**: ضد الموت **والحَيَّي**: ضد **المَيِّت**. وال**مَحْيَا** مفعول من **الحياة**. تقول: **مَحْيَيِّي** ومماثي. والجمع **المحَيَّيِّن**، **وأَحْيَاهُ اللَّهُ فَحَيَّيِّ** و**حَيَّيِّ** أيضاً، والإدغام أكثر لأنَّ **الحركة** لازمه، فإذا لم تكن الحركة لازمةً لم تُدغم، كقوله تعالى: ﴿إِلَّيْسَ ذَلِكَ يَقْدِيرُ عَلَىَنَّ يُحْكِيَ الْمُوْقَتَ﴾ [القيامة: ٤٠]، وقال أبو زيد: **حَيَّتْ** منه **أَحْيَا**: **اسْتَحْيَيْتُ**، وتقول في الجمع: **حَيَّوا**، ويقال: **حَيِّي** يَحْيَا فهو **حَيٌّ**، وللجميع: **حَيَّوا**<sup>(١)</sup>.

والحيوان والحياة واحد، والحيوان: دار الحياة الحقيقة الدائمة التي لا تفنى، لا حياة من يبقى مدة ثم يفنى، ويقال على ضربين: **الأول**: ما له حاسة. **الثاني**: ما له بقاء أبيدي، مذكور في قوله: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِ الْحَيَّاَنُ لَوْ كَأُولُيْعَالَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، وال**حَيَّاَنُ**: مقر الحياة، ويطلق على كل ذي روح، والحياة: ضد الموت، **الحَيَّيِّ**: ضد **المَيِّت**، وال**مَحْيَا** مفعول من **الحياة**. والحي من كل شيء نقىض الميت، والحي: كل متكلم ناطق، والحي من النبات: ما كان طریاً يهتز، والحي الواحد من **أَحْيَاء**

(١) ينظر: (العين)، للخليل (٣١٧/٣). الصاحح تاج اللغة، للجوهري، (٦/٢٣٢٣)، وجمهرة اللغة، لابن دريد، (١٠٣/١).



العرب، والمَحْيَا: مَفْعُلٌ من الحياة، ويقع على المصدر والمكان والزمان، تقول: مَحْيَايِي وَمَمَاتِي، وفي حديث حنين قال للأنصار: «هَا جَرْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ، وَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ»<sup>(١)</sup>، والَّحِيَا مقصور: الخصب والمطر، وفي حديث القيامة: «فَيُصَبِّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتونَ كَمَا تَنْبَتُ الْحَبَّةُ»<sup>(٢)</sup>، والمحايَا الغذاء للصبي بما به حياته، والمَحْيَا: الوجه، وقوله: ﴿فَلَنْ تَحْسِنَهُ وَحَيَّهُ طَيْبَةً﴾ [النحل: ٩٧]<sup>(٣)</sup>، وهو الرزق الحلال<sup>(٤)</sup>. إِذَا من معاني الفعل (أَحْيَا) الإخراج إلى الحياة، وتحرك لما دبت فيه من الحياة.

#### ♦ ثانياً: دلالات الفعل (أَحْيى):

من دلالات الفعل (أَحْيى) على الخلق والإيجاد ما يلي:

**أولاً:** ورد الفعل (أَحْيى) لإحياء الأرض الميتة، فقد أسنَدَ فعل الإحياء إلى الله تعالى في مواضع قرآنية للإشارة لإحياء كل ميت غير نامٍ من الأرض وسائر البلاد، لإظهار المنة الربانية من خلال التعبير بـ(إحياء الأرض الميتة) بأساليب مختلفة منها ما يلي:

(١) آخر جه الإمام مسلم في «صحيحه» كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، رقم: (١٧٨٠)، واللفظ له، وأحمد في «مسنده»، رقم: (١٠٩٤٨)، (١٦ / ٥٥٥) كلاهما من حديث أبي هريرة رض.

(٢) متفق عليه: آخر جه الإمام البخاري في «صحيحه» كتاب الأذان باب في فضل السجود، رقم: (٨٠٦)، واللفظ له، والإمام مسلم في «صحيحه» كتاب الإيمان باب طريق معرفة الرؤية، رقم: (٢٩٩) كلاهما من حديث أبي هريرة، و(ماء الحياة) هو: ماء من شرب منه أو صب عليه لا يموت أبداً.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (٢ / ١٢٢)، ولسان العرب لابن منظور، (١٤ / ٢١٦-٢١١)، والمفردات في غريب القرآن، للراغب، (ص: ٢٦٨-٢٧٠).



**الأسلوب الأول:** التعبير عن إحياء الأرض الميتة بأسلوب الخبر العجيب الذي يحتاج إلى التأمل والتدبر، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ ءَايَتَهُ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا مَاءً هَبَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمْحِي الْمَوْتَى﴾ [فصلت: ٣٩]، (والخشوع: التذلل، وهو مستعار لحال الأرض إذا كانت مقطعة لا نبات عليها. والاهتزاز حقيقته: مطاوعة هَزَّهُ، إذا حرَّكه بعد سكونه فتحرَّك)، وهو هنا مستعار لرُبوِّ وجه الأرض بالنبات، ويفُؤَخذ من مجموع ذلك أن هذا التركيب تمثيل، شبه حال قحولة الأرض ثم إنزال الماء عليها، وانقلابها من الجدب إلى الخصب، والإنبات البهيج بحال شخص كان كاسف البال رثَ اللباس فأصابه شيء من الغنى فلبس الزينة واحتال في مشيته زهواً<sup>(١)</sup>، فهذا إخبار عن انتقال الأرض من حال الخاشع الذليل لحال ذي الزينة والفاخر بأفعال عجيبة غريبة، هي: (أنزلنا، واهتزت، وربت)؛ للدلالة والتنبيه على إمكانية فعل الإحياء من عدم.

**الأسلوب الثاني:** التعبير عن إحياء الله الأرض الميتة<sup>(٢)</sup> بأسلوب خبري مرسل في قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتَهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّفَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٤]، كما ورد بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتَهَا﴾ [البقرة: ١٦٤]، وقال: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتَهَا﴾ [الجاثية: ٥]، وقال: ﴿وَلَلَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتَهَا﴾ [النحل: ٦٥].

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٤/٣٠٢)، باختصار وتصريف.

(٢) كما ورد بقوله: ﴿بَعْدَ مَوْتَهَا﴾ في سور: [البقرة: ٢٥٩]، و[الروم: ١٩]، و[فاطر: ٩]، [الحديد: ١٧]، وورد بقوله: ﴿مِنْ بَعْدَ مَوْتَهَا﴾ في سورة [العنكبوت: ٦٣].



**الأسلوب الثالث:** التعبير عن إحياء الله الأرض الميتة بأسلوب الخبر المدلل بأماراة الواقع في قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاهُ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبَّابَقَمْنَهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣]، فإحياء الأرض بالنبات والشجر آية من آيات الله بدليل الواقع من إخراج الحبّ المحصور منها، أو بدليل مشاهدة الخارج من رزع الأرض.

**الأسلوب الرابع:** التعبير عن إحياء الله الأرض الميتة بأسلوب إنشائي هو الأمر بالعلم في قوله تعالى: ﴿أَعْمُوأَنَّ اللَّهَ يُحِيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد: ١٧]؛ لوجوب الإحاطة والإلمام به، كما ورد باستفهام إنكارى في قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ يَقْدِيرُ عَلَىَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىَ﴾ [القيامة: ٤٠]، ومن التعبير عن إحياء الله الأرض الميتة بأسلوب الاستفهام التقريري في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَسْأَلُهُمْ مَنْ تَرَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَاهُ أَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا يَقُولُنَّ اللَّهُ فُلَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ بِلَ أَكَثَرُهُمْ لَا يَعْقُلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣] فقد (أشار قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ إلى موت الأرض، أي: موت نباتها بامساك المطر عنها في فصول الجفاف، أو في سنيّ الجدب؛ لأنّه قابله بكون إنزال المطر لإرادته إحياء الأرض بقوله: ﴿فَأَحْيَاهُ أَرْضَ﴾ (١)، ومنه قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىَّ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحِيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ٥٠] ويدل ارتباط رحمة الله - تعالى - بإحياء الأرض على تحقيق عناية الله بتيسير أقوات العباد بما يخرج من الأرض؛ لأن إحياء الأرض بالنبات من آثار رحمة الله، والأرض الميتة التي لم تزرع أو لم يجر عليها ملك أحد، فلابد من مباشرة الأسباب، ففي السنة النبوية: «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ، وَلَيْسَ لِعَرِقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ» (٢)، ذلك تشبيه إحياء الأرض بإحياء الميت حيث عبر بـ(إحياء

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢١/ ٢٩).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» كتاب المزارعة باب من أحيا أرضاً موأتاً، رقم: ٢٣٣٥)، عن



الأرض) عن عمارتها لأن إحياء الأرض: مبادرتها بالرعاية والزراعة والإحاطة والعمار، ونحوه.

**ثانياً:** تنوع أساليب التعبير عن (إحياء البلد الميت)، فيما يلي:

**الأسلوب الأول:** التعبير عن إحياء الله البلد الميتة بأسلوب الخبر المعلل، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِتُنْحِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتَانَا وَتُسْقِيَهُ وَمَا حَلَقَتْ أَعْنَمَّا وَأَنَّاسِيَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٩-٤٨]، (البلدة الميت) التي أصابها الموت بفعل الجدب والقطط؛ لأن إنزال الماء من السماء لإحياء بلدة ميتة، ول斯基 أنعام وأناسٍ كثيرة.

**الأسلوب الثاني:** التعبير عن إحياء الله البلد الميتة بأسلوب خبri مرسل، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتَانَا كَذَلِكَ الْخَرْجُونَ﴾ [ق: ١١] والضمير في (بِهِ) يعود للماء المبارك، وهو الغيث النازل من السماء، قال الرازبي: (كذلك بدن الإنسان بعد الموت ينمو ويزيد بأن يرجع الله تعالى إليه قوة النشوء والنمو كما يعيدها إلى الأشجار بواسطة ماء السماء) <sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتَانَا كَذَلِكَ تُخْرِجُونَ﴾ [الزخرف: ١١] أي: منحها الحياة والنشور، والبلد: (كل موضع من الأرض غامر أو عامر، مسكنون أو خال فهو بلد، والقطعة منه بلدة) <sup>(٢)</sup>، هذا

= عائشة مرفوعاً، وأبوداود في «سننه» كتاب الخراج والفيء، باب في إحياء الموات رقم: (٢٠٧٣) من حديث سعيد بن زيد، واللفظ له، بإسناد صحيح، وأحمد في «مسنده» من حديث جابر بن عبد الله، رقم: (١٤٢٧١).

(١) ينظر: التفسير الكبير، للرازي (٢٨ / ١٢٩).

(٢) الكليات، للكفوبي، (ص: ٢٢٦).



الأسلوب دال على إحياءسائر البلاد، وتهيئتها لحياة العباد، دفعاً لللماس، وتحقيقاً للإيمان بقدرة الله.

وبناء على التفرقة بين الميّت والميّت ندرك حكمة قوله: ﴿بَلْدَةٌ مَيْتَةٌ﴾ في هذه الموضع الثلاثة<sup>(١)</sup>، مفعول به للفعل المذكور (فَانْشَرْنَا وَأَحْيَيْنَا وَنُحْيِي) لأن إحياء البلدة الميّة والأرض الميّة يرددان بذكر النشر والإحياء مرة أخرى تذكيراً بعقيدة البعث؛ لأن الميّت -بتشديد الياء- مخلوق حي ما زال يعيش حياته، ويتضرر أجله، فسيموت، ويلاحظ هذا المعنى واضحاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيْتٌ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] فالآية تخاطب الرسول ﷺ، وتبخره بأنه سيموت، وأن خصومه سيموتون كذلك، لكن النبي وقت الخطاب كان حياً وكذلك خصومه، وأما الميّت -بتسكين الياء- فهو المخلوق الذي مات فعلاً وخرجت روحه، وأطلق القرآن هذا اللفظ على الأرض الميّة ﴿وَإِيَّاهُ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ [يس: ٣] وقال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] قال الراغب: (وَالْمَيْتَةُ مِنَ الْحَيَاةِ: مَا زالَ رُوْحَهُ بِغَيْرِ تَذْكِيَّةٍ)<sup>(٢)</sup>، يعد من

(١) ورد قوله: ﴿بَلْدَةٌ مَيْتَةٌ﴾ في سور: [الفرقان: ٤٩]، [الزخرف: ١١]، [ق: ١١] وورد قوله: ﴿بَلْدَةٌ مَيْتَةٌ﴾ [فاطر: ٩].

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب (ص ٧٨٢)، كما أطلق القرآن (الميّت) على الكافر الذي نزع منه الإيمان، قال العلامة الشنقيطي في تفسير قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُ يَتَبَعَهُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٦]: (وأطبق العلماء على أن المراد بالموتى هنا: الكفار لا يكاد يختلف في هذا اثنان من علماء التفسير، بأنه يقول: إنما يستحب الأحياء الذين يسمعون، كما قال له: ﴿لَيَسِدِرَمْ كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠]، أي: الذي له حياة، أما الميّت: الذي أمات الله قلبه، وكثيراً ما يطلق القرآن اسم (الميّت) على (الكافر)، قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَيْتَةً فَأَحْيَيْتُهُ وَجَعَلْتُنَا لَهُمُ الْأَيْمَنَيِّيَّةَ فِي الْأَطْمَمَتِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]. ينظر: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير لمحمد الشنقيطي، (١٩٧/١).



إعجاز القرآن تبليغًا على أنه لا توجد كلمتان في القرآن بمعنى واحد، بل لا بد من فروق دقيقة بينهما؛ لبيان فائدة للناس من وجه من الوجوه.

**وفي قوله تعالى:** ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَهُ إِلَى بَلَدِ مَيِّتٍ فَلَحِينَاهُ أَلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذِلِكَ النُّسُورُ﴾ [فاطر: ٩]، فقوله: (بَلَدِ مَيِّتٍ) مجرور بـ(إلى) حرف التعدي لل فعل (سُقْنَاهُ)، وضمير الغيبة يرجع للسحاب؛ لإمكانية ظهور مظاهر الحياة بإخراج النبات والزرع والثمر، و(بَلَدِ مَيِّتٍ)، أي: قابل للموت حيث يحييه الله بقدرته بإرسال الماء إليه، فنبت الأرض، ويزهر الشجر، وينضج الثمر، فستقيم حياة البلاد، وسواء وصفت البلدة بالوصف (ميت) أو (ميت) فدلالة لا تخلو إما على إمكانية بعث معدوم فاقد الحياة، أو تذكير لموجود بأن الحياة منتهية بفناء الموت لا محالة.

**ثالثًا:** ارتباط الفعل (أحياناً) بأفعال الخلق والإيجاد الصريحة (خلقَ فَسَوَّى) إشارة إلى خلق الإنسان، في قوله: ﴿أَنْرَيْكُ نُطْفَةً مِّنْ مَّا يُمْنَى ٢٧ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ٢٨ فَجَعَلَ مِنْهُ زَوْجَيْنِ الْذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ٢٩ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقِدْرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْكِيَ الْمَوْتَ﴾ [القيامة: ٣٧ - ٤٠]، والاستفهام إنكارياً؛ ليبرهن بها على قدرة الله - تعالى - على الخلق من عدم محض، كما يدل على ارتباطه بالبعث والإيجاد بعد الموت، لارتباط إحياء الميت ببداية الخلق من عدم؛ لأن الإشارة إلى ثبوت إحياء الله للموتى مرتبطة بأولى هي الاعتراف بأن الله خالق الخلق من البداية، فذكر القرآن تلك النتيجة كأمر يلي الخلق من عدم.

**رابعاً:** ارتباط الفعل (أحياناً) بلازمة قرآنية هي (كُنْ فَيَكُونُ)، وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْكِي وَيُمْبَيِّثُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [غافر: ٦٨]



فلما كان هذا الموضع لا يتعلّق بمعجزة في الخلق<sup>(١)</sup>، فلما ذكر انتقال الإنسان من كونه ترابة إلى نطفة، ثم علقة، ثم طفلاً، ثم بلوغ الأشد، ثم الشيخوخة، وقد استدلّ بهذه التغييرات على وجود الإله القادر قال بعده: **﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾** يعني كما أن الانتقال من صفة إلى صفة أخرى من الصفات التي تقدم ذكرها يدل على قدرة الله تعالى في تصريف عباده، كذلك الانتقال من الحياة إلى الموت وبالعكس يدل على الإله القادر، قوله: **﴿فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَلَمَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** فإنه يدل على وجوده، منها: الأول: عبر عن نفاذ قدرته في الكائنات والمحادثات من غير معارض ولا مدافع إذا قال: **﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾**. الثاني: أنه عبر عن الإحياء والإماتة بقوله: **﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾**، فكأنه قيل: الانتقال من تراب لنطفة لعلقة لمضعة على التدريج، وأما صيرورة الحياة فإنما تحصل وتحدث دفعه واحدة؛ لتعليق جوهر الروح به، لهذا عبر عنه بقوله: **﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾**. الثالث: فلا بد من الاعتراف بأول إنسان هو أول الناس - وهو آدم - تناслед منه الذرية، عبر عنه بقوله: **﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾**<sup>(٢)</sup>.

**خامسًا:** ارتباط الفعل (أحيى) بالفعل (أنشأ) للإشارة إلى الإنشاء أول مرة لإثبات البعث<sup>(٣)</sup> بعد الموت، وهو عقيدة سمعية ثابتة سمعًا؛ لذلك كان استدلال

(١) عدم اقتران هذا الموضع بمعجزة كما وردت في خلق آدم وعيسى .

(٢) التفسير الكبير، للرازي (٢٧/٥٣١-٥٣٢) بتصرف، وينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٤/١٩٩-٢٠٠).

(٣) البعث: الإثارة والإيقاظ من النوم **﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾** [يس: ٥٢]، وإيجاد الأعيان والأجناس والأ نوع يختص به الباري، والإحياء والنشر من القبور، ومن أسماء الله تعالى «الباعث» وهو الذي يبعث الخلق أي: يحييهم بعد الموت يوم القيمة. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (١٣٨/١)، وينظر: الصاحح تاج اللغة للجوهري (٣/٩٧٦)، والكليات، للكفوبي (ص: ٢٤٤).



القرآن لمن أنكر إحياء الموتى في قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةً وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]، كما ارتبط بقدرة الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمْ يَحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَوِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]، وفي السنة ما يؤكّد ذلك؛ ففي حديث أبي رزين العقيلي، قال: قُلْتُ: يا رسول الله، كَيْفَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى؟ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟ قال: «أَمَّا مَرْرَتْ بِوَادِي أَهْلِكَ مَحْلَّاً؟» <sup>(١)</sup> قال: بَلَى، قال: «أَمَّا مَرْرَتْ بِهِ يَهْتَزُ حَضِيرًا؟» قال: قُلْتُ: بَلَى، قال: «ثُمَّ مَرْرَتْ بِهِ مَحْلَّاً؟» <sup>(٢)</sup> قال: بَلَى، قال: «فَكَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَذَلِكَ آيَةُهُ فِي خَلْقِهِ» فالوادي المُحْلَّ كالأرض والبلدة الميتة، ثم هو خَصِيرٌ مثلها كذلك يحيي الله الموتى.

**سادسًا:** اقترن الفعل (يُحيي) مع الفعل (يُميت) في القرآن؛ لأن كلاً من الإحياء والإماتة بيد الله تعالى لا يبيد أحد سواه، ففي مناظرة الخليل إبراهيم للنمرود، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]؛ لذلك لما شغب النمرود في إحياء الله الموتى - وهو أمر بدهي مترب على خلق الله تعالى الخلق من عدم أولاً - انتقل إبراهيم إلى دليل آخر أكثر ظهوراً بالمشاهدة، وهو أن الله يأتي بالشمس من المشرق فليأت بها من المغرب، فبهت الكافر وانخرس.

كما تبيّن في القرآن إمكانية الاستدلال على إحياء الله الموتى من خلال هذا السؤال المفصلي (كيف يحيي الله الموتى؟) للدلالة على قدرة الله على إحياء

(١) قوله: (مَحْلَّاً) أي: جدباً، والمُحْلَّ في الأصل: انقطاع المطر. ينظر: النهاية، لابن الأثير، (٤/ ٣٠٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، رقم: (١٦١٩٢/ ١١١-١١٢)، وإنستاده ضعيف لجهالة حال وَكَيْعِ بْنِ حُدْسِ / عُدُسٍ ابن أخي أبي رزين، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، رقم: (١٠٦٩)، (٤٨٥/ ٢).



الموتى، فقد سجّله القرآن سؤالاً للخليل، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّ أَرْبَنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىَ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وسؤال إبراهيم عن إيمان بتلك العقيدة، فقال: ﴿وَالَّذِي يُمِسْتَنِي ثُمَّ يُحْيِيْنِ﴾ [الشعراء: ٨١]، لذلك وجّه في مناظرته النمود من قبل، فقال: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِيْ وَيُمِسِّ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، قال الراغب: (كان يطلب أن يريه الحياة الأخرى المعرفة عن شوائب الآفات الدنيوية)<sup>(١)</sup>، فهو مقرٌ بإحياء الله للموتى.

كما سجّل القرآن لعزيز النبي هذا السؤال المفصلي في قوله تعالى: ﴿أَوَ كَلََّنِي مَرَّ عَلَى قَرِيَّةٍ وَهِيَ حَاوِيَّةٍ عَلَى عَرُوشَهَا قَالَ أَنِّي يُحْيِيْ هَذِهِ الْأَنْتَارِيَّةَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، هذا (استفهام إنكار واستبعاد)<sup>(٢)</sup>، وهو سؤال عقدي متعلق بفعل الإحياء، والسائل (الذي مرّ على قرية، قيل: هو أرميا بن حلقيا، وقيل: هو عزيز بن شرخيا- عزرا بن سريا-، والقرية بيت المقدس في أكثر الأقوال)<sup>(٣)</sup>، وأكثر المفسرين على أنه عزيز وهو مؤمن، والسؤال عن إحياء الأرض الميتة الجدباء القاحلة الخاوية من البشر، قال الخطيب الشربيني<sup>(٤)</sup>: (أي: بما صارت إليه من الخراب وذهاب الأهل،

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب، (ص: ٢٦٩).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣/٣٦).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣/٣٥).

(٤) الشربيني: (ت: ٩٧٧هـ) هو: محمد بن محمد بن أحمد الشربيني القاوري الشافعي الخطيب، فقيه ومفسر، درس وأفتى في حياة أشياخه، وانتفع به خلائق لا يُحصون، وأجمع أهل مصر على صلاحه، ووصفوه بالعلم والعمل والزهد والورع، شرح كتاب «المنهج» و«التنبيه»، وأقبل الناس على قراءتهما وكتابتهما في حياته، كان يعتكف رمضان كله ويخرج في العيد. ينظر: شذرات الذهب، لابن العماد، (١٠/٥٦١-٥٦٢)، والأعلام، للزركلي (٦/٦)، ومعجم المؤلفين، لكتابه، (٦٩/٣).



فيعيدها إلى ما كانت عليه عامرة آهلة، وهذا اعتراف بالعجز من معرفة طريق الإحياء، واستعظام لقدرة المحيي إن كان القائل مؤمناً، واستبعاد إن كان كافراً، فلم يشك أنَّ الله يحييها ولكن قالها تعجباً<sup>(١)</sup>.

فمن الواضح أنه سؤال مقرٌّ مصدق بقدرة الله تعالى على الإحياء، أفاد ابن عاشور أن قوله تعالى: ﴿فَامَّا تُهُمْ مِا تَهُمْ عَامِلُ شَمَّ بَعَثَهُ وَمَا زَادَهُ الْقُرْآنُ مِنَ الْبَيَانِ عَلَىٰ مَا فِي كِتَابِ الْيَهُودِ؛ لَأَنَّهُمْ كَتَبُوهَا بَعْدَ مَرْوُرِ أَزْمِنَةٍ، وَيُظَنُّ مِنْ هَنَا أَنَّ عُرَيْرَ مَاتَ فِي حَدُودِ سَنَةٍ (٥٦٠ ق.م.)، وَكَانَ تَجْدِيدُ أُورْشَلِيمَ فِي حَدُودِ (٤٥٨ ق.م.) فَتِلْكَ مَائَةٌ سَنَةٌ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِئُهَا ثُمَّ نَكُوْسُهَا لَحْمًا﴾ تذكرة له بتلك النبوة وهي تجديد مدينة إسرائيل<sup>(٢)</sup>.

كما سجَّلَ القرآن هذا السؤال المفصلي لرجل جاحد عند رسول الله في قوله: ﴿قَالَ مَنْ يُحْكِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] روي: «أنَّ أُبَيَّ بْنَ خَلْفِ الْجُمَحِيِّ - وَهُوَ الَّذِي قُتِلَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَحَدِ مَبَارَزَةٍ -، أتَى النَّبِيُّ ﷺ بِعَظَمٍ بَالٍ يَفْتَتِه بِيَدِه فَقَالَ: أَتَرَى اللَّهُ يُحْيِي هَذَا بَعْدَمَا رُمِّمَ؟ فَقَالَ ﷺ: «نَعَمْ، وَيُبَعْثَكَ وَيُدْخِلُكَ النَّارَ» فَنَزَّلَتْ [٣]، فَلَمَّا كَانَ الْإِيْجَادُ مِنْ عَدَمِ ثَابَتَ اللَّهُ بِلَا مَنَازِعَ ثَبَتَ كَذَلِكَ قَدْرَةُ اللَّهِ عَلَى إِعَادَةِ الْحَيَاةِ لِمَنْ شَاءَ مِنْ شَاءَ؛ لِذَلِكَ كَانَ الْجَوابُ عَلَى سُؤَالِ أَبْنِ خَلْفٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةً وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى إِمْكَانِيَّةِ بَعْثِ الْأَجْسَادِ بَعْدِ الْمَوْتِ، فَالْإِقْرَارُ وَالتَّصْدِيقُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى الإِحْيَاءِ يَؤْدِي لِلْإِقْرَارِ بِقَدْرَتِهِ

(١) ينظر: السراج المنير، الخطيب الشربيني، (١) / ١٧٢.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣) / ٣٦.

(٣) السراج المنير، للخطيب الشربيني، (٣) / ٣٦٥.



على بعث العباد بعد الموت، وهذا السؤال الثالث صدر من منكر جاحد للبعث.

لذلك بعدهما بين القرآن قدرة الله على الخلق في سورة القيامة إذا بالسورة تُختتم باستفهام قرآني دالٌّ لكل ذي عقل ناِيهٍ، وقلب متعظ في قوله تعالى: ﴿إِلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠]، فإن الاستفهام إنكارٍ، والمنكرون للحشر منهم من لم يذكر فيه دليلاً، ولا شبهة بل اكتفى بمجرد الاستبعاد، وهم الأكثرون ﴿إِذَا أَضَلَّنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي حَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [السجدة: ١٠]، وقال: ﴿إِذَا مِنَّا وَكُنَّا نَأْتُ رَبَّا وَعَظَلَّمَ أَعْنَالَ مَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢] (١).

**سابعاً:** ارتباط الفعل (أحياناً) بضرورة النظر حيث دعا القرآن الإنسان للنظر في آثار رحمة الله تعالى على خلقه بإحياء الأرض بما يخرج منها، وذلك في قوله: ﴿فَانْظُرْ إِلَيْ أَثْرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لِمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠]، والأمر بالنظر تشريع محكم للمكلَّف عليه قيام قواعد الإيمان، وتبدو آثار رحمة الله في توفير طعامبني آدم وغذائهم مما يخرج من الأرض من زرع وشجر، كما أنه دليل عنابة الخالق بخلقه، وقدرته على الخلق والإبداع؛ لظهور قدرة الله الباهرة على شق الأرض بالنبات الغض الطري، في قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لِمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لِمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

**ثامناً:** الاستدلال على عقائد فرعية أخرى منها:

١ - الاستدلال على إمكانية بعث العباد بعد الممات بـ(إحياء الأرض الميتة) وـ(إحياء البلدة الميتة)؛ لأن إحياء الأرض والبلاد دليل مشاهد يدل على بعث العباد

(١) المرجع السابق، (٣/٣٦٦).



بعد الممات؛ لذا قال تعالى: ﴿وَيُنْجِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرِجُونَ﴾ [الروم: ١٩]، أي: تخرجون من قبوركم للبعث، وقال: ﴿فَأَحَيَّنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، (الكافُ في حِيزِ الرِّفعِ عَلَى الْخُبْرِيَّةِ أي: مثل ذلك الإِحْيَاءِ الَّذِي تَشَاهِدُونَهُ إِحْيَاءً الْأَمْوَاتِ) <sup>(١)</sup>، وَمَنْ خَلَقَ وَسَائِلَ إِحْيَاءِ الْأَرْضِ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ وَسَائِلِ إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ <sup>(٢)</sup>، وَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا مُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [فصلت: ٣٩]، وَأَكَدَ إِحْيَاءَ الْأَرْضِ بِإِنَّ وَاللَّامِ؛ لَذَلِكَ كَانَ إِحْيَاءَ مِنْ دَلَائِلَ قُدْرَةِ اللَّهِ؛ لَذَلِكَ قَالَ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ مِنْ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهُونُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] أي: أهون عليه في مقاييسكم أنتم والله قادر مقتدر، فلما كان مقياس العقل البشري يختلف في صعوبة بداية الخلق من عدم نَسَّ على إعادةه بعد وجودِ.

٢- إثبات عقيدة النشر؛ لأن دلالة فعل الإِحْيَاءِ عَلَى عقيدة البعث والنشر في قوله: ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، وقوله: ﴿كَذَلِكَ تُخْرِجُونَ﴾ [الزخرف: ١١]، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرِجُونَ﴾ في قوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُنْجِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرِجُونَ﴾ [الروم: ١٩]، مثال يبيّن مشابهة بعث الله للعباد بإحياء البلد الميت بخلوّه من الحياة والأحياء فلا زرع أو شجر.

٣- تعبير القرآن عن الإيمان بالحياة، وعن الكفر بالموت، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ فُورًا يَعْيَشُ بِهِ فِي الْتَّابِسِ كَمَنْ مَثَلُهُ وَفِي الظُّلْمَتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأعراف: ١٢٢]، وربما يكون هذا المعنى مجازيًّا، والهمزة للاستفهام المستعمل في إنكار تماثل الحالتين <sup>(٣)</sup>، وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود العمادي، (١٤٥/٧).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦٧/٢٢).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٤٣/٨).



كان ميتاً - أي: في الضلاله - هالكًا حائزًا، فأحياه الله، أي: أحيا قلبه بالإيمان، وهداه له ووفقه لاتباع رسle ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَسْعِي بِهِ فِي الْأَنَاسِ﴾ أي: يهتدي كيف يسلك وكيف يتصرف به، والنور هو القرآن، أو هو الإسلام، والكل صحيح: ﴿كَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلْمَكِتِ﴾ أي: الجهات والأهواء والضلالات المترفة، ﴿لَيَسْ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ أي: لا يهتدي إلى منفذ ولا مخلص مما هو فيه<sup>(١)</sup>؛ لذلك اعتبر القرآن العبد المتنفع بالإذنار هو العبد الخليق بوصف الحياة في قوله تعالى: ﴿لَيَنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيَا﴾ [يس: ٧٠]، فمن معاني الإحياء الشرعية التعبير بالحياة عن الإيمان والهداية والفكر المستقيم، والتعبير بالموت عن الكفر والضلال.

وفي السنة النبوية تعبير بالفعل (أحياناً) لبيان إحياء أوامر الله في قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ»<sup>(٢)</sup>، فإحياء أمر الله بالعلم والعمل به إحياء للدين، وتركه إماتة له. قال الشاعر:

لقد أسمعت لون ناديت حيًا ولكن لا حياة لمن تنادي<sup>(٣)</sup>

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ت: ٢٩٦ هـ)، (٣/٧٧٤)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود، (١/٧٧).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في «صححه» كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا، رقم: (١٧٠٠) واللفظ له، وأحمد في «مسنده»، رقم: (٢٥٥١)، كلاهما من حديث البراء بن عازب.

(٣) ينظر: المفردات، للراوي، (ص: ٢٦٨-٢٦٩) والبيت لكثير عزة من قصيدة رثاء خندق الأسدية ينظر: ديوانه (ص: ٢٢٣).



### المطلب الثالث:

### معاني الفعل (أبْنَتْ) ودلالته

#### ◆ أولاً: معاني الفعل (أبْنَتْ) في اللغة ◆

أفاد علماء اللغة أن الفعل (أبْنَتْ) و(أبْنَتْ) بمعنى، والنَّبْتُ: النبات، وكل ما أبْنَتَ الله في الأرض فهو نَبْتٌ، والنَّبَاتُ فعله ويجري مجرى اسمه، يقال: أبْنَتْ الله النَّبَاتَ إِنْبَاتًا؛ قال الفرَاءُ: إن النَّبَاتَ اسْمٌ يَقُومُ مَقَامَ الْمَصْدَرِ، ونَبْتُ الشَّيْءِ يَبْنِي نَبْتًا ونَبَاتًا ونَبْتَةً، والمَنْبَتُ: الْأَصْلُ، وَالْمَوْضِعُ الَّذِي يَبْنِي الشَّيْءَ فِيهِ، وَاخْتَارَ بَعْضُهُمْ أَبْنَتْ بِمَعْنَى نَبْتٍ، وَأَنْكَرَهُ الْأَصْمَعِيُّ وَأَجَازَهُ أَبُو عَبِيدَةَ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيِّنَاءَ تَبْنِي بِالْدُّهُنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، قرئَتْ (تَبْنِتُ)، و(تَبَنَّتُ)<sup>(١)</sup>، قال الفرَاءُ: هَمَا لَغْتَانِ؛ نَبَتَتْ الْأَرْضُ وَأَبْنَتْتُ، وَقَالَ ابْنُ سَيِّدَهُ: أَمَّا تَبْنِتُ فَذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَى أَنْ مَعْنَاهُ تَبْنِي الدُّهُنَّ أَيْ: شَجَرَ الدُّهُنَّ، أَوْ حَبَ الدُّهُنَّ، وَأَنَّ الْبَاءَ زَائِدَةً، وَنَبَتَتْ وَأَبْنَتْتُ مِثْلَ قَوْلَهُمْ: مَطَرَتِ السَّمَاءُ وَأَمْطَرَتِ<sup>(٢)</sup> إِذَا يَحْمِلُ فَعْلَ الْإِنْبَاتِ مَعَانِي مَا يَلِي: أَوْلًا: الْإِخْرَاجُ مِنَ الْأَرْضِ. ثَانِيًا: التَّنْمِيَةُ وَالتَّغْذِيَةُ.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو البصري ورويس: (تَبَنَّتُ) بضم التاء وكسر الباء، وقرأ الآباء بفتح التاء وضم الباء: (تَبْنِتُ). ينظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للشيخ عبد الفتاح القاضي، الناشر: الأزهر الشريف، قطاع المعاهد الأزهرية، سنة ٢٠٠٥، (ص: ٢٦٥).

(٢) ينظر مادة (نَبَتَ) في: (العين)، للخليل بن أحمد (٨/١٢٩ - ١٣٠)، وَتَاجُ الْلُّغَةِ، للجوهري (١/٢٦٨)، والمفردات، للراغب (ص: ٧٨٧)، ولسان العرب لابن منظور، (٢/٩٥ - ٩٦).



◆ ثانية: دلالات الفعل (أبنت):

من دلالات الفعل (أبنت) على الخلق والإيجاد ما يلي:

**أولاً:** يدل الفعل (أبنت) على التحدي والإعجاز للبشر، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمَنَ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَا مَأْتَنَا بِهِ حَدَّاً بِقَدْرِ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُبْيِنُوا شَجَرَهَا إِلَّا مَعَ اللَّهِ بِلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدُلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]، حيث عطف أبنت على أنزل بفاء التعقيب والتفریع، ويبدو ذلك من خلال ما يلي:

١- أنسد فعل الإنفات إلى الله تعالى بنون العظمة في قوله: ﴿فَأَبْيَنَ﴾ أي: نحن الفاعلين، كما أن (نون الجمع في ﴿فَأَبْيَنَ﴾) التفات من الغيبة إلى الحضور<sup>(١)</sup>، والغيبة التي بالفعل (خلق، وأنزل) أي: هو وحده القادر على الخلق وإنزال الغيث دون سواه، بدليل المشاهدة الحاضرة حسماً، ثم أثبت فعل الإنفات له سبحانه بضمimir الحضور؛ لتأكيد أثر فعل الإنفات منه سبحانه، ف(رجوع من لفظ الغيبة في قوله: (خلق وأنزل) إلى التكلم في قوله: ﴿فَأَبْيَنَ﴾) ثم قال: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُبْيِنُوا شَجَرَهَا﴾؛ لأن الإنسان قد تعرض له شبهة أن مُبْتَدأ الشجرة هو الإنسان فإنه يقول: أنا الذي ألقى البذر في الأرض الحرة، وأَسْعَى في سقيها بالماء وحرثها وفاعل السبب فاعل للمسبب<sup>(٢)</sup>؛ ولأن الزارع له أسبابه فلا يرکن إليها، وفيه استحالة قدرة البشر على إنبات شجر؛ لكون المنفي.

٢- مهما كانت سببه الأسباب فإن أفعال خلق السماء والأرض، وإنزال الماء؛ لإنبات حدائق بهيجه كلها فعل الله تعالى وخلقها وإنباته، شاهدة بأنه فاعل كل ذلك؛

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٠ / ص: ١١).

(٢) ينظر: التفسير الكبير، للرازي، (٢٤ / ٥٦٣).

لَذَا قَالَ بَعْدَهَا: ﴿إِلَهٌ مَعَ إِلَهٌ﴾؛ لِدَلَالَةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ فَاعِلٌ مُطْلَقٌ لِمَا أَرَادَ، غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، فَالْأَمْرُ أَمْرُهُ وَالْتَّدْبِيرُ تَدْبِيرُهُ.

٣- إِذَا نَفَى فَعْلُ إِنْبَاتِ الشَّجَرِ عَنْ كُلِّ إِنْسَانٍ مُخَاطِبٌ عَاقِلٌ فِي الْبَشَرِيَّةِ فَقَالَ: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْثِيُ شَجَرَهَا﴾؛ لِدَلَالَةِ التَّحْدِيِّ وَالْإِعْجَازِ، وَلِبَيَانِ تَأْكِيدِ انتِفَاءِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ عَنِ الْبَشَرِ، فَالْكَوْنُ الْمَنْفَيُ بَعْدَ لَامِ الْجَحْودِ الْمُلْحَقَةِ بَعْدَ كَانَ الْمَنْفَيَّةِ يَدْلِي عَلَى تَامَّ الْانْتِفَاءِ؛ وَيَدْلِي عَلَى أَنَّ فَعْلَ إِنْبَاتِ إِنْبَاتٍ عَنِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي حِيزِ الْاسْتِحَالَةِ وَالْامْتِنَاعِ، وَهَذَا أَسْلُوبٌ مُتَشَهِّرٌ مِنْ شَيْءِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ؛ لِذَلِكَ قَالَ: ﴿إِنَّمَا تَرَكُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْتَّرَكُونَ﴾ [الواقعة: ٦٤]، عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيرِ وَالْتَّسْلِيمِ أَنَّ اللَّهَ فَاعِلٌ ذَلِكَ دُونَ سُوَاهٍ.

**ثَانِيًا:** اقْتَرَانُ فَعْلِ إِنْبَاتِ بِ(سُنَّةِ الْزَّوْجِيَّةِ)؛ وَهِيَ سُنَّةٌ مِنْ سُنَّتِ اللَّهِ تَعَالَى الْكَوْنِيَّةِ، حِيثُ تَدْلِي إِنْبَاتٍ يَتَعَلَّقُ بِزَوْجٍ أُنْثَى، وَآخِرُ ذَكْرٍ فِي كُلِّ نَبَاتٍ وَشَجَرٍ، وَفِي سَائِرِ خَلْقِ اللَّهِ لِلْبَشَرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تَنْتَهِيُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سُورَةُ الْإِنْجِيلِ: ٣٦]، فَكَلْمَةُ (سُبْحَانُ) دَالَّةٌ عَلَى تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، وَإِقْرَارٌ بِأَنَّهُ تَعَالَى خَالِقُ الْأَزْوَاجِ كُلَّهَا وَفِقْهُ سُنَّةِ الْزَّوْجِيَّةِ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْبَتَ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنْبَتَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [القَارُون: ١٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَنْبَتَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَيْمِرٍ﴾ [لِقَمَان: ٧]، دَالَّةٌ عَلَى صَلَةِ الْفَعْلِ (أَنْبَتَ) بِالنَّامِيَّاتِ مِنَ الْزَرْعِ وَالشَّجَرِ، وَتَوْقِفُهَا عَلَى سُنَّةِ الْزَّوْجِيَّةِ، وَلِمَا كَانَ تَكَاثُرُ الْأَزْوَاجِ سُنَّةُ اللَّهِ فِيمَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْلَئِرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمَا أَنْبَتَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَيْمِرٍ﴾ [الشَّعْرَاءُ: ٧]، دَالَّةٌ عَلَى كَثْرَةِ الْخَارِجِ مِنَ الْأَرْضِ بِإِنْبَاتِ، فَحَرْفُ (كَمْ) أَدَاءٌ دَالَّةٌ عَلَى التَّكَثِيرِ، وَيَشَهِّدُ لَهُ كَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَنَا بِهِ﴾



أَرَوْجَاهُ مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ [طه: ٥٣]، فكلمة (شتى) أي: متراكثاً، وهذا موضع امتنان الله على خلقه وعباده.

**ثالثاً:** دلالة عامة مستمدّة من الفعل (نبت) حيث تدل على أن النبات ما يخرج من الأرض من الناميات <sup>(١)</sup> سواء كان له ساق كالشجر، أو لم يكن له ساق كالزرع، والنجم <sup>(٢)</sup>، لكن اختص في التعارف بما لا ساق له، بل قد اختص عند العامة بما يأكله الحيوان، ومتى اعتبرت الحقائق فإن مصطلح (النبات) يستعمل في كل نام زرعاً كان أو شجراً، والإنبات يستعمل في ذلك، قال تعالى: ﴿يُنْتَ لَكُمْ بِهِ الْزَّرْعَ وَالنَّمَاءُ وَالنَّخْيلَ وَالْأَعْنَبَ﴾ [النحل: ١١]، وقال: ﴿لَنْخِرَجَ بِهِ حَبَّاً وَنَبَاتًا وَجَنَّتِ الْفَاقَافَا﴾ [النبا: ١٥-١٦].

**رابعاً:** ورد فعل الإنبات لإظهار المنة الربانية على خلقه بإخراج النبات والزرع، وذلك في قوله تعالى: ﴿مِمَّا تُنْتَ الْأَرْضُ مِنْ بَقِيلِهَا وَقِثَائِهَا وَفُوْمِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البقرة: ٦١]، فأسند فعل الإنبات إلى تلك الأنواع من الزروع والنباتات، وهي واردة على سبيل إظهار المنة على بني إسرائيل، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَبَّيَنَا فِيهَا حَبَّاً وَعَبَنا وَقَضَبَا وَرَيَّثُنَا وَنَخْلَا وَحَدَّأَقَ غُلْبَا وَقَنْكَهَةَ وَأَكْنَا﴾ [عبس: ٣١-٢٧]، فهذا تعدد

<sup>(١)</sup> الناميات: كل ما ينمو طبيعياً عن طريق العناية والتغذية من نبات وحيوان وإنسان، فيدخل الإنسان ضمن الناميات في وجه تشابه هو (النمو)، وهذا إطلاق عام من مفهوم (العالم)، فيقال: عالم النبات نام، وعالم الحشرات نام وعالم الحيوان نام.. إلخ، فيدخل ضمنه البشر، وهذه كلها يشملها كلمة (العالم)؛ لأنها محدثة لها محدث، هو الله تعالى خلقها جمياً من العدم. ينظر: (المفردات)، للراغب، (ص: ٧٨٧).

<sup>(٢)</sup> النجم يطلق على شيئين: الأول: الزرع الصغير النابت في الأرض، والثاني: الجسم المضيء في السماء. (الباحث).



لأنواع الخارج من الأرض النافع للإنسان والحيوان، واتضحت علاقة السببية بين فعل الإنبات والماء، قال الخطيب الشربيني رحمه الله: (هذا السياق لمطلق إخراج الزرع، وأول إصلاحه إنما هو لأكل الأنعام ولا يصلح للإنسان، وذكر من طعامه من العنب وغيره ما لا يصلح لأنعام فقدمه) <sup>(١)</sup>، وهذا موضع امتنان، وتعدد لنعم الرحمن تعالى على الإنسان حتى يتنهى عن الجحود والطغيان. ومنه قوله: ﴿يُنِيبُ لَكُمْ بِهِ الْزَّرعُ﴾ [النحل: ١١]، وفي الفعل (ينبت) قراءتان: بالياء، و(نبت) بنون التعظيم <sup>(٢)</sup>، ومنه قوله: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ نَبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبْلَةٍ مَائَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقوله: ﴿فَأَبْنَتَنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَرَحَبَ الْحَصِيدِ﴾ [ق: ٩]، أي: المحسود.

**خامسًا:** ورد فعل الإنبات لإظهار المنة الربانية على خلقه بإخراج الشجر مما له ساق وجذر من الشجر، للدلالة على خصوص إنبات الشجر ذي الساق والجذر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يُنِيبُ لَكُمْ بِهِ الْزَّرعُ وَالْزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الْثَمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْهَ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١]، فإن (هذا الإنبات من دلائل عظيم القدرة الربانية، فالغرض منه الاستدلال ممزوجًا بالتذكير بالنعمة، وأسند الإنبات إلى الله لأنه الملهم لأسبابه، والخالق لأصوله تنبئًا للناس على دفع غرورهم بقدرة أنفسهم، ولذلك قال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْهَ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ لكثرة ما تحت ذلك من الدقائق) <sup>(٣)</sup>، وإن من موضع المنة أن الله أنبت للإنسان

(١) ينظر: السراج المنير، للشرييني، (٢١٦ / ٣).

(٢) قرأ شعبة: (نبت) بالنون على التخفيم مكان التحتية، وقرأ الباقيون: (ينبت) بالياء، ينظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للشيخ عبد الفتاح القاضي، (ص: ٢١٧). قال الواهدي: والياء أشبه بما تقدم.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٤ / ١١٤ - ١١٥).



غذاءه، حيث إن (الغذاء النباتي قسمان: حبوب وفواكه، أما الحبوب فإليها الإشارة بلفظ الزرع، وأما الفواكه فأشرفها الزيتون والنخيل والأعناب)<sup>(١)</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَنْبَتَنَا فِيهَا حَبَّاً ۖ وَعَنْبَانَا وَفَضْبَانَا ۖ وَرَيْتُوْنَا وَنَخْلَا ۖ وَحَدَّاقَ غُلْبَاً﴾ [عبس: ٢٨ - ٣٠].

كما ورد فعل الإنبات لإظهار المنة الربانية بإينات أقوات الإنسان، وذلك في قوله: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَّدْنَاهَا وَأَفْتَنَاهَا رَوَسِيَّا وَأَنْبَتَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونِ﴾ [الحجر: ١٩]، على سبيل الكنية؛ فالشيء الموزون كنمية قرآنية عما يزرع ويحصد ويدرس من النباتات ذات الحب الممحصود، وهذا من إسناد فعل الإنبات للمزروعات؛ لبيان وجه الإنعام على البشر التي تقتات أقواتها بأنواع مختلفة منها.

ومنه قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَرَّكًا فَأَنْبَتَنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۚ وَالْتَّخْلَ بَاسِقَتِ لَهَا طَلْعَنَّ ضَيْدٍ﴾ [ق: ٩، ١٠]، قال الإمام الرازى<sup>(٢)</sup> (قوله: ﴿فَأَنْبَثْنَا﴾) استدلال بنفس النبات أي: الأشجار تنمو وتزيد، ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ فيه حذف تقديره: وحب الزرع الحصيد، وهو الممحصود أي: أنشأنا جنات يقطف ثمارها وأصولها باقية، وزرعاً يحصد كل سنة، ويزرع في كل عام أو عامين، ويتحمل أن يقال التقدير: ونبت الحب الحصيد، والأول هو المختار، فهو جنس مختلط من الزرع والشجر فكأنه تعالى خلق ما يقطف كل سنة ويزرع، وخلق ما لا يزرع كل سنة ويقطف مع

(١) ينظر: التفسير الكبير، للرازى، (١٩ / ١٨٠ - ١٨١).

(٢) الرازى: (٥٤٤-٦٥٦هـ) هو: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التىمى البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازى: إمام مفسر أوحد زمانه في المعقول والمنقول، وهو قرشى النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له: ابن خطيب الري. ينظر: الأعلام، الزركلى (٦ / ٣١٣)، ومعجم المؤلفين، كحالة، (١١ / ٧٩).



بقاء أصلها، وخلق المركب من جنسين في الأشجار؛ لأن بعض الشمار فاكهة ولا قوت فيه، وأكثر الزرع قوت، والتمر فاكهة وقوت)<sup>(١)</sup>، فالجذات فيها شجر وزرع، ثم خص شجر النخل؛ لكثرة منافعه.

**سادساً:** ورد فعل الإنبات في خصوص خلق الإنسان في موضعين، هما:

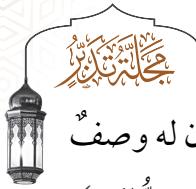
**أولهما:** عموم خلق ذرية آدم في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]، حيث جاء المصدر فيه على غير وزن الفعل، وجاء نباتاً على لفظ نبت في هذه الآية وجهان: أحدهما: معنى قوله: ﴿أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي: أنبت أباكم من الأرض، والثاني: أنه تعالى أنبت الكل من الأرض؛ لأنَّه تعالى إنما يخلقنا من النطف وهي متولدة من الأغذية المتولدة من النبات المتولد من الأرض)<sup>(٢)</sup>، والاحتمال الثاني أولى بالقبول لكاف الخطاب، وهم ذرية آدم.

**وهو ما رَجَحَهُ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ، فَقَالَ:** (وهذا الثاني أولى لأن الإنبات صفة لله تعالى، وصفة الله غير محسوسة لنا، فلا نعرف أن ذلك الإنبات إنبات عجيب كامل إلا بواسطة إخبار الله، وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى، فلا يمكن إدراكه بالسمع، فلما قال: أنبتكم نباتاً كان ذلك وصفاً للنبات بكونه عجياً كاملاً، وكون النبات كذلك أمر مشاهد محسوس، فيمكن الاستدلال به على قدرة الله تعالى)<sup>(٣)</sup>، وقال الراغب: (قال النحويون: قوله: «نباتاً» موضوع موضع الإنبات وهو مصدر، وقال غيرهم: قوله: «نباتاً» حال لا مصدر، ونبه بذلك أن الإنسان هو

(١) ينظر: التفسير الكبير، للرازي، (٢٨٩/٢٨).

(٢) ينظر: التفسير الكبير، للرازي، (٣٠/٦٥٤).

(٣) ينظر: التفسير الكبير، للرازي، (٣٠/٦٥٤ - ٦٥٥).



من وجه نبات حيث إن بدءه ونشائه من التراب، وأنه ينمو نموه، وإن كان له وصف زائد على النبات، وعلى هذا نبه بقوله: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ كُمَّ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾** [غافر: ٦٧] (١)، قال الإمام القرطبي (٢): (يعني آدم ﷺ خلقه من أديم الأرض كلها، قاله ابن جريج، وقد مضى في سورة الأنعام والبقرة بيان ذلك، وقال خالد بن معدان: خلق الإنسان من طين) (٣).

**أقول:** إن حمل آية سورة نوح على تشبيه الإنسان بالنبات أولى من حمله على حقيقة النبات؛ لأن وصف يحمل إشارة قرآنية إلى ضرورة رعاية الوالدين بالولد تنشئه وتربيه وتعلّيماً، مع وصف زائد في الاعتناء بعقل الناشيء ووجданه، ووصف الإنسان بالنبات على الحقيقة يكون بعد ميلاده وبلوغه؛ وفي السنة وصف النبي أحد شباب أصحابه فقال: **﴿نُوَيْتَهُ﴾** قلت: يا رسول الله، **نُوَيْتَهُ خَيْرٌ أَمْ نُوَيْتَهُ شَرًّ؟** قال: **«بَلْ نُوَيْتَهُ خَيْرٌ﴾** (٤)، فالنبات أمارة البلوغ، والتوييتة تصغير نابتة، أنبت

(١) ينظر: المفردات، للراغب، (ص: ٧٧٧).

(٢) القرطبي: (...-٦٧١هـ) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيб في شمالي أسيوط، بمصر وتوفي فيها. ينظر: الأعلام، للزركلي (٥/٣٢٢)، ومعجم المؤلفين، لكتحالة (٨/٢٣٩).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة (١٩٦٤)، (١٨/٣٠٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، رقم: (١٧٧٤٥) (٢٩١/٢٩)، وإسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير مسلم بن مشكم فقد روى له أبو داود والنسائي وابن ماجة وهو ثقة، والطبراني في «الكبير» رقم: (٥٨٢)، وفي «الأوسط» (٦٧)، من حديث أبي ثعلبة الخشنبي **ﷺ**.



الغلام: راھق واستیان شعر عانته، والنوابت: الأحداث الأغمار؛ لأن هذا الوصف يحمل معنی النمو - وهو يطلق على سبیل الغلبة في الشیء بعد میلاده وبلوغه، - ولأن الإنسان كکائن مستقل لا يشاهد حسًّا واقعًا بالفعل قبل المیلاد، إنما يكون كذلك بعد میلاده، فليس ثمة امتهان لأدمية البشر، أو إهانة لكرامته الأصلية.

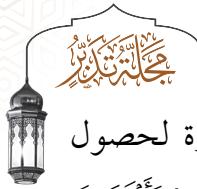
**ثانيهما:** خصوص السيدة مريم في قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧]،

قال القرطبي: (يعني سوئي خلقها من غير زيادة ولا نقصان، فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام واحد) <sup>(١)</sup>، أي: جعل نشأتها نشأة حسناً، وعلى معنی نبت نباتاً حسناً، والنابت من كل شيء الطري حين ينبت صغيراً، ونبت لهم نابتة إذا نشأ لهم شيء صغار.

**سابعاً:** علاقة فعل الإنفات بقانون السببية <sup>(٢)</sup>، مع ضرورة الإشارة إلى أمرین لإنفات الزرع والشجر، هما: أولهما: الماء للري، فبالماء حياة كل کائن حي من إنسان وحيوان ونبات وشجر، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنياء: ٢٣]، وفي قوله تعالى: ﴿فَيَنْظُرُ إِلَيْنَاسَ إِلَى طَعَامِهِ﴾ <sup>(٣)</sup> [أنا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبَّاً] [عبس: ٢٤، ٢٥]، والأمر بالنظر بقوله: ﴿فَيَنْظُرُ﴾ يدل على تشريع النظر الواجب حيث كلف الله به الإنسان؛ لأن الماء آية مستقلة من آيات الله، فهذا موطن بحث في طبيعة تكوين الماء، وبيان أوجه ارتباط الحياة به، وأنها دعوة للنظر والاعتبار، والإيمان يوضّح ذلك - أيضاً - قول الله تعالى: ﴿وَرَتَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٤/ ٦٩).

(٢) قانون السببية: علاقة التأثير والتأثر بين الأشياء سواء على سبیل الإيجاب والإثبات أو السلب والنفي، وفي الحقيقة الله فاعل لكل شيء، والعبد يباشر الأسباب لكنه لا يرکن إليها.



**ثانيهما:** تراب الأرض بيئة إنبات الزرع والشجر، فهما ضرورة لحصول الإنبات، وإلى كلا الأمرتين الإشارة في قوله تعالى: ﴿تُّشْقَقَنَا الْأَرْضُ شَقًا فَأَنْتَسَنَا فِيهَا حَجَّا وَعَنَّا وَقَضَبَا وَرَزَقْنَا وَنَخَلَا وَهُدَىٰ قَعْدَةَ وَأَيَّامًا﴾ [عبس: ٢٦ - ٣١]، لأن علاقة فعل الإنبات بالأرض الممهدة المهيأة لاستخراج النبات، حيث اقترن بها، وأخص صفات الأرض ترابها، وأما علاقة فعل الإنبات بالماء النازل من السماء فهي من علاقة السببية، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَنَا بِهِ نَبَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩٩]؛ لأن الماء ضروري لنمو كل كائن حي، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمَعْصَرَتِ مَاءً شَجَاجًا لَنْخَرَ بِهِ حَبَّا وَنَبَاتًا وَجَنَّتِ الْفَافًا﴾ [النبا: ١٤ - ١٦].

تبعد علاقة السببية جلية واضحة بين إنزال الماء مع تهيئة الأرض وبين إنبات الزرع والشجر، وهو موطن اغترار البشر<sup>(١)</sup>، فلما كان فاعل الإنبات هو الله قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِثُوا شَجَرًا إِلَّا مَعَ الْأَرْضِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]، وهذا التحدي واضح بإنبات الشجر؛ لذلك فإن العبد يزرع شجره ويتوكل على ربه في إخراج ثمره وحصاده، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَنَا بِهِ نَبَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩٩]، وقال: ﴿وَالْبَلْدُ الْطَّيِّبُ يَخْرُجُ بِنَاتُهُ وَيَأْدُنَ رَبِّهِ﴾ [الأعراف: ٥٨]، كما دعا الله للنظر والاعتبار في هذا الخلق المعجب، فقال: ﴿أَنْظُرُوا إِلَى شَمْرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

**ثامناً:** علاقة فعل الإنبات بالفعل (أخرج)، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَنَا بِهِ نَبَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجَنَا مِنْهُ حَضْرًا يَخْرُجُ مِنْهُ حَبَّا مُتَرَكِّبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّتِ مِنْ أَعْنَابٍ وَأَنْزَلْنَا وَرَمَانَ مُشْتَهِيَا وَغَيْرَ مُتَشَبِّهٍ أَنْظُرُوا

(١) كما اغتر صاحب العجتتين وذكر الله قصته في سورة الكهف.



إِلَى شَمَرَةٍ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهَ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوْمُنُونَ ﴿الأنعام: ٩٩﴾ (خَصِّرًا) بكسير الصاد: نوع من البقول ليس من جيدها، التي ينبعها الربيع بتواли أمطاره فتحسن وتنعم، ولكنه من البقول التي ترعاها المواشي بعد هيج البقول ويسها حيث لا تجد سواها، وتسميتها العرب الجنبة، فلا ترى الماشية تكثر من أكلها ولا تستمرئها<sup>(١)</sup>، وأما ﴿قِنْوَانٌ﴾ فإن (القِنْوَانُ: العذق، وتشتتته: قِنْوَانٍ، وجمعه قِنْوَانٌ)<sup>(٢)</sup>، و﴿دَانِيَةٌ﴾ أي: قريبة من القِطَاف، و﴿مُتَشَبِّهٌ﴾ أي: متماثل طعمًا أو لونًا أو شكلاً، والفعل ﴿وَيَنْعِهَ﴾: نضجه، من (يَنْعَتِ الشَّمْرَةُ يَنْعِنُ يَنْعَمُ، وَيَنْعَتِ إِبْيَانَاعًا فَهِيَ يَانِعَةٌ وَمُوْنِعَةٌ، وهو المدرك البالغ)<sup>(٣)</sup>، أي: النضيج، هذه من مواضع المبنى الربانية على الإنسان.

إِذَا يُطْلَقُ الْفَعْلُ (نبت) عَلَى كُلِّ مَا يَنْمُو نَمْوًا طَبِيعِيًّا بِرِعَايَةٍ وَتَغْذِيَةٍ مِنْ نَبَاتٍ وَحَيْوَانٍ عَاقِلًا أَوْ غَيْرَ عَاقِلٍ، وَدَلَالَتِه عَلَى نَمْوِ إِنْسَانٍ وَالْحَيْوَانِ بَعْدِ الْمِيلَادِ دَلَالَةً أَغْلِيَّةً؛ لَأَنَّهُ يَدْلُلُ عَلَى مَا يَنْمُو مِنْ ذَاتِهِ، وَالْجَنِّينُ نَمْوُه مُسْتَمدٌ مِنْ أَمْهُ، وَنَمْوُ إِنْسَانٍ عَلَى مَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ زَرْعٍ وَشَجَرٍ أَصْلِيَّةٍ فِيهِ بَعْدِ خَرْوْجِه لِلْحَيَاةِ بَعْدِ الْمِيلَادِ؛ لِذَلِكَ يُطْلَقُ هَذَا الْفَعْلُ عَلَى ذَرِيَّةِ آدَمَ؛ لَأَنَّ آدَمَ خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ، قَالَ ابْنُ عَاشُورَ: (وَالنَّبَاتُ: اسْمُ لِمَا يَنْبُتُ، وَهُوَ اسْمُ مُصْدِرِ نَبْتٍ، سَمِّيَ بِهِ النَّابِتُ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَجَازِ الَّذِي صَارَ حَقِيقَةً شَائِعَةً فَصَارَ النَّبَاتُ اسْمًا مُشَتَّرَكًا مَعَ الْمُصْدِرِ)<sup>(٤)</sup>، بِهَذَا يَتَبَيَّنُ عَمُومُ إِطْلَاقِ النَّبَاتِ فِي الْقُرْآنِ، فَلَمْ يُطْلَقْ عَلَى إِنْسَانٍ إِلَّا تَوْسِعًا مِنْ بَابِ النَّمَاءِ وَالْتَّغْذِيَةِ.

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (٤/٣٠٤).

(٢) مادة (قنو) في المفردات، للراغب، (ص: ٦٨٦).

(٣) مادة (ينع)، ينظر: المفردات، للراغب، (ص: ٨٩٤).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٧/٣٩٨).



## المطلب الرابع:

### معاني الفعل (أخرج) ودلالته

#### ◆ أولاً: معاني الفعل (أخرج) في اللغة ◆

أفاد علماء اللغة أن الفعل (أخرج) أصله (خرج) : الخاء والراء والجيم أصلان، وقد يمكن الجمع بينهما، فالأول: النفاذ عن الشيء، والثاني: اختلاف لونين، فأمّا الأصل الأول فقولنا: خَرَجَ يَخْرُجُ خُرُوجًا فهو خارجٌ، والخروجُ: نقِصُ الدخولِ، وَخَرَجَ خَرُوجًا وَمَخْرُجًا، وقد يكون المَخْرُجُ موضع الخروج، يقال: خرج مَخْرُجًا حسناً، وأمّا المُخْرُجُ فقد يكون مصدر قولك: أَخْرَجَهُ، والمفعول به، واسم المكان والوقت، والخُرُوجُ والخرج: السحاب أول ما يبدأ وينشاً، والخرجُ والخارجُ: ما يخرج من المال في السنة بقدر معلوم، ﴿أَمَرَ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجُوا رَبِّكَ حَيْرُّ﴾ [المؤمنون: ٧٢]، ومنه: ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجٌ صَدِيقٌ﴾ [الإسراء: ٨٠]، وهذا مخرجه؛ لأن الفعل جاوز ثلاثة أحرف، فتضمن ميمه؛ كدحرج، والاستخراج كالاستنباط.

وأمّا الأصل الآخر: فالخرج لونان بين سوادٍ وبياضٍ، ويقال: ظليم أخرج، ونعامة خرجاء، وأرض مخرجة: ذات لونين، لكون النبات منها في مكان دون مكان<sup>(١)</sup>، وأفاد الراغب أن الفعل (خرج) يدل على (البروز من المقرّ أو الحال، والإخراج أكثر ما يقال في الأعيان)<sup>(٢)</sup>، و فعل الخلق إخراج للملائكة بعد تكوينه.

(١) ينظر مادة (خرج) في: (العين)، للخليل بن أحمد، (٤/١٥٨)، وتأج اللغة، للجوهري (١/٣٠٩-٣١٠)، ومقاييس اللغة، لابن فارس (٢/١٧٥)، والمفردات، للراغب (ص: ٢٧٨-٢٧٩).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب، (ص: ٢٧٨).



إِذَا معاني الفعل (أخرج) النفاذ والبروز، والإبراز والتجاوز، والانتقال من مكان إلى مكان، أو التنقل من حال إلى حال، ومحل الدراسة في الفعل الرباعي (أخرج).

### ♦ ثانِيَاً: دلالات الفعل (أخرج):

دلالة الفعل (أخرج) على الخلق والإيجاد:

**أولاً:** يفيد الفعل (أخرج) إظهار حال الإنسان عند خلقه، وبداية وجوده حينما يخرج من بطن أمه كصفحة بيضاء خالية من العلم، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨]، فحال الإنسان خلو تام من أي علم ومعرفة، ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ في موقع الحال أي: غير عالمين شيئاً أصلاً، وهذا يدل على سنة من سنن الله في خلق الإنسان، وهي سنة (الفطرة) النقية البيضاء التي لم يُسبِّبها شائبة من شك أو كفر أو إنكار، حتى يتعرف الإنسان على الحياة فيهديه الله إلى أي سبيل يختاره من نفع وخير، أو شر وضر.

**ثانياً:** علاقة الفعل (أخرج) بخلق النبات وإيجاده، إظهاراً للمنة الربانية، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاهَ فَأَخْرَجَنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجَنَا مِنْهُ خَضْرَانِجُ مِنْهُ حَجَّا مُتَرَكِبًا﴾ [الأنعام: ٩٩]، حيث عطف على إنزال الماء إخراج نبات كل شيء، كما عطف عليه إخراج الخضر منه، والفاء في قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ للتفریع، وقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضْرًا﴾ تفصيل لمضمون جملة ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، كقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الْثَّمَرَاتِ﴾ [الأعراف: ٥٧]، فالله تعالى يخرج نبات كل شيء من زرع وحب -محط الاقفيات-، ويخرج كذلك من كل الثمرات -محط التفكه والرفاه-؛ ليجمع بين القوت والفاكهه



في موطن الامتنان وإسداء النعم.

**وفي التفسير:** (قوله: ﴿فَأَخْرَجَنَا بِهِ﴾ على طريقة الالتفات والباء للسببية، والضمير المجرور بالباء عائد على الماء أي: جعل الله الماء سبباً لخروج النبات، و(شيء) يراد به صنف من النبات بقرينة إضافة نبات إليه، والمعنى: فآخر جنا بالماء ما ينبع من أصناف النبات، فالنبات: جنس له أنواع كثيرة، فمنه الزرع، مما له ساق لينة، ومنه الشجر مما له ساق غليظة، ومنه النجم مما ينبع لاصقاً بالتراب، وهذا التعميم يشير لاختلاف الصفات والثمرات والطبائع والخصوصيات والمذاق، وهي كلها نابعة من ماء السماء الذي هو واحد، وذلك آية على عظم القدرة، قال تعالى: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ وَنَفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ [الرعد: ٤]، وهو تنبية للناس؛ ليعتبروا بدقة ما أودعه الله فيها من مختلف القوى التي سببت اختلاف أحوالها، و(من) ابتدائية أو تبعيضة، والضمير المجرور بها عائد إلى النبات، أي: فكان من النبت خضر ونخل وجنات وشجر، وهذا تقسيم الجنس إلى أنواعه، والخضر: الشيء الذي لونه أخضر، يقال: أخضر وَخَضِرٌ كما يقال: أبور وَعَوْرٌ، ويطلق الخضر اسمًا للنبت الرطب الذي ليس بشجر كالقضب، وجملة ﴿خُرْجٌ مِّنْهُ﴾ صفة لقوله: ﴿خَضِرًا﴾؛ لأنَّه صار اسمًا) (١).

**ثالثاً:** علاقة الفعل (أخرج) باعتبار أولي النهي، حيث ورد الفعل (أخرج) محظٌ تذكرة أولي النهي في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَنَا بِهِ أَرْوَاحًا مِّنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ ﴿كُلُّاً وَرَعْأَةً نَعْكَمُكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَاَكِتَ لِأَوْلَى النُّهَى﴾ [طه: ٥٣-٥٤]، وقوله: ﴿لِأَوْلَى النُّهَى﴾ أي: (الذوي العقول، واحدتها نهية، تنهى عن المحظور، أو يتنهى إليها في

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٧/٣٩٨-٣٩٩) باختصار يسير.

الأمور)<sup>(١)</sup>، و(قيل: لأنهم ينهون النفس عن القبائح)<sup>(٢)</sup>، واضح أن حكمة تسمية (أولي النهى); لأنهم وفّقوا إلى فهم وتدبر مواضع منن الخالق، ودلائل الخلق، ويidel على ذلك قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولَئِكَ الَّذِينَ نَهَىٰهُمُ اللَّهُ عَنِ الْمُحَاجَةِ﴾ الآيات أي: علامات دالة لهم منها: إثبات التوحيد، وإظهار المنن الربانية في نعمه وألاءه على العباد في سائر البلاد.

وبعد ذلك بآيات مشاهدة من إنزال ماء السماء، ثم قال: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ ضمير الغيبة يعود إلى الماء، نَقَلَ الكلام من الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع للافتنان، و﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً، و﴿مِنْ بَيْنَ أَنْوَافِ الْمَاءِ﴾ أي: متفرق متتنوع<sup>(٣)</sup>، ونبات مصدر سمي به النبات فاستوى فيه الواحد والجمع، و﴿شَتَّى﴾ صفة للأزواج أو للنبات، جمع شتت كمريض ومرضى، أي: إنها مختلفة النفع واللون والرائحة والشكل بعضها للناس وبعضها للبهائم<sup>(٤)</sup>، وقوله: ﴿كُلُّاً وَأَزْوَاجًا أَنْعَمْنَا﴾ حال من الضمير في ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ والمعنى: (أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها، وتعلفوا بعضها)<sup>(٥)</sup>، ففي تعريف الخارج من الأرض تعدد للمنة للمكلفين، وفي كون بعض الخارج للعاقل وبعضها للأنعام منة أخرى للمكلفين

بتمام قضاء المصالح.

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، (ت: ٧١٠ هـ)، (٣٦٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١١/٢١٠).

(٣) شَتَّ الشيء أي: تفرق، يقال أمر شَتَّ: متفرق، وشَتَّ الأمر شَتَّاً وشَتَّاتاً: تفرق، واستشست مثله، والتشتت وشنته تشتيتاً، والشتيت: المتفرق، وقوم شَتَّى: أشتناً متفرقين، وأشياء شَتَّى: متفرقة. ينظر: تاج اللغة للجوهري (١/٢٥٤-٢٥٥).

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (٢/٣٦٨).

(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (٢/٣٦٩)، وينظر: التفسير الكبير للرازي، (٢٢/٦١).



إِذَا دلالة الفعل (أخرج) على تمام منة الله على عباده في أن خلقهم وخلق لهم النبات، فبعد أن ذكر جعل الأرض مهدًا، وسلك سبليها، وإنزال الماء، وإخراج النبات به، أشار إلى أن هذه مواطن اعتبار أهل النهي والعقول.

**رابعًا:** علاقة الفعل (أخرج) باعتبار أولي الألباب، حيث ورد الفعل (أخرج) محظ ذكرى أولي الألباب في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَّكَهُ وَيَنَابِعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَوْنَهُ وَثُمَّ يَهْبِطُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ وَحْكَمَهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١]، فبعد أن ذكر إنزال الماء وسلكه ينابيع في الأرض، وإخراج زرع به مختلف لونه، ثم يهبيح حتى يذبل ويصير يابسًا أشار إلى أن هذه مواضع الاعتبار والعظة لأولي الألباب، أي: الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون أن الدنيا تكون خضراء حلوة نضرة ثم تعود شوهاء، والشاب يعود شيخًا هرماً كبيراً ضعيفاً، وبعد ذلك كله الموت، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير<sup>(١)</sup>، فهذا يدل على قدرة الله على البعث والمعاد.

**خامسًا:** علاقة الفعل (أخرج) بآيات الله للإنسان العاقل في قوله: ﴿وَمَنْ تَهْمَمُ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرَعَ أَخْرَجَ شَطَطُهُ فَقَازَرَهُ فَأَسْتَعْلَطَ فَأَسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعِيْجُ الْرِّزَاعَ﴾ [الفتح: ٢٩] قال الرازى: (وإنما جعلوا كالزرع؛ لأن أول ما يخرج يكون ضعيفاً، وله نمو إلى حد الكمال، فكذلك المؤمنون، والشطء الفرج)<sup>(٢)</sup>، وقال ابن عاشور: (هذا يتضمن نماء الإيمان في قلوبهم، وبأنهم يدعون الناس إلى الدين حتى يكثر المؤمنون كما تنبت الحبة مائة سنبلة، وكما تنبت من النواة الشجرة العظيمة)<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٧/٨٣.

(٢) التفسير الكبير، للرازى، ٢٨/٨٩.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/٢٠٨)، وأتى بفقرات المشابهة من إنجيل متى: [الإصحاح

١٣ فقرة ٣].



**سادساً:** علاقة الفعل (أخرج) بالماء والمرعى في قوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءً هَـا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازوات: ٣١]، وفيه إشارة إلى أن الماء يخرج من ينابيع الأرض كما ينزل غيثاً من السماء، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاءً كُـوْكُـوْغُورَاً فَمَنْ يَأْتِكُمْ بِمَاءٍ مَـعِينٍ﴾ [النازوات: ٣٠]، فالله هو من يسر سبيل الماء عيوناً وينابيع في الأرض؛ ليستخرج منها الماء، والمرعى وهو الكلاً والعشب الأخضر، وفيه جمع بين الماء والمرعى، أي: الشراب والطعام من باب التذكير بمواضع المتن، والتعرض لها بالشكر وذكر المنعم.

**سابعاً:** اقترن الفعل (أخرج) بالفعل (جعل) في قوله: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ عُثَّةً أَخْوَى﴾ [الأعلى: ٤-٥]، أي: تغير حال الكلا، ولو نه لبيان الفضلات الخارجة من الكائن الحي<sup>(١)</sup>، (والمرعى): النبت ترعاه السوائم، وأصله: مصدر ميمي أطلق على الشيء المرعى؛ من إطلاق المصدر على المفعول، كالخلق بمعنى المخلوق، أو اسم مكان للمرعى، والعثاء: ويقال بتشديد المثلثة، هو: اليابس من النبت، والأخوئ: الموصوف بالحُوَّة -بضم الحاء وتشديد الواو-، وهي من الألوان: سُمرة تقترب من السواد، وهو صفة غثاء؛ لأن الغثاء يابس فتصير خضرته حُوَّة<sup>(٢)</sup>، وهذا موضع منه رباتية؛ لأن لازم أكل المرعى إخراجه بعد قضميه وهضميه، فمن يَسِّر إخراج العباد بخُلُقِّهم من عدم يَسِّر كذلك سبيل (الإخراج) كحالة طبيعية للإنسان.

**ثامناً:** علاقة الفعل (أخرج) بالعائد، في أمور، منها ما يلي:

(١) وسيأتي مزيد بيان ذلك مع دراسة معاني الفعل (يعيد) ودلاته.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣٠/٢٧٨).



اشتمال علم الله تعالى على ما يتعلّق بالساعة، وإخراج الثمرات، وحمل الأنثى، في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرْدَعُ عَمُورُ السَّاعَةِ وَمَا تَحْنُجُ مِنْ ثَمَرَتِ مِنْ أَكْمَامَهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فصلت: ٤٧] وفي الآية دلالات:

**أولاً:** يدل على أمور عطف جملة ﴿وَمَا تَحْنُجُ﴾ وما بعدها توجيه لصرف العلم بوقت الساعة إلى الله تعالى بذكر نظائر لا يعلمها الناس، مع أنها أمور مشاهدة في الواقع، وهذا وجه الجمع بين تلك النظائر، وهي: (١) لا يعلم ميعاد الساعة وتفصيل أحوالها إلا الله تعالى (٢) لا يعلم حمل الأنثى من الناس والحيوان التي تلّقح من التي لا تلّقح إلا الله (٣) لا يعلم وقت وضع الأجنّة؛ إلا الله تعالى، فإن الإناث تكون حوامل مثقلة، بلا حول أو قوّة، والله أعلم بها وما حملت<sup>(١)</sup>.

**ثانياً:** علم ما تخرّجه أكمام النخيل من الشمر بقدرها وجودتها وثباتها أو سقوطها، وضمير أكمامها راجع للثمرات، والأكمام: جمع كِمٌ بكسر الكاف وتشديد الميم، وهو وعاء الشمر وهو الجف الذي يخرج من النخلة محتوياً على طلع الشمر.

**ثالثاً:** يدل عموم التأنيث في قوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى﴾ على عموم علمه بالعاقل وغير العاقل، كما تشير الآية إلى أن علم الساعة وعلم الله بحمل الأنثى ووضعها كلاهما من الغيبات الخمسة التي لا يعلمها إلا الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضَ﴾ [لقمان: ٣٤]، والآية الكريمة في جملة سياقها يدل على عموم علم الله تعالى، وإحاطته بكل أمر كلي كان أو جزئي، خلافاً لل فلاسفة القائلين بأن الله يعلم الأمور الكلية دون التفاصيل الجزئية.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٥/ص: ٦-٥).



ومن دلالة الفعل (أخرج) على عقيدة البعث والمعاد في الآخرة، ما ورد بقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَرَأَنَ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلِكَهُ يَنْتَيْمَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِطُ فَتَرَكَهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حَطَمَّاً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١]،  
هذا كقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ تُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

إن دلالة ذلك هي التنبيه على أمر المعاد والبعث، وفي التفسير: (كل ما كان في الأرض من الماء فهو ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ ثم إنه تعالى: ﴿يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك، أو مختلفاً أصنافه، من بُرّ وشعير وسمسم ﴿ثُمَّ يَهْبِطُ﴾، وذلك بأنه إذا تم جفافه جاز له أن ينفصل عن منابته، وإن لم تفرق أجزاؤه فتلت الأجزاء كأنها هاجت لأن تفرق، ثم يصير ﴿حَطَمَّاً﴾ يابساً ﴿إِنِّي فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾ يعني: أن من شاهد هذه الأحوال في النبات علم أن أحوال الحيوان والإنسان كذلك، وأنه وإن طال عمره فلا بد له من الانتهاء إلى أن يصير مصفر اللون، منحطماً الأعضاء والأجزاء، ثم تكون عاقبته الموت، فإذا كانت مشاهدة هذه الأحوال في النبات تذكرة حصول مثل هذه الأحوال في نفسه وفي حياته، فحينئذ تعظم نفرته من الدنيا وطبياتها) <sup>(١)</sup> أي: من باب الاعتبار، ومقاييسه تغيير أحوال الإنسان على تغيير أحوال النبات بدليل المشاهدة، وقرينة الواقع في الحياة.

١ - ومن دلالة الفعل (أخرج) بعقيدة الإحياء والموت أن علاقة الفعل مطردة ودلالة على عموم إحياء الله للأرض والبلاد والبشر بإخراج الحي من الميت، يثبت إعجاز الخلق والإيجاد لمن فني بعد وجود، فعلى سبيل التقابل بين الإحياء والإماتة، في أربعة مواضع عامة نصّ على إخراج الله حياة الحي إلى موت ميت، وهي:

(١) التفسير الكبير، للرازي، (٢٦ / ٤٣٩ - ٤٤٠).



**الموضع الأول:** في قوله: ﴿وَتَخْرِجُ الْحَيَّ﴾ [آل عمران: ٢٧] أسلوب الخطاب، أي: أنت الله وحدك الحاضر في الذهن، والشاهد القائم الذي لا يغيب، ولا تخفي عليه خافية فاعل ذلك دون سواك، ويدل ذلك على ضرورة الإقرار لله بكل الفعلين، وبقية المواقع بأسلوب الغيبة ﴿وَتَخْرِجُ الْحَيَّ﴾ أي: هو، وهذا الموضع يدل على (تدبر أرزاق العباد فقال: ﴿وَتَرَزُّقُ مَنْ شَاءَ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٧] هو كالتدليل لذلك كله، والرزق ما يتتفع به الإنسان فيطلق على الطعام والشمار) <sup>(١)</sup>، وهذا من تمام فضل الله على العباد فأخرجهم للحياة، ولم يتركهم هملاً، بل يسر أرزاقهم، وأقواتهم في الحياة الدنيا.

**الموضع الثاني:** قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيَّ ذَلِكُمْ أَنَّهُمْ فَإِذَا تُوقَنُوْرُتَ﴾ [الأنعام: ٩٥] <sup>(٢)</sup>، (أي: يخرج النبات الحي من الحب والنوء، الذي هو كالجماد الميت) <sup>(٣)</sup>، وقال: (هو ما نحن فيه من قدرته على خلق الأشياء المقابلة، وهذه الآيات المتتابعة الكريمة كلها من هذا النمط، فإنه يذكر فيها خلقه الأشياء وأضدادها، ليدل خلقه على كمال قدرته، فمن ذلك إخراج النبات من الحب والحب من النبات، والبيض من الدجاج والدجاج من البيض، والإنسان من النطفة والنطفة من الإنسان، والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن) <sup>(٤)</sup>، ثم أتى بصيغة اسم الفاعل في قوله: ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيَّ﴾؛ لتدل صيغة الاسمية على

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣/٢١٥).

(٢) قد ورد قوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ بأسلوب الغيبة أي: هو سبحانه، في سور: [الأنعام: ٩٥]، و[يوحنا: ٣١]، و[الروم: ١٩]، وورد قوله: ﴿وَتَخْرِجُ الْحَيَّ﴾ أسلوب الخطاب في سورة [آل عمران: ٢٧].

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣/٢٧٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦/٢٧٧).



دَوَامُ وَاسْتِمْرَارُ إِخْرَاجِ اللَّهِ الْمَيْتَ مِنَ الْحَيِّ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ لِلْإِسْتِدَالَال عَلَى كَمَالِ اللَّهِ فِي قَدْرَتِهِ وَوَحْدَانِيَتِهِ؛ لَذَا قَالَ بَعْدَهَا: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ فَإِنِّي نُؤْفِكُونَ﴾ أَيْ: اللَّهُ فَاعِلُ ذَلِكَ هُوَ الْأُولَى بِالْتَّوْحِيدِ وَتَمَامُ التَّأْلِيهِ وَالْعَبُودِيَّةِ دُونَ سُوَاهِ مِنَ الْأَنْدَادِ، دُونَ بَقِيَّةِ الْمَوَاضِعِ فِيهِمَا.

**الْمَوْضِعُ الْثَالِثُ:** فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يُخْبِجُ الْحَيَّ﴾ [بِيُونُس: ٣١] بِأَسْلُوبِ الْإِسْتِفَهَامِ التَّقْرِيرِيِّ، وَكَذَلِكَ يَحْمِلُ هَذَا الْمَوْضِعَ دَلِيلًا وَاضْحِيًّا عَلَى تَدْبِيرِ اللَّهِ وَحْدَهُ - دُونَ سُوَاهِ مِنْ آلَهَةِ أُخْرَى - لِأَمْرِ الْعِبَادِ وَالْبَلَادِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأُمَّرَ﴾ [بِيُونُس: ٣١]، وَهَذَا تَدْبِيرُ شَوَّوْنَ الْعِبَادِ وَفَقَ مرَادُ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ أَتَى بِجَوابِهِ بَعْدَهُ مِبَاشِرَةً: ﴿فَكَسِيَّقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَقَوَّنَ﴾ وَهَذَا جَوابٌ فَطَرِيٌّ حِيثُ لَمْ يَدْعِ أَحَدٌ فَعَلَ الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ مُطْلَقًا إِلَّا عَلَى سَبِيلِ التَّشْعِيبِ مِنَ النَّمْرُودِ، وَهُوَ باطِلٌ، لَذَلِكَ لَمْ يَرُدْ عَلَيْهِ الْخَلِيلُ، بَلْ اِنْتَقَلَ إِلَى دَلِيلٍ مَشَاهِدَ أَكْثَرَ ظَهُورًا لِلْعِيَانِ وَهُوَ إِشْرَاقُ الشَّمْسِ مِنْ مَشْرِقِهَا.

**الْمَوْضِعُ الرَّابِعُ:** فَقَالَ: ﴿يُخْبِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتِ وَيُخْبِجُ الْمَيْتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الرُّوم: ١٩]، بِصِيَغَةِ الْمَضَارِعِ وَبِأَسْلُوبِ الْغَيَّبَةِ فِيهِمَا، وَهُوَ يَحْمِلُ دَلِيلًا عَلَى الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيُنْجِي أَلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الرُّوم: ١٩]، (لِيَتَنْظِمَ الدَّلِيلُ عَلَى هَذِينِ الْأَصْلِيْنِ الْمُهَمَّيْنِ: أَصْلِ الْوَحْدَانِيَّةِ، وَأَصْلِ الْبَعْثِ) <sup>(١)</sup>، حِيثُ إِنْ كَمَالَ قَدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى الْفَاعِلُ لِمَا يَشَاءُ، مَدْبِرُ أَمْرِ الْعِبَادِ وَالْبَلَادِ، فَهُوَ الْقَادِرُ وَحْدَهُ دُونَ سُوَاهِ عَلَى أَنْ يَعْثِمَهُمْ بَعْدَ الْمَمَاتِ. لَذَا إِنَّ التَّسْلِيمَ لِلَّهِ تَعَالَى مِنَ الْوَاجِبِ.

**تَاسِعًا:** دَلَالَةُ الْفَعْلِ (أَخْرَجَ) عَلَى التَّحْدِيِّ بِالْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ: كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

(١) التَّحْرِيرُ وَالْتَّنْوِيرُ، لِابْنِ عَاشُورِ، (٢١/٨٥).



﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوْا يَدِيهِمْ أَحَجِّوْا نَفْسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ أَهْوَانِ يَمَّا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [الأنعام : ٩٣]، يظهر ذلك التحدي في حال معالجة الموت وقت السكريات والنزع، والتحدي من خلق للإنسان الحياة والموت، وجعل له أجلاً مسمى، وإن تمنى العبد الموت لضر أصابه فلن يستطيع إماتة نفسه بإخراج روحه من بدنها إلا إذا اعتدى على بنيته بالانتحار وهو محرم شرعاً.

لقد تناولت السنة هذه الحال وذلك الظرف في توعية الفرد المسلم، ففي حديث أبي هريرة قال: جاء رجُلٌ إِلَيَّ النَّبِيِّ ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قال: «أَنْ تَصَدِّقَ وَأَنْتَ صَحِيْحٌ شَحِيْحٌ تَحْشِيَ الْفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الْغَنَى، وَلَا تُمْهِلْ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ»<sup>(١)</sup>، فمعنى الحديث: أن الشح غالب في حال الصحة، فإذا سمح فيها، وتصدق كان أصدق في نيته، وأعظم لأجره، بخلاف من أشرف على الموت، وأيس من الحياة، ورأى مصير المال؛ لأن وقت النزع - وهو وقت ضيق تعدد فيه الكلمات ويكون التعبير بكلمات معدودة وعبارات - يسارع الكثير من الناس بالوصية في مرضاة الله تعالى مع أنه كان في سعة الحياة يرتع ويربع ويلعب.

ومن ناحية أخرى فإنه تبدو صلة الفعل (أخرج) بتحدي خلق حياة الحي، وذلك في قوله تعالى: «وَيَقُولُ الْإِنْسَنُ إِذَا مَاتَتْ لَسْوَةُ أَخْرَجَ حَيَاً»<sup>(٢)</sup> أو لا يذكُرُ الْإِنْسَنُ أَنَّهَا خَلَقَتْهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئاً» [مريم: ٦٦-٦٧]، حيث استبعد الإنسان الملحد البعث

(١) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» كتاب الزكاة، باب: فَضْلٌ صَدَقَةٌ الشَّحِيْحِ الصحيح، رقم: (١٤١٩) (١١٠/٢)، واللفظ له، ومسلم، في «صحيحه» كتاب الزكاة، باب: بِيَانِ أَنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ صَدَقَةُ الصَّحِيْحِ الشَّحِيْحِ، رقم: (١٠٣٢) (٧١٦/٣).



بعد الموت، والمراد بالإنسان في قوله: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَنُ﴾ (إِمَّا الجنس بأسره، وإسناد القول للكل؛ لوجود القول بينهم، وإن لم يقله الجميع، وإِمَّا البعض المعهود منهم، وَهُمْ أَهْلُ الْكُفَّرِ، أَوْ أَبْيَيْ بْنُ خَلْفٍ، فَإِنَّهُ أَخْذَ عَظَامًا بِالْيَدِ فَفَتَّهَا، وَقَالَ أَبْيَيْ: «يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَا نُبْعَثُ بَعْدَمَا نَمَوْتُ، وَنُصْبَرُ إِلَى هَذَا الْحَالِ» أَيْ: يَقُولُ أَبْنُ خَلْفٍ ذَلِكَ بِطَرِيقِ الْإِنْكَارِ وَالْإِسْتِبْعَادِ، وَعَنْ مَثْلِ هَذَا الْإِنْكَارِ قَالَ رَبُّنَا: ﴿إِذَا مَاتَتْ لَسْوَفَ أُخْرَجَ حَيًّا﴾ أَيْ: أَبْعَثْتُ مِنَ الْأَرْضِ، أَوْ مِنْ حَالِ الْمَوْتِ) <sup>(١)</sup>، وَوَجْهُ الْإِعْجَازِ بِخَلْقِ الْمُنْكِرِ ذَاتَهُ فِي الدُّنْيَا لِقَوْلِهِ: ﴿أَوَلَيَذَكُرُ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلٍ﴾ الَّذِي فَلَمْ يَدُعْ فَعْلَ الْخَلْقِ فِي الدُّنْيَا أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

وَرَجَّحَ أَبْنُ عَاشُورَ أَنَّ الْمَرَادَ بِالْإِنْسَانِ الْبَعْضَ عَلَىِ الْأَحْتِمَالِيْنِ هَمَا: الْأَوْلَى: أَنَّ الْمَرَادَ بِالْإِنْسَانِ جَمْعٌ مِّنَ النَّاسِ، بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ بَعْدَهُ: ﴿فَوَرِثْتُكَ لَنْحَسِرَنَّهُمْ﴾ [مَرِيمٌ: ٦٨] فِي رَادِّ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ مَقَالَتُهُ - وَهُمْ مُعَظَّمُ الْمُخَاطَبِيْنَ بِالْقُرْآنِ فِي أَوْلَى نَزْوَلِهِ - . الْثَّانِي: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَصْفٌ حُذْفٌ أَيْ: الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ، فَتَكُونُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَحْسُبُ الْإِنْسَنُ أَنَّا نَجْمِعُ عَظَامَهُ وَلَيَأْقِدَرُنَّ عَلَيْهِ أَنَّ سُوَّيْ بِنَانَهُ﴾ [الْقِيَامَةُ: ٤-٣]، وَكَذَلِكَ إِطْلَاقُ النَّاسِ عَلَىِ خَصْوَصِ الْمُشْرِكِيْنَ وَرَدَ فِي آيَاتٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُ وَأَبْرَكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [الْبَقْرَةُ: ٢١] <sup>(٢)</sup>.

وَكَانَ الْجَوابُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوَلَيَذَكُرُ الْإِنْسَنُ﴾ الْإِسْتِفَاهَ إِنْكَارٌ وَتَعْجِيبٌ مِّنْ ذَهُولِ الْإِنْسَانِ الْمُنْكِرِ لِلْبَعْثَ عَنْ خَلْقِهِ الْأَوْلَى <sup>(٣)</sup>، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىِ الْعَلَاقَةِ بَيْنِ الْفَعْلِ

(١) يَنْظَرُ: إِرْشَادُ الْعُقْلِ السَّلِيمِ لِأَبْيَيِ السَّعُودِ الْعَمَادِيِّ، (٥/٢٧٤-٢٧٥).

(٢) التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، لِابْنِ عَاشُورَ، (١٦/١٤٤).

(٣) التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، لِابْنِ عَاشُورَ، (١٦/١٤٥).



(أخرج) بفعل الخلق والإيجاد بصفة عامة، كما يدل على علاقته بالحياة الأخرى (البعث بعد الموت).

**قال أبو السعود:** من الذكر الذي يراد به التفكير والإظهار في موضع الإضمار لزيادة التقرير والإشعار بأن الإنسانية من دواعي التفكير فيما جرى عليه من شؤون التكوين الموحية بالقلع عن القول المذكور، وهو السر في إسناده إلى الجنس أو إلى الفرد بذلك العنوان، والهمزة للإنكار التوبخي، والواو لعطف الجملة المنافية على مقدار يدل عليه، أي: أ يقول الإنسان ذلك ولا يذكر ﴿وَلَرَيْكُ شَيْئًا﴾ أي: والحال أنه لم يكن حينئذ شيئاً أصلاً، فحيث خلقناه، وهو في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية مع كونه أبعد من الواقع فلأن نبعثه بجمع المواد المتفرقة، وإيجاد مثل ما كان فيها من الأعراض أولى وأظاهر <sup>(١)</sup>.



## المطلب الخامس: معاني الفعل (جعل) ودلالته

### ◆ أولاً: معاني الفعل (جعل) في اللغة ◆

أفاد علماء اللغة أن الفعل (جعل) من جَعَلَ جَعْلًا أي: صنع صُنْعًا، وَجَعَلَ أَعْمُّ؛ لأنَّك تقول: جَعَلَ يَأْكُلُ، وَجَعَلَ يَصْنَعُ كذا، ولا تقول: صَنَعَ يَأْكُلُ، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَنِّي نَيَّا﴾ [مريم: ٣٠]، أي: صَرَّيْنِي، وقال: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَدُ الرَّحْمَنِ إِنَّا نَحْنُ نَحْنُ أَنَا﴾ [الزخرف: ١٩]، أي: سَمَوْهُمْ، وَجَعَلُوا وَالجُعَالَة: ما جعلت لإنسان أجرًا له

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٥/٢٧٤-٢٧٥).



على عمل يعمُلُهُ، والجُعَالاتُ: ما يتَجَاعَلُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ عَنْدَ بَعْثٍ، أَوْ أَمْرٍ يَحْرِبُهُمْ مِنْ السُّلْطَانِ، والجُعْلُ: دَابَّةٌ مِنْ هَوَامِ الْأَرْضِ، وَالجَعْلُ، وَاحْدُهَا جَعْلَةٌ: وَهِيَ النَّخْلُ الصَّغَارُ، وَالجَعْوَلُ: وَلَدُ النَّعَامِ<sup>(١)</sup>، وَقَدْ أَفَادَ الْإِمَامُ الرَّاغِبُ أَنَّ الْفَعْلَ (جَعْلَ) يَفِيدُ التَّصِيرَ، فَهُوَ (الْفَظُّ) عَامٌ فِي الْأَفْعَالِ كُلِّهَا، وَهُوَ أَعْمَمُ مِنْ فَعْلٍ وَصَنْعٍ وَسَائِرِ أَخْوَاتِهِ، وَيَتَصَرَّفُ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجَهٍ:

**الأول:** يَجْرِي مَجْرِيًّا (أُوجِدَ) فَيَتَعَدَّ لِمَفْعُولٍ وَاحِدٍ، كَقُولَهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ الْقُلُومَتَ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، وَقُولُهُ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمَعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ [النَّحْل: ٧٨].

**الثاني:** فِي إِيْجَادِ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ، وَتَكْوِينِهِ، مِنْهُ قُولُهُ: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وَقَالَ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَنِينَ وَحَفَّدَةً﴾ [النَّحْل: ٧٢]، وَقَالَ: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الشُّورى: ١١]، وَقَالَ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ [النَّحْل: ٨١].

**الثالث:** فِي تَصِيرِ الشَّيْءِ عَلَى حَالَةٍ دُونَ حَالَةٍ، نَحْوُ قُولَهُ: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَشًا﴾ [البَقْرَة: ٢٢]، وَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظَلَالًا﴾ [النَّحْل: ٨١]، وَقَالَ: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نُوح: ١٦].

**الرابع:** يَجْرِي مَجْرِيًّا صَارَ وَطْفَقَ، فَلَا يَتَعَدَّ، نَحْوُ (جَعْلَ زِيدَ يَقُولُ كَذَا).

**والخامس:** الْحُكْمُ بِالشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ حَقًّا كَانَ أَوْ بَاطِلًا، فَأَمَّا الْحَقُّ فَنَحْوُ قُولُهُ: ﴿وَجَعَلَ عَوْهٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، وَأَمَّا الْبَاطِلُ فَنَحْوُ قُولَهُ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا

(١) ينظر مادة (جَعْل) في: (العين) للخليل، (١/٢٢٩)، وَتَاجُ الْلُّغَةِ، لِلْجُوهَرِيِّ (٤/١٦٥٦)، وَمَقَايِيسُ الْلُّغَةِ، لَابْنِ فَارِسٍ (١/٤٦٠-٤٦١)، وَالْقَامُوسُ الْمُحيَطُ، مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبِ الْفَيْرُوزَبَادِيِّ (ت: ٩٧٧هـ)، (ص: ١٧٤).



ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَعْمَمِ نَصِيبَاً ﴿الأنعام: ١٣٦﴾، وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ أُبْنَتِ ﴿النَّحْل: ٥٧﴾،  
 الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِصِيبَاتٍ ﴿الحجر: ٩١﴾<sup>(١)</sup>. أقول: وهذه الأنواع الثلاثة  
 الأولى محظ الخلق والإيجاد من محض العدم عدا النوعين الرابع والخامس.

تبين مما سبق أن الفعل (جعل) تعددت معانيه، ومنها: خلق وصنع، وبمعنى  
 صار، فمن دلالته في اللغة: التحويل والصيروحة، فلما كثرت دلالات الفعل (جعل)،  
 وكان الخلق أحد دلالاته اكتفيت بغيره من أفعال الخلق والإيجاد لوضوح دلالته.

#### ثانية: دلالات الفعل (جعل):

أولاً: عطف القرآن الفعل (جعل) على أفعال الخلق والإيجاد الصريحة  
 الأساسية، وهي: (خَلَقَ وَأَنْشَأَ) بالواو العاطفة، وذلك في قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ  
 مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، فعطف جعل على خلق، وفي  
 قوله: ﴿فُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ﴾ [الملك: ٢٣]، فعطف جعل على  
 أنشأ، والواو حرف عطف يفيد الترتيب، أو لمطلق الجمع وهو الأولى، وهذا  
 يدل على أن الفعل (جعل) له دلالة الخلق من عدم؛ لعطفه على (خَلَقَ وَأَنْشَأَ)،  
 بينما عطف الفعل (يذرأ) على (جعل)، وذلك في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمْ  
 مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَمِ أَزْوَاجًا يَدْرُوُكُمْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١١]، ليدل على تهيئة  
 المخلوق بعد الإيجاد، لعطف الفعل (يذرؤكم) عليه لبيان النسل والذرية،  
 ويدل على أنه قبل الخروج للحياة ربما مرحلة التصوير، وقد سبق الارتباط بين  
 الفعل (أخرج وجعل) <sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب، (ص: ١٩٦-١٩٧).

(٢) تنظر الدلالة السابعة للفعل «أخرج»، ص: ٥١-٥٢.



**ثانيًا:** دلالة الفعل (جعل) على سنة الزوجية في قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَرْوَاحًا﴾ [النحل: ٧٢، والشورى: ١١]، قال الشربيني: (والمعنى أنه تعالى خلق النساء لتتزوج بهنَّ الذكور، ومعنى ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة، ٥٤]، وقوله: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور، ٦١]، أي: بعضكم بعضاً، ونظيره قوله: ﴿وَمِنْ أَيْتَهُ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَرْوَاحًا لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم، ٢١] (١).

**وقال ابن عاشور:** (جعل للإنسان سنة التناسل بالزوجية، فجعل تناسله بالتزاوج، ولم يجعله كتناسل النبات من نفسه، وجعل أزواج الإنسان من صنفه، ولم يجعلها من صنف آخر؛ لأن التأنس لا يحصل بصنف مخالف، كما جعل في ذلك التزاوج أنساً بين الزوجين، ولم يجعله تزاوجاً عنيفاً أو مهلكاً كتزاوج العناكب (٢)، والضفادع، وأن جعل بين كل زوجين مودة ومحبة، فالزوجان يكونان من قبل التزاوج متجلدين فيصبحان بعد التزاوج متحابين، وأن جعل بينهما رحمة) (٣)، وفي ذلك أوجه لمنة الله في سنة التزاوج والزوجية.

**ثالثاً:** اقترن الفعل (جعل) بالفعل (خلق) بالعطف عليه في قوله تعالى: ﴿خَلَقْتُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَجَعَلْتُمْ هَا زَوْجَهَا لِسَكُنَّ إِلَيْهَا فَلَمَّا﴾ [الأعراف: ١٨٩] للتعبير عن تهيئة الأزواج من أنفس أزواجهم أي: من جنسهم، حيث إن جعل المرأة من جنس الرجل، وهو موضع منه في ذاته لكلا الطرفين - الرجل والمرأة -؛ لأن ما تجأنس

(١) السراج المنير، للخطيب الشربيني، (٢/ ٢٤٨-٢٤٩).

(٢) تقتل أنثى العناكب الذكر بعد إتمام التزاوج؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبَيْوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوَكَانَ أَوْ يَعْلَمُونَ﴾.

(٣) ينظر: التحرير والتوكير، لابن عاشور، (٢١/ ٧١).



تَأَنَّسَ، فقد ثبت التعليل العام لآدم وذرته؛ لوضوح خلق كُلٌّ من الزوجين على جهة استقلال للأخر على وجه الامتنان.

**رابعاً:** ارتباط الفعل (جعل) بخلق الأزواج والحفدة، في قوله: ﴿وَلَلَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَدَّةَ وَرَزْقَكُمْ مِّنْ أَطْيَبِهِ﴾ [النحل: ٧٢]؛ ليبيّن ارتباط الفعل (جعل) بسنة الزوجية، والجمع بين جعل الأزواج والحفدة دليل المنة بالتناسل، وتكاثر الذرية، و(المشهور أنَّ الحاقد ولد الولد من الذكور والإناث)<sup>(١)</sup>، وتكرر الفعل (جعل) مع الحفدة؛ لتأكيد استقلالية كلٍّ منهما عن الآخر، وإظهار براعة الخلق، ولتفريغ الخلق بعضهم من بعض براءاً وذرءاً وبثاً، وهذه الآية الكريمة دليل منتظم في سلك أدلة التوحيد؛ لأنَّ الله لا زوج له ولا ولد، فقال: ﴿إِنَّ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

**خامسًا:** ارتباط الفعل (جعل) بخلق الإنسان وتهيئة حواسه، في قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْيَدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشَكُّرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْيَدَةَ فَلِمَا تَشَكُّرُونَ﴾ [السجدة: ٩] حيث هيَّا الإنسان للحياة بخلق حواسه عند التَّكَوين الذي هو من فعل الله تعالى، بدلالة أصلية للفعل (جعل) لاحقة بالفعل (أخرج) حيث عطفه على جعل الأزواج، وعلاقة الفعل (جعل) بالخلق تبدو في التعبير به عن مرحلة تكوين أعضاء الإنسان لتحقيق تمام المخلوق، فجعل السمع والأبصار والأفئدة أي: أخرَجُوكُم بلا شيء، ثم أعطاكُم ومنحكم سمعاً وبصراً وفؤاداً، وليس فيه دلالة على تأخر الجعل المذكور عن الإخراج لأنَّ مدلول الواو هو الجمع مطلقاً لا الترتيب على أنَّ أثر ذلك الجعل

(١) السراج المنير، للخطيب الشرباني (٢٤٩/٢).



لا يظهر قبل الإخراج أي: جعل لكم هذه الأشياء آلاتٍ تحصلون بها العلم والمعرفة<sup>(١)</sup>، والتذكير بالحواس لحفظها وصيانتها من الحرام، لذلك قال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْعُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

كما أظهر الفعل (جعل) مواطن المنة الربانية طلباً لاستحقاق المنعم شكرًا وحمدًا؛ فأما مواطن المنة الربانية على خلقه، ففي تهيئة حواس الإنسان الظاهرة، وهي:

١ - (السمع) آلة الأذن؛ للاستماع والمعرفة، فالسمع محل التفاهم المتبادل بين الناس بسماع الخطاب وردّ الجواب، وتقديم السمع على البصر؛ لأنّه طريق تلقي الوحي، وإدراك السمع أقدم من إدراك البصر، وإفراده باعتبار كونه مصدراً في الأصل، ووحدة المسموع.

٢ - (الأبصار) آلة العين، وهي جمع (بَصَرٌ) والجمع لعدد المُبصَرات؛ لتحقيق تعارف الناس، والبَصَرُ أصل لمنهج التجربة والمشاهدة؛ لتحصيل علوم الطبيعة والتمكن بالنظر فيها من العلوم المكتسبة.

٣ - (الأفئدة) محظ الإدراك وتعقل الأشياء، وفهم المعرف، وال بصيرة المتصلة بالقلب، وهو ما يميز الإنسان عن العجماء، ومناط التكليف، وجمع الأفئدة لعدد المعقولات، وذكر الأفئدة لشرفها.

**سادساً:** إظهار الفعل (جعل) استحقاق المنعم سبحانه شكرًا وحمدًا بدلالة فاصلة الآيتين السابقتين على الحض على شكر الله في قوله: ﴿أَعْلَمُكُمْ شَكُورُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، أي: رجاء شكركم، وفي قوله: ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩]

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٥/١٣١-١٣٢)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٤/٢٣١-٢٣٢).



دلالة على علاقة الفعل (جعل) بالمنة الربانية حيث كانت دالة على أن الفعل جعل مرتبط ارتباطاً وثيقاً بشكر المنعم؛ لأنه أسلى للإنسان حواسه كنعماً ظاهرة مشاهدة للعبد؛ لذا قال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٤٦]، وهذا تهديد للإنسان، كما قال: ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ الْأَسْمَعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ [يونس: ٣١] أي: الذي وهبكم هذه القوة السامعة، والقوة الباصرة، ولو شاء لذهب بها، ولسلبكم إياها <sup>(١)</sup>، فإن صرفاً العبد نظره إلى مواطن الامتنان بنعم الله - تعالى - الظاهرة فضلاً عن نعمه الباطنة التي خلقها الله في الإنسان، لأقر بربوبية الله الذي أسداها وأولاها، ولخرّ ساجداً الله تعالى حامداً وشاكراً ما بقي، لظهور منة الله تعالى الأصلية في تمام خلق الإنسان، ليدفعه إلى الإيمان به، والاعتراف بألوهيته.



## المطلب السادس:

## معانی الفعل (نشر) و دلالته

## ◆ أولاً: معاني الفعل (نشر) في اللغة :

أفاد علماء اللغة أن الفعل (نشر) النون والشين والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وتشعبه، والنَّشْرُ، الرائحة الطيبة، من نَّشَرَ الشوب والصحيفة والسحب والنعمة والحديث: أي: بَسَطَهَا، والنُّشُورُ: الحياة بعد الموت يُنشرُهم الله إنشاراً، وَنَشَرَ الْمَيِّتُ نُشُورًا. وأنَّشَرَ اللَّهُ الْمَيِّتَ فَنُشِرَ، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا طَعْمَثَرَ فَانْتَشَرُوا﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الْأَصْلَوَهُ فَانْتَشَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠] وقيل: نَشَرُوا في معنى انتشروا، وقرئ: ﴿وَلَمَّا قِيلَ أَنْشُرُوا فَانْتَشَرُوا﴾ [المجادلة: ١١] أي: تفرّقوا،

<sup>١١</sup> ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ٢٣٢).



والانتِشارُ: انتفاح عَصَبِ الدَّابَّةِ، وَالنَّوَاسِرُ: عَرُوقُ بَاطِنِ الدَّرَاعِ، وَالنَّشْرُ: الْكَلَأُ الْيَابِسُ إِذَا أَصَابَهُ مَطْرُ فَيُنَشِّرُ أَيْ: يَحْيَا، فَيُخْرُجُ مِنْهُ شَيْءٌ كَهِيَةُ الْحَلَمَةِ، وَذَلِكَ دَاءُ لِلْغُنْمِ، يُقَالُ مِنْهُ: نَشَرَتِ الْأَرْضُ تَنَشِّرُ نُشُورًا، إِذَا أَصَابَهَا الرَّبِيعُ فَأَنْبَتَتْ، فَهِيَ نَاسِرَةٌ، وَيُقَالُ: رَأَيْتَ الْقَوْمَ نَشَرًا، أَيْ: مُنْتَشِرِينَ، وَنَشَرَ الْمَتَاعُ وَغَيْرُهُ يَنْشُرُ نَشُورًا: بِسَطْهِ<sup>(١)</sup>، إِذَا مَعْنَى الْفَعْلِ (نَشَرٌ) هِيَ: الْبَسْطُ وَالتَّفْرِقُ وَالتَّفْرِيقُ، وَالتَّشْعُبُ، وَإِعْادَةُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْمَوْتِ.

### ◆ ثانِيًّا: دَلَالَاتُ الْفَعْلِ (نَشَرٌ):

أُولَأَى: يَدِلُّ الْفَعْلُ (نَشَرٌ) عَلَى الْخَلْقِ دَلَالَةً خَفِيَّةً غَيْرَ ظَاهِرَةٍ؛ لِذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَاشُورَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاً يُقَدِّرُ فَأَنْشَرَنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتَةً كَذَلِكَ تُخْرِجُونَ﴾ [الزُّخْرُفُ: ١١] (فَأَوْلُهَا مُحَكَّمٌ وَآخِرُهَا مُتَشَابِهٌ)<sup>(٢)</sup>، وَهُوَ يَقْصِدُ بِذَلِكَ أَنَّ إِنْزَالَ غَيْثَ السَّمَاءِ، وَإِحْيَاءَ الْبَلْدِ الْمَيْتِ بِهِ مُحَكَّمٌ؛ لَأَنَّ دَلَالَتِهِ الْمُسَاهِدَةُ الْمُرْئِيَّةُ بِالنَّظَرِ فِي الْوَاقِعِ، وَأَمَّا تَشْبِيهُ ذَلِكَ بِإِعْادَةِ الْمَوْتَى لِلْحَيَاةِ فَشَأْنٌ مُتَشَابِهٌ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ دَلَالَةَ الْفَعْلِ (نَشَرٌ) عَلَى الْخَلْقِ دَلَالَةً خَفِيَّةً.

ثَانِيًّا: دَلَالَةُ الْفَعْلِ (نَشَرٌ) عَلَى إِحْيَاءِ بَلَدَةٍ مَيْتَةٍ بِجَذْبِ وَيِسْ وَقَحْطٍ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنْشَرَنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتَةً﴾ هَذَا مَوْضِعٌ تَعْدُدُ نِعَمَ اللَّهِ عَلَى الْبَشَرِ جَمِيعًا -مَؤْمَنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ- مُسْبُوقٌ بِاسْتِفَهَامٍ تَقْرِيرِيٍّ لِخَلْقِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَجَعْلِ الْأَرْضِ مَهْدًا لِلْسَّائِرِينَ، وَتَسْلِيكِ سُبُلِهَا لِلْطَّارِقِينَ، وَتَنْزِيلِ الْمَطَرِ مِنَ السَّمَاءِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاً فَأَنْبَتَنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النَّمَلُ: ٦٠]، وَفِي التَّفْسِيرِ: ﴿فَأَنْشَرَنَا﴾

(١) مَادَةُ (نَشَرٌ) يَنْظَرُ: (الْعَيْنُ) لِلْخَلِيلِ، (٦/٢٥١-٢٥٢)، وَتَاجُ الْلُّغَةِ، لِلْجَوَهْرِيِّ (٢/٨٢٧-٨٢٨)، وَمَقَايِيسُ الْلُّغَةِ، لَابْنِ فَارِسِ (٥/٤٣٠)، وَالْمَفَرَدَاتُ، لِلرَّاغِبِ (ص: ٨٠٥).

(٢) التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، لَابْنِ عَاشُورِ (٣/١٥٦).



أي: أحينا، والفعل يفيد العدول عن الغيبة إلى إخبار للمخاطب لعلم المخاطب بالمراد **بِهِ بَلْدَةً مَيْتَةً** يريده ميتاً<sup>(١)</sup>.

وختمت الآية الكريمة بقوله: **كَذَلِكَ تُخْرُجُونَ**؛ لتدل على إمكانية البعث والشور بإخراج الناس من قبورهم، ونشرهم لفصل القضاء؛ لذا فإن (الآية حجة عليهم في إنكار البعث)<sup>(٢)</sup>، وهذا مثل قوله تعالى: **وَاحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتَةً كَذَلِكَ الْخُرُوفُ** [ق: ١١]، قوله: **وَهُوَ الَّذِي يُرِسِّلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيِ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْتَلْتَ سَحَابًا ثَقَالَ سُقْنَاهُ لِبَلْكَرِ مَيْتَةً فَأَنْزَلْنَا إِلَيْهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الْثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ فُخْرُ الْمُوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** [الأعراف: ٥٧]، كما أن نشر البلدة الميتة يذكر بإحياء البلدة الميتة في قوله: **لِتُحَيِّيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتَةً** [الفرقان: ٤٩]، فالسقي والإحياء والنشر من مظاهر الامتنان والنعّم.

**ثالثاً:** دلالة الفعل (نشر) على إرسال السحاب بالغيث منه للعباد على سبيل الامتنان، وذلك في قوله تعالى: **وَهُوَ الَّذِي يُرِسِّلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيِ رَحْمَتِهِ** [الأعراف: ٥٧]، قوله: **وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيِ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا** [الفرقان: ٤٨]، قوله: **وَمَنْ يُرِسِّلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيِ رَحْمَتِهِ أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشِّكُّونَ** [آل عمران: ٦٣]، في السور الثلاث وفي (بشرًا) أربع قراءات: الأولى: (قرأ الإمام نافع المدني<sup>(٣)</sup>

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (٣/٢٦٦-٢٦٧).

(٢) المصدر السابق، (٣/٢٦٧).

(٣) نافع: (...-١٦٧هـ) هو: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء المدني: أحد القراء السبعة، قال أبو قرة: سمعت نافعاً يقول: قرأت على سبعين من التابعين، واشتهر في المدينة وانتهت إليه رياضة القراءة فيها، وأقرأ الناس نيفاً وسبعين سنة، وتوفي بها. قال الليث بن سعد: قدمت المدينة سنة مائة فوجدت رأس الناس في القراءة نافعاً. وقال ابن مجاهد: وكان نافع عالماً بوجوه القراءات، متبعاً لآثار الأئمة الماضين. ينظر: طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم، عبد الوهاب بن يوسف بن



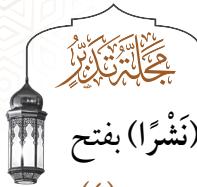
وابن كثير المكي <sup>(١)</sup> وأبو عمرو البصري <sup>(٢)</sup>: (نُشِّرًا) بنون في أوله، وبضمتين، جمع نُشُورٍ، كرسول ورُسُلٌ، والثانية: قرأ ابن عامر الشامي <sup>(٣)</sup>: (نُشِّرًا) بضم فسكون على تخفيف

= إبراهيم، ابن السَّلَار الشافعى (ت: ٧٨٢هـ)، (ص: ٧٠)، والأعلام للزركلى، (٨/ص ٥).

(١) ابن كثير: (٤٥-١٢٠هـ) هو: عبد الله بن كثير بن المطلب الإمام أبو معبد، مولى عمرو بن علقمة الكناني الداري المكي إمام المكيين في القراءة. أصله فارسي، وكان دارياً بمكة، وهو العطار، مأموراً  
من قوله عطر دارين، ودارين موضع بالبحرين من نواحي الهند. وقيل في نسبته الداري: إنه قرشي من  
بني عبد الدار، قاله البخاري. مولده ووفاته بمكة، حرفته وأجمع أهل مكة على قراءاته. ينظر: معرفة  
القراء الكبار على الطبقات والأعصار محمد بن أحمد بن عثمان بن قائم الزهبي (ت: ٧٤٨هـ)،  
(٤٩-٥٠)، وطبقات القراء السبعة لعبد الوهاب، (ص ٦٥)، والأعلام، للزركلي، (٤/١١٥).

(٢) أبو عمرو: (١٥٤-٦٨) هـ وقيل: (١٥٥) هو: العريان بن العلاء بن عمّار بن العريان بن عبد الله بن الحصين الحارث بن جلهمة بن حجر بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمر بن تميم بن مر بن أذ بن طابخة بن إلياس بن مصر. اختلف في اسمه فقيل: زبآن، وقيل: العريان، وقيل: ريان، وقيل: عينية، وقيل: يحيى. نشأ بالبصرة، وأصله من الكازرون، وتوفي بالكوفة عند محمد بن سليمان الهاشمي، في خلافة أبي جعفر المنصور، كان أبو عمرو مقدماً في عصره، عالماً بالقراءة، عارفاً بوجوهها، قدوة في العربية، معولاً على الخبر، مستمسكاً بالأثر، فضله في علم اللسان، وحفظ الأشعار، وأيام العرب، ومعرفة اللغة، وكان عالياً في الورع. ينظر: طبقات القراء السبعة لعبد الوهاب، (ص ٧٧-٧٨).

(٣) ابن عامر: (١١٨-٨هـ) هو: عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبد الله بن عمران الشامي اليحصي بضم الصاد وكسرها نسبة إلى يحصب بن دهمان، وقد اختلف في كنيته كثيراً والأشهر أنه أبو عمران إمام أهل الشام في القراءة والذي انتهت إليه مشيخة الإقراء بها، قال ابن مجاهد: وعمل بقراءته أهل الشام والجزيرة أعظم دليل على قوتها وكيف يسوغ أن يتصور قراءة الأصل لها، وبجمع الناس وأهل العلم من الصدر الأول. كان إماماً عالماً ثقة فيما أتاه حافظاً لما رواه متقداً لما وعاه عارفاً قيماً فيما جاء به صادقاً فيما نقله من أفالصل المسلمين وخيار التابعين، أحد القراء السبعة، ولد قضاء دمشق في خلافة وليد بن عبد الملك، ولد في البلقاء، في قرية رحاب، وانتقل إلى دمشق، بعد فتحها، وتوفي فيها. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء محمد بن محمد بن



الحركة، والثالثة:قرأ حمزة بن حبيب الزيات<sup>(١)</sup>، والكسائي<sup>(٢)</sup>، وخلف<sup>(٣)</sup>: (نشرًا) بفتح النون وسكون الشين على أنه من الوصف بالمصدر، وكلها من النثر وهو البسط<sup>(٤)</sup>،

= يوسف بن الجزري، (ت: ٨٣٣هـ)، (١/٤٢٣ - ٤٢٥).

(١) حمزة: (٨٠-١٥٦هـ) وقيل: (١٥٨) هو: حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، التيمي الإمام الحبر أبو عمارة الكوفي التيمي مولاهم الزيات: أحد القراء السبعة، كان من موالى التيم فنسب إليهم، وأدرك الصحابة بالسن فلعله رأى بعضهم، كان إماماً حجة قيماً بكتاب الله تعالى، حافظاً للحديث، بصيراً بالفرائض والعربية، عابداً خاشعاً قانتاً لله، عالماً بالقراءات، انعقد الإجماع على تلقى قراءته بالقبول. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، (١/٢٦١)، ومعرفة القراء الكبار للذهبي (ص ٦٦-٧١)، والأعلام، للزركلي، (٢/٢٧٧).

(٢) الكسائي: (١٢٦-١٨٩هـ) هو: علي بن حمزة بن عبد الله الأستدي بالولاء، الكوفي، الإمام أبو الحسن الأستدي، مولاهم الكوفي المقرئ النحوي، أحد الأعلام، سمع من جعفر الصادق، الكسائي: انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة، إمام في اللغة والنحو والقراءة من أهل الكوفة، ولد في إحدى قراها، وتعلم بها، وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البايدية، وسكن بغداد، وتوفي بالري، عن سبعين عاماً، وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين. ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (ص ٧٢-٧٧)، وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، (١/٥٣٥)، والأعلام، للزركلي، (٤/٢٨٣)، ومعجم المؤلفين كحالة، (٧/٨٤).

(٣) خلف: (١٥٠-٢٢٩هـ) هو: خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف، ويقال: خلف بن هشام بن طالب بن غراب الإمام العلم أبو محمد البزار بالراء البغدادي الأستدي: أحد القراء العشرة، كان عالماً عابداً ثقة، أصله من فم الصلاح بكسر الصاد قرب واسط، كان ثقة كبيراً زاهداً عابداً عالماً، واشتهر ببغداد، وتوفي ببغداد وهو مختف من الجهمية. ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (ص ١٢٣-١٢٤)، وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، (١/٢٧٢-٢٧٤)، وطبقات القراء السبعة لعبد الوهاب، (٤/٩٦-٩٨)، والأعلام، للزركلي، (٤/٣١١-٣١٢).

(٤) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة عبد الفتاح القاضي، (ص: ١٤٤)، وينظر: الإرشادات الجليلة في القراءات السبع من طريق الشاطبية، محمد محمد سالم محسين، (ص: ١٨٣-١٨٤)،



والرابعة: قرأ عاصم الكوفي<sup>(١)</sup>، من القراء السبعة قرأها: (بُشْرًا) بالباء، وهو القارئ الوحيد الذي قرأها كذلك، أي: من البشارة يبشر الله تعالى بغيث يغيث به عباده.

وفي التعبير عن إرسال الرياح هنا أسلوبان: الأول: خبri مرسل للتقرير في قوله: ﴿يُرِسِّلُ الرِّيَاحَ نُشْرًا﴾ [الأعراف: ٥٧] وفي قوله: ﴿أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾ [الفرقان: ٤٨]. الأسلوب الثاني: أسلوب إنشائي استفهامي في قوله: ﴿وَمَنْ يُرِسِّلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾ [النمل: ٦٣]، وهذا يعتبر من التحدي القرآني؛ فمن ذا يستطيع الإقرار والاعتراف بهذا الأمر؟! ومن عجيب الأمر ورود قوله: ﴿بَيْنَ يَدَيِ رَحْمَتِهِ﴾ عقب المواضع بالسور الثلاث السالفة، ومعناه: الدلالة على أن السحاب تحمله الرياح مقدمة للغيث فيرسل برحمة الله، أي: تقدمها مدة وتنشر أسحبتها<sup>(٢)</sup> (ولأن المراد التذكرة الشامل الذي يزيد المؤمن عبرة وإيماناً، والذي من شأنه أن يقلع من المشرك اعتقاد الشرك ومن منكر البعث إنكاره<sup>(٣)</sup>، وهذا قوله: ﴿وَيَشْرُرُ رَحْمَتَهُ﴾ [الشورى: ٢٨]، قوله: ﴿وَالنَّشَرَتِ نَشَرًا﴾ [المرسلات: ٣]، أي: الملائكة التي تنشر الرياح، أو الرياح التي تنشر السحاب.

= والتحرير والتنزير، لابن عاشور، (١٩ / ٤٧).

(١) عاصم: (...-١٢٧هـ) هو: عاصم بن بهدلة أبي التَّجُود بفتح التَّنون وضم الجيم وقد غلط من ضم التَّنون أبو بكر الأَسدي بالولاء الكوفي الحناط بالمهملة والتَّنون، أبو بكر، معدود من التابعين، شيخ الإقراء بالكوفة، وأحد القراء السبعة، توفي بالكوفة، كان ثقة في القراءات، صدوقاً في الحديث. قيل: اسم أبيه عبيد، قال أَحْمَد: رجل صالح خير ثقة. ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (ص ١-٥٤)، وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجوزي، (١/٣٤٦-٣٤٩)، وطبقات القراء السبعة لعبد الوهاب، (ص ٨٤)، والأعلام، للزركلي، (٣/٢٤٨).

(٢) ينظر: التحرير والتنزير، لابن عاشور (٨ / ١٨١).

(٣) التحرير والتنزير، لابن عاشور (٨ / ١٨٤).



**رابعاً:** دلالة الفعل (نشر) على منة الله على خلقه في (النهار والليل)، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ شُورًا﴾ [الفرقان: ٤٧]، هو عقيب قوله: ﴿وَأَنْوَرَ سَبَاتًا﴾ في الليل، فلما كان ذلك وصف النهار بأن فيه اليقظة والنشور من النوم أشبه إذ كان النوم أخا الموت <sup>(١)</sup>، أي: (ذا نشور وانتشار ينتشر في الناس للمعاش، أو بعث من النوم بعث الأموات، فيكون إشارة إلى أن النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور) <sup>(٢)</sup>.

**وانتشار الناس:** تصرُّفهم في الحاجات، فقد جعل الله في النهار انتشار العباد ابتغاءً للرزق، يشهد لذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النَّبَأ: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الْأَيَّلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٣]، فالليل سكنٌ بالنوم وسكون للراحة، وأما النهار فابتغاء للرزق بالانتشار.

وعلى هذا جرت السنة النبوية في أن النبي ﷺ كان إذا أصبح وقام من نومه يقول: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» <sup>(٣)</sup>، فقد (سمى النوم موتاً، لأنه يزول معه العقل والحركة تمثيلاً وتشبيهاً لا تحقيقاً) <sup>(٤)</sup>. وبهذا ندرك توافق السنة مع القرآن في تشبيه اليقظة من النوم بالبعث بعد الموت، وهو دال على أمور، منها:

(١) ينظر: جامع البيان في تأویل القرآن، لابن جریر الطبری، (١٩/٢٧٨).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأویل، ناصر الدين البيضاوی (ت: ٦٨٥هـ)، (٤/١٢٦).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب الدعوات، باب: مَا يَقُولُ إِذَا نَامَ، رقم: (٦٣١٢/٦)، من حديث حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، ومسلم، في «صحيحه» كتاب الذكر والدعاة والتوبية، باب: مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَحْدِ الْمَضْجَعِ، رقم: (٤/٢٧١١)، (٤/٢٠٨٣)، من حديث البراء، واللفظ لهما.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (٤/٣٦٩).



**أولاً:** أن الرسول ﷺ لم يخالف الرؤية القرآنية بل عنها صدر ونبع ووجه الأمة إلى التصور الصحيح.

**ثانياً:** أن رؤية الإسلام -قرآناً وسنة- إلى الحياة الدنيا أنها انتشار ويقظة وحركة دوّيبة ودائمة مستمرة على سبيل الاطراد، فلا تقطع إلا بموت العبد.

**ثالثاً:** أن الإسلام يقر في ذاكرة الفرد المسلم أن الدنيا منقطعة لا أبدية فيها أو بقاء إلى الأبد، فالإنسان مخلوق محدث، وكل محدث لابد له من نهاية بالموت ثمبعث يوم النشور؛ لأن من المحدثات ما لا يلحقه الموت أو النشور؛ كالجمادات.

**خامساً:** علاقة الفعل (نشر) بالعقائد، وذلك في أمور:

**أولاً:** دلالة الفعل (نشر) على عقيدة البعث <sup>(١)</sup> والمعاد، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرَّسُولَ رَسَالَتِ الرَّيْحَانَ فَتَشَيَّرُ سَحَابًا فَسُقْنَهُ إِلَى بَلَدِ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، في التفسير: إثبات البعث مع تصديق الرسول ﷺ فيما أخبر به عنه، والإشارة في قوله: ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ إلى المذكور من قوله: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾، والأظهر أن تكون الإشارة إلى مجموع الحالة المصورة، أي: مثل ذلك الصنع المحكم المتقن نصنع صنعاً يكون به النشور بأن يهيج الله حوادث سماوية أو أرضية أو مجموعه منهما، حتى إذا استقامت آثارها وتهيأت أجسام لقبول أرواحها أمر الله بالنفخ الأولى والثانية، فإذا الأجساد قائمة ماثلة نظير أمر الله بنفخ الأرواح في الأجنحة عند استكمال تهيئها لقبول الأرواح <sup>(٢)</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لِكُلِّ الْأَرْضِ ذَلِّولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَّا كِهَا وَلُكُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، أي: (إليه نشوركم، وهو المرجع

(١) وقد سبق التعريف بالبعث في الدلالة الخامسة من الفعل (أحيا).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٢٦٨-٢٦٩.



بعدَ الْبَعْثِ لَا إِلَى غَيْرِهِ، فَهُوَ سَائِلُكُمْ عَنْ شُكْرِ مَا أَنْعَمْ بِهِ عَلَيْكُمْ<sup>(١)</sup>، فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ جَعَلَهَا مَذَلَّةً لِلْمُشْيِ فِي طَرْقَهَا طَلْبًا لِلرِّزْقِ، وَهَذَا مَوْضِعُ نَعْمَ اللَّهُ تَعَالَى.

**ثانيًا:** دلالة الفعل (نشر) على عقيدة النشر<sup>(٢)</sup> في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾

[عيسى: ٢٢] ﴿ثُمَّ﴾ عَطَفَ لِبَيَانِ تِرَاخِيِّ مَا بَيْنَ الْمِيَلَادِ وَالْمَوْتِ ثُمَّ تِرَاخِيِّ مَا بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْبَعْثِ، وَقُولُهُ: ﴿إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ (إِشْعَارًا بِأَنَّ وَقْتَهُ غَيْرُ مَعْلُومٍ لَنَا، فَتَقْدِيمَهُ وَتَأْخِيرَهُ مُوكَلٌ إِلَى مَشِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى)، وَأَمَّا سَائِرُ الْأَحْوَالِ الْمُذَكُورَةِ قَبْلَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ أَوْقَاتَهَا مِنْ بَعْضِ الْوَجُوهِ، إِذَا الْمَوْتُ وَإِنْ لَمْ يَعْلَمِ الْإِنْسَانُ وَقْتَهُ؛ فَفِي الْجَمْلَةِ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَتَجَاوزُ فِيهِ إِلَّا حَدًّا مَعْلُومًا<sup>(٣)</sup>، وَمَفْعُولُ (شَاءَ) دَلُّ عَلَيْهِ الْفَعْلُ (أَنْشَرَهُ لِلْعِلْمِ بِهِ أَيِّ: (شَاءَ إِنْشَارَهُ)<sup>(٤)</sup>، فَفِيهِ دلالةُ الْفَعْلِ نَشَرُ عَلَيْهِ الْحَيَاةَ بَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَفِي تَعْلِيقِ الْفَعْلِ (أَنْشَرَ) بِمَشِيَّةِ اللَّهِ (إِيَّاهُ بِأَنَّ وَقْتَهُ غَيْرُ مُتَعْيِّنٍ، بَلْ هُوَ تَابِعٌ لَهَا)<sup>(٥)</sup>؛ لِيَدِلُّ عَلَيْهِ تَوْقِفُ النَّشَرِ عَلَيْهِ إِرَادَةِ اللَّهِ.

**ثالثًا:** دلالة الفعل (نشر) على إعجاز القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْخَذُوا مِنْ دُونِهِهِ أَلَهَ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلُقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا فَعَّا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا

(١) مدارك التنزيل، للنسفي، (٣/١٤)، وينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٩/٧).

(٢) النشور: جمع عظام الموتى بعد النفخة الثانية في الصور من الفعل نشر، قال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ الْشُّوْرُ﴾ [الملك: ١٥]، وقال: ﴿بَلْ كَانُوا لَدَيْهِ حُوتٌ شُوْرًا﴾ [الفرقان: ٤٠]، وقال: ﴿وَلَا يَمْلِكُنَّ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا شُوْرًا﴾ [الفرقان: ٣]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [عيسى: ٢٢]. ينظر: المفردات للراغب، (ص: ٨٠٥).

(٣) التفسير الكبير، للرازي، (١٣/٥٨).

(٤) السراج المنير، للخطيب الشرباني، (٤/٤٨٦-٤٨٧).

(٥) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٩/١١٠).

وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا» [الفرقان: ٣٢]، هذه الآية الكريمة تحمل من التحدي والإعجاز بالأفعال الدالة على الخلق والإيجاد، والعجيب أن بعض الأفعال الدالة على الخلق والإيجاد وردت لبيان قدرة الله وحده على الخلق والإيجاد من عدم محض - وهي النشأة الأولى -، وبعض الأفعال الدالة على الخلق وردت لبيان الخلق والإيجاد بعد وجود وهي النشأة الأخرى، والتحدي بال الأولى يمد قوة احتجاج للتحدي بالثانية، وفي هذه الآية الكريمة من التحدي بعدد أفعال الخلق والإيجاد في الموضع التالية:

١ - في قوله: **﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾** (أي: لا يقدرون على خلق شيءٍ من الأشياء أصلًا، وقيل: لا يقدرون على أن يختلقوا شيئاً) <sup>(١)</sup>، انتفاء خلق الآلهة المعبودة شيئاً من الأشياء، أو انتفاء قدرتهم.

٢ - في قول الله: **﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾** إثبات أن هذه الآلهة المعبودة نفسها محدثة مخلوقة من مواد طبيعية أي: (كسائر المخلوقات، وهم يختلقون حيث تختلقهم عبدُهم بالنَّحْتِ وَالتَّصْوِيرِ) <sup>(٢)</sup>، فكيف تتخذ معبودة من دون الله تعالى؟!

٣ - في قوله: **﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾** (أي: لا تقدر على الإحياء والإماتة في زمان التكليف، وثانياً في زمان المجازاة، ومن كان كذلك كيف يسمى إلهاً؟ وكيف يحسن عبادته مع أن حقَّ مَن يحق له العبادة أن ينعم بهذه النعم المخصوصة؟!) <sup>(٣)</sup> . ولقد أوضح الإمام الرازى بـ(زمان التكليف) التحدي بالخلق الأول - النشأة الأولى - أي: في زمان التكليف، كما أوضح بـ(زمان المجازاة)

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٦/٢٠٢).

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) التفسير الكبير، للرازى (٢٤/٤٣١).



التحدي بالخلق عند النشأة الأخرى وتكون يوم البعث والنشور، والمعنى أنه (بعد بيان عجز الآلهة عما هو أهون من هذه الأمور، من دفع الضرر، وجلب النفع أو ضرر أنهم لا يقدرون على التصرف في شيء منها بإماتة الأحياء، وإحياء الموتى وبعثهم؛ للتصرّح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على التفصيل، والتنبيه على أن الإله يجب أن يكون قادرًا على جميع ذلك)<sup>(١)</sup>، فالله هو المحيي المميت، والتعبير بالاسم الموت والحياة؛ ليدل على نفي أصل قدرة الأصنام على الإحياء والإماتة، فضلاً عن أن يملكون نشورًا بعد الموت، وبعد النفخة الثانية.

**رابعًا:** مناسبة الفعل (نشر) للرد على منكري البعث، في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٠]، وهم قوم لوط، أي: بل كانوا قومًا كفراً بالبعث لا يخافون بعثاً، فلا يؤمنون، أو لا يأملون نشوراً كما يأمله المؤمنون؛ لطمعهم في الوصول إلى ثواب<sup>(٢)</sup>، (اكتفى عن التصرّح بإنكارهم ذلك بذكر ما يستلزمُه من إنكارهم للجزاء الآخرويّ الذي هو الغاية من خلق العالم، وقد كُنّي عن ذلك بعدم النُّشور أي: عدم توقّعه كأنّه، قيل: بل كانوا ينكرون النُّشور المستبع للجزاء الآخرويّ، ولا يرون لنفسٍ من النُّفوسِ نُشُورًا أصلًا مع تحقّقهِ حتمًا، وشموه للناسِ عمومًا واطراده وقوعًا)<sup>(٣)</sup>.

**خامسًا:** دلالة الفعل (نشر) على الإعادة كما في قوله: ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُشِرُّهَا ثُمَّ نَكُنْ سُوْهًا لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٩] فاقترن الفعل (نشر) بالعظام مثلما اقترن

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٦/٢٠٢) بتصريف وتقديم وتأخير.

(٢) مدارك التنزيل، للنسفي، (٢/٥٣٨).

(٣) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٦/٢٢٠).



كُلُّ من الفعل (أَحْيَا، وَأَنْشَأَ) بالعظام كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَلَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةً﴾ [س: ٧٨-٧٩]، وفي أسلوب استفهام إنكارى؛  
لينكر عليهم جحودهم عقيدة النشر والمعاد.

**سادساً:** وفي الفعل (نَشَرُهَا) في قوله تعالى: ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكُسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٩] قرأ الكوفيون ( العاصم و حمزة و الكسائي ) و ابن عامر: ( ننشرها ) بزاي معجمة من النثر ، وهو الارتفاع ، أي : يرتفع بعضها على بعض للتركيب و افتقهم الأعمش ، وقرأ الباقيون : ( ننشرها ) بالراء المهملة من النشر ، أنسر الله الموتى أحيائهم <sup>(١)</sup> ؛ لأن ( أنسرها ) أي : أحيتها ، يقال : أنسر الله الميت ونشره أحياء ، وأنشرها ، أي : رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت ، فيجتمع المعينان في القراءتين أخيراً في معنى واحد <sup>(٢)</sup> ، قال تعالى : ﴿ثُرِّذَا شَاءَ لَشَرِّدُو﴾ [عبس: ٢٢] قال الفراء : كأنه ذهب إلى النشر بعد الطyi ، وذلك أن بالحياة يكون الانبساط في التصرف ، فهو كأنه مطوي ما دام ميتاً ، فإذا عاد صار كأنه نشر بعد الطyi ، ومنه قرأ ابن عباس رض : ( كَيْفَ نَنْشُرُهَا ) ، وقرأ الحسن : ( ننشرها ) ، كما قال الشاعر :

طَوَّتَكَ خُطُوبُ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرٍ كَذَاكَ خُطُوبُهُ طَيّا وَنَشْرًا <sup>(٣)</sup>

**سابعاً:** دلالة الفعل (نشر) على أول الخلق واعتقاد الخلافة في الأرض ،

(١) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، للدمياطي، (ص: ٢٠٨)، البدور الزاهرة القاضي، (ص: ٦٦)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣/٣٧).

(٢) مدخل في علوم القراءات، د. السيد رزق الطويل (ت: ١٤١٩هـ)، (ص: ٢٨).

(٣) ينظر: التفسير الكبير، للرازي، (٧/٣٣)، و تاج اللغة، للجوهري (٢/٨٢٨)، والمفردات، للراغب، (ص: ٥).



وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا آتَيْتُمُهُنَّ بَشَرًا تَنَاهُرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]، فالبعث والانتشار سمة البشر بالنها، (وهي حجة ظاهرة وآية باهرة من جملتها خلق الإنسان من تراب، وتقريره: أن التراب أبعد الأشياء عن درجة الأحياء، وذلك من حيث كيفيته، فإنه بارد يابس والحياة بالحرارة والرطوبة، ومن حيث لونه فإنه كدر والروح نير، ومن حيث فعله فإنه ثقيل والأرواح التي بها الحياة خفيفة، ومن حيث السكون فإنه بعيد عن الحركة والحيوان يتحرك يمنة ويسرة، وفي الجملة فالتراب أبعد من قبول الحياة عن سائر الأجسام) <sup>(١)</sup>.

قوله: (بَشَرٌ) إشارة للقوة المدركة؛ لأن (البشر بشرٌ لا بحركته، فإن غيره من الحيوانات كذلك، وقوله: ﴿تَنَاهُرُونَ﴾ إشارة للقوة المحركة، وكلاهما من التراب عجيب، أما الإدراك فلكل ثاقته وجموده، وأما الحركة فلقلقه وخموده، وقوله: ﴿تَنَاهُرُونَ﴾ إشارة إلى أن العجيبة غير مختص بخلق الإنسان من التراب بل خلق الحيوان المنتشر من التراب الساكن عجيب فضلاً عن خلق البشر) <sup>(٢)</sup>، و﴿تَنَاهُرُونَ﴾ مضارع دالٌ على لزوم صفة الانتشار للبشر في الماضي، واستمرارٍ في الحاضر إظهاراً لوجه المنة للبشر العاقل؛ فانتشار ذرية آدم في الحياة بحركة وتصريف؛ طلباً للرزق والسفر والانتقال قديم قدم آدم أبي البشرية.

ولقد فرق الإمام الرazi بين قوله: ﴿إِذَا آتَيْتُمْ بَشَرًا تَنَاهُرُونَ﴾ وبين قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا آتَيْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥]، فقال: (هنا ﴿إِذَا آتَيْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ وقال في خلق الإنسان أولاً: ﴿إِذَا آتَيْتُمْ بَشَرًا تَنَاهُرُونَ﴾ فنقول في الآية الأولى:

(١) التفسير الكبير، للرازي، (٢٥/٨٩).

(٢) المصدر السابق، (٢٥/٩٠).

﴿تَتَشَرَّوْنَ﴾ يكون خلق وتقدير وتدريج وتراب حتى يصير التراب قابلاً للحياة فينفخ فيه روحه، فإذا هو بشر، وأما في الإعادة؛ أي: في الآية الأخرى ﴿تَخْرُجُونَ﴾ فلا يكون تدريج وتراب، بل يكون نداء وخروج) (١)، هذا موضع يدل على إعجاز المفردة القرآنية.

يدل كلا الفعلين (نشر وخرج) على الابتعاث والانتشار والبروز في الدنيا والآخرة، وإن الدلالة الأولى بالفعل (نشر) البعث في الآخرة، وقد ورد في شأن الخلق الدنيوي كما في الآية الأولى، وأن الدلالة الأولى بالفعل (خرج) الصدور والبروز في الدنيا، وقد ورد في شأن آخر، كما في الآية الثانية لبيان فائدة فرعية بالإشارة إلى عموم فعل الخلق والإيجاد سواء بداية خلق من العدم إلى الحياة الدنيا، أو إعادة الخلق في القبور يوم النشور.

وبعد، فهذا أوان بيان فائدة دراسة أفعال القرآن الدالة على الخلق والإيجاد لعصرنا الذي نحياه بخирه وشره، وحلوه ومرّه؛ مما علاقة دراسة هذه الأفعال القرآنية بحياتنا الفكرية المعاصرة؟ فيما يلي جواب ذلك مستعيناً بالله تعالى مالك القوى والقدر.



(١) ينظر: التفسير الكبير، للرازي (٢٥/٩٦)، والسراج المنير، للخطيب الشربini (٣/١٦٥).



## المبحث الثاني

### مواجهة الإلحاد في ضوء أفعال القرآن

#### الدالة على الخلق والإيجاد

##### المطلب الأول: ضرورة النظر في أفعال القرآن

##### الدالة على الخلق والإيجاد

إن انتشار الإلحاد<sup>(١)</sup> اليوم بين بعض الشباب في العالم العربي المسلم، وبصور عديدة حيث أطلق عليهم (لادينيين)<sup>(٢)</sup>، وهو اتجاه فكري نشا بإنجلترا يرفض مرجعية الدين في حياة الإنسان، ثم انتشر في العالم، واتجاه آخر أطلق عليه

(١) الإلحاد: انحراف وميل عن الحق والصواب والاستقامة، قال الراغب: الْكَحَدَ فلان: مال عن الحق، والإلحاد ضربان: إلحاد إلى الشرك بالله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب، فالاَوَّل ينافي الإيمان ويبطله. والثاني: يوهن عراه ولا يبطله. ينظر: المفردات للراغب (ص ٧٣٧).

(٢) اللادين: يؤمن بحق الإنسان في رسم حاضره ومستقبله و اختيار مصيره بنفسه دون وصاية من دين، ودون التزام بشريعة دينية، ويرى أن النص الديني مجرد نص بشري ممحض لا ينطوي على قداسة خاصة، ولا يعبر عن الحقيقة المطلقة، ويمكن تعريفه بأنه: «اعتقاد ببشرية الأديان، بعض النظر عن الاعتقاد بفكرة وجود إله أو آلهة أو عدم الاعتقاد بذلك»، فإن اللاديني هو شخص لا يملك إيماناً بوجود الخالق الأعظم، وفي نفس الوقت لا يملك قناعة بعدم وجود الخالق الأعظم، كما أنها مرحلة وسطية بين الإيمان والإلحاد وهناك البعض من يعرف اللادينية كإلحاد ضعيف. ينظر: الدين والعلم لبرتراند راسل، ترجمة: رمسيس عوض، (ص: ١٢٣-١٢٤)، وينظر: (ص: ١٨٩).



(اللاأدريّين)، ويقال: مبدأ (عدم اليقين)<sup>(١)</sup>، حيث ظهر الاعتراض على بعض المعتقدات السمعية، وإظهار سلوكيات دالة على الإنكار والضجر من الحياة، والسخط من مقدور الله، والقنوط أو اليأس من رحمته، وهذه مظاهر انتشرت اليوم بصورة تدعو أهل الفكر والدين والدعوة إلى مزيد الاهتمام بالدعوة الاعتقادية؛ لأن هذا أمر يحتمه أزمة الواقع من انتشار الإلحاد، والسعى في بناء وعي المدعو والعمل على تحقيق رسوخ الإيمان في القلوب، وزيادة اليقين وتبنته على أصول وأسس قوية من الأدلة والبراهين عسى أن يعين ذلك على استعادة النقاء الإيماني، والجلاء عن فطرة الإنسان.

وإن الإسلام -قرآنًا وسنة- قد حثّ على البحث، والنظر في آيات الأنفس وآفاق الكون؛ لأن الإسلام يحث المسلم على التدبر، وذلك بالنظر في أدلة الكتاب الدالة على ذلك، فقد قال تعالى: ﴿فُنُزُّلُوا إِلَيْ شَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَذِكْرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩]، وقال: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يوحنا: ١٠١]، وهذا أمر يدل على تكليف النظر في خلق الله تعالى؛ للاعتبار الموصى إلى الإيمان، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَيْ أَيْلِكَ كَيْفَ خُلِقُتُ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجَبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ٢٠-١٧]، فهذا حض على النظر، فإن النظر في آيات الأنفس وآفاق الكون عبادة مأمور بها في الإسلام تتعلق بكتاب الله تعالى.

(١) اللاأدريّة: اتجاه فكري قديم ما زال قائماً بين البعض يقوم على فوضوية الرؤية وعشوائية النظرة، لا يمكنه الركون للمسلمات أو الثوابت، فأصحاب هذا الاتجاه يحملون فكرًا لا أدرّياً يقوم على ثبوت انتفاء اليقين بأي شيء. ينظر: علاقة الكتب السماوية بالعلم، د.الأمير محفوظ محمد، (ص: ٣٠٨-٣١٣).



وإن الصحابة والتابعين لم يبحثوا في أفعال الخلق والإيجاد على سبيل الخصوص؛ لأنهم علِّمُوا دلائلها بفطرهم النقية، وفهموا دلالتها ومعانيها اللغوية سلامة أستتهم فرسخت معانيها في قلوبهم؛ إذ فهموها فَلَمْ يبحثوا عن جزئياتها الفرعية لعدم الداعي لِإفرادها بالبحث والدراسة، ولعدم توفر ضرورة ذلك.

وإن تدبر مواضع أفعال القرآن الدالة على الخلق والإيجاد بالوقوف على دلالتها، وإن المسلم يُنَبَّهُ أن يترك هذا الزاد القرآني المعرفي في أفعال الخلق والإيجاد، وهذا مخالف للمقصد الأساسي من نزول القرآن للتدبُّر، أو أن يستثمر هذه المعرفة القرآنية فيما يتفق مع حقائق العلم، لأن ما يكتشفه أهل العلم الطبيعي إما أن يرفض مطلقاً، أو أن يقبل مطلقاً، أو أن يقبل إن صَحَّ دليلاً، واحتفت به القراءن والأدلة، والصواب أن دلائل أفعال الخلق والإيجاد مقبولة بشروط هي:

(١) موافقة دلالة أفعال الخلق والإيجاد للنقل الصحيح، وهذا ورد كثيراً من خلال تلك الأفعال الواردة في كتاب الله تعالى الدالة على الخلق، وقد سبقت نماذجها التطبيقية.

(٢) موافقة دلالة أفعال الخلق والإيجاد للحسن والمشاهدة والواقع القائم على التجربة الصحيحة، وقد وردت تلك الإشارة -أيضاً- كثيراً من خلال أفعال الخلق والإيجاد الواردة في كتاب الله تعالى.

(٣) موافقة دلالة أفعال الخلق والإيجاد للنظر القائم على الخبرة النظرية الصحيحة؛ لأن القرآن يحث على سؤال أهل الذكر، فقال: ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، إذ النظر في أفعال الخلق والإيجاد من التكليف أو التهوك والتهور.



وقد دعت اليوم الضرورة إلى النظر في (أفعال الخلق والإيجاد) بغية نشرها بين الشباب؛ ليثبت إيمانهم، ويزدادوا إيماناً بالله رب العالمين، فمن خلال دراسة أفعال الخلق في القرآن تحقيق هذه الأهداف، واستعادة ثقة الإنسان بإيمانه من خلال إثبات وإسناد (أفعال الخلق والإيجاد) إلى الله تعالى، وتحقيق معرفته بالله، وتوثيق صلته به، لاتصال الله ربنا بكل كمال من قدرة وإرادة وعلم؛ لأن النظر في خلق الأكون والإنسان والحياة والأحياء التي تساعده على دفع الإلحاد، ومواجهته كانت ولا تزال - سرّاً مكنوناً لم يدع لذلك إلا الله تعالى في القرآن المجيد، وبالتالي فهو أكبر شاهد على دفع الإلحاد ومواجهته.



## المطلب الثاني

### علاقة الأفعال الدالة على الخلق بمعالجة الإلحاد

**أولاً:** لقد أورد الشيخ محمد الغزالى رحمه الله تصريحاً لبعض علماء الكونيات، فقال: (لقد استفتت إحدى المجالس عدداً من علماء الذرة والطاقة والفلك وعلم الأحياء، فأكذبوا جميعاً أن لديهم أدلة وقرائن كثيرة ثبت وجود من ينظم هذا الوجود، ويرعايه بعنتيه ورحمته وعلمه الذي لا حدّ له)<sup>(١)</sup>، وهذا التصريح يثمن، ويؤكد على ضرورة دراسة كل ما يدل على خلق الله تعالى لجميع الخلق المشهود في كل الوجود، وإن أفعال الخلق والإيجاد خير شاهد على ذلك، وفي هذا يقول الله تعالى في كتابه وهو أصدق القائلين: ﴿أَفَيْ أَلَّهُ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، فمعرفة الله أمر فطري، لكن قد يطلب البعض الدليل عليه.

(١) ينظر: عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالى، (ص: ٣١).



**ثانية:** لما كانت الأفعال الدالة على الخلق متعلقة في كثير من مواضعها بأدلة مشاهدة ومحسوسة فهي متوفرة للرد على شبكات الملحدين؛ لأن من شبكات الإلحاد: طلب دليل محسوس على خلق الله للخلق، ويدعون أن الصدفة والأسباب هي الفاعلة للخلق، ويقال لهؤلاء: إن الأسباب الظاهرة من (خلق الماء وتميئه التراب) كأسباب ظاهرة في إنبات الزرع، والشجر مع أنه لا فعل للماء، أو التراب، ولا عقل حتى ينبعوا زرعاً أو شجراً؛ فكيف ولماذا تسير في طريق إنبات النبات إلا بإذن الله الذي فطرها على شيء أذن له بقدرته، وفطرها على القيام به، فلزم التعرف على أفعال القرآن الدالة على الخلق والإيجاد؛ لأنها مُسندة إلى الله حتى يزداد أهل اليقين إيماناً ويقيناً، ويستفيدوا دواماً وثباتاً على ما هم عليه، كما يعالج أهل الشك ما هم فيه من حيرة وتردد، فيحصل الملحد تصديقاً تاماً بأن الله موجود متصرف بكل أوصاف الكمال.

**ثالثاً:** الإنسان إذا أراد معرفة الله فإن أهم أسباب النظر على الإطلاق التعرف على الله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ لأنه واجب الوجود، فقد أوجد كل موجود، وأن كل ما في الكون من دلائل حسية دالة على عظمة الله ووحدانيته سبحانه، واتصافه بكل كمال، كما تدل على أن النظر في الأنفس والآفاق من الضرورة بمكان من أجل معرفة الإنسان ربه تعالى، ومن الأدلة على ذلك، (دليل الإبداع والإتقان - ودليل الخلق والإيجاد - ودليل العناية والرعاية - ودليل الحركة والحدث)، كما أن الإنسان إذا أراد الانتفاع بما خلقه الله له، فإن عليه القيام بالكشف عن مساتير الكون وإتقان النظر في الكون والتدبر لآيات.

**رابعاً:** إن مظاهر إثبات وجود الله تعالى وقدرته وإرادته وعلمه، مما يتحقق



قيوميَّةُ الحقِّ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ مَهْمَا أَنْكَرَ الْمُنْكَرُونَ الْمَلْحُودُونَ، أَوْ تَأْبُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَكْبِرًا عَنِ الاعْتِرَافِ بِهِ سَبْحَانَهُ، وَهِيَ فِي ذَاتِ الْوَقْتِ تَشْتَمِلُ عَلَى أَوْضَعِ اسْتِدَالَلِ عَلَى قَدْرَةِ اللَّهِ عَلَى إِيَاجَادِ الْمُمْكِنَاتِ وَإِعْدَامِهَا، وَتَخْصِيصِ إِرَادَتِهِ تَعَالَى، وَتَمَامِ اِنْكَشَافِ عِلْمِهِ.

إِذَا فَإِنْ قِيَامُ الْمُعْرِفَةِ عَلَى أَفْعَالِ الْخَلْقِ وَالْإِيَاجَادِ فِي الْقُرْآنِ ضَرُورَةٌ تَرْبِطُ هُؤُلَاءِ الشَّبَابَ بِالْقُرْآنِ مِنْ خَالِلِهِ، وَهِيَ مَدْخُلٌ عَلَمِيٌّ يُشْبِعُ رَغْبَةَ شَبَابِ الْأَمَّةِ فِي اِكْتِشَافِ الْكَوْنِ، وَيُصْوِنُهُ عَنِ الْانْكَبَابِ فِي هُوَيْسِ الْإِلْحَادِ وَاللَّادِينِ، وَاللَّادُرِيَّةِ؛ فَإِنْ قَطْعُ الْعُمُرِ - وَبِخَاصَّةِ مَرْحَلَةِ الشَّبَابِ - فِيمَا يَفِيدُ، وَالْمَحَافَظَةُ عَلَيْهِ، وَالانْشَغَالُ بِمَا يَنْفَعُ أَمْوَالَهُ قَدْرُ كَبِيرٍ مِنَ الْأَهْمَيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ؛ لَذَا قَالَ النَّبِيُّ: «لَا تَرْزُولُ قَدْمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمُرٍ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَا لِهِ مِنْ أَيْنَ اَكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ»<sup>(١)</sup>، فَذَكَرَ عَامَةُ الْعُمُرِ ثُمَّ خَصَّ مَرْحَلَةَ الشَّبَابِ مِنْهُ؛ لِلْأَهْمَيَّةِ وَالْخَطُورَةِ لِقَصْدِ شَبَابِ الْأَمَّةِ مِنْ مَوْجَاتِ عَاتِيَّةٍ، وَهَجْمَاتِ مَغَالِيَّةٍ مِنَ الْإِلْحَادِ، وَمِنْ دُعَاوَى الْلَّادِينِ، وَإِنَّ الْعَبَءَ ثَقِيلٌ، وَالْمَسْؤُلِيَّةُ كَبِيرَةٌ، وَدُعْوَةُ الْإِيمَانِ فَرِيْضَةٌ وَاجِبَةٌ، وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا لَا رَبَّ لَنَا سَوَاهٍ.

(١) أَخْرَجَهُ التَّرْمِذِيُّ فِي «سَنَنِهِ» أَبْوَابُ صَفَةِ الْقِيَامَةِ بَابُ قَيِّ الْقِيَامَةِ، رَقْمٌ: (٢٤١٦)، (٢٤١٧)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثُ غَرِيبٍ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مُسْعُودٍ، وَالْدَّارَمِيُّ، فِي «سَنَنِهِ» بَابُ مِنْ كَرْهِ الشَّهْرِ وَالْمَعْرِفَةِ، رَقْمٌ: (٤٥٢)، (٥٥٤)، (١/٤١٢)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَقَالَ التَّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثُ حَسْنٍ صَحِيحٍ»، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، فِي «مَصْنُفِهِ» كِتَابُ الزَّهْدِ، رَقْمٌ: (٣٤٦٩٤)، (٧/١٢٥) مِنْ حَدِيثِ مَعَاذِ.



وبعد، فهذه علاقة الأفعال الدالة على الخلق والإيجاد التي تعم خلق الإنسان والأكونان بمواجهة ومعالجة الإلحاد، وتلك دلالاتها الوفية ببيان براهين الإيمان الصحيح لكافة أبنائنا وبناتنا من شباب الأمة، وخاصة من انحرف فكرهم بالإلحاد في حياتنا المعاصرة.

كما تجدر الإشارة إلى أن بعض الأفعال الدالة على الخلق والإيجاد تشير إلى النشأتين الأولى والأخرى، كما تبقى أفعال للخلق والإيجاد تختص بالأكونان، وأفعال أخرى تختص بخلق الإنسان، وأسائل الله أن يعين على التمام.





## الخاتمة

يمكن الوقوف على بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، وهي:

- ١) عموم الدلالة على خلق الأكون والإنسان؛ لأن معظم أفعال الخلق والإيجاد تدل على ذلك العموم؛ لنعرف أن فعل الخلق معجزة مستقلة أياً كان المخلوق عاقلاً، أو غير عاقل، سواء أكان ناميًّا بالتجذية، أو غير نام بها كالجماد.
- ٢) ظهرت دلالة أفعال الخلق والإيجاد على إظهار المبنى الربانية على سائر خلقه حتى ينظروا فيما قدر لهم من منٍ ونعم تقصير قواهم عن تحقيقها لأنفسهم؛ فسبحان من أولاها وأسدتها لآدم وذريته من غير طلب.
- ٣) في دلالة أفعال الخلق والإيجاد الرد المفحم على الملحدين المنكرون للبعث بعد الموت، وهي شبهة ظهرت قديماً بين الناس، ولا يزال صداتها يتتردد في الفكر الإنساني.
- ٤) انصبت دلالات أكثر أفعال الخلق والإيجاد على إثبات العقائد، ومن أظهرها عقيدة البعث والمعاد.

ويوصي الباحث عموم الباحثين بالاعتناء بدراسة المفردة القرآنية بصفة عامة، والمفردة الدالة على أفعال الخلق والإيجاد في القرآن الكريم بصفة أخص، وهي مستفيضة فيه على أن يبحثوها سواء من حيث اللغة، أو التفسير، أو العلم الطبيعي. وبعد، فإنه لن يوفّي أحدُ القرآن حقَّه من التدبر لمعانيه، واستخراج دلالاته



واستثمار إشاراته، لكنه جهد المقل، وليس من ضعف الإنسان مفترٌ؛ إذ خلقه الله تعالى - ضعيفاً، فاللهم اجبر كسرنا، وقوّ في رضاك ضعفنا، وخذ بنا واصينا إليك أخذ الكرام لديك، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم تسلیماً كثيراً آمين.

كتبه الفقير إلى عفوبه ومغفرته/

الأمير محفوظ محمد أبو عيشة





## ثَبَّتُ الْمَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ

أولاً: القرآن الكريم كتاب الله المجيد.

ثانياً: كتب السنة المطهرة.

ثالثاً: كتب التفسير والقراءات:

- 1 - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، الدمياطي، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني، شهاب الدين الشهير بالبناء (ت: ١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ٣، (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م).
- 2 - «الإرشادات الجليلة في القراءات السبع من طريق الشاطبية»، محيسن، محمد محمد محمد سالم محيسن، الناشر: الأزهر الشريف، قطاع المعاهد الأزهرية، سنة (٢٠٠٥).
- 3 - «إرشاد العقل السليم»، أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، (ت: ٩٨٢هـ) ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، (د: ط. ت).
- 4 - «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، البيضاوي، ناصر الدين (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، سنة (١٤١٨هـ).
- 5 - «البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة» القاضي، عبد الفتاح القاضي، الناشر: الأزهر الشريف، قطاع المعاهد الأزهرية، سنة (٢٠٠٥).
- 6 - «التحرير والتنوير»، ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، (ت: ١٣٩٣هـ)، الطبعة الأولى، الناشر: الدار التونسية للنشر، سنة (١٩٨٤م).



- ٧ - «تفسير الخواطر» الشعراوي، محمد متولى، (ت: ١٤١٨هـ)، الطبعة: الأولى، الناشر: مطابع أخبار اليوم، سنة ١٩٩٧م.
- ٨ - «التفسير الكبير»، الرازى، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التىمى الرازى أبو عبد الله فخر الدين خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، الطبعة: الثالثة، الناشر: دار إحياء التراث العربى، سنة ١٤٢٠هـ.
- ٩ - «تفسير القرآن العظيم»، أبو الفداء ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقى (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، سنة ١٤١٩هـ.
- ١٠ - «الجامع لأحكام القرآن»، القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردونى، وإبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة سنة ١٩٦٤.
- ١١ - «جامع البيان عن تأويل القرآن»، الطبرى، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى، الناشر: مؤسسة الرسالة، سنة ٢٠٠٠م.
- ١٢ - «السراج المنير في كلام ربنا الحكيم الخبير»، الشرييني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشرييني الشافعى، (ت: ٩٧٧هـ) الناشر: مطبعة بولاق الأmirية - القاهرة، (١٢٨٥هـ).
- ١٣ - «العذب التَّمَيرُ من مجالس الشَّنَقِيطِيِّ في التَّفْسِيرِ» الشنقطي، محمد، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، الطبعة: الثانية، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، سنة ١٤٢٦هـ.
- ١٤ - «مدارك التنزيل وحقائق التأويل»، النسفي، أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود، (ت: ٧٧١هـ)، تحقيق: يوسف علي بدوي، مراجعة: محى الدين ديب مستو، الطبعة: الأولى،



الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، سنة (١٩٩٨) م.

١٥ - «مدخل في علوم القراءات»، الطويل، السيد رزق الطويل، دكتور (ت: ١٤١٩ هـ)، الطبعة:

الأولى، الناشر: المكتبة الفيصلية، سنة (١٩٨٥) م.

١٦ - «المفردات في غريب القرآن»، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت:

٥٥٠٢ هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة: الأولى، الناشر: دار القلم والدار

الشامية، دمشق بيروت، سنة (١٤١٢) هـ.

#### رابعاً: كتب اللغة العربية :

١٧ - «تهذيب اللغة»، الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠ هـ)

تحقيق: محمد عوض مرعب، الطبعة: الأولى، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت،

سنة (٢٠٠١) م.

١٨ - «الصحاح تاج اللغة»، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، (ت: ٣٩٣ هـ)، تحقيق:

أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة: الرابعة، الناشر: دار العلم للملائين - بيروت لبنان، سنة

(١٩٨٧).

١٩ - «العين» الخليل الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي

البصري (ت: ١٧٠ هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار

الهلال، القاهرة، (د: ط. ت).

٢٠ - «الفروق اللغوية»، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (توفي نحو: ٣٩٥ هـ)، تحقيق:

محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د: ط. ت).

٢١ - «القاموس المحيط»، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧ هـ)، تحقيق: محمد نعيم

العرقوسي، الطبعة: الثامنة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت

- لبنان، سنة (٢٠٠٥) م.

٢٢ - «الكلمات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية»، أبو البقاء الكفووي، أيوب بن موسى



الحسيني القريمي الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري،  
الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، (د: ط.ت).

٢٣ - «لسان العرب» ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور  
الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، الطبعة الثالثة، طبع: دار صادر، بيروت، (سنة  
١٤١٤هـ).

٤ - «النهاية في غريب الحديث والأثر»، ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن  
محمد ابن عبدالكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي،  
محمود محمد الطناحي، الطبعة: الأولى، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، سنة (١٩٧٩م).

#### خامسًا: كتب أخرى:

٢٥ - «الإرشاد إلى قواعد الأدلة في أصول الاعتقاد» الجويني، إمام الحرمين، تحقيق: د. أحمد  
عبد الرحيم السايح، و توفيق علي وهبة، الطبعة: الأولى، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية،  
القاهرة، سنة (٢٠٠٩).

٢٦ - «الإصابة في تمييز الصحابة»، الحافظ ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر  
العسقلاني الشافعي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الطبعة:  
الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، سنة (١٤١٥هـ).

٢٧ - «أصول الدين» الغزنوبي، أحمد بن محمد الغزنوبي الحنفي، تحقيق: د. عمر وفيق  
الداعوق، الطبعة: الأولى، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، سنة (١٩٩٨).

٢٨ - «الأعلام» الزركلي، خير الدين، طبعة رقم: (١٥)، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت  
لبنان، سنة (٢٠٠٢).

٢٩ - «سير أعلام النبلاء» الإمام الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت:  
٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الطبعة:  
الثالثة، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

- ٣٠ - «شدرات الذهب في أخبار من ذهب»، ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن عبد العكري الحنفي، أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩ هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق بيروت، سنة (١٩٩٣).
- ٣١ - «شرح الصاوي على جوهرة التوحيد» الصاوي، أحمد محمد المالكي الصاوي (ت: ١٢٤١ هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح البزم، الطبعة: الثانية، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، سنة (١٩٩٩).
- ٣٢ - «شرح صحيح مسلم»، الإمام النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦ هـ) الطبعة: الثانية، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة (١٣٩٢ هـ).
- ٣٣ - «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»، السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (ت: ٩٠٢ هـ)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، (د: ط. ت).
- ٣٤ - «طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم» ابن السَّلَار، عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم، ابن السَّلَار الشافعي (ت: ٧٨٢ هـ)، تحقيق: أحمد محمد عزوز، الطبعة: الأولى، الناشر: المكتبة العصرية - صيدا بيروت، سنة (١٤٢٣ هـ).
- ٣٥ - «عقيدة المسلم» الغزالى، محمد، الطبعة: الثانية، الناشر: دار الدعوة، مصر، سنة (١٩٩٠).
- ٣٦ - «غاية النهاية في طبقات القراء» ابن الجزري، شمس الدين محمد بن يوسف بن الجزري، (ت: ٨٣٣ هـ) عني بنشره المستشرق الألماني برجستراسر، الطبعة: الأولى، الناشر: مكتبة ابن تيمية، سنة (١٣٥١ هـ).
- ٣٧ - «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، الحافظ ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعى، الناشر: دار المعرفة، بيروت سنة (١٣٧٩ هـ) (د: ط).
- ٣٨ - «معرفة القراء الكبار على طبقات وأعصار الإمام الذهبي» أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: ٧٤٨ هـ)، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة (١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م).



- ٣٩ - «معجم المؤلفين»، كحالة، عمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المشتى-بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت (د: ط. ت.).

### سادساً: البحوث والمجلات:

- ٤٠ - بحث «أفعال الخلق والإيجاد في القرآن ودلالاتها» أبو عيشة، الأمير محفوظ محمد، منشور في «مجلة تدبر» التابعة لوزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية، العدد السادس، السنة الثالثة، عدد رجب (١٤٤٠ هـ) مارس (٢٠١٩).
- ٤١ - بحث «علاقة الكتب السماوية بالعلم و موقف العلماء منها وآثارها المترتبة»، أبو عيشة، الأمير محفوظ محمد، المجلة العلمية لكلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر الشريف، بالقاهرة، العدد (٢٨)، سنة (٢٠١٥/٢٠١٦).

(والله ولي التوفيق)





## References and Sources

**First: The Holy Quran**

**Second: The Sunna Books**

**Third: Interpretation of the Holy Quran References**

1. (*Al-Irshdat Al-Jaliah fi Al-Qiraat Al-Sabei m'n Tariq Alshatibiyah*) Mu-haisen, Muhammed Mohammed Mohammed Salem Muhaisen, Publisher: Al-Azhar Al-Sharif, Al-Azhar Institutes Sector, (2005).
2. (*Guiding Sound Mind*), Abu Al-Saud Al-Emadi, Mohammed bin Mohammed bin Mustafa, (Died.: 982 AH) Edition: Dar Ihia Atturath Alarabi, Beirut, Lebanon, (without publishing date).
3. (*Anwaru Tanzil wa Asraru Tawail*), Al-Baydawi, Nasser Al-Din (Died.: 685 AH), Investigated by: Mohammed Abdul Rahman Al-Mara'ashli, Edition: First, Publisher: Dar Ihia Atturath Alarabi, Beirut, ( 1418 AH).
4. (*Al-Bodor Al-Zahirah fi Al-Qiraat Al-Ashr Al-Motawatirah*) Alqadi, Abdul-fattah Alqadi, Publisher: Al-Azhar Al-Sharif, Al-Azhar Institutes Sector, year (2005).
5. (*Al-Tahrir wat Tanwir*), Ibn Ashour, Mohammed Al-Taher bin Ashour, (Died: 1393 AH), Edition: First, Publisher: Tunisian Publishing House, (1984 AD).
6. (*Tafsir Al-Khawatir*), Al-Shaarawy, Mohammed Metwally, (Died: 1418 AH), Edition: First, Publisher: Akhbar Al-Youm Press, (1997 AD).
7. (*Al-Tafseer Al-Kabeer*), Al-Razi, Mohammed bin Omar bin Al-Hasan bin Al-Hussein Al-Taymi Al-Razi Abu Abdullah Fakhr Al-Din Khatib Al-Reyy (Died.: 606 AH), Edition: Third, Publisher: Dar Ihia Atturath Alarabi, (1420 AH).
8. (*Tafseer Al-Quran Alazeem*), Abo Alfidaa Ibn Katheer, Ismail bin Omar bin Katheer Alqurashi Albasri Aldemashqi (Died: 774 AH);, investigated by: uham-



mad Hussein Shams Al-Din, Edition: First, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Elmiyah - Beirut, (1419 AH).

9. *(Aljamei li Ahkam Al-Quran)*, Alqurtobi, Mohammed bin Ahmed ibn Abi Bakr ibn Farah Al-Ansari Alkhazraji, (Died: 671 AH), Investigated by: Ahmed Al-Bardouni, and Ibrahim Atfish, Edition: Second, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Masryah, Cairo (1964).
10. *(Jamiu al-Bayan A'n Taweeel El-Quran)*, Al-Tabari, Mohammed bin Jarir bin Yazid bin Katheer bin Ghaleb, (Died: 310 AH), Investigated by: Ahmed Mohammed Shaker, Edition: First, Publisher: Al-Risala Foundation, (2000 AD).
11. *(Asserajul Munir fi Kalam Rabbina Al-Hamimul Khabir)*, Al-Sherbini, Shamsu Ddin Mohammed bin Ahmed Al-Khatib Al-Sharbeni Al-Shafei, (Died: 977 AH) Publisher: Bulaq Al-Amiriyah Press, Cairo, (1285 AH).
12. *(Al-Azbul Namir m'n Majalis Al-Shanqeti fi Tafsir)* Al-Shanqeti, Mohammed, Investigated by: Khalid bin Othman Al-Sabt, Edition: Second, Publisher: Dar Alam Al-Fawa'id Publishing and Distribution, Makkah Al-Mukarramah, (1426 AH).
13. *(Madarik Attanzil wa Haqaiqu atawil)* Al-Nasafi, Abu Al-Barakat Abdullah bin Ahmed bin Mahmoud, (T.: 710 AH), Investigated by: Youssef Ali Badawi, Reviewed by: Mohieddin Deeb Misto, Edition: First, Publisher: Dar Al-Kalim Al-Tayyib, Beirut, (1998 AD).
14. *(Introductory to the Sciences of Recitations)*, Al-Taweel, Al-Sayyid Rizk Al-Taweel, Doctor (Died.: 1419 AH), Edition: First, Publisher: Al-Faisaliah Library, (1985 AD).
15. *(Al-Mofradat fi Ghrib Al-Qur'an)*, Al-Raghib Al-Asfahani, Abu Al-Qasim Al-Hussein Bin Mohammed (Died.: 502 AH), Investigated by: Safwan Adnan Al-Daoudi, Edition: First, publisher: Dar Al-Qalam and Al-Dar Al-Shamiyah, Damascus Beirut, (1412 AH).

#### Fourth: Arabic Language References

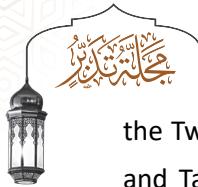
16. *(Tahzeebul Loghah)*, Al-Harawi, Mohammed bin Ahmed bin Al-Azhari



- Al-Harawi, Abu Mansour (Died: 370 AH), Investigated by: Mohammed Awad Mereib, Edition: First, Publisher: Dar Ihia Atturath Alarabi, Beirut, (2001 AD).
17. (*Al-Sehah Tajul Loghah*), Al-Jawhari, Abu Nasr Ismail bin Hammad, (died.: 393 AH), Investigated by: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Fourth Edition, Publisher: Dar El Ilm Lil Malayin - Beirut, Lebanon, year (1987).
18. (*Al-Ayn*), Abu Abdrrahman Al-Khalil ibn Ahmad ibn Amr Al-Farahidi Al-Basri (died: 170 AH), Investigated by: Dr. Mahdi Makhzoumi, Dr. Ibrahim Al-Samarrai, publisher: Dar Al-Hilal, Cairo, (without publishing date)
19. (*Al-Forouq Al-Lughawiyah*), Abu Hilal Al-Hassan bin Abdulllah (died about: 395 AH), Investigated by: Mohammed Ibrahim Selim, Dar Al-Ilm wa Al-Thaqafah for Publishing and Distribution, Cairo, (without publishing date)
20. (*Al-Qamous Al-Moheit*), Al-Fayrouzabadi, Mohammed Bin Yaqoub (Died: 817 AH), Investigated by: Mohammed Naim Al-Erqsusi, Edition: Eighth, Publisher: Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, (2005 AD).
21. (*Al-kolliyyat; Lexicon of Lingual Idioms and Differences*), Abu Al-Baqi Al-Kafwi, Ayoub bin Musa Al-Hussaini Al-Quraimi Al-Hanafi (Died: 1094 AH), Investigated by: Adnan Darwish, and Mohammed Al-Masry, Publisher: Al-Resala Foundation, Beirut, (without publishing date)
22. (*Lisan Al-Arab*), Ibn Manzur, Mohammed Ibn Makram Ibn Ali, Abu al-Fadl, Jamalu Din Ibn Manzur Al-Ansari Al-Ruwaifa'i Al-Ifriqi (died: 711 AH), edition: third, printed by: Dar Sader, Beirut, (1414 AH).
23. (*Al-Nihayah fi Gharib Al-Hadith wal Athar*), Ibn Al-Atheer, Abu Al-Saadat Al-Mubarak Bin Mohammed Bin Mohammed Bin Mohammed Bin Abdul Karim Al-Shaibani Al-Jazari Ibn Al-Atheer (T.: 606 AH) Investigated by: Taher Ahmad Al-Zawi, Mahmoud Mohammed Al-Tanahi, Edition: First, Publisher: Al-Maktabah Al-Ilmiyyah - Beirut, year (1979 AD).

## Fifth: Other References

24. (*Al-Irshad Ila Qawatei Al-Adellah fi Asoul Al-Etiqad*), Al-Juwayni, Imam of



the Two Holy Mosques, investigated by: Dr. Ahmed Abdel Rahim Al-Sayeh, and Tawfiq Ali Wahba, Edition: First, Publisher: Religious Culture Library, Cairo, (2009).

25. (*Al-Esabah fi Tameiz Al-Sahabah*), Al-Hafiz Ibn Hajar, Abu Al-Fadl Ahmed bin Ali bin Hajar Al-Asqalani Al-Shafi'i, Investigated by: by: Adel Ahmed Abdel-Mawgod and Ali Mohammed Moawad, Edition: First, publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmia - Beirut, year (1415 AH).
26. (*Usoul Al-Din*) Al-Ghaznawi, Ahmed bin Mohammed Al-Ghaznawi Al-Hanafi, investigated by: Dr. Omar Wafiq Daouk, first edition, publisher: Dar Al-Bashaer Al-Islamiyyah, Beirut, in the year 1998.
27. (*Al-Alam*) Al-Zarkali, Khair Al-Din, Edition No.: (15), Publisher: Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, Lebanon, year (2002).
28. (*Siyar Alaamu Noblaa*), Imam Al-Zahabi, Abu Abdullah Mohammed bin Ahmed bin Othman bin Qaymaz (Died: 748 AH), Investigated by: a group of investigators under the supervision of Sheikh Shuaib Arnaout, Edition: Third, Publisher: Al-Resala Foundation, Beirut, (1405 AH/ 1985 AD).
29. (*Shazarat Alzahab fi Akhbar m'an Zahab*), Ibn Al-Imad, Abd Al-Hai bin Ahmed bin Mohammed Ibn Al-Imad Al-Akri Al-Hanbali, Abu Al-Falah (died: 1089 AH), Investigated by: Mahmoud Arnaout, publisher: Dar Ibn Kathir, Damascus Beirut, (1993).
30. (*Sharhu Assawi ala Jawhaatu Attawhid*) Al-Sawy, Ahmed Mohammed Al-Maliki Al-Sawy (Died: 1241 AH), Investigated by: Dr. Abdel Fattah Al-Bazam, Edition: Second, Publisher: Dar Ibn Kathir, Damascus, Beirut, (1999).
31. (*Sharhu Sahih Muslim*), Imam Al-Nawawi, Abu Zakaria Muhyi Al-Din Yahya bin Sharaf (T.: 676 AH) Edition: Second, Publisher: Dar Ihia Atturath Alarabi, Beirut, (1392 AH).
32. (*Addaw Allamei Liah Al-Qarnu Atasei*), Al-Sakhawi, Mohammed bin Abdurrahman bin Mohammed bin Abi Bakr bin Othman bin Mohammed (died: 902 AH), Publisher: Al-Hayat Library Publications - Beirut, (without publishing date.).



33. (*Tabaqat Al-Quraa Al-Sabaa wa Zikru Manaqihim wa Qiaatihim*), Ibn al-Sallar, Abd al-Wahhab ibn Yusuf ibn Ibrahim, Ibn al-Sallar al-Shafei (died: 782 AH), Investigated by: Ahmed Mohammed Azzouz, Edition: First, publisher: Al-Maktabah Al-Asriyag – Saida, Beirut, (1423 AH ).
34. (*Muslim's Creed*) Al-Ghazali, Mohammed, Edition: Second, Publisher: Dar Al-Da`wah, Egypt, in the year (1990).
35. (*Ghayau Al-Nihayah fi Tabaqat Al-Quraa*) Ibn al-Jazari, Shams al-Din Mohammed ibn Mohammed ibn Yusuf ibn al-Jazari, (Died: 833 AH), published by the German orientalist Bergstrasser, Edition: First, Publisher: Ibn Taymiyyah Library, year (1351 AH).
36. (*Fath al-Bari, Sharh Sahih al-Bukhari*), al-Hafiz Ibn Hajar, Abu al-Fadl Ahmed bin Ali bin Hajar al-Asqalani al-Shafi'i, publisher: Dar al-Maarifa, Beirut (1379 AH) (without publishing date).
37. (*Maifatu al-Quraa Al-Kibar al-Albaqat wa Al-Aasar*) Imam Al-Dhahabi, Abu Abdullah Mohammed bin Ahmed bin Othman bin Qaymaz (Died: 748 AH), Edition: First, Publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, (1417 AH / 1997 AD).
38. (*Glossary of Authors*), Kahala, Omar Reda Kahala, Publisher: Al-Muthanna Library - Beirut, Dar Ihia Atturath Alarabi, Beirut (without publishing date).

## Sixth: Researches and Journals

39. (*Verbs of Creation and Existing in the Holy Quran and their Implications*) research, Abo Eisha, Al-Amir, Mahfouz Mohammed, published in (Tadabor Journal), affiliated to Saudi Ministry of Information, Issue Six, Third Year, Rajab Issue (1440 AH) March (2019).
40. (*The Relationship Between Heavenly Books and Science and scholars position of such Relationship and its Implications*) Research, Abu Eisha, Al-Amir, Mahfouz Mohammed, the scientific journal, College of Islamic Call, Al-Azhar University, Cairo, No. (28), (2015/2016).





## فهرس المُوْضُعَاتِ

المستخلص .....	٢٣٧
المقدمة .....	٢٤٠
المبحث الأول: معاني أفعال القرآن الدالّة على الخلق ودلالاتها .....	٢٤٩
المطلب الأول: معاني الفعل (بٌثٌ) ودلالته .....	٢٤٩
◆ أولاً: معاني الفعل (بٌثٌ) في اللغة .....	٢٤٩
◆ ثانياً: دلالات الفعل (بٌثٌ) .....	٢٥٠
المطلب الثاني: معاني الفعل (أحِيَا) ودلالته .....	٢٥٦
◆ أولاً: معاني الفعل (أحِيَا) في اللغة .....	٢٥٦
◆ ثانياً: دلالات الفعل (أحِيَا) .....	٢٥٧
المطلب الثالث: معاني الفعل (أَنْبَتٌ) ودلالته .....	٢٧٠
◆ أولاً: معاني الفعل (أَنْبَتٌ) في اللغة .....	٢٧٠
◆ ثانياً: دلالات الفعل (أَنْبَتٌ) .....	٢٧١
المطلب الرابع: معاني الفعل (أَخْرَجَ) ودلالته .....	٢٨١
◆ أولاً: معاني الفعل (أَخْرَجَ) في اللغة .....	٢٨١



٢٨٢ .....	♦ ثانِيًّا: دلالات الفعل (أُخرج) .....
٢٩٣ .....	المطلب الخامس: معاني الفعل (جعل) ودلالته .....
٢٩٣ .....	♦ أولاًً: معاني الفعل (جعل) في اللغة .....
٢٩٥ .....	♦ ثانِيًّا: دلالات الفعل (جعل) .....
٢٩٩ .....	المطلب السادس: معاني الفعل (نشر) ودلالته .....
٢٩٩ .....	♦ أولاًً: معاني الفعل (نشر) في اللغة .....
٣٠٠ .....	♦ ثانِيًّا: دلالات الفعل (نشر) .....
٣١٣ .....	المبحث الثاني: مواجهة الإلحاد في ضوء أفعال القرآن الدالة على الخلق و والإيجاد .....
٣١٣ .....	المطلب الأول: ضرورة النظر في أفعال القرآن الدالة على الخلق والإيجاد .....
٣١٦ .....	المطلب الثاني: علاقة الأفعال الدالة على الخلق بمعالجة الإلحاد .....
٣٢٠ .....	الخاتمة .....
٣٢٢ .....	ثبات المصادر والمراجع .....
٣٢٨ .....	رومنة المصادر والمراجع .....
٣٣٣ .....	فهرس الموضوعات .....

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كَنَا لِنَهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ.



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْفُرُوقُ الْحَرَكَيَّةُ فِيمَا اتَّهَىٰ حَرُوفُهُمَا مِنَ الْقَرَاءَاتِ الْفَرْشَيَّةِ  
وَأَثْرُهُمَا فِي الْمَعْنَىٰ وَالْتَّدْبِيرِ  
دِرَاسَةٌ تَطَبِيقِيَّةٌ

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ بَعْنَامَ



قدم للنشر في: ١٤٤٢/٧/١١

قبل للنشر في: ١٤٤٢/٨/١٧

نشر في: ١٤٤٣/٧/١

طالب بمرحلة الدكتوراه بقسم القرآن الكريم وعلومه  
بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

حصل على درجة الماجستير من قسم القراءات، كلية الشريعة والأنظمة بجامعة الطائف عام ١٤٣٩ هـ  
بأطروحته: «الدَّرْ المُشَتَّرُ فِي النَّهَجِ الْمُشَنُورِ فِي قِرَاءَاتِ الْأَئْمَةِ الْعَشَرَةِ لِإِلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدِ الْعُوْنَىِّ (تَ بَعْدَ ١٠٥ هـ) - مِنْ بَدَاءِ الْكِتَابِ إِلَى نَهَايَةِ بَابِ الْمَدِّ وَالْقَصْرِ (دِرَاسَةٌ وَتَحْقِيقًا)».

سُجِّلَ مَوْضُوعُ رِسَالَةِ الدَّكْتُورَاهُ بِقِسْمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَعِلْمِهِ، كُلِّيَّةُ الشَّرِيعَةِ وَالدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِجَامِعَةِ الْقُصَيْمِ عَامَ ١٤٤١ هـ بِعِنْوَانِ: «تَوْجِيهُ الْقِرَاءَاتِ الْفَرْشَيَّةِ الْمُتَوَاتِرَةِ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ وَأَثْرُهُ فِي الْمَعْنَىٰ (جَمِيعًا وَدِرَاسَةً)».

## النتائج العلمية:

- الارتياق في توجيه المتشابه اللغطي بالسياق في كتب توجيه المتشابه اللغطي.
- منهج المستجَب الهمذاني في توجيه القراءات في كتابه: (الدَّرْةُ الْفَرِيدَةُ فِي شَرْحِ الْقَصِيدَةِ)».
- الاحتياج للقراءات الفُرُوشِيَّةِ المُتَوَاتِرَةِ بِالْفَاصِلَةِ الْقُرَآنِيَّةِ فِي كِتَابِ تَوْجِيهِ الْقِرَاءَاتِ».
- الاحتياج للقراءات الفُرُوشِيَّةِ المُتَوَاتِرَةِ بِالْقِرَاءَاتِ الشَّاذَّةِ فِي كِتَابِ: (الدَّرْةُ الْفَرِيدَةُ فِي شَرْحِ الْقَصِيدَةِ) لِلْمُسْتَجَبِ الْهَمْذَانِيِّ».
- الاحتياج للقراءات الفُرُوشِيَّةِ المُتَوَاتِرَةِ بِرِسْمِ الْمَصْحَفِ فِي كِتَابِ: (الشَّافِيُّ فِي عُلُلِ الْقِرَاءَاتِ) لِابْنِ الْقَرَابِ».
- الاحتياج للمختلف فيه من القراءات الفُرُوشِيَّةِ المُتَوَاتِرَةِ بِالْمَجْمَعِ عَلَيْهِ مِنْهَا فِي كِتَابِ: (الشَّفَاءُ فِي عُلُلِ الْقِرَاءَاتِ) لِأَبِي الْفَضْلِ الْبَخَارِيِّ».
- التعقيبات على حاشية ابن المنير على الكشاف للزمخشري الموسومة بـ (الانتصار من الكشاف)».

البريد الشبكي: m.paigham@gmail.com





## المُسْتَخَلَصُ

يتعلّق البحث بالقراءات الفرشية التي اتّحدت حروفها واختلفت حركاتها، وأثر هذا الاختلاف في معنى القراءات، وتدبرها، ودلالاتها؛ لِما للحركة في بناء الكلمة من أهمية في تحديد المعنى، والإسفار عن دلالتها، والحركة المقصودة في البحث ليست هي حركة الإعراب، بل إنها الحركة الثابتة في أصل الكلمة، والتي تعتبر الرمز الصوتي للكلمة، التي لو تغيّرت؛ تغيرت قيمة الكلمة، واختلف معناها، واختلفت دلالتها، ورمزها الصوتي، وجرسها التعبيري.

وعليه.. جاء هذا البحث متّهجاً المنهج الاستقرائي التحليلي القائم على الدراسة التطبيقية؛ ليحاول إبراز الجانب التدبرى للقراءات القرآنية من خلال بيان أهمية الحركة للقراءة التي اتّحدت حروفها، واختلفت حركاتها؛ ليتجلى بذلك أثرها في اختلاف المعنى، واختلاف الدلالة، وغير ذلك من الاختلافات التي تلحّقها، وأنّ العناية بدلّات ألفاظ القراءات من حروف وحركات من أصول تدبر القراءات، وأنّه لا إدراك لِإعجاز القرآن عامة والقراءات خاصة دون إتقان اللسان العربي المبين الذي نزل به، وأنّ القراءات وعاء ومستودع لكثير من لغات العرب، وأنّ العناية بكتب علل القراءات من الأصول العملية المُفضية إلى تدبر القراءات، وأنّ النظر إلى ما وراء الألفاظ والحروف والحركات من المعاني وال عبر والمقاصد هو الذي يثمر العلوم النافعة، والأعمال الراكيحة، وهو المقصود الأعظم من تنزيل القرآن العظيم.

**الكلمات المفتاحية:** القراءة الفرشية - الحركة - اتحاد المعنى - اختلاف المعنى - تدبر القراءات.



marks is crucial for understanding these readings. It is not possible to comprehend the miracles of the Quran in general and the readings in particular without mastering Arabic language. Readings) are repositories for many Arab dialects. Giving attention to the references dealing with the rationale behind readings is one of the practical principles of reflecting on them. Focusing on meanings, lessons and purposes underlain by words, letters and diacritical marks results in useful sciences and significant accomplishments, which constitutes the major purpose of revealing the Holy Quran.

### Keywords:

*Farshi readings- diacritical marks- - the same meaning different meaning - reflecting on readings.*





# Diacritical Marks Differences in Farshi Readings with Identical Letters and their Effects on Meaning and Understanding: An Empirical Study

Prepared by

**Mohammad bin Abdul-Kareem bin Paigham**

A PhD student at the Holy Quran and its Sciences Department,  
College of Sharia and Islamic Studies, Qassim University

## Abstract

This paper is about the Farshi readings with identical letters and different diacritical marks and the effect of this variation on the meanings and reflection of these readings. This is due to the fact that a diacritical mark is essential for determining the meanings and semantics of words. The diacritical marks we mean are not the inflectional ones; rather they are the fixed marks of root words, which represent the phonetic symbols of words which if are changed, the values of words, their meaning, semantics, phonetic symbols and expressive sounds will differ as well.

Accordingly, this paper followed an inductive analytical method based on an applied study to highlight the reflective aspect of the Quranic readings by showing the importance of the diacritical marks of readings with identical letters but different diacritical marks in order to demonstrate the effect of the diacritical marks on meaning and semantics in addition to other variations. Paying attention to the semantics of reading words in terms of their letters and diacritical



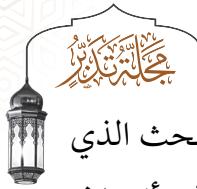
## المقدمة

حمدًا لله مستحق الحمد، والصلوة والسلام على نبيه وآلها من بعد .. وبعد: فإن شرف كل علم بما يتصل به من مباحث ومسائل؛ لهذا كانت علوم القرآن الكريم أشرف العلوم، وأرفعها منزلة، وأعلاها قدرًا، وأجلّها شأنًا؛ لصلتها بأعظم كتاب أُنزل، على أعظم نبي أرسل ﷺ، وأهلها هم خير الناس، وأشرف الخلق؛ لصلتهم الوثيقة به.

ولا شك أن علم القراءات وتوجيهها من أكثر العلوم تعلقا بالقرآن؛ والأمر يشرف بما به يتعلق، ومن هنا فقد اهتم بها العلماء، فصنفوا فيها وأبدعوا، وألفوا فأجادوا؛ إذ بالقراءات تحفظ ألفاظ الحروف ومبانيها، وبالتجهيز تُعرف وجوه الكلمات ومعانيها.

وإن المتأمل في القراءات القرآنية ليجد فيها أوجهًا من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وأن في تنوعها براهين وأدلة على أن القرآن كلام الله العزيز؛ حيث إنها مع كثرتها لا تضاد فيها ولا تناقض، بل يصدق بعضها بعضاً، ويشهد بعضها البعض، مع اتفاق فيما بينها على علو الأسلوب، وغاية السمو في التعليم والهداية؛ وذلك يفيد تعدد أوجه الإعجاز بتنوع القراءات والحروف.

**ومن أوجه إعجاز القراءات:** اختلاف القراءات لاختلاف المعاني، واتحادها لاتحاد معانيها، واختلافها واتحاد معانيها؛ فالقرآن يُعِزِّز بهذه القراءة، وي تلك القراءة؛ لتنوع أوجه الإعجاز بتنوع تلك الوجوه والحروف والمعاني.



ولأجل هذا وذاك.. فإنّي أرجو أن أكون قد أحسنتُ في اختيار البحث الذي وسمته بـ: (الفرق الحركيَّة فيما اتَّحدتْ حروفُها من القراءات الفرشيَّة وأثرها في المعنى والتَّدبر - دراسة تطبيقية)، وأأمل - أيضًا - أن أكون عند حسن الظن، وأن أوفي حقَّه، وما توقيبي إِلَّا بِاللهِ، وهو وحده المستعان، وعليه التَّكالان.

### ❖ موضوع البحث :

جاء هذا البحث مهتمًّا بالقراءات الفرشيَّة التي اتَّحدتْ حروفُها واحتَلَّفتْ حركاتها، وأثر هذا الاختلاف في معنى القراءات، ودلالاتها، وتدبرها، وما يثمره من علوم نافعة، وأعمال زاكية، وتوجيهات تربوية، ولطائف بيانية.

### ❖ أهمية البحث، وأسباب اختياره :

- ١) اتصال البحث بعلميين من أشرف العلوم، وهما: علم القراءات، وعلم العربية، وهما علمان مهمان متلازمان، لا ينفكُ أحدهما عن الآخر؛ فازدان بهما رُوَاءً وجمالاً، وازداد رفعةً وكمالاً.
- ٢) اهتمام البحث بتوجيه القراءات الذي به تفسُّر الآيات، وتُعرَف وجوه الألفاظ ومعانيها، ويُكشف غامضها وما أُبْهِم منها.
- ٣) عنابة البحث بتدبر القراءات الذي هو من أعظم أسباب صلاح القلب وتزكية النفس؛ لما يحويه من فوائد إيمانية، وتوجيهات تربوية، ولطائف ربانية تفضي به إلى سعادة الدنيا والآخرة، وهو من ثمار توجيه القراءات.
- ٤) إظهار البحث لإعجاز القراءات؛ حيث إنَّ الاختلاف في القراءات علىٰ كثرتها لا تضادَّ فيها ولا تناقض، بل يصدق بعضها بعضاً؛ وذلك يفيد تعدد أوجه الإعجاز بتنوع القراءات والحراف.

٥) كثرة ووفرة القراءات التي اتحدت حروفها وختلفت حركاتها، وهذا يشكل ظاهرةً لا يمكن إغفالها وتجاوزها دون أن يلهم شملها وتبرز، وتدرس وتشهر.

٦) قلة الدراسات التي اهتمت بتدبر القراءات الذي هو من تدبر القرآن العظيم.

### ◆ أهداف البحث:

١) استقراء القراءات الفرشية التي اتحدت حروفها وختلفت حركاتها؛ إجلاءً لأنواعها، وبياناً لأقسامها.

٢) دراسة مواضع من تلك القراءات؛ إظهاراً لأهمية الحركة في بناء اللفظ القرآني من تحديد المعنى، والإسفار عن دلالته، ودقة وعمق تعبيراته.

٣) إبراز الجانب التدبرiy للقراءات، والنظر إلى ما وراء الألفاظ والحراف والحركات من المعاني والعبارات المقاصد والتوجيهات؛ لأن العناية باللفاظ القراءات القرآنية وتحقيقها وإيمانها وترقيتها غير ذلك مهمّة، غير أنّ الأولى أن تجتمع العناية بتلك الألفاظ وكيفيات أدائها مع العناية بهم كلّم الله وتدبره.

٤) تسلیط الضوء على هذا النوع المستظرف من البحوث، وضمّها إلى قوائم الدراسات القرآنية التدبرية.

### ◆ حدود البحث:

حددت موضوع بحثي هذا بدراسة اثني عشر مثالاً للقراءات الفرشية المتواترة والشاذة مما اتحدت حروفها وختلفت حركاتها؛ ليظهر أثر هذا الاختلاف في معناها، ودلالاتها، وتدبرها، وخرج بذلك: أصول القراءات، والقراءات التي لم



تَتَّحَدُ حِرْفَهَا، وَالْفَرْوَقُ الْإِعْرَابِيَّةُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْفَرْشِيَّةِ<sup>(١)</sup>.

### ◆ الدراسات السابقة :

بعد أن راسلتُ عدداً من المراكز المتخصصة في الأبحاث العلمية و كنتُ منها في إفادة، وبحثتُ عبر الشبكة العنكبوتية وقواعد البيانات والمعلومات والمراسد والمكانز العلمية و كنتُ معها في زيادة، وسألتُ بعض الباحثين في القرآن والقراءات و كنتُ معهم في وفادة؛ تبيّن لي أنَّ البحث لم يفرد على سبيل الانفراد والاستقلال و كنتُ بذا في أتم سعادة، غير أنّي وقفتُ على بحث لطيف مما قد يُظْنَ أنَّ له علاقة بموضوع بحثي موسوم بـ(القراءات من قبيل اللغات بين اتحاد المعنى أو اختلافه - دراسة تطبيقية مقارنة) للأستاذ الدكتور عبدالله بن حماد القرشي<sup>(٢)</sup>، غير أنَّ بحثي يختلف عن بحثه في: عنوانه، وموضوعه، وحدوده، وإجراءاته<sup>(٣)</sup>.

ثم إنَّ أحبُّ قبل ختام الدراسات السابقة أن أفرد - استقلالاً - بالذِّكر بحث الدكتور شبيل أبو الغيث إبراهيم الحكمي الموسوم بـ(الفرق الحركية في القرآن الكريم فيما اتَّحدتْ حِرْفَهَا وَاخْتَلَفَتْ حِرْكَاتُهَا لَاخْتِلَافُ مَعْنَاه)<sup>(٤)</sup>؛ إذ إنّي استلهمتُ فكرة بحثي منه عملاً بتوصيته في بحثه حين قال: «وَبَدَأْتُ أَتَبَعُ مَادَتِهِ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَرَأَيْتُ أَنَّهُ يَنْقُسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ: قَسْمٌ مُوْجَدٌ فِي مَوْضِعَيْنِ مُخْتَلَفَيِّ

(١) اعتبرتُ الحرفَ المُشَدَّدَ حرفين على مذهب متقدمي أهل اللغة كالأخفش (٢١٥هـ): يُنظر: تداخل الأصوات العربية وأثره في بناء المعجم للدكتور عبدالرزاق الصاعدي: (١٧٨/١).

(٢) منشور كبحث علمي محكّم في مجلة كلية التربية بجامعة طنطا بالجزء الثاني من العدد الرابع في عام ٢٠١٥م.

(٣) يُراجع: مقدمة البحث: (ص: ٣-٥).

(٤) مطبوع بنادي المدينة المنورة الأدبي في مجلد واحد في عام ١٤٤٠هـ.



الحركات، وقسم يدل عليه اختلاف القراءات، أي: في قراءة بحركة، وفي أخرى بغيرها ... ورأيت أنَّ الثاني - وهو ما ورد في موضع واحد إِلَّا أَنَّه بقراءتين مختلفتي الحركات - أكثر عدداً، ويستحق أن يكون رسالة علمية مستقلة حافلة<sup>(١)</sup>، ولم أشأْ أن أؤثر بنصيبي من هذا البحث أحداً؛ فكانت قطرة سماء، وومضة سناء، ووردة بستان، ونبضة جنان، وبضاعتي تُرْدُ إِلَيْهِ؛ فاحسن الله به وإِلَيْهِ، إِلَّا أَنَّ الاختلاف بينهما في أَنَّ بحثه يتعلق باختلاف حركات اللفظ القرآني الذي اتَّحدَتْ حروفه في موضعين من رواية حفص عن عاصم، وبيان أثره في المعنى، وأما بحثي فهو متعلق باختلاف حركات القراءات الفرشية المتواترة والشاذة مما اتَّحدَتْ حروفها في موضع واحد، وبيان أثره في معنى القراءات، ودلالاتها، وتدبرها.

### ◆ منهج البحث:

يعتمد البحث على منهجين:

١) المنهج الاستقرائي لمواضع القراءات الفرشية المتواترة والشاذة مما اتَّحدَتْ حروفها واحتللتْ حركاتها؛ لِتَتَجَلَّ بِذَلِكَ أَنْواعُهَا وَأَقْسَامُهَا كَمَا هي مبيَّنة في فصول هذا البحث.

٢) المنهج التحليلي؛ وذلك من خلال دراسة بعض تلك المواقع دراسة تحليلية؛ ليظهر بذلك أثر اختلاف حركاتها مع اتحاد حروفها في المعنى، والدلالة، والتدبر.

(١) الفروق الحركية في القرآن الكريم فيما اتَّحدَتْ حروفه واحتللتْ حركاته لاختلاف معناه للدكتور شبيل أبو الغيث إبراهيم حسن الحكمي: (ص: ١٤).



## ◆ إجراءات البحث:

### أولاً: الإجراءات الخاصة:

التمهيد لكل فصل من فصول البحث بتوطنة تحوي تعريفاً به، وذكراً لأنواعه وأقسامه، ثم أمثلة تطبيقية مراعياً فيها ومتبعاً الإجراءات الآتية:

- ١) ذكر الآية القرآنية المشتملة على القراءة المراد دراستها، ثم ذكر اللفظ القرآني المختلف فيه.
- ٢) ذكر القراءات المتواترة والشاذة<sup>(١)</sup> الواردة في اللفظ القرآني المختلف فيه مع عزوها لأصحابها، وتوثيقها.
- ٣) توجيه القراءات المذكورة مستعيناً بكلام أهل التوجيه والتفسير واللغة في توجيهها، والكشف عن معانيها.
- ٤) عند اتفاق أهل العلم على اتحاد معنى القراءات أو اختلاف معناها؛ فإنني أكتفي بتوجيهها، وأما عند اختلافهم في معناها بين اتحاده أو اختلافه؛ فإن كانت المعاني محتملة ومتقاربة؛ حملتها على معنى كلٍي تدخل فيه المعاني جميعها، وإلا قدّمت الأولى، ورجحته بالحجّة والبرهان مع الاعتضاد بأقوال من وافقتهم في الترجيح والتقديم.
- ٥) بيان أثر اختلاف الحركة في القراءات التي اتحدت حروفها في معناها، وتدبرها،

(١) إن وافقت القراءة الشاذة القراءة المتواترة بحروفها وحركاتها كما قرئت: ﴿الْقَدْس﴾ بإسكان الدال متواترة وشاذة؛ فإني عندها أثبت كلتا القراءتين؛ وذلك لتعلق البحث بالقراءات المتواترة والشاذة، وحتى يتَّحد منهج ذكر القراءات الواردة في اللفظ القرآني المختلف فيه.



وما يثيره من فوائد علمية، وتوجيهات تربوية، ولطائف تدبرية، ونكت لغوية.

### ثانية: الإجراءات العامة:

- ١) كتابة الآيات القرآنية، والقراءات المتواترة بالرسم العثماني بين قوسين مزهرين هكذا: ﴿﴾، والقراءات الشاذة بالرسم الإملائي بين قوسين مزهرين هكذا: ﴿﴾؛ تمييزاً لها، مع عزو الآيات، بإيراد اسم السورة ورقم الآية في المتن دون الحاشية.
- ٢) توثيق النصوص، والآثار، والأقوال، وذلك من المصادر الأصلية الأصيلة لكل ممّا سبق.
- ٣) التعريف بالأعلام الوارد ذكرهم في البحث مكتفيًا بذكر تاريخ وفياتهم دون التعرض لترجمتهم مالم يكونوا من الصحابة والقراء العشرة ورواتهم لشهرتهم.
- ٤) كتابة البحث وفق قواعد الإملاء الحديثة، واستخدام علامات الترقيم الحديثة.
- ٥) ضبط ما يحتاج إلى ضبط مع مراعاة الإيجاز والاختصار في البحث بشكل عام.

### ◆ خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى: مقدمة، وثلاثة فصول رئيسية، وختامة، ثم فهارس، وذلك على النحو التالي:

**المقدمة:** وتشتمل على: موضوع البحث، وأهميته، وأسباب اختياره، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة فيه، ومنهجه، وإجراءاته، وخطته.



**الفصل الأول:** الفروق الحركية فيما اتَّحدتْ حروُفُها من القراءات الفرشية مع اتحاد المعنى.

**الفصل الثاني:** الفروق الحركية فيما اتَّحدتْ حروُفُها من القراءات الفرشية مع اختلاف المعنى.

**الفصل الثالث:** الفروق الحركية فيما اتَّحدتْ حروُفُها من القراءات الفرشية مع اختلاف في المعنى.

**الخاتمة:** وتشتمل على: النتائج، والتوصيات.

**الفهارس:** وتشتمل على: فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.  
وأحمد الله سبحانه وأثنى عليه في الختام على تيسيره وإعانته، وأستغفره من كل تقصير، والشكر لكل من ساهم وأعان، وصلَّى الله وسلَّمَ على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.





## الفصل الأول:

### الفروق الحركية فيما اتحدت حروفها

### من القراءات الفرضية مع اتحاد المعنى

هذا الفصل مختص بالقراءات الفرضية التي اتحدت حروفها، واختلفت حركاتها مع اتحاد المعنى؛ وليس ذلك إلا لأنّها أوجهٌ ولغاتٌ يتعدّد بها نطق الكلمة الواحدة باختلاف حركاتها دون نما تأثير على اتحاد المعنى بينها.

ويتجلى في هذا النوع: التيسير، ورفع الحرج؛ لأنَّ القرآن لو أنزل بلغة واحدة دون مراعاة الألسن ولغات العرب؛ لكان ذلك القصر عليها حائلاً بينهم وبين كثير من القرآن الذي لم تتعذر أستهüm على اللغة التي نزل بها.

قال ابن جني (ت ٣٩٢ هـ): «واعلم أنَّ العرب تختلف أحوالها في تلقي الواحد منها لغة غيره، فمنهم من يخفُّ ويسرع قبول ما يسمعه، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته ألبته، ومنهم من إذا طال تكرر لغة غيره عليه لصقت به ووُجِدَتْ في كلامه»<sup>(١)</sup>.

ويتجلى هذا في الأمثلة التالية:

❖ المثال الأول: قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُّسِ﴾ [البقرة: ٨٧].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿الْقُدُّسِ﴾.

(١) «الخصائص» لابن جني: (١/٣٨٤).



القراءات الواردة فيه مما اتحدت حروفها: وذلك على النحو التالي:

**أولاً:** القراء العشرة:قرأ الإمام ابن كثير المكي بإسكان الدال: **﴿الْقُدُّس﴾**، وقرأ الباقون بضمها: **﴿الْقُدُّس﴾**<sup>(١)</sup>.

**ثانياً:** سوى القراء العشرة: قرأ ابن محيصن (ت ١٢٣ هـ) بإسكان الدال: **﴿الْقُدُّس﴾**<sup>(٢)</sup>.

**مجموع القراءات:** قراءتان: **﴿الْقُدُّس﴾**، **﴿الْقُدُّس﴾**.

توجيه القراءتين: وذلك على النحو التالي:

**أولاً:** توجيه قراءة من قرأ بضم الدال: **﴿الْقُدُّس﴾**: أنَّ الضمَّ على الأصل، وهي: لغة أهل الحجاز<sup>(٣)</sup>.

وقد استشهد أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) على هذه القراءة بقول الشاعر:

لَا نَوْمَ حَتَّى تَهْبِطِي أَرْضَ الْقُدُّسْ وَتَشْرِبِي مِنْ خَيْرِ مَاءِ بَقْدُسْ<sup>(٤)</sup>

**ثانياً:** توجيه قراءة من قرأ بإسكان الدال: **﴿الْقُدُّس﴾**: أنَّ الإسكان تخفيفُ من الضمَّ الذي هو الأصل، وللعرب لغتان فيما كان على وزن: **(فُعُل)**: ضُمُّ وسطه

(١) يُنظر: «التسهيل في القراءات السبع» للداني: (ص: ٧٤)، و«تحبير التيسير في القراءات العشر» لابن الجوزي: (ص: ٢٩١).

(٢) يُنظر: «المبهج في القراءات الشمان وقراءة الأعمش وابن محيصن و اختيار خلف واليزيدي» لسبط الخياط: (ص: ٣٤٦)، و«المغني في القراءات» للنوزاوي: (١/ ٤٤٠).

(٣) يُنظر: «معاني القراءات» للأزهري: (١/ ١٦٤)، و«الدر المصور» للسمين الحلبي: (١/ ٤٩٧).

(٤) «معاني القراءات»: (١/ ١٦٤)، ولم أقف على قائله.



على الأصل، وإسكانه للتخفيف؛ استقلالاً لتوالي الضمَّتين، كما يُقال: الرُّعب والرُّعب، ونحوهما، والإسكان: لغة أهل نجد<sup>(١)</sup>.

قيل: إنَّما خُفِّفَ: **الْقُدُّسُ** لمجاورته: **بُرُوجُ**؛ لأنَّه على ثلاثة أحرف، وأوسطه ساكن، فسُكِّن الدال مِنْ: **الْقُدُّسُ**؛ ليكونا جمِيعاً على لفظ واحد<sup>(٢)</sup>.

وقيل: خفَّفَه لمعناه، فإنَّ معناه: **الظُّهُرُ**؛ فرام أن يكون اللفظ مطابقاً لمعناه<sup>(٣)</sup>.

وقيل: إنَّما خفَّفَه لأنَّهما كالاسمين جعلاً اسمًا واحداً من حيث إنَّ كُلَّ واحداً لا يُستعمل إلا مع صاحبه، فصارا كالاسم الواحد، فخفَّفَه لطول الاسم<sup>(٤)</sup>.

قال الفارسي (ت ٣٧٧هـ): «و**الْقُدُّسُ**، و**الْقُدُّسُ**»: التخفيف والتشقيل فيه حسنان<sup>(٥)</sup>.

والقدس: **الظُّهُرُ**، والتقديس: التطهير، والبيت المقدَّس: **المطَهَّرُ**، وروح القدس: جبريل<sup>(٦)</sup>؛ لأنَّه لا يقترب ذنباً، ولا يأتي مأثماً؛ فلأجله سمِّي به، وهو الأصح.

وقيل: القدس: هو الله كالقدس **بِرُوجُ**، وقوله تعالى: **وَلَيَدَنَّهُ بِرُوجُ الْقُدُّسِ**،

(١) يُنظر: «الحجَّة للقراء السبعة» للفارسي: (١٤٨/٢)، و«الدر المصنون»: (٤٩٧/١).

(٢) يُنظر: «الشافي في علل القراءات» لابن القراب: (٥٤٦/١)، و«الشفاء في علل القراءات» لأبي الفضل البخاري: (١٢٢/١).

(٣) يُنظر: «الحجَّة للقراء السبعة»: (١٤٨/٢)، و«الشافي في علل القراءات»: (٥٤٦/١).

(٤) يُنظر: «الشفاء في علل القراءات»: (١٢٢/١).

(٥) «الحجَّة للقراء السبعة»: (٢/٥٠).

(٦) يُنظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس: (٥/٦٣) (قدس)، و«تفسير ابن عطية»: (١٧٦/١)، و«البحر المحيط» لأبي حيان: (١/٢٣٣).

أي: وأيَّدَ عِيسَى بَنْصِرٍ مِنْهُ، وَالْقَدْسُ وَالْقَدُوسُ وَاحِدٌ<sup>(١)</sup>، وَتَعْضِدُهُ: قِرَاءَةٌ مَنْ قَرَأَ:  
﴿وَأَيَّدَنَهُ بِرُوحِ الْقُدُوسِ﴾<sup>(٢)</sup>.

### ◆ الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية :

(١) إسهام القراءات في معرفة لغات العرب، وحفظها من الضياع والاندثار؛ فالقراءات وعاءً ومستودعً لكثير من لغاتهم ولهجاتهم، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله، وليس ذلك إلا من إعجاز القرآن وقراءاته، ودراسة لغة العرب التي نزل بها القرآن من الأصول العلمية التي يعتمد عليها في فهم كلام الله وتدبره.

(٢) للعرب لغتان فيما كان على وزن: (فُعُل): ضمٌ وسطه على الأصل، وإسكانه للتخفيف؛ استثنائًا لتوالي الضمَّتين؛ لأنَّ حروف الكلمة كما أنها قد تتنافر؛ فكذلك حركاتها قد تتشاكل<sup>(٣)</sup>، وعنایة القارئ المتدارب بقواعد الفصاحة المستخرجة من القراءات القرآنية مما يُؤْوِلُ به ويفضي إلى التدبر.

(٣) الله ﷺ يؤيّد رسّله وأولياءه بالملائكة الكرام، ومن جملة تسخير الملائكة للخلق أنَّهم يؤيّدون من أمرهم الله ﷺ بتائيده؛ تأمَّله في قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَنَهُ بِرُوحِ الْقُدُوسِ﴾<sup>(٤)</sup>.

(٤) في القراءتين دليل على مكانة جبريل ﷺ عند الله ﷺ، فهو سيد الملائكة، قال الله: ﴿إِنَّمَا لِقَوْلِ رَسُولِكَ تِبْرِرُ ذِي قُوَّةٍ عَنْ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٌ ﴿مُطَاعٌ ثُمَّ أَمِينٌ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١]<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: «تفسير الطبرى»: (٢/٣٢٢)، و«تفسير ابن عطية»: (١/١٧٦)، و«البحر المحيط»: (١/٤٨١).

(٢) وهي قراءة أبي حيّة؛ يُنظر: «تفسير ابن عطية»: (١/١٧٦).

(٣) يُنظر: «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية» للدكتور طلال بن أحمد بن علي: (ص: ٣٣).

(٤) يُنظر: «تفسير ابن عثيمين - سورة الفاتحة والبقرة»: (١/٢٨٦).

(٥) يُنظر: «الجامع في الهدایات القرآنية - الحزب الثاني من سورة البقرة»: (ص: ٤٠).

٥) جبريل ﷺ هو الظاهر المطهّر الذي لا يقترف ذنباً، ولا يأتي مأثماً، وهو أمين الوحي الذي لا حياة للقلوب إلا به، فكما أنَّ الوحي موكَّلٌ به ظاهرٌ مطهّرٌ؛ فمعنى القرآن لا تحيي إلا القلوب الظاهرة المطهّرة، وهي قلوب المتقين، قال الله:

لَآيَمُسْهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ [الواقعة: ٧٩].

٦) عِلم أسماء الله الحسنى وصفاته العلى من أشرف علوم التوحيد والإيمان، وفي تأملها من الهدایات التي لا تنتهي، والأسرار التي لا تنتهي، مما تقصّر العبارة عن ذكرها بالتفصيل، وتعجز الإشارة عن إحاطتها على وجه التكميل؛ تأمله على القول بأنَّ (القدس) اسمٌ من أسماء الله ﷺ كالقدوس، وما يثمره هذا القول من إشارة لطيفة إلى طهارة مريم وعفتها في سياق قوله: ﴿وَإِاتَّيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُّسِ﴾ [البقرة: ٨٧]، والعناية بسياق القراءة، ودلالة ما قبلها وما بعدها عليها مما يعين في بيان التوجيه الصحيح لها، واستخراج الهدایات منها.

٧) الله ﷺ يؤيد بنصره من يشاء، وهو القوي العزيز، والحكيم الخير؛ تأمله في قوله: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

٨) من جاور السعيد يسعد؛ تأمله في علّة تخفيف قراءة: ﴿الْقُدُّس﴾ بالإسكان مجاورةً لقوله: ﴿بِرُوح﴾؛ ليكونا جميعاً على لفظ واحد.

٩) الاحتياج للقراءة بالشّعر من أهم موارد الاحتياج للقراءات؛ إذ إنَّه يُبَيِّنُ موافقتها للغة العرب ولو بوجه، وأنَّها ليستُ مما لم تستعملها العرب، كما احتجَ أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ) بالشعر لقراءة ضم الدال: ﴿الْقُدُّس﴾ كما يُبَيِّن؛ لأنَّ جهل الإنسان بلفظ وأساليب العرب في خطابهم وكلامهم مما هو منتشر في شعرهم ونشرهم من موانع التدبر وعوائقه.



❖ **المثال الثاني:** قوله تعالى: ﴿وَكَفَلَهَا زَكِيرًا﴾ [آل عمران: ٣٧].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿وَكَفَلَهَا﴾.

القراءات الواردة فيه مما اتحدت حروفها: وذلك على النحو التالي:

**أولاً:** القراء العشرة:قرأ المديّان والمكّي والبصريّان وابن عامر بفتح الفاء مخففة: ﴿وَكَفَلَهَا﴾<sup>(١)</sup>.

**ثانياً:** سوى القراء العشرة: قرأ ابن السّمّال<sup>(٢)</sup> بكسر الفاء مخففة: ﴿وَكَفِلَهَا﴾<sup>(٣)</sup>.

**مجموع القراءات:** قراءتان: ﴿وَكَفَلَهَا﴾، ﴿وَكَفِلَهَا﴾.

توجيه القراءتين: وذلك على النحو التالي:

**أولاً:** توجيه قراءة من قرأ: ﴿وَكَفَلَهَا﴾: أنّها على الإخبار عن الغابر والماضي، وأنّ الفعل فيها مسندٌ إلى زكريا<sup>عليه السلام</sup>، مِنْ: كَفَلَ يَكْفُلُ، ويعضدها: قوله: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيمَ﴾ [آل عمران: ٤٤]<sup>(٤)</sup>.

**ثانياً:** توجيه قراءة من قرأ: ﴿رَكَفَلَهَا﴾: أنّها لغة، مِنْ: كَفَلَ يَكْفُلُ، وتعضدها: قراءة من قرأ<sup>(٥)</sup>: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيمَ﴾ [آل عمران: ٤٤]<sup>(٦)</sup>.

(١) يُنظر: «التيسيير»: (ص: ٨٧)، و«التحبير»: (ص: ٣٢١).

(٢) لم أقف له على تاريخ وفاة.

(٣) يُنظر: «المغني في القراءات»: (٢/٥٧٨)، و«شواذ القراءات» للكرماني: (ص: ١١١).

(٤) يُنظر: «الحجّة في القراءات السبع» لابن خالويه: (ص: ١٠٨)، و«الكتاب المختار» لابن إدريس: (١/١٤٨).

(٥) عن ابن المنادي عن نافع، والمُرّي عن ابن كثير: يُنظر: «الكامل» للهذلي: (ص: ٥١٦)، و«المغني في القراءات»: (١/٥٨٤).

(٦) يُنظر: «معاني القرآن» للأخفش: (١/٢١٥)، و«إعراب القراءات الشواذ» للعكّري: (١/٣١٣).



قال **المتَّجَبُ الْهَمْذَانِي** (ت ٦٤٣ هـ): «وَكَفَلَهَا»: يُقال: كَفَلَ يَكْفُلُ - بفتح العين في الماضي، وضمّها في الغابر - وعليها الجمّور، وَكَفِلَ يَكْفُلُ - بكسر العين في الماضي، وفتحها في الغابر - وبها قرأ بعض القراء: «وَكَفَلَهَا»<sup>(١)</sup>.

ومعنى الآية على القراءتين: أنَّ زكريا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضمّنها، وضمن القيام بأمرها وتربيتها<sup>(٢)</sup>.

والكاف والفاء واللام أصل صحيح يدلُّ على تضمن الشيء للشيء، ومنه: الكفيل، وهو: الضامن، ومنه أيضًا: الكافل، وهو: الذي يكفل إنسانًا يعوله<sup>(٣)</sup>.

### ◆ الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية :

(١) إسهام القراءات في معرفة لغات العرب، وحفظها من الضياع والاندثار؛ فالقراءات مصدر أصيل لكثير من لغاتهم، ومع ذلك عجزوا عن أن يأتوا بعشر سور مثله، وهذا من إعجاز القرآن وقراءاته، والإعداد الروحي بإدراك عظمة المنزل للكتاب المعجز من الجوانب المهمة التي لا يستغني عنها القارئ المتذمر.

(٢) الفعل: (كفل) من الأفعال التي يجوز فيها فتح عينها وكسرها في الماضي، غير أنَّك لو فتحت عينها في الماضي؛ فإنَّك تضمنها في المضارع، وأما لو كسرتها في الماضي؛ فإنَّك تفتحها في المضارع، نحو: حَبَطَ يَحْبُطُ، وَحَبَطَ يَحْبَطُ، وعناء القارئ المتذمر بقواعد الصرف المستنبطة من القراءات القرآنية مما يُستعان بها في توجيه القراءة المفضي به إلى التدبر والإسفار عن الدلالة.

(١) «الفرید في إعراب القرآن المجيد» للهمذانی: (٤٣/٢).

(٢) يُنظر: «معانی القرآن وإعرابه» للزجاج: (٤٠٣/١)، و«معانی القراءات» للأزهري: (٢٥٢/١).

(٣) يُنظر: «مقاييس اللغة»: (١٧٨/٥) (كفل)، و«المحكم والمحيط الأعظم» لابن سیده: (٣٧/٧) (كفل).



(٣) في قراءتي: ﴿وَكَفَلَهَا﴾، ﴿وَكَفَلَهَا﴾: إشارة إلى أنَّ زكريا ﷺ لم يكفلها إلا بأمر الله ﷺ بقرينة القراءة المتواترة الأخرى: ﴿وَكَفَلَهَا﴾<sup>(١)</sup>، أي: وأكفلها الله زكريا وضمَّها إليه، وأنَّ الله لم يكفلها زكريا إلا بدعاة أم مريم بقرينة القراءة الشاذة الأخرى على الدعاء: ﴿وَكَفَلَهَا﴾<sup>(٢)</sup>.

(٤) فيهما العناية الخاصة من الله لمريم، وفي ذلك إشارة لعظم شأنها، وأنها سيكون لها دور في الأسوة والإصلاح<sup>(٣)</sup>.

(٥) فيهما إشارة إلى أهمية البيئة الصالحة لبناء الشخصية الصالحة<sup>(٤)</sup>.

(٦) فيهما أنَّ الله قد ييسر للعبد من يكفله من أهل الخير والصلاح؛ فيكون ذلك من أسباب فوزه وسعادته<sup>(٥)</sup>.

(٧) فيهما إشارة إلى فضل زكريا ﷺ وكرمه وحسن خلقه وحبه للخير؛ حيث إنَّه كفل مريم واعتنى بها<sup>(٦)</sup>.

(٨) بقدر صلاح المربي يكتسب من يربيه من خلقه وصلاحه ودينه، وفي كفالة زكريا لمريم فضيلةٌ تزيد من فضائلها<sup>(٧)</sup>.

(١) وهي قراءة الكوفيين: يُنظر: «الatisir»: (ص: ٨٧)، و«التحبير»: (ص: ٣٢١).

(٢) وهي قراءة مجاهد: يُنظر: «المغني في القراءات»: (٢/٥٧٨)، و«شواذ القراءات»: (ص: ١١١).

(٣) يُنظر: «الجامع في الهدایات القرآنية - سورة آل عمران»: (ص: ٨٤).

(٤) يُنظر: «الجامع في الهدایات القرآنية - سورة آل عمران»: (ص: ٨٥).

(٥) يُنظر: «الجامع في الهدایات القرآنية - سورة آل عمران»: (ص: ٨٥).

(٦) يُنظر: «الجامع في الهدایات القرآنية - سورة آل عمران»: (ص: ٨٥).

(٧) يُنظر: «التحرير والتنوير» لابن عاشور: (٣/٢٣٥)، و«تفسير ابن عثيمين - سورة آل عمران»:

.١/٢٣١)، و«التفسير المحرر للقرآن الكريم - سورة آل عمران»: (ص: ١٧٦).



٩) الاحتياج للقراءة بالنظائر القرآنية هو من الاحتياج للقرآن بالقرآن، وخير ما يُحتاج به للقرآن هو القرآن نفسه؛ فقراءة: ﴿وَكَفَلَهَا﴾ احتاج لها بالنظائر القرآنية كما بُين.

١٠) القراءات الشاذة مورد عذب من موارد الاحتياج للقراءات؛ فقراءة: ﴿وَكَفَلَهَا﴾ احتاج لها بالقراءة الشاذة: ﴿يَكْتُلُ﴾ كما بُين، وأيضاً هي من المصادر الأصلية لمعرفة لغات العرب، وأساليب خطابهم.

❖ **المثال الثالث:** قوله تعالى: ﴿أَكَلُونَ لِلْسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢].

**اللفظ القرآني المختلف فيه:** ﴿لِلْسُّحْتِ﴾.

**القراءات الواردة فيه مما تَحَدَّثُ حروفها:** وذلك على النحو التالي:

**أولاً:** القراء العشرة: قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة وخلف بضم السين مع إسكان الحاء: ﴿لِلْسُّحْتِ﴾، والباقيون بضمّهما: ﴿لِلْسُّحْتِ﴾<sup>(١)</sup>.

**ثانياً:** سوى القراء العشرة: قرأ عبيد بن عمير (ت ٧٤هـ) بكسر السين مع إسكان الحاء: ﴿لِلْسُّحْتِ﴾، وقرأ شيبة بن نصّاح (ت ١٣٠هـ) بضم السين مع إسكان الحاء: ﴿لِلْسُّحْتِ﴾، وقرأ خارجة بن مصعب (ت ١٦٨هـ) عن نافع بفتح السين والباء: ﴿لِلْسُّحْتِ﴾، وقرأ زيد بن علي (٣٥٨هـ) بفتح السين مع إسكان الحاء: ﴿لِلْسُّحْتِ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) يُنظر: «التسهيل»: (ص ٩٩)، و«التحبير»: (ص ٣٤٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري: (٢١٦/٢).

(٢) يُنظر: «المغني في القراءات»: (٧١٥/٢)، و«شواذ القراءات»: (ص ١٥٤).

**مجموع القراءات:** خمس قراءات: **﴿لِسْحَتِ﴾**, **﴿لِسْحَتِ﴾**, **﴿لِسْحَتِ﴾**,  
**﴿لِسْحَتِ﴾**, **﴿لِسْحَتِ﴾**.

**توجيه القراءات:** وذلك على النحو التالي:

**أولاً:** توجيه قراءة من قرأ بضمتين: **﴿لِسْحَتِ﴾**: أنها اسم للشيء المسحوت،  
وأنَّ الضمَّ فيها على لغة أهل الحجاز<sup>(١)</sup>.

**ثانياً:** توجيه قراءة من قرأ بضمَّة ثَمَّ سكون: **﴿لِسْحَتِ﴾**: أنَّ الإسكان فيها  
للتخفيف؛ لأنَّ الاسم إذا كان على ثلاثة أحرف، وكان أوله مضموماً، فمنهم من  
ثَقَّل وسطه بالضم، ومنهم من خفَّفه بالإسكان، كالعُسْر والعُسْر، واليُسْر واليُسْر،  
والحُلْم والحُلْم، والرُّعْب والرُّعْب، والإسكان لغة تميم<sup>(٢)</sup>.

**ثالثاً:** توجيه قراءة من قرأ بفتحتين: **﴿لِسْحَتِ﴾**: أنها لغة، وهي أيضاً اسم  
للشيء المسحوت<sup>(٣)</sup>.

**رابعاً:** توجيه قراءة من قرأ بفتحة ثَمَّ سكون: **﴿لِسْحَتِ﴾**: أنها لغة، والإسكان  
فيها طلباً للخفة، وهي مخففة من قراءة الفتحتين<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: «الحجَّة» للفارسي: (٤/٢٢١)، و«الكتاب المختار»: (١/٤٩٩)، و«الدر المصنون»:  
(٤١٨/١).

(٢) يُنظر: «الكشاف» للزمخشري: (٢/٧٢٥)، و«تفسير البيضاوي»: (٣/٢٨٢)، و«تفسير ابن جزي»:  
(٤٤٦/١).

(٣) يُنظر: «الكشاف» للزمخشري: (٢/٧٢٥)، و«تفسير الرازي»: (١١/٣٦٠)، و«الدر المصنون»:  
(٤١٨/١).

(٤) يُنظر: «إعراب القراءات الشواذ» للعكبي: (١/٤٣٨)، و«الدر المصنون»: (١/٤١٨).



**خامسًا:** توجيه القراءة من قرأ بكسرة ثم سكون: **﴿لِلْسِّحْتِ﴾**: أنها لغة، والإسكان فيها أيضًا طلبًا للخفة استقلالًا لتوالي المحرّكات <sup>(١)</sup>.

**قال العكري (ت ٦١٦ هـ) عن القراءات المذكورة آنفًا:** «وَكُلُّ ذَلِكَ لِغَاتٍ» <sup>(٢)</sup>.

**ومعنى الآية على القراءات:** أنه ذمّهم على أكلهم الحرام وكل ما لا يحلّ كسبه؛ لأنّهم كانوا يأخذون الرشوة والمال الحرام على الأحكام وتحليل الحرام <sup>(٣)</sup>.

والسين والهاء والتاء أصل صحيح يدلّ على استئصال، ومنه: سحت الله الكافر بعذاب، إذا استأصله، وسمّي المال الحرام سحتًا؛ لأنّه يسّحت البركة منه، أي: يمحقها ويستأصلها، وأنّه يستأصل صاحبه بالهلاك <sup>(٤)</sup>.

### ◆ الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية:

١) إسهام القراءات في معرفة لغات العرب، وحفظها من الضياع والاندثار؛ فالقراءات وعاء ومستودع لكثير من لغاتهم، ومع ذلك لم يستطعوا أن يأتوا بسورة منه، ولن يستطيعوا، والإعداد الروحي بإدراك عظمة القرآن المجيد المنزّل من الجوانب المهمة التي لا يستغنى عنها القارئ المتدبر.

٢) يظهر من خلال القراءات وتوجيهها: رحمة الله بالأمة في تلقي القرآن

(١) يُنظر: «الكتاف» للزمخشري: (٢/٧٢٥)، و«تفسير الرازي»: (١١/٣٦٠)، و«الدر المصنون»: (٤١٨/١).

(٢) «إعراب القراءات الشواذ»: (٤٣٩/١).

(٣) يُنظر: «تفسير الطبرى»: (١٠/٣٢٤)، و«معانى القراءات»: (١/٣٢٩)، و«الكتاف» للزمخشري: (٦٣٤/١).

(٤) يُنظر: «مقاييس اللغة»: (٣/١٤٣) (سحت)، و«المحكم والمحيط الأعظم»: (٣/١٧٩) (سحت).



وتلاوته؛ إذ روعي فيه اختلاف اللغات؛ ليسهل على الأمة حفظ القرآن ونقله، وما ورود قراءة إسكان الحاء في القراءات المذكورة إلا دليل وشاهد على ذلك؛ لأنَّ الحاء لم تسكن فيهنَّ إلا طلباً للخفة استثنائاً لتوالي المحرّكات.

(٣) كل قراءة مرجعها اختلاف اللغات؛ فمهما عَسْرَ أداءُها عند قوم، فليس بذلك أثر على فصاحتها <sup>(١)</sup>.

(٤) في القراءات دلالة على تحريم أكل الحرام، وأنَّ الإكثار من ذلك من صفات اليهود <sup>(٢)</sup>.

(٥) فيها دعوة إلى العناية بأكل الحلال الطيب، والبعد عن الحرام الخبيث، والله عز وجل لم يذكر أكل اليهود للسحّت والمال الحرام إلا لنحذر ونحذر من اتباعهم في ذلك <sup>(٣)</sup>.

(٦) السحّت يشمل جميع المال الحرام، كالربا والرشوة وأكل مال اليتيم والمغصوب <sup>(٤)</sup>.

(٧) في وصف المال الحرام بالسحّت دلالة عميقة، وهي أنَّ أصلها مِنْ: كَلِبُ الجوع، يُقال: فلان مسحُوت المَعِدة، إذا كان أكولاً لا تجده أبداً إلا جائعاً، وإنما سُمِيَ المال الحرام سُحْتاً؛ تشبّهَا بذلك، كأنَّ باكله من الشَّرَه إلى أخذ ما يُعطاه من

---

(١) يُنظر: «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية» للدكتور طلال بن أحمد بن علي: (ص: ٣٥).

(٢) يُنظر: «الجامع في الهدایات القرآنية - سورة المائدة»: (ص: ١٠٥).

(٣) يُنظر: «التفسير المحرر للقرآن الكريم - سورة المائدة»: (ص: ٢٣١).

(٤) يُنظر: «التحرير والتنوير»: (٦/٢٠٢).



ذلك مثل الذي بالمسحوت المعدة من الشره إلى الطعام<sup>(١)</sup>، وفهم معاني الألفاظ وفق دلالاتها في اللغة، ثم ضبط ذلك بمراعاة دلالاتها في السياق من مسالك العلماء في استخراج اللطائف التدبرية، والهدايات القرآنية.

٨) في القراءات مجاز مرسل، علاقته: السببية؛ لأنَّ المال الحرام لم يُسمَّ سحتاً إلا لأنَّه يسحت البركة ويهبها، والاهتمام بالجانب البلاغي في القراءة مما يعين القارئ المتدار على التدبر.

❖ **المثال الرابع:** قوله تعالى: ﴿تَدْعُونَهُ وَتَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأنعام: ٦٣].

**اللفظ القرآني المختلف فيه:** ﴿وَخُفْيَةً﴾.

**القراءات الواردة فيه مما تَحَدَّثْ حِرْفَهَا:** وذلك على النحو التالي:

**أولاً:** القراء العشرة: قرأ شعبة بكسر الخاء: ﴿وَخُفْيَةً﴾، والباقي بضمها: ﴿وَخُفْيَةً﴾<sup>(٢)</sup>.

**ثانياً:** سوى القراء العشرة: قرأ الأعمش (ت ١٤٨ هـ) بكسر الخاء: ﴿وَخُفْيَةً﴾<sup>(٣)</sup>.

**مجموع القراءات:** قراءتان: ﴿وَخُفْيَةً﴾، ﴿وَخُفْيَةً﴾.

**توجيه القراءتين:** أنَّهما لغتان فاشيتان بمعنى واحد، نحو: رُشْوة ورِشْوة، وحُبْوة وحِبْوة، وهما ضدُّ الجهر، من: أخفِيَ الشيء، إذا سترُه، والمعنى: إسرار الدعاء، والضمُّ أشهر<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: «تفسير الطبرى»: (١٠/ ٣٢٤).

(٢) يُنظر: «التسيسير»: (ص: ١٠٣)، و«التحبير»: (ص: ٣٥٦)، ويأخذ حكمه أيضاً آية: (٥٥) من سورة الأعراف.

(٣) يُنظر: «الكامل» للهذلي: (ص: ٥٤٢)، و«المعنى في القراءات»: (٢/ ٧٦٦).

(٤) يُنظر: «مقاييس اللغة»: (٢/ ٢٠٢) (خفي)، و«إعراب القراءات الشواذ»: (١/ ٤٨٨)، و«الفرید»

للهذلي: (٢/ ٦٠٥).



قال الأزهري (ت ٣٧٠هـ): «هما لغتان، والضم أجودهما، ومعناهما: ضد الجهر»<sup>(١)</sup>.

الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية :

- ١) إسهام القراءات في معرفة لغات العرب، وحفظها من الضياع والاندثار؛ فالقراءات وعاءً ومستودعً لكتير من لغاتهم ولهجاتهم، وإتقان اللسان العربي الذي نزل به القرآن من الأصول العلمية التي يعتمد عليها في التدبر.

٢) استعمال غير المشهور من كلام العرب من أسباب إخراجه عن حد الفصاحة إلا ما كان من كلام الله؛ فقراءة الضم: ﴿وَخَفْيَةٌ﴾ أشهر من قراءة الكسر: ﴿وَخَفْيَةٌ﴾، غير أنَّ ورودها في القرآن كافٍ في فصاحتها، بل ورودها في القرآن أفصح مما في غيره <sup>(٢)</sup>.

٣) في القراءتين توجيهه إلى أنَّ الإسرار بالدعاء سبب في إجابته، وأدعى إلى قبوله <sup>(٣)</sup>.

٤) إخفاء الدعاء أعظم إيماناً ويقيناً؛ لأنَّ صاحبه يعلم أنَّ الله ﷺ يسمع دعاءه <sup>(٤)</sup>.

٥) إخفاء الدعاء أعظم أدباً وإجلالاً وتعظيمًا؛ ولهذا لا تُسأل الملوك برفع

(١) «معانی القراءات»: (٣٦٢ / ١).

(٢) يُنظر: «استخراج القواعد البالغية من القراءات القرآنية» للدكتور طلال بن أحمد بن علي: (ص: ٣٦).

<sup>(٣)</sup> يُنظر: «الجامع في الهدایات القرآنية - سورة الأنعام»: (ص: ١٢٥).

(٤) نظر: «مجموع فتاوىً شيخ الإسلام ابن تيمية»: (١٥/١٥).



الأصوات، ومن فعل ذلك مقتوه - والله عَزَّوَجَلَّ المثل الأعلى -، فإذا كان يسمع الدعاء الخفي فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت به <sup>(١)</sup>.

٦) إخفاء الدعاء أبلغ تضرعاً وخشوعاً؛ فإنَّ الخاشع الذليل إنما يسأل مسألة مسكين ذليل، قد انكسر قلبه، وذلت جوارحه، وخشع صوته، حتى إنَّه ليكاد تبلغ به ذلته ومسكته إلى أن ينكسر لسانه فلا يطاوشه بالنطق <sup>(٢)</sup>.

٧) إخفاء الدعاء أبلغ إخلاصاً، ويعين على جمع القلب على الله؛ لأنَّ رفع الصوت يفرقه ويشتته <sup>(٣)</sup>.

٨) إخفاء الدعاء أدعى إلى دوام الطلب والسؤال؛ فإنَّ اللسان لا يمل، والجوارح لا تتعب، بخلاف ما إذا رفع صوته فإنه قد يمل اللسان، وتضعف قواه <sup>(٤)</sup>.

٩) الله عَزَّوَجَلَّ يحب أن يُسأل سرّاً لكمال غناه وعزته، ويحب ابن آدم أن يُسأل علانية لحاجته وضعفه ومنتّه <sup>(٥)</sup>.

١٠) في إخفاء الدعاء دلالة على قرب صاحبه من الله، يسأله مسألة مناجاة القريب للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد؛ ولهذا أثنى الله على عبده زكرييا بقوله: إِذْنَادَى رَبَّهُ وِنَدَأَ حَفِيَّا [مريم:٣]، فلما استحضر قرب ربه، وأنه أقرب إليه من كل قريب؛ أخفى دعاءه ما أمكنه <sup>(٦)</sup>.

(١) يُنظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»: (١٥/١٦).

(٢) يُنظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»: (١٥/١٦).

(٣) يُنظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»: (١٥/١٦).

(٤) يُنظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»: (١٥/١٧).

(٥) يُنظر: «الجامع في الهدایات القرآنية - سورة الأعراف»: (ص: ١١٦).

(٦) يُنظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»: (١٥/١٦).



## الفصل الأول: الفروق الحركية فيما اتحدت حروفها من القراءات الفرشية...

١١) في إخفاء الدعاء اقتداء بنبي الله زكريا ﷺ، والذي رضي الله فعله واستجاب دعاءه: ﴿إِذْنَادَى رَبَّهُ وَنَدَأَهُ حَفِيَّا﴾ [مريم: ٣].<sup>(١)</sup>

١٢) في إخفاء الدعاء امثال لأمر الله لما قال: ﴿أَدْعُوكُمْ تَضَرُّعًا وَحُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].<sup>(٢)</sup>

١٣) في سياق القراءتين إشارة إلى أنَّ الدعاء جهراً وسرّاً من أسباب دفع البلاء، وإزالة الشدائ드 والمحن.<sup>(٣)</sup>

١٤) سياق القراءتين يفيد: أنَّ كفر المشركين صادر عن مكابرة ومعاندة؛ لأنَّهم عند الشدائيد والمحن يلجمون إلى الله وحده، ويدعونه جهراً وسرّاً؛ تأمل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيْكُمْ مِنْ ظُلْمِ النَّبِيِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ وَتَضَرُّعًا وَحُفْيَةً﴾ [الأنعام: ٦٣].<sup>(٤)</sup>



(١) يُنظر: «الجامع في الهدایات القرآنية - سورة الأعراف»: (ص: ١١٦).

(٢) يُنظر: «الجامع في الهدایات القرآنية - سورة الأعراف»: (ص: ١١٦).

(٣) يُنظر: «الجامع في الهدایات القرآنية - سورة الأنعام»: (ص: ١٢٥).

(٤) يُنظر: «الجامع في الهدایات القرآنية - سورة الأنعام»: (ص: ١٢٥).



## الفصل الثاني:

### الفروق الحركية فيما اتَّهَدَتْ حُرُوفُهَا من القراءات الفрشيَّة

#### مع اختلاف المعنى

هذا الفصل مختصٌ بالقراءات التي اتَّهَدَتْ حُرُوفُها، واحتَلَّتْ حركاتُها مع اختلاف المعنى، غير أنَّ هذا الاختلاف ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: اختلاف نوع.

القسم الثاني: اختلاف تغایر.

فأمَّا القسم الأول، وهو: أن تَتَّهَدَ حُرُوفُ القراءات مع اختلاف حركاتها واحتلاف معانيها اختلاف نوع، غير أنَّ مقتضى تلك المعاني واحد، وكلها تفيء إلى معنى جامع، وهذا الخلاف مما تستعمله العرب وتعرِفُه في لسانها الذي نزل به القرآن.

قال سيبويه (ت ١٨٠هـ): «اعلم أنَّ من كلامهم: اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واحتلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واحتلاف المعنيين»<sup>(١)</sup>.

ويتجلى هذا في المثالين الآتيين:

❖ **المثال الأول:** قوله تعالى: ﴿وَلَوْيَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ

لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥].

اللفظ القرآني المختلف فيه: **﴿يَرَوْنَ﴾**.

(١) «الكتاب» لسيبوه: (١/٢٤).



القراءات الواردة فيه مما اتحدت حروفها: وذلك على النحو التالي:

**أولاً:** القراء العشرة:قرأ ابن عامر بضم الياء: ﴿يُرُونَ﴾، والباقيون بفتحها: ﴿يَرَوْنَ﴾.<sup>(١)</sup>

**ثانياً:** سوى القراء العشرة:قرأ أبو حية (ت ٢٠٣ هـ) بضم الياء: ﴿يُرُونَ﴾.<sup>(٢)</sup>

**مجموع القراءات:** قراءتان: ﴿يُرُونَ﴾، ﴿يَرَوْنَ﴾.

توجيه القراءتين: وذلك على النحو التالي:

**أولاً:** توجيه قراءة من قرأ: ﴿يُرُونَ﴾: أنها على حذف الفاعل وبناء الفعل للمفعولين إيجازاً وتفخيمًا؛ لأن حذف الفاعل يوجب تفخيم الأمر؛ لأنَّه يتسع تقديره، و معناها: أنَّ الله يريهم بأن يجعلهم يعاينونه، ويعضدها: قوله: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَتِ عَلَيْهِم﴾ [البقرة: ١٦٧]، و قوله: ﴿لَيَرُوا أَعْمَلَهُم﴾ [الزلزلة: ٦].<sup>(٣)</sup>

**ثانياً:** توجيه قراءة من قرأ: ﴿يَرَوْنَ﴾: أنها على البناء للفاعل، وإسناد الفعل إلى ضمير الفاعلين، وهو الواو، و معناها: يعاينونه، ويعضدها: قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾ [البقرة: ١٦٦]، و قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَهُ الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ﴾ [النحل: ٨٥].

(١) يُنظر: «التسهير»: (ص: ٧٨)، و «تحبير التيسير»: (ص: ٢٩٨). ■

(٢) يُنظر: «الكامل» للهذلي: (ص: ٤٩٥)، و «المغني في القراءات»: (٤٧٦/١).

(٣) يُنظر: «حجۃ ابن زنجلة»: (ص: ١٢٠)، و «الدرة الفريدة» للهذلي: (٩٥/٣)، و «الشفاء في علل القراءات»: (١٤٨/١).

(٤) يُنظر: «الشافي في علل القراءات»: (٦٩/١)، و «الكتاب المختار»: (٨٤/١)، و «الدرة الفريدة» للهذلي: (٩٥/٣).



## ◆ الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية :

- ١) الاختلاف في القراءتين اختلاف تنوع؛ لأنَّ مقتضى معناهما واحد، والمعنى الجامع لهما: رؤيتهم ومعاينتهم العذاب.
- ٢) في القراءتين إثبات اليوم الآخر والحساب والجزاء<sup>(١)</sup>.
- ٣) ليس من رأى كمن سمع؛ فالذين ظلموا حين يرون العذاب يعلمون عندها يقيناً أنَّ القوة والقدرة لله، ويعلمون شدة عذابه لمن كفر به وأشرك، وأنَّه ليس للأئمَّةِ التي اتخذوها شيءٌ من تلك القدرة الإلهية؛ فيتبيّن عندهم عجزها وضعفها، وأنَّها لا تدفع ضرًّا، ولا تجلب لهم نفعاً: ﴿وَلَوْرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ بِجَمِيعِهِ وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَدَابِ﴾ [البقرة: ١٦٦]<sup>(٢)</sup>.
- ٤) أوثر في القراءتين صيغةُ المستقبل لجريانها مجرى الماضي في الدلالة على التحقيق في أخبار علام الغيوب<sup>(٣)</sup>.
- ٥) كل معنى أدى بتمامه فصيحاً بينا بأوْجَز لفظ؛ فهو الإيجاز<sup>(٤)</sup>؛ فقراءة: ﴿يَرُونَ﴾ تدلُّ على قراءة: ﴿يَرَوْنَ﴾ وزيادة؛ لأنَّهم إذا أَرُوا رأوا، وعنابة القارئ المتذمِّر بالقواعد البلاغية المستنبطة من القراءات القرآنية مما يُستعان بها في توجيه القراءة المفضي به إلى التدبر والإسفار عن الدلالة.

(١) يُنظر: «الجامع في الهدایات القرآنية - الحزب الثالث من سورة البقرة»: (ص: ٨١).

(٢) يُنظر: «التحرير والتنوير»: (٢/٩٣)، و«التفسير المحرر للقرآن الكريم - سورة الفاتحة والبقرة»: (ص: ٤٦).

(٣) يُنظر: «تفسير أبي السعود»: (١/١٨٦).

(٤) يُنظر: «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية» للدكتور طلال بن أحمد بن علي: (ص: ٧٤).



٦) الأصل في المسند إليه ذكره، وقد يُحذف لتعظيم الأمر وتفخيمه، كما حُذف الفاعل من قراءة: **﴿يُرَوْنَ﴾**؛ ليذهب السمع إليه كل مذهب.

٧) الاستشهاد بالمواضع المجمع على قراءتها في توجيه المواقع المختلف في قراءتها، وهو من الأصول التي يعتمد عليها في توجيه القراءات.

❖ **المثال الثاني:** قوله تعالى: **﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةٌ وَحِدَةٌ لَجَعَلْنَا إِلَيْهَا كُلَّ مَن يَكْفُرُ بِالْحَمْدِ لِيُؤْتِهِمْ سُقْفَاءِنَّ فِضْلَةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾** [الزخرف: ٣٣].

**اللفظ القرآني المختلف فيه: **﴿سُقْفَاءِ﴾**.**

**القراءات الواردة فيه مما اتحدت حروفها:** وذلك على النحو التالي:

**أولاً:** القراء العشرة:قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر بفتح السين وإسكان القاف: **﴿سَقْفَاءِ﴾**، والباقيون بضمّهما: **﴿سُقْفَاءِ﴾** <sup>(١)</sup>.

**ثانياً:** سوى القراء العشرة:قرأ شيبة بن ناصح (ت ١٣٠ هـ) بفتح السين وإسكان القاف: **﴿سَقْفَاءِ﴾**، وقرأ مجاهد بن جبر (ت ١٠٤ هـ) بضمّ السين وإسكان القاف: **﴿سُقْفَاءِ﴾** <sup>(٢)</sup>.

**مجموع القراءات:** ثلاثة قراءات: **﴿سَقْفَاءِ﴾**، **﴿سُقْفَاءِ﴾**، **﴿سُقْفَاءِ﴾**.

**توجيه القراءات:** وذلك على النحو التالي:

(١) يُنظر: «التيسيير»: (ص: ١٩٦)، و«التحبير»: (ص: ٥٤٨).

(٢) يُنظر: «الكامل» للهذلي: (ص: ٥٨٤)، و«المغني في القراءات»: (٤/١٦٤٦)، و«شواذ القراءات»: (ص: ٤٢٧).



**أولاً:** توجيهه قراءة فتح السين وإسكان القاف: **﴿سَقْفًا﴾**: لأنّها بلفظ الواحد، غير أنَّ الواحد هنا على إرادة الجنس؛ لأنَّه مصدر في الأصل، وهو يدلُّ على الجمع، ودلَّ على الجمع: قوله تعالى: **﴿لِيُبُوْتِهِم﴾** [الزخرف: ٣٣]، على أنَّ لكل بيت سقفاً<sup>(١)</sup>.

**قال ابن عاشر (ت ١٣٩٣هـ):** **﴿سَقْفًا﴾** بفتح السين وإسكان القاف على الإفراد، والمراد من المفرد: الجنس؛ بقرينة قوله: **﴿لِيُبُوْتِهِم﴾**، كأنَّه قيل: لكل بيت سقف<sup>(٢)</sup>.

**ثانياً:** توجيهه قراءة ضم السين والقاف: **﴿سُقْفًا﴾**: لأنَّها بلفظ الجمع، وواحدتها: سقف، نحو: رَهْنٌ وَرُهْنٌ، على أنَّ ما كان بزنة: (فَعْل)، فإنه يُجمع على: (فُعْل)، أو واحدتها: سقيفة، نحو: سفينة وسُفْنٌ؛ لأنَّ المُخْبَرَ عنهم جمع، ولكل واحد منهم بيت، ولكل بيت سقف؛ فجُمِعَ ليكون اللفظ موافقاً للمعنى، ويعضدها: ما جاء بعدها في سياقها بلفظ الجمع، وهو قوله تعالى: **﴿وَمَعَارِجَ﴾** [الزخرف: ٣٣]؛ ليكون الكلام على نظم واحد<sup>(٣)</sup>.

**قال المنتجب الهمذاني (ت ٦٤٣هـ):** **﴿سُقْفًا﴾** بضم السين والقاف، وهو: جمع: (سقف)<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: «الحجّة» لابن خالويه: (ص: ٣٢١)، و«حجّة ابن زنجلة»: (ص: ٦٤٩)، و«الدرة الفريدة» للهمذاني: (٧٩/٥).

(٢) «التحرير والتنوير»: (٢٥/٢٠٦).

(٣) يُنظر: «حجّة الفارسي»: (٦/١٤٨)، و«الشافي في علل القراءات»: (٣/٣١٣)، و«حجّة ابن زنجلة»: (ص: ٦٤٩).

(٤) «الفرید في إعراب القرآن المجيد»: (٥/٥٥٢).



ثالثاً: توجيه قراءة ضم السين وإسكان القاف: **﴿سُقْفًا﴾**: أنها بلفظ الجمع، وهي مخففة من قراءة: **﴿سَقْفًا﴾**، وواحدها: سقف، على لغة من يجمع ما كان بزنة: ( فعل ) على: ( فعل )، وهي: لغة تميم <sup>(١)</sup>.

قال العكري (ت ٦١٦هـ): «ومنهم من يسكن القاف، وهو من تخفيف المضمن» <sup>(٢)</sup>.

### ◆ الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية :

١) الاختلاف في القراءات اختلف تنوّع؛ لأنّ مقتضى معناها واحد، وهو: أنها أتت على إرادة الجمع، على أنّ لكل واحد من المخبر عنهم بيتاً، ولكل بيت سقف؟ فقراءة: **﴿سَقْفًا﴾** بلفظ الواحد على إرادة الجمع، وقراءة: **﴿سُقْفًا﴾**، و **﴿سُقْفًا﴾** بلفظ الجمع على إرادة الجمع.

٢) الاحتجاج للقراءة بالسياق يبيّن مجملاتها، ويرجح محتملاتها، ويقرّر واصحاتها؛ فلما قرئت قراءة: **﴿سَقْفًا﴾** بلفظ المفرد؛ بين توجيهها أنّ المراد منها: الجمع بقرينة قوله قبلها: **﴿لِيُؤْتِهِمْ﴾**.

٣) في القراءات وسياقها دلالة على هوان الدنيا على الله، وأنّها لو كانت تساوي عنده جناح بعوضة؛ ما سقى كافراً منها شربة ماء؛ تأمل قوله في نهاية سياق الآيات: **﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾** [الزخرف: ٣٥].

(١) يُنظر: «تفسير القرطبي»: (١٦/٨٤)، و«إعراب القراءات الشواذ»: (٢/١٢٧٢)، و«البحر المحيط»: (٩/٣٧١).

(٢) «إعراب القراءات الشواذ»: (٢/٤٤٦).



٤) التنكير في قراءة: **سُقْفًا** يدل على التكثير، وهذا يتناسب مع سياق الآية في قوله: **لِيُوْتَهُمْ**.

٥) كما أن حروف الكلمة قد تتنافر؛ فكذلك حركاتها قد تتشاكل<sup>(١)</sup>؛ تأمله في تخفيف القاف بالإسكان في قراءة: **سُقْفًا** من قراءة: **سُقْفًَا**.

٦) إسهام القراءات في بيان لغات العرب الواردة في كتاب الله، وحفظها من الضياع والاندثار.

وأما القسم الثاني، وهو: أن تتحدد حروف القراءات مع اختلاف حركاتها واختلاف معانيها اختلف تغاير، غير أن هذه المعاني المتعددة لا يمكن أن تتناقض؛ لاستحالة كون ذلك في القرآن، والفرق بين هذا القسم والذي سبقه هو: أن المعاني في هذا القسم متعددة، ولا يمكن اجتماعها في شيء واحد؛ لأن الله أنزل القراءات محتملة هذا التعدد، وقابلة لجميع الأغراض المأخوذة منها خلافاً للقسم السابق الذي معانيه على تعددتها متحدة المقصود.

قال ابن الجزري (ت ٨٨٣هـ): «... وبهذا افترق اختلاف القراء من اختلاف الفقهاء؛ فإن اختلاف القراء كله حق وصواب نزل من عند الله، وهو كلامه لا شك فيه، واختلاف الفقهاء اختلف اجتهادي، والحق في نفس الأمر فيه واحد، فكل مذهب بالنسبة إلى الآخر صواب يحتمل الخطأ، وكل قراءة بالنسبة إلى الأخرى حق وصواب في نفس الأمر نقطع بذلك ونؤمّن به»<sup>(٢)</sup>.

(١) يُنظر: «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية» للدكتور طلال بن أحمد بن علي: (ص: ٣٣).

(٢) «النشر»: (١/٥٢).



وكل قراءة مع صحتها وصحة معناها في هذا القسم هي بمنزلة آية قائمة بنفسها.  
وأما القراءة الشاذة فهي مفسرة ومبينة وناصرة للقراءة الصحيحة غالباً، ويُحتجُّ  
بها للمتوترة، وبها يُستأنس.

**قال أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٤٢٤ هـ):** «المقصد من القراءة الشاذة: تفسير القراءة المتواترة، وتبين معناها» <sup>(١)</sup>.

ويتجلى هذا في المثالين الآتيين:

❖ **المثال الأول:** قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿وَاتَّخِذُوا﴾.

القراءات الواردة فيه مما اتحدت حروفيها: وذلك على النحو التالي:

**أولاً:** القراء العشرة:قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء: ﴿وَاتَّخَذُوا﴾، والباقيون بكسرها: ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ <sup>(٢)</sup>.

**ثانياً:** سوى القراء العشرة:قرأ الحسن البصري (ت ١١٠ هـ)، وقناة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨ هـ) بفتح الخاء: ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ <sup>(٣)</sup>.

**مجموع القراءات:** قراءتان: ﴿وَاتَّخَذُوا﴾، ﴿وَاتَّخِذُوا﴾.

**توجيه القراءتين:** وذلك على النحو التالي:

(١) «فضائل القرآن» لأبي عبيد: (١٥٤/٢).

(٢) يُنظر: «التيسير»: (ص: ٧٦)، و«تحبير التيسير»: (ص: ٢٩٤).

(٣) يُنظر: «الكامل» للهذلي: (ص: ٤٩٢)، و«المغني في القراءات»: (١/٤٦٠).

**أولاً:** توجيه قراءة مَنْ قرأ: ﴿وَاتَّخَذُوا﴾: أنها على الخبر عطفاً على ما قبلها، وهو: قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَنْتَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وهو خبر، ويعضدها: ما جاء بعدها في سياقها على الخبر أيضاً، وهو: قوله تعالى: ﴿وَعَاهَدْنَا إِلَيْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ [البقرة: ١٢٥]؛ فحمل الكلام عليهم ليكون الكلام على نظم واحد<sup>(١)</sup>.

فالقراءة تدل على أنَّ الله أخبر محمداً عمن كانوا قبله بأنَّهم اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى الذي وسم به لاهتمامه به، وإسكان أهله عنده؛ ليقتدي بهم، وُيُسْتَنَّ بستتهم.

**ثانياً:** توجيه قراءة مَنْ قرأ: ﴿وَاتَّخَذُوا﴾: أنها على الأمر، ويعضدها: ما جاء عن عمر بن الخطاب رض أنه قال لرسول الله ص: «لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى؛ فنزلت: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مَصْلِي﴾<sup>(٢)</sup>»، واحتج الأزهري (ت ٣٧٠هـ) لهذه القراءة بهذا الحديث، ثم قال: «فكان الأمر على هذا الخبر أبين وأحسن»<sup>(٣)</sup>، واحتجَّ به ابن إدريس (من علماء القرن السادس) أيضاً، ثم قال: «وهي تفيد شرعاً لا يُستفاد من قراءة مَنْ قرأ على الخبر»<sup>(٤)</sup>.

### ◆ الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية :

١) الاختلاف في القراءتين اختلاف تغاير دون تناقض وتضاد؛ لصحة معنى

(١) يُنظر: «معاني القراءات»: (١/١٧٤)، و«الكتاب المختار»: (١/٧٥)، و«الدرة الفريدة» للهمذاني: (٧٥/٣).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (١/٨٩) برقم: (٤٠٢).

(٣) «معاني القراءات»: (١/١٧٤).

(٤) «الكتاب المختار»: (١/٧٥).



كل منهما في حال استقلالها، وكل منهما مع صحتها بمنزلة آية قائمة بنفسها.

٢) قراءة الأمر أبلغ في المعنى؛ لدلالة لفظها على لزوم الفرض على العموم، وإن كان في قراءة الخبر أيضًا معنى الأمر من جهة الثناء عليهم، وكل ما أثني الله به على قوم فيه معنى الأمر به والترغيب فيه؛ لأنَّهم لم يفعلوا ذلك إلا بأمره <sup>(١)</sup>.

٣) الترغيب قبل التكليف؛ ففي قراءة: ﴿وَأَتَّخَذُوا﴾: ترغيب بكون المقام كان مصلى لمن كان قبلنا، ثم جاء الأمر والتكليف على قراءة: ﴿وَأَتَّخَذُوا﴾؛ لنتدري بهم، ونستنَّ بستهم <sup>(٢)</sup>.

٤) الله ﷺ يثيب العامل بأكثر من عمله؛ فإنَّ إبراهيم ﷺ لما أتمَ الكلمات، جعله الله إمامًا للناس، وأمرهم أن يتخدوا من مقامه مصلى <sup>(٣)</sup>.

٥) في القراءتين تشريف لمقام إبراهيم ﷺ، ورفعه لمنزلته، وإظهار لفضيلته وتكريمه؛ إذ كان فعلَ من اتَّخذَ مصلى محمودًا عليه، وممدوحًا به، ولم يكن اتَّخاذُه مصلى إلا بأمرِ الله ﷺ <sup>(٤)</sup>.

٦) في القراءتين دلالة على عظمة ومنزلة البيت العتيق، ومن تعظيم الله ﷺ: تعظيم ما عظمه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَبَرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] <sup>(٥)</sup>.

٧) القراءتان تقتضيان أنَّ اتَّخاذَ مقام إبراهيم مصلى كان من عهد إبراهيم ﷺ، ولم

(١) يُنظر: «الشفاء في علل القراءات»: (١/١٣٨).

(٢) يُنظر: «الشافعى في علل القراءات»: (١/٥٦٦)، و«الدرة الفريدة»: (٣/٧٥).

(٣) يُنظر: «تفسير ابن عثيمين - سورة الفاتحة والبقرة»: (٢/٤٣).

(٤) يُنظر: «الشافعى في علل القراءات»: (١/٥٦٦).

(٥) يُنظر: «الجامع في الهدایات القرآنیة - الحزب الثاني من سورة البقرة»: (ص: ١٤٢).



يُكَنُ الحَجَرُ الَّذِي اعْتَلَى عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْبَنَاءِ مُخْصُوصًا بِصَلَةِ عَنْدِهِ، وَلَكِنَّهُ مُشْمُولُ لِلصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ بَقِيَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ كَانَ عَامُ حَجَةِ الْوَدَاعِ أَوْ عَامَ الْفَتْحِ؛ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَمَعَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمُذَكُورِ آنَّا، ثُمَّ سُنَّتِ الصَّلَاةُ عَنْدَ الْمَقْامِ فِي طَوَافِ الْقَدُومِ<sup>(١)</sup>.

٨) الْاحْتِجَاجُ بِالسِّيَاقِ مِنْ أَهْمَّ الْمَوَارِدِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي يُحْتَجُّ بِهَا لِلْقُرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، كَمَا احْتُجَّ لِقُرَاءَةِ: ﴿وَأَنْتَذُوا﴾ بِمَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا فِي سِيَاقَهَا؛ لِيُكَوِّنَ الْكَلَامُ عَلَى نَظْمٍ وَاحِدٍ، وَعِنْيَةُ الْقَارِئِ الْمُتَدَبِّرِ بِالسِّيَاقِ هُوَ الْجَانِبُ الْأَهْمَّ فِي تَدْبِرِهِ.

٩) مَعْرِفَةُ سَبَبِ نَزُولِ الْآيَةِ مَا يُعِينُ عَلَى تَوْجِيهِ الْقُرَاءَةِ، وَيُكَشَّفُ وَجْهُهَا، وَيُوضَعُ مَرَادُهَا، وَهِيَ مِنَ الْأَصْوَلِ الَّتِي يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي تَوْجِيهِ الْقُرَاءَاتِ، وَفِي تَفْسِيرِ الْآيَاتِ كَذَلِكَ.

١٠) الْقُرَاءَةُ الشَّاذَةُ: ﴿وَأَنْتَذُوا﴾ تَؤَيِّدُ وَتُنَصِّرُ الْقُرَاءَةَ الْمُتَوَاتِرَةَ: ﴿وَأَنْتَذُوا﴾ بِلِفْظِهَا وَمَعْنَاهَا.

❖ الْمَثَلُ الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: ٣٦].

اللُّفْظُ الْقُرْآنِيُّ الْمُخْتَلِفُ فِيهِ: ﴿وَضَعَتْ﴾.

الْقُرَاءَاتُ الْوَارِدَةُ فِيهِ مَا تَحَدَّثُ حُرُوفُهَا: وَذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ التَّالِيِّ:

أَوَّلًا: الْقَرَاءَةُ الْعَشْرَةُ: قَرْأَةُ ابْنِ عَامِرٍ وَشَعْبَةٍ وَيَعْقُوبٍ بِإِسْكَانِ الْعَيْنِ وَضَمِّ التَّاءِ: ﴿وَضَعَتْ﴾، وَالْبَاقُونَ بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَإِسْكَانِ التَّاءِ: ﴿وَضَعَتْ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) يُنْظَرُ: «الْتَّحْبِيرُ وَالْتَّنْوِيرُ»: (١/٧١١).

(٢) يُنْظَرُ: «الْتَّيسِيرُ»: (ص: ٨٧)، وَ«الْتَّحْبِيرُ»: (ص: ٣٢١).



ثانيًا: سوى القراء العشرة: قرأ ابن عباس بإسكان العين وكسر التاء: ﴿وَضَعْتِ﴾، وقرأ الحسن البصري (ت ١١٠ هـ) بإسكان العين وضم التاء: ﴿وَضَعْتُ﴾<sup>(١)</sup>.

**مجموع القراءات:** ثلث قراءات: ﴿وَضَعْتِ﴾، ﴿وَضَعْتُ﴾، ﴿وَضَعْتِ﴾.

**توجيه القراءات:** وذلك على النحو التالي:

**أولاً:** توجيه قراءة من قرأ: ﴿وَضَعْتِ﴾: أنها من قول أم مريم حملًا على ما قبلها وعلى ما بعدها من كلامها، فالذى قبلها: قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أَنْتَ﴾ [آل عمران: ٣٦]، والذى بعدها: قوله تعالى: ﴿وَلَنِي سَمِّيَتْهَا مَرِيمٌ وَلَنِي أَعِيذُهَا بِكَ وَدُرِّيَتْهَا مِنَ الشَّيْطَنِ الْجِيْمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]; فتحمل الكلام عليهما ليكون الكلام على نظم واحد<sup>(٢)</sup>.

**ثانيًا:** توجيه قراءة من قرأ: ﴿وَضَعْتُ﴾: أنها من قول الله ﷺ عن أم مريم؛ وذلك أنها لما قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أَنْتَ﴾ [آل عمران: ٣٦]; أخبر الله أنه أعلم بما وضعت، وهو العليم الحكيم<sup>(٣)</sup>.

**ثالثًا:** توجيه قراءة من قرأ: ﴿وَضَعْتِ﴾: أنها من قول الله ﷺ لأم مريم؛ وذلك أنها لما قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أَنْتَ﴾ [آل عمران: ٣٦]; خاطبها الله أنه أعلم بما وضعت، وهو العليم الحكيم<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: «الكامل» للهذلي: (ص: ٥١٥)، و«المغني في القراءات»: (١ / ٥٧٧)، و«شواذ القراءات»: (ص: ١١٠).

(٢) يُنظر: «معاني القراءات» للأزهري: (١ / ١٧٤)، و«الكتاب المختار»: (١ / ٧٥)، و«الدرة الفريدة» للهذلي: (٣ / ٧٥).

(٣) يُنظر: «الحجفة» لابن خالويه: (ص: ١٠٨)، و«حججة الفارسي»: (٣ / ٣٢)، و«حججة ابن زنجلة»: (ص: ١٦٠).

(٤) يُنظر: «الدرة الفريدة»: (٣ / ٢١٩)، و«الشفاء في علل القراءات»: (١ / ٢١٥).



## ◆ الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية :

١) الاختلاف في القراءات اختلاف تغایر دون تناقض؛ لصحة معنى كل منها في حال استقلالها.

٢) في قراءة: **﴿وَضَعْتُ﴾**: تسلية لنفسها، وأنَّ الله حكمةً، ولعلَّ هذه الأنثى خير من الذكر <sup>(١)</sup>.

٣) في قراءة: **﴿وَضَعْتُ﴾**: معنى الخضوع لله، وهي كقولهم: (رب قد أذنبت <sup>(٢)</sup> وأنت أعلم به).

٤) في قراءة: **﴿وَضَعْتُ﴾**: اعتذار منها إلى الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ حيث أتت بمولود لا يصلح لما نذرته من السدانة <sup>(٣)</sup>.

٥) في إظهار اسم الجلالة على قراءة: **﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ﴾** التفات من الخطاب إلى العيّنة، ويكون قرينة لفظية على أنَّ الخبر مستعمل في التحسن <sup>(٤)</sup>.

٦) في قراءة: **﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ﴾**: حسن مناجاة منها الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لما قالت: **﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أَنْتَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذِّكْرُ كَالْأَنْتِي وَإِنِّي سَمِّيَّتُهَا مَرِيمَ وَإِنِّي أَعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتُهَا مِنَ الشَّيَطَنِ الرَّجِيمِ﴾**، ولم تقل: وأنت أعلم بما وضعت؛ لأنَّ العرب تخبر عن غائب ثم تخاطب، وتخاطب ثم تخبر، كما في سورة فاتحة الكتاب، وهذا التفات

(١) يُنظر: «تفسير الزمخشري»: (١/٣٥٦).

(٢) يُنظر: «الدرة الفريدة»: (٣/٢١٩).

(٣) يُنظر: «تفسير أبي السعود»: (٢/٢٨).

(٤) يُنظر: «التحرير والتنوير»: (٣/٢٣٣).



من الخطاب إلى الغيبة؛ إظهاراً لغاية الإجلال<sup>(١)</sup>.

٧) في قراءة: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ﴾: إسراع منها إلى تزويه الله عن الجهل؛ لئلا يتوجه السامع من قولها: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أَنْتَ﴾ أَنَّها أضافت إلى الله علماً لم يكن حاصلاً له<sup>(٢)</sup>.

٨) في قراءة: ﴿وَضَعْتُ﴾: مشاكلة لفظية لقوله تعالى قبلها: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أَنْتَ﴾.

٩) في قراءتي: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتُ﴾، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتِ﴾: تعظيم الله نفسه بإثبات العلم له.

١٠) في قراءتي: ﴿وَضَعْتُ﴾، ﴿وَضَعْتِ﴾: تعظيم للمولود وما يكون منه، وتجهيل لها بقدر ما وهب لها منه، وهو أنه يجعله للعالمين آية، وهي جاهلة بذلك<sup>(٣)</sup>.

١١) القراءة الشاذة: ﴿وَضَعْتِ﴾ تؤيد وتنصر القراءة المتواترة: ﴿وَضَعْتُ﴾ بمعناها؛ لأن القراءتين دالتان على أن القول من الله عنها ولها.



(١) يُنظر: «الشافي في علل القراءات»: (١/١٤٣).

(٢) يُنظر: «تفسير ابن عثيمين - سورة آل عمران»: (١/٤٢٥).

(٣) يُنظر: «تفسير الزمخشري»: (٣٥٦/١)، و«الدرة الفريدة»: (٣/٢١٨).



### الفصل الثالث:

## الفروق الحركية فيما اتَّهَدَتْ حُرُوفُهَا من القراءات الفرشية

### مع اختلاف في المعنى

هذا الفصل مختص بالقراءات التي اتَّهَدَتْ حُرُوفُهَا، واحتلَّتْ حركاتُها مع اختلاف في المعنى، غير أنَّ هذا الاختلاف ينقسم إلى قسمين:

**القسم الأول:** أن تكون الأقوال محتملة، غير أنَّه يمكن الجمع بينها، والقول بمقتضى جميعها.

**القسم الثاني:** أن تكون الأقوال محتملة دون تعارض، غير أنَّ بعضها أولى من بعض لحجته تدل على ذلك.

**فأما القسم الأول، وهو:** أن تكون الأقوال محتملة، غير أنَّه يمكن الجمع بينها بمعنى كلي تدخل جميع الأقوال فيه؛ لأنَّه لا دليل يدل على تقديم بعضها أو ترجيحه.

والعلماء سلكوا في الجمع بين الأقوال من هذا القسم مسالك لطيفة، وهي على النحو التالي<sup>(١)</sup>:

١) أن يعبر كل قول عن اللفظ العام ببعض أفراده؛ فتحمل الأقوال على المعنى العام الذي يدل عليه اللفظ.

(١) يُنظر: «منهج الإمام ابن جرير الطبرى في الترجيح بين الأقوال التفسيرية» للدكتور حسين الحربي:

.(٧٢/١)



- ٢) أن تكون الأقوال مختلفة ألفاظ قائلها مع تقارب المعنى أو اتفاقه؛ فهذا خلاف لفظي لا يؤثر في توجيه القراءة.
- ٣) أن يكون معنى أحد الأقوال كلياً يدخل تحته باقي الأقوال؛ فتحمل بقية الأقوال على هذا المعنى الكلي الذي به توجّه القراءة.
- ٤) أن يكون في أحد الأقوال تبنيه ودلالة على بقية الأقوال؛ فهذا القول هو الذي يجمع الأقوال في توجيه القراءة لدلالته على بقيتها.
- ٥) أن يكون بين الأقوال تلازم.
- ٦) أن تكون بعض الأقوال من ثمرات ونتائج البعض.

قال الطبرى (٣١٠هـ): «وأما إذا كانت المعانى في جميعها متفقة، فلا وجه للحكم لبعضها بأنه أولى»<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: «والصواب من القول في ذلك عندنا: أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى؛ فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب»<sup>(٢)</sup>.

ويتجلى هذا في المثالين الآتيين:

❖ **المثال الأول:** قوله: ﴿وَتَحِمِّلُ أَنْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدِكُمْ تَكُونُوا بِلَغِيهِ إِلَّا يُشِّقُ الْأَنْفُسُ﴾

[النحل: ٧].

اللفظ القرآني المختلف فيه: ﴿يُشِّقُ﴾.

(١) «تفسير الطبرى»: (٥/١٣٧).

(٢) «تفسير الطبرى»: (٢٣/٦٤٨).



القراءات الواردة فيه مما أَتَحَدَّثُ حِرْفَهَا: وذلك على النحو التالي:

**أَوَّلًا:** القراء العشرة: قرأ أبو جعفر بفتح الشين: **بِشَقِّ**، والباقي بكسرها:

**بِشَقِّ** <sup>(١)</sup>.

ثانيًا: سوى القراء العشرة: قرأ شيبة بن ناصح (ت ١٣٠ هـ) بفتح الشين: **بِشَقِّ** <sup>(٢)</sup>.

**مُجْمُوعُ الْقُرَاءَتِ:** قراءتان: **بِشَقِّ**، **بِشَقِّ**.

توجيه القراءتين:

اختلف العلماء في توجيه: **بِشَقِّ**، **بِشَقِّ** بين اتحاد المعنى أو اختلافه

على قولين:

القول الأول: أنَّهُما بمعنى <sup>(٣)</sup>.

القول الثاني: أنَّ لِكُلِّ مِنْهُمَا مَعْنَى <sup>(٤)</sup>.

توجيه القول الأول: أنَّهُما بمعنى، وهم على إرادة المصدر، مِنْ: المشقة، أي:

بمشقة الأنفس <sup>(٥)</sup>.

(١) يُنْظَرُ: «النشر»: (٢/٣٠٢)، و«التحبير»: (ص: ٤٣٠).

(٢) يُنْظَرُ: «الكامل» للهذلي: (ص: ٦٠٦)، و«المعنى في القراءات»: (٣/١٣١٨).

(٣) يُنْظَرُ: «مفاتيح الأغاني»: (ص: ٢٩٢)، و«الشفاء في علل القراءات»: (٢٧٩/٢).

(٤) يُنْظَرُ: «تفسير الطبرى»: (١٩/٥٤)، و«معانى القرآن» للتحفاس: (٤/٤٧٦)، و«حججة ابن خالويه»: (ص: ٢٥٨).

(٥) يُنْظَرُ: «الشافى في علل القراءات»: (٣/٨٦)، و«تفسير البغوى»: (٥/١٠)، و«زاد المسير»: (٥٥١/٢).



توجيه القول الثاني: وذلك على مذهبين:

المذهب الأول: أنَّهما على إرادة المصدر، غير أنَّ الفتح من: شَقَّ الأمر عليه شَقاً، أي: مشقة النفس، والكسر من: (الشَّقَّ) بمعنى: النَّصف، كأنَّه يذهب نصف قوَّته لما يناله من الجهد والتعب، ويعضد هذا المعنى: قوله ﷺ: «اتقوا النار ولو بشقٌّ تمرة»<sup>(١)</sup>.

المذهب الثاني: أنَّ الفتح على إرادة المصدر، والكسر على إرادة الاسم<sup>(٢)</sup>.

القول الراجح من القولين:

**لعلَّ القول الراجح - والله أعلم - هو:** أنَّ المعانى المذكورة في اختلاف العلماء بين اتحاد القراءتين في المعنى أو اختلافهما كلها محتملة ومتقاربة بدلالة اللفظ وأصل اشتقاده وسياق الآية والمعهود من كلام العرب؛ فقراءة: **بِشَقِّ** على إرادة المصدر بمعنى: بمشقتكم على أنفسكم، وقراءة: **بِشَقَّ** تحتمل معنى: **بِشَقِّ** على أنَّها مصدر بمعنى: المشقة، وتحتمل معنى: النَّصف، أي: بنصف قواكم، وتحتمل أن تكون على إرادة الاسم<sup>(٣)</sup>.

قال الطبرى (ت ٣١٠ هـ): «وكان بعض أهل العربية يذهب بالفتح إلى

(١) أخرجه البخاري في «صححه»: (٢/١٠٩) برقم: (٤١٧).

(٢) يُنظر: «تفسير الطبرى»: (١٧١/١٧)، و«الشافى» لابن القراب: (٣/٨٦)، و«الدر المصنون»: (٧/١٩٥).

(٣) يُنظر: «تفسير الطبرى»: (١٧١/١٧)، و«الشافى في علل القراءات»: (٣/٨٦)، و«زاد المسير»: (٢/٥٥١)، و«تفسير الرازى»: (١٩٦/١٩)، و«الشفاء في علل القراءات»: (٢/١١٩)، و«الدر المصنون»: (٧/١٩٤).



المصدر، مِنْ: شَقَقْتُ عَلَيْهِ أَشْقُّ شَقًّا، وبالكسر إلى الاسم، وقد يجوز أن يكون الذين قرءوا بالكسر أرادوا: إلا بنقص من القوَّةِ وذهب شيء منها حتى لا يبلغه إلا بعد نقصها، فيكون معناه عند ذلك: لم تكونوا بالغيه إلا بِشَقْ قُوَّى أَنفُسِكُمْ، وذهب **شِقَقُهَا الْآخِرَ**<sup>(١)</sup>.

**وقال الرازي (ت ٦٠٦ هـ):** «والشَّقُّ: المشقة، والشَّقُّ: نصف الشيء، وحمل اللفظ هاهنا على كلا المعنين جائز، فإن حملناه على المشقة كان المعنى: لم تكونوا بالغيه إلا بالمشقة، وإن حملناه على نصف الشيء كان المعنى: لم تكونوا بالغيه إلا عند ذهاب النصف من قوتكم أو من بدنكم، ويرجع عند التحقيق إلى المشقة»<sup>(٢)</sup>.

#### ◆ الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية :

١) إذا كانت المعاني تؤيّدُها دلالةُ اللفظ وأصلُ اشتقاقه؛ فلا وجه للحكم ببعضها بآئنة أولى<sup>(٣)</sup>.

٢) إذا كانت المعاني تنصرها قرائن في السياق؛ فالقول بمقتضى تلك المعاني جميعها أولى<sup>(٤)</sup>.

٣) أبلغ الكلام أو جزءه في تمام<sup>(٥)</sup>؛ فقراءة: **بِشَقِّ** انطوت على معنيين لطيفين، وهما: المشقة، والشَّقُّ الذي هو نصف الشيء، وهذا من إعجاز القراءات القرآنية.

(١) «تفسير الطبرى»: (١١٧/١٧).

(٢) «تفسير الرازي»: (١٧٦/١٩).

(٣) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص: ٣٤٩).

(٤) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص: ٢٩٩).

(٥) يُنظر: «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية» للدكتور طلال بن أحمد بن علي: (ص: ٤٠).



٤) في قراءة: ﴿يشق﴾: معنى مجازي بلغ، وهو: ذهاب نصف الأنفس، وكأنّها تذوب تعّباً ونصباً لما ينالها من المشقة، كما يُقال: لا تقدر على كذا إلا بذهاب جلّ

نفسك أو قطعة من كبدك <sup>(١)</sup>.

٥) في القراءتين دلالة على عظيم رأفة الله بنا ورحمته لنا حيث سخر لنا الأنعم التي تحمل ما ثقل من أمتعتنا إلى البلدان البعيدة والأقطار الشاسعة مما لم نكن بالغيه إلا بجهد شديد من أنفسنا ومشقة عظيمة، إنَّ ربنا لرؤوف رحيم.

٦) السفر قطعة من العذاب؛ لما فيه من ألم المشقة وفرق الديار والأحباب، والمنع من لذذ الطعام والشراب، والتقلب بين الأغرب والمخاطر والصعاب، قال ﷺ: «السفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه، فإذا قضى نهmetه؛ فليعجّل إلى أهله» <sup>(٢)</sup>.

٧) اقتضت حكمة الله ﷺ أن خلق لنا داراً نتزود منها إلى الدار التي خلقت لنا، غير أنَّا لا ننالها ونبلغها إلا بزاد النقوى؛ تأمل قوله في هذه الدار: ﴿وَتَحِمُّلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُ أَنْتَ لَهُ بِغَيْرِ الْأَيْشِقِ الْأَنْفُس﴾ [النحل: ٧٣]؛ فهذا شأن الانتقال في الدنيا من بلد إلى بلد؛ فكيف الانتقال من الدنيا إلى دار القرار؟ <sup>(٣)</sup>.

٨) الاحتجاج للقراءة بالسنة يبيّن العلاقة القوية بين القراءات القرآنية والسنة النبوية؛ فقراءة: ﴿يشق﴾ احتُجَّ لها بالسنة النبوية المطهرة كما يبيّن في أحد معانها.

٩) حمل كلام الله على المعهود من كلام العرب مما يعين على فهم القرآن،

(١) يُنظر: «روح المعاني» للألوسي: (٣٤٣/٧).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٢/١٠٩) برقم: (١٤١٧).

(٣) يُنظر: «مفتاح دار السعادة» لابن القيم: (١١/١٠).



وغير جائز حمله على غير المعهود من كلامهم وله في المفهوم الجاري بين الناس وجه صحيح موجود، وكان معروفاً بينهم، ووظفوه في خطاباتهم<sup>(١)</sup>.

١٠ القراءة الشاذة: **﴿يِشَقِ﴾** تؤيد وتنصر القراءة المتواترة: **﴿يِشَقِ﴾** بلفظها ومعناها، ومن أبصر كتب توجيه القراءات وجد اهتماماً بالغاً بالاحتجاج للقراءة المتواترة بالقراءة الشاذة؛ حيث يُرددون القراءة المتواترة بشاذة تكون لها عاصدة ومؤيدة ومفسرة، وهذا في كتبهم كثير ووفير.

١١ إسهام القراءات في معرفة أصول اشتقاق الألفاظ؛ لأنَّ الاعتناء والاهتمام بالأصل الاشتقافي من المسائل المهمة لمن يوجه القراءات، ومعرفته تزيد الموجه عمقاً في معرفة دلالات الألفاظ، ومعرفة مناسبة توجيهات أهل العلم لأصل اللفظ.

❖ **المثال الثاني:** قوله تعالى: **﴿مُسْتَكِرِينَ بِهِ سَلِمَ رَاهِجُرُونَ﴾** [المؤمنون: ٦٧].

**اللفظ القرآني المختلف فيه: **﴿تَهْجِرُونَ﴾**.**

**القراءات الواردة فيه مما تَحَدَّثْ حِرْوَفُهَا:** وذلك على النحو التالي:

**أوَّلًا:** القراء العشرة:قرأ نافع بضم التاء وكسر الجيم: **﴿تُهِجِرُونَ﴾**، والباقيون بفتح التاء وضم الجيم: **﴿تَهِجِرُونَ﴾**<sup>(٢)</sup>.

**ثانيًا:** سوى القراء العشرة: قرأ ابن محيصن (ت ١٢٣ هـ) بضم التاء وكسر الجيم: **﴿تُهِجِرُونَ﴾**<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص: ٣٦٩).

(٢) يُنظر: «التيسير»: (ص: ١٥٩)، و«التحبير»: (ص: ٤٧٦).

(٣) يُنظر: «الكامل» للهذلي: (ص: ٦٠)، و«المعني في القراءات»: (١٣١٨/٣).



مجموع القراءات: قراءتان: **﴿تَهْجِرُونَ﴾**, **﴿تَهْجُرُونَ﴾**.

توجيه القراءتين:

اختلف العلماء في توجيهه: **﴿تَهْجِرُونَ﴾**, و **﴿تَهْجُرُونَ﴾** بين اتحاد المعنى أو اختلافه على قولين:

القول الأول: أنَّهما بمعنى <sup>(١)</sup>.

القول الثاني: أنَّ لكُلَّ منهما معنى <sup>(٢)</sup>.

توجيه القول الأول: أنَّهما بمعنى، وهمما: من **الهُجْر**، أي: الإفحاش في المِنْطَق، والسيء من القول، يعني: **تقولون الْهُجْر** في النبي ﷺ والقرآن <sup>(٣)</sup>.

توجيه القول الثاني: وذلك من وجهين:

الوجه الأول: وجه مَنْ قرأ: **﴿تَهْجِرُونَ﴾**: أَنَّهُ من **الهُجْر**، أي: فُحْش المِنْطَق، ويعضده قوله ﷺ: «أَلَا إِنِّي قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنِ الْمِنْطَقِ ثُمَّ بَدَأْتُ أَنْفِسَكُمْ عَنِ زِيَارَةِ الْقِبْوَرِ، ثُمَّ بَدَأْتُ أَنْهَا تُرْقِيَ الْقَلْبَ، وَتَدْمُعُ الْعَيْنَ، وَتَذَكَّرُ الْآخِرَةَ، فَزُوْرُوهَا وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا ...» <sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: «مفاتيح الأغاني»: (ص: ٢٩٢)، و«الشفاء في علل القراءات»: (٢٧٩/٢).

(٢) يُنظر: «تفسير الطبرى»: (١٩/٥٤)، و«معانى القرآن» للتحاس: (٤/٤٧٦)، و«حججة ابن خالويه»: (ص: ٢٥٨).

(٣) يُنظر: «الصحاح»: (٨٥١/٢) (هجر)، و«مفاتيح الأغاني»: (ص: ٢٩٢)، و«تفسير البغوى»: (٤٢٣/٥).

(٤) أخرجه أَحْمَدُ فِي «مسنده»: (١٤١/٢١) بِرَقْمٍ: (١٣٤٨٧)، وَقَالَ أَبْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «الْتَّمَهِيدِ»: (٢١٤/٣): «وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيفٌ».

الوجه الثاني: وجهٌ من قرأ: **﴿تَهْجُرُونَ﴾**، وذلك على مذهبين<sup>(١)</sup>:

المذهب الأول: أنه من الهَجْر، وهو: الترك، يقال: هجره هَجْرًا و هجرانًا، إذا تركه، والمعنى: تهجرن النبي ﷺ والقرآن بالإعراض عنهم.

المذهب الثاني: أنه من الهَجْر، وهو: الهذيان، يقال: هجر في نومه يَهْجُرُ هَجْرًا، إذا هذى، والمعنى: يقولون في النبي ﷺ والقرآن ما لا يضره وما لا فائدة منه كالهذيان.

### ◆ القول الراجح من القولين:

**لعلَّ القول الراجح - والله أعلم - هو:** أنَّ المعاني المذكورة في اختلاف العلماء بين اتحاد القراءتين في المعنى أو اختلافهما كلها محتملة بدلالة اللفظ وتصريفه وأصل اشتقاقه وسياق الآية والنظائر القرآنية والأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ؛ فالقراءاتان تحتملان أن تكونا من: (الهَجْر)، أي: فُحش القول وسيئه، وتحتمل قراءة: **﴿تَهْجُرُونَ﴾**: أن تكون من: (الهَجْر)، وهو: الترك، ويراد به أيضًا: الهذيان؛ فيتتحققُ من مجموع القراءتين: أنَّهم كانوا يجتمعون حول البيت ليلاً يسمرون، وكانت عامة سمرهم: إعراضهم عن النبي ﷺ والقرآن؛ وذلك بذكرهما بالسيء من القول، وتسميتهم القرآن سحرًا وشَعْرًا، وأنَّ النبي ﷺ ساحر وشاعر، وغير ذلك مما لا فائدة منه كالهاذلي الذي يهذى في نومه ومرضه.

ولو أنعمنا النظر في سياق الآيات والنظائر القرآنية والأحاديث الصحيحة عن

(١) يُنظر: «تفسير الطبرى»: (١٩/٥٤)، و«معانى القرآن» للزجاج: (٤/١٨)، و«الدرة الفريدة»: (٤/٤٣٢).



النبي ﷺ الدالة على تلك المعاني المذكورة في توجيه القراءتين؛ لتبيّن لنا صحتها، وأنه لا ضير من القول بمقتضى جميعها.

في: (الصحاح) للجوهري (ت ٣٩٣هـ): «الهَجْرُ: ضد الوصل، وقد هَجَرَهُ هَجْرًا وهَجْرَانًا، والاسم: الْهَجْرَةُ، والهَجْرَتان: هَجْرَةُ إِلَى الْحَبْشَةِ، وَهَجْرَةُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَالْمُهَاجِرَةُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ: تَرْكُ الْأُولَى لِلثَّانِيَةِ، وَالْتَّهَاجُرُ: التَّقَاطُعُ، وَالْهَجْرُ أَيْضًا: الْهَذِيَانُ، وَقَدْ هَجَرَ الْمَرِيضُ يَهْجُرُ هَجْرًا، فَهُوَ هَاجِرٌ، وَالْكَلَامُ مَهْجُورٌ ... وَالْهَجْرُ بِالضِّمْنِ: الْأَسْمَاءُ مِنْ إِلْهَاجَارِ، وَهُوَ إِلْفَحَاشُ فِي الْمَنْطَقِ»<sup>(١)</sup>.

وقال المتَّبِّجُ الْهَمْذَانِي (ت ٦٤٣هـ): «وَجْهُ مَنْ قَرَأَ: تَهْجِرُونَ<sup>﴿١﴾</sup>: أَنَّهُ جَعَلَهُ مِنْ إِلْهَاجَارِ، وَهُوَ إِلْفَحَاشُ فِي الْمَنْطَقِ، يَقَالُ: أَهَجَرَ فَلَانٌ يَهْجُرُ إِلْهَاجَارًا، إِذَا نَطَقَ بِالْفَحْشَ، وَوَجْهُ مَنْ قَرَأَ: نَهْجِرُونَ<sup>﴿٢﴾</sup>: أَنَّهُ مِنْ الْهَجْرِ، وَهُوَ التَّرْكُ، يَقَالُ: هَجَرَ فَلَانٌ فَلَانًا يَهْجُرُ هَجْرًا وهَجْرَانًا، إِذَا تَرَكَهُ، عَلَى مَعْنَى: تَهْجِرُونَ بَيْتِي وَكَتَابِي، أَوْ مِنْ الْهَجْرِ، وَهُوَ الْهَذِيَانُ، يَقَالُ: هَجَرَ فَلَانٌ فِي نُومِهِ يَهْجُرُ هَجْرًا، إِذَا هَذِيَ .. وَقِيلَ: هَمَا لَغَتَانِ بِمَعْنَى»<sup>(٢)</sup>.

### ◆ الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية:

١) إذا كانت المعاني يؤيّدُها تصريفُ اللفظ وأصلُ اشتقاءه؛ فلا وجه للحكم بعضها بأنه أولى<sup>(٣)</sup>.

(١) «الصحاح»: (٢/٨٥١) (هجر).

(٢) «الدرة الفريدة»: (٤/٤٣٢).

(٣) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص: ٥١١).



٢) إذا كانت المعاني تنصرها قرائن في السياق؛ فالقول بمقتضى تلك المعاني جميعها أولى<sup>(١)</sup>.

٣) إذا كانت المعاني تؤيدها النظائر القرآنية والأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ الدالة عليها؛ فلا وجه للحكم لبعضها بأنه أولى<sup>(٢)</sup>.

٤) أبلغ الكلام أوجزه في تمام<sup>(٣)</sup>؛ فقراءة: ﴿تَهْجُرُونَ﴾ انطوت على ثلاثة معانٍ لطيفة، وهي: الترك، والهذيان، وفحش القول.

٥) في القراءتين إشارة إلى أن فحش القول وسيئه لا يجتمع مع طهارة الكلام الله وحسنه؛ فالقرآن لا يحيي إلا أصحاب القلوب النقيّة، وأرباب الألسن الزكية، وهي قلوب المتقين، وألسنة الصالحين، قال الله: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]، ومن الأصول العملية المعينة على التدبر: البعد عن فاحش القول والعمل.

٦) في قراءة: ﴿تَهْجُرُونَ﴾: تعريض بمن يهجر كتاب الله تلاوةً وحفظاً وتدبراً وعملاً به، والتعريض نوع من الكنية، والكنية أسلوب بياني مأثور.

٧) في قراءة: ﴿تَهْجُرُونَ﴾: إشارة إلى العناية بتدبر القرآن وفهم معانيه؛ لأنَّ الذي يقرأ القرآن دون تدبر وفهم لمعانيه كالذي يهذى بكلام لا يفهم ولا معنى له بقرينة قوله بعدها: ﴿لَمَّا يَدَّبَرُوا الْقُوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَبْأَءَهُمُ الْأَوَّلَيْنَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، ومن الأصول العملية المعينة على التدبر: تلاوته بتفهُّم وتمهُّل.

(١) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص: ٢٩٩).

(٢) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص: ٣١٢).

(٣) يُنظر: «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية» للدكتور طلال بن أحمد بن علي: (ص: ٤٠).



٨) الاحتجاج للقراءة بالسنة يبين العلاقة القوية بين القراءات القرآنية والسنة النبوية؛ فقراءة: **﴿تُهْجِرُونَ﴾** احتُجَّ لها بالسنة النبوية المطهرة كما بِّينَ.

٩) القراءة الشاذة: **﴿تُهْجِرُونَ﴾** تؤيّد وتنصر القراءة المتواترة: **﴿تُهْجِرُونَ﴾** بلفظها ومعناها.

١٠) إسهام القراءات في معرفة أصول استقاق الألفاظ؛ لأنَّ الاعتناء بالأصل الاستقافي من المسائل المهمة لمن يوجه القراءات، ومعرفته تزيد الموجَّه عمّا في معرفة دلالات الألفاظ، ومعرفة مناسبة توجيهات أهل العلم لأصل اللفظ.

وأما القسم الثاني، وهو: أن تكون الأقوال محتملة، وليس بينها تعارض، غير أنَّ بعضها أولى من بعض؛ لكون القرآن ودلالة ألفاظه تشهد لقول دون غيره، أو السنة تشهد لأحدهما، أو لغة العرب، أو قرائن في السياق، أو حجج أخرى تقضي بتقديم أحد الأقوال، وهذا ما يسمى بتقديم الأولى.

ويتجلى هذا في المثالين الآتيين:

❖ المثال الأول: قوله: **﴿وَاجْوَاهُهُمْ يَمْدُونَهُمْ فِي الْعَيْنِ ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ﴾** [الأعراف: ٢٠٢].

اللفظ القرآني المختلف فيه: **﴿يَمْدُونَهُمْ﴾**.

القراءات الواردة فيه مما اتحدت حروفها: وذلك على النحو التالي:

**أولاً:** القراء العشرة: قرأ المدニيَان بضمِّ الياء وكسر الميم: **﴿يُمْدُونَهُمْ﴾**، والباقي بفتح الياء وضمِّ الميم: **﴿يَمْدُونَهُمْ﴾** (١).

(١) يُنظر: «النشر»: (٢/٢٧٥)، و«التحبير»: (ص: ٣٨٢).



ثانية: سوى القراء العشرة: قرأ ابن محيصن (ت ١٢٣ هـ) بضم الياء وكسر الميم: **يُمْدُونَهُمْ** <sup>(١)</sup>.

مجموع القراءات: قراءتان: **يُمْدُونَهُمْ**، **يَمْدُونَهُمْ**.

توجيه القراءتين:

اختلاف العلماء في توجيهه: **يُمْدُونَهُمْ**، **يَمْدُونَهُمْ** بين اتحاد المعنى أو اختلافه على قولين:

القول الأول: أنَّهما بمعنى <sup>(٢)</sup>.

القول الثاني: أنَّ لكلَّ منهما معنى <sup>(٣)</sup>.

توجيه القول الأول: أنَّهما بمعنى، يُقال: مَدَ وَأَمَدَ، أي: الجر والإطالة والإعانة والزيادة <sup>(٤)</sup>.

توجيه القول الثاني: وذلك على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: أنَّ (مَدَ) يكون في الشر والمكر و(أَمَدَ) يكون في الخير والمحبوب <sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: «الكامل» للهذلي: (ص: ٥٥٧)، و«المعنى في القراءات»: (٢/ ٨٧٣).

(٢) يُنظر: «مفاتيح الأغاني»: (ص: ٢٩٢)، و«الشفاء في علل القراءات»: (٢/ ٢٧٩).

(٣) يُنظر: «تفسير الطبرى»: (١٩/ ٥٤)، و«معانى القرآن» للتحاس: (٤/ ٤٧٦)، و«حججة ابن خالويه»: (ص: ٢٥٨).

(٤) يُنظر: «تفسير البغوى»: (٣/ ٣١٨)، و«تفسير الرازى»: (١٥/ ٤٣٨).

(٥) يُنظر: «معانى القراءات»: (٤/ ٤٣٤)، و«الحجفة» لأبي علي الفارسي: (٤/ ١٢٢).



المذهب الثاني: أنَّ (مَدَّ) إذا أعانه بنفسه ومن جنسه، و(أَمَدَّ) إذا أعانه وكثَرَه (١).  
بغيره

المذهب الثالث: أنَّ (مَدَّ) إذا جَرَّه في الغيِّ، و(أَمَدَّ) إذا زاده غيَّاً (٢).

### ◆ القول الراجح من القولين:

**لعلَّ القول الراجح - والله أعلم - هو:** أنَّ لـكُلَّ من القراءتين معنى، وأنَّ المعاني المذكورة في اختلاف هذا المعنى كلها محتملة ومتقاربة؛ لأنَّ مراعاة سياق الآية أولى، وحمل معاني القرآن على الغالب من أسلوبه ومعهود استعماله أولى؛ فقراءة: **يُمَدُّونَهُمْ** مِن: (مَدَّ)، ويكون في الشر والمكر وء، ونظيرها: قوله تعالى: **وَيَمْدُدُهُمْ** في طَعْيَنِهِمْ يَعْمَهُونَ [البقرة: ١٥:١٥]، قوله: **وَنَمِدُّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ مَدَّا** [مريم: ٧٩:٧٩]، وغيرهما، وقراءة: **يُمَدُّونَهُمْ** مِن: (أَمَدَّ)، ويكون في الخير والمحبوب، ونظيرها: قوله تعالى: **وَأَمَدَّنَتْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ** [الإسراء: ٦:٦]، قوله: **وَأَمَدَّنَتْهُمْ بِفَكَاهَةٍ وَلَحِمٍ مَمَّا يَشَتَّهُونَ** [الطور: ٢٢:٢٢]، وغيرهما، والعرب تقول: مددته في غيَّه، وأمدَّته بخييل ورجال، وأصلهما اللغوي يدلُّ على الجر والإطالة والزيادة المتصلة واتصال شيء بشيء في استطالة، فيكون معنى الآية قائماً على أنَّهم لا يزالون يزيدون بهم في الغيِّ، ويجرُّونهم إلى الخزي بذنب بعد ذنب، ويعينونهم على ذلك، ولا يمسكون حتى يستمرُّوا عليه (٣).

(١) يُنظر: «تفسير الطبرى»: (١٣/٣٤٠)، و«الصحاح»: (ص: ٢٩٢) (مدد)، و«الشافى»: (٢/٣١٥)، و«مفاتيح الأغاني»: (ص: ١٨٨).

(٢) يُنظر: «حجة ابن زنجلة»: (ص: ٣٠٦).

(٣) يُنظر: «مقاييس اللغة»: (٥/٢٦٩)، و«شرح الهدایة»: (ص: ٣١٩)، و«تفسير ابن عطیة»: =



**فَإِنْ قِيلَ:** كَيْفَ الْجَمْعُ فِي الْآيَةِ بَيْنَ الْغَيِّ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى الْضَّلَالِ وَالشَّرِّ وَالْمَكْرُوْهِ، وَبَيْنَ قِرَاءَةِ: **يُمِدُّونَهُمْ** الدَّالَّةُ عَلَى الْخَيْرِ وَالْأَمْرِ الْمُحْبُّ؟

**قِيلَ:** هُوَ اسْتِعْرَاثٌ تَهْكِمِيَّةٌ، قَالَ أَبُو عَلَيِّ الْفَارَسِيُّ (ت ٣٧٧هـ): «أَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: **فَبَشِّرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**» [آل عمرَان: ٢١]، وَقَوْلُهُ: **فَسَيِّسُهُ لِلْعَسْرَى** [اللَّيل: ١٠] <sup>(١)</sup>، وَقَالَ الْمَهْدُوِيُّ (ت ٤٤٠هـ): «وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي مَوْضِعِ الْآخِرِ عَلَى الْاَتْسَاعِ، كَمَا اسْتَعْمَلَتِ الْبَشَارَةُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ» <sup>(٢)</sup>، وَقَالَ ابْنُ أَبِي مَرِيمٍ (ت ٥٦٥هـ): «وَالْوَجْهُ أَنَّهُ إِنْ كَانَ الْإِمْدَادُ يُسْتَعْمَلُ فِيمَا يُحِبُّ وَيُسْتَحِبُّ، فَهُوَ هُنْدًا عَلَى الْمَجَازِ وَالْتَّشْيِيْهِ» <sup>(٣)</sup>.

### ◆ الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية:

(١) إِدْخَالُ الْكَلَامِ فِي مَعْنَى مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ أَوْلَى مِنَ الْخَرْوَجِ بِهِ عَنْهُمَا <sup>(٤)</sup>، وَهُوَ مِنَ الْأَصْوَلِ الْعُلْمِيَّةِ الَّتِي يُعْتَدِّ عَلَيْهَا فِي تَدْبِرِ كَلَامِ اللَّهِ وَفَهْمِهِ، قَالَ شِيخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تِيمِيَّةَ (ت ٧٢٨هـ): «فَمَنْ تَدْبِرَ الْقُرْآنَ، وَتَدْبِرَ مَا قَبْلَ الْآيَةِ وَمَا بَعْدَهَا، وَعْرَفَ مَقْصُودَ الْقُرْآنِ؛ تَبَيَّنَ لَهُ الْمَرَادُ، وَعْرَفَ الْهَدَى وَالرَّسَالَةُ، وَعْرَفَ السَّدَادُ مِنَ الْانْحِرَافِ وَالْأَعْوَجَاجِ» <sup>(٥)</sup>.

= (٤٩٣/٢)، وَ«لِسَانُ الْعَرَبِ»: (٣٩٦/٣) (مَدَدُ)، وَ«الدَّرُّ الْمَصْوُنُ»: (١٤٩/١)، وَ«الْتَّحْرِيرُ وَالْتَّنْوِيرُ»: (٢٣٥/٩).

(٦) «الْحَجَّةُ» لِلْفَارَسِيِّ: (١٢٣/٤).

(٧) «شَرْحُ الْهَدَايَا»: (ص: ٣٢٠).

(٨) «الْمَوْضِحُ»: (ص: ٥٧٠).

(٩) يُنْظَرُ: «قَوَاعِدُ التَّرْجِيْحِ عَنْدَ الْمُفَسِّرِيْنَ» لِلْدَّكْتُورِ حُسَيْنِ الْحَرَبِيِّ: (ص: ١٢٥).

(١٠) «مَجْمُوعُ الْفَتاوَىٰ»: (٩٤/١٥).



٢) حمل كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك<sup>(١)</sup>، وهذا من الأصول والقواعد العلمية التي تفضي إلى تدبر كلام الله وفهم معانيه والإسفار عن دلالاته، قال الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ): «من أنواع البيان التي تضمنها هذا الكتاب المبارك: الاستدلال على أحد المعاني الداخلة في معنى الآية بكونه هو الغالب في القرآن، فغلبته فيه دليل استقرائي على عدم خروجه من معنى الآية»<sup>(٢)</sup>.

٣) في قراءة: ﴿يُمْدُونَهُم﴾ الدالة على الخير والأمر المحبوب: استعارة تهكمية بقرينة قوله: ﴿فِي الْغَيِّ﴾، كما أَنَّ في قوله تعالى: ﴿فَيَشَرُّهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]: استعارة تهكمية بقرينة قوله: ﴿بِعَذَابٍ﴾؛ لأنَّ البشرة تدلُّ على الخير والسرور<sup>(٣)</sup>.

٤) لا يزال الشيطان يجُرُّ إخوانه في الغيِّ والضلال كما تدلُّ عليه قراءة: ﴿يُمْدُونَهُم﴾، ثم لا يكتفي بذلك، بل لا يزال يُمْدُهم في الغي ذنباً بعد ذنب، ولا يقصر عن ذلك كما تدلُّ عليه قراءة: ﴿يُمْدُونَهُم﴾، ولو أَنَّهم استعادوا بالله والتجلُّوا إليه إذ نزغهم منه نزغاً؛ لحمائهم من نزغاته، ووقاهم من وسواته، قال الله: ﴿وَإِمَّا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَرُّ فَاسْتَعِذُ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

٥) لا ينفكُ الشيطان بالإنسان حتى يُمْدَدُ في الغيِّ، وإلا أَمْدَهُ بأوليائه وأعوانه من شياطين الإنسان والجن، وليس يحول بينه وبينهم إلا تقوى الله؛ فإن مسَّه منهم

(١) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص: ١٧٢).

(٢) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»: (٣/٤٧٨).

(٣) يُنظر: «الحجّة» للفارسي: (٩/٢٣٥)، و«التحرير والتنوير»: (٩/١٢٣).

طيفٌ تذَكَّرَ فَأَبْصَرَ فَحَذَرَ فَسَلَمَ، إِنْ زَلَّ تَابَ وَأَنَابَ، قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَتَقْوَى إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبَصِّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] (١).

٦) في قراءة: ﴿يُمْدُونَهُمْ﴾ مطابقة مع: ﴿يُقْصِرُونَ﴾، والطباقي من المحسنات الدالة على جمال لغة القرآن.

٧) القراءة الشاذة: ﴿يُمْدُونَهُمْ﴾ تؤيد وتنصر القراءة المتواترة: ﴿يُمْدُونَهُمْ﴾ بلفظها ومعناها، ومن أبصر كتب توجيه القراءات وجد اهتماماً بالغاً بالاحتجاج للقراءة المتواترة بالقراءة الشاذة؛ حيث يُرددون القراءة المتواترة بشاذة تكون لها عاضدة ومؤيدة ومفسرة، وهذا في كتبهم كثير ووفير.

٨) إسهام القراءات في معرفة أصول اشتقاق الألفاظ؛ لأنَّ الاعتناء بالأصل الاشتقاقي من المسائل المهمة لمن يوجه القراءات، ومعرفته تزيد الموجَّه عمقاً في معرفة دلالات الألفاظ ومعرفة مناسبة توجيهات العلماء لأصل اللفظ.

٩) الوصول إلى مراد الله من كلامه لا يتأتى إلا بالنظر فيه عبر ثلاثة مستويات: مستوى الوضع اللغوي، ومستوى معهود العرب، ومستوى معهود القرآن، ويبقى معهود القرآن الصدارة على جميعها في تقرير المعنى (٢).

❖ **المثال الثاني:** قوله: ﴿وَمَا يَنْظُرُهُؤْلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَجَهَّةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقِ﴾ [ص: ١٥].

**اللفظ القرآني المختلف فيه:** ﴿فَوَاقِ﴾.

**القراءات الواردة فيه مما اتَّحدَتْ حِرَوفُهَا:** وذلك على النحو التالي:

(١) يُنظر: «تفسير المنار»: (٩/٤٥٩).

(٢) يُنظر: «عربية القرآن الكريم بين معهود العرب ومعهود القرآن» لبشرى باحي: (ص: ٢١٣).



أولاً: القراء العشرة: قرأ الأخوان وخلف بضم الفاء: **فُوَاقٍ**، والباقي  
بفتحها: **فَوَاقٍ** <sup>(١)</sup>.

ثانياً: سوى القراء العشرة: قرأ الأعمش (ت ١٤٨ هـ) بضم الفاء: **فُوَاقٍ** <sup>(٢)</sup>.

مجموع القراءات: قراءتان: **فُوَاقٍ**، **فَوَاقٍ**.

توجيه القراءتين:

اختلف العلماء في توجيهه: **فُوَاقٍ**، **فَوَاقٍ** بين اتحاد المعنى أو اختلافه على قولين:

القول الأول: أنَّهما بمعنى <sup>(٣)</sup>.

القول الثاني: أنَّ لكلَّ منهما معنى <sup>(٤)</sup>.

توجيه القول الأول: أنَّهما لغتان بمعنى، يُقال: **فُوَاقٍ** و**فَوَاقٍ** بمعنى واحد، أي: ما لها من توقف قدر **فُوَاقٍ** و**فَوَاقٍ** الناقة، وهو ما بين حلبي الحلب؛ لأنَّها تُحلب، وتُترك ساعة حتى يعود اللبن، نحو: قصاصات الشعر وقصاصاته، والضم: لغة تميم وقيس، والفتح: لغة أهل الحجاز <sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: «التسهير»: (ص: ١٨٧)، و«التحبير»: (ص: ٥٣١).

(٢) يُنظر: «الكامل» للهذلي: (ص: ٦٢٨)، و«المغني في القراءات»: (٤/ ١٥٧٩).

(٣) يُنظر: «مفاتيح الأغاني»: (ص: ٢٩٢)، و«الشفاء في علل القراءات»: (٢٧٩/ ٢).

(٤) يُنظر: «تفسير الطبرى»: (١٩/ ٥٤)، و«معانى القرآن» للنحاس: (٤/ ٤٧٦)، و«حججة ابن خالويه»: (ص: ٢٥٨).

(٥) يُنظر: «معانى القرآن» للزجاج: (٤/ ٣٢٣)، و«الكشف» لمكي بن أبي طالب: (٢/ ٢٣١).



توجيه القول الثاني: وذلك على وجهين<sup>(١)</sup>:

الوجه الأول: وجہ قراءة الضم: أنها مأخوذه من: فُوّاق الناقة، وهو ما بين الحلبتين، وهو يُؤول إلى الرجوع، ومنه: قولهم: أفق المريض، إذا رجع إلى صحته، أي: ما لها من رجوع.

الوجه الثاني: وجہ قراءة الفتح: أنها بمعنى: ما لها من راحة، ومنه: قولهم: أفق المريض، إذا استراح.

### ◆ القول الراجح من القولين:

**لعلَّ القول الراجح - والله أعلم - هو: أنَّ القراءتين بمعنى، أي: ما لها من توقيف قدر فُوّاق وفَوَاق الناقة، وهو القول الذي جنح إليه الطبرى (ت ٣١٠ هـ) قائلاً بعد أن ذكر خلاف أهل العربية في معناهما: «والصواب من القول في ذلك: أنَّهما لغتان؛ وذلك أنَّا لم نجد أحداً من المتقدمين على اختلافهم في قراءته يفرّقون بين معنى الضم في الفتح، ولو كان مختلف المعنى باختلاف الفتح فيه والضم؛ لقد كانوا فرقوا بين ذلك في المعنى، فإذا كان ذلك كذلك؛ فبأيِّ القراءتين قرأ القارئ فمصيب، وأصل ذلك من قولهم: أفق الناقة، فهي تفيق إفاقه؛ وذلك إذا ردت ما بين الرضعتين ولدها إلى الرضعة الأخرى، وذلك أن ترضع البهيمة أمها، ثم تتركها حتى ينزل شيء من اللبن، فتلك الإفاقه، يُقال إذا اجتمع ذلك في الضرع: (فيقة)<sup>(٢)</sup>.**

(١) يُنظر: «مجاز القرآن»: (١٧٩/٢)، و«الكتاب المختار»: (٧٥٧/٢)، و«الشفاء» للبخاري: (٤٣٠/٢).

(٢) «تفسير الطبرى»: (٢١/١٦٢).



وقال السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ): «والمشهور: أنهما بمعنى واحد، كـ(قصاص الشّعر وقصاصه)»<sup>(١)</sup>.

ولو أنعمت النظر في المعاني المذكورة في اختلاف القراءتين بين اتحادهما في المعنى أم اختلافهما؛ لتجلّى لك أنهما متقاربة، وأنّها تنهل من نفس المعين، وترتّوي من ذات الكأس؛ وذاك لأنَّ الفاء والواو والكاف أصل صحيح يدلُّ على أوبة ورجوع<sup>(٢)</sup>، وعليه: فقراءة: **فُوَاقٍ** مِن: فُوَاق الناقة، وهو ما بين الحلبيتين، وهو يُؤول إلى الرجوع الذي هو أحد معاني قراءة: **فَوَاقِي**؛ لأنَّ اللبن يرجع إلى الضرع بعد الحلبة الأولى فيما بين الحلبيتين، ويُؤول كذا إلى المعنى الآخر لقراءة: **فَوَاقِي**: أنهَا بمعنى: الراحة؛ لأنَّ ما بين الحلبيتين راحة حتى يرجع اللبن إلى الضرع، والمعنى: أنَّ تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم إذا جاءت لم تُرَدَّ ولم تصرف، وليس لها رجوع ولا إمهال، وهي صيحة واحدة لا تُثْنَى ولا تُكرَر.

#### ◆ الفوائد العلمية، واللطائف التدبرية:

- ١) إذا كانت المعاني تؤيدها دلالة اللفظ وأصل اشتقاقه؛ فلا وجه للحكم بعضها بأنه أولى<sup>(٣)</sup>.
- ٢) إذا كانت المعاني تؤيدها قرائن في السياق؛ فالقول بمقتضى تلك المعاني جميعها أولى<sup>(٤)</sup>.

(١) «الدر المصنون»: (٩/٣٦٤).

(٢) يُنظر: «مقاييس اللغة»: (٤/٤٦١) (فوق)، و«الصحاح»: (٤/١٥٤٦) (فوق).

(٣) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص: ٣٤٩).

(٤) يُنظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» للدكتور حسين الحربي: (ص: ٢٩٩).



(٣) في القراءتين تقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس؛ حيث عبر عن الصيحة بفوق الناقة في عدم رجوعها وإمهالها وإفاقتها؛ لأنها أثبتت في الأذهان، وفيهما تقريب الغائب بالشاهد، والخفي بالجلي.

(٤) لما كانت الناقة تتنظم في نظر جمهور العرب من أهل تهامة والحجاز ونجد، وأمثالها من بلاد أهل الوبر والانتجاج؛ حسُنَ اقتران قصر زمن الفوّاق بالصيحة التي لا رجوع فيها ولا إمهال ولا راحة، وكم قد جرى ذكرها وصفاتها وحمدها في شعرهم، ولا تكاد تخلو قصيدة عن وصفها ومزاياها<sup>(١)</sup>.

(٥) على قراءة الضمّ مجاز مفرد بالاستعارة حيث استعيرت: لتشبيه قصر الزمن بعد النفخة بقصر زمن الفوّاق، والقرينة الصرافية: حالية؛ لأنَّ حال الناس في تلك الساعة ليس حال حلب ناقة، والعلاقة: المشابهة، وهذا من محسنات علم المعاني الدالة على روعة القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>.

(٦) المبادرة إلى الصالحات والخيرات ما دمنا في زمن الإمهال والرجوع والتأخير قبل أن لا يكون هناك إمهال ولا رجوع ولا تأخير، قال الله: ﴿إِذَا جَاءَهُمْ فَلَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩].

(٧) القراءة الشاذة: ﴿فُوَاقٍ﴾ تؤيد وتنصر القراءة المتواترة: ﴿فُوَاقٍ﴾ بلفظها ومعناها، ومن أبصر كتب توجيه القراءات وجد اهتماماً بالغاً بالاحتجاج للقراءة المتواترة بالقراءة الشاذة؛ حيث يُرددون القراءة المتواترة بشاذة تكون لها عاصدة ومؤيدة ومفسرة، وهذا في كتبهم كثير وفير.

(١) يُنظر: «التحرير والتنوير»: (٣٠٥/٣٠).

(٢) يُنظر: «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية» للدكتور طلال بن أحمد بن علي: (ص: ٥٩).



٨) إسهام القراءات في معرفة أصول اشتقاق الألفاظ؛ لأنَّ الاعتناء بالأصل الاشتقاقي من المسائل المهمة لمن يوجه القراءات، ومعرفته تزيد الموجَّه عمّا في معرفة دلالات الألفاظ ومعرفة مناسبة توجيهات العلماء لأصل اللفظ.





## الخاتمة

حمدًا لله تعالى على الانتهاء والتمام، وصلوةً وسلامًا على أشرف الأنام، وآله وصحبه الكرام .. وبعد:

فأماماً وقد أُنجز الموعود، وبلغ البحث المقصود، بقي أن أعرض أبرز ما خلص إليه البحث من: نتائج، وتحصيات.

### ◆ فاما النتائج، فأوجز ذكرها فيما يلي:

١] تدبر القراءات يعتمد بشكل كبير على توجيه القراءات؛ فتدبرها فرع من توجيهها، وثمرة من ثماره.

٢] العناية بدلالات ألفاظ القراءات من حروف وحركات من أصول تدبر القراءات.

٣] إتقان اللسان العربي الذي نزل به القرآن من الأصول العلمية المفضية إلى إدراك إعجاز القراءات.

٤] الحركة البنائية للفظ القرآني لها أهميتها البالغة في تحديد المعنى والإسفار عن دلالاته ودقة تعبيراته.

٥] القراءات مستودع ووعاء لكثير من لغات العرب، بل هي من مصادرها الأصلية.



٦] النظر إلى ما وراء الألفاظ من حروف وحركات من المعاني والعبارات المقاصد هو الذي يثمر العلم النافع والعمل الصالح، وهو المقصود الأعظم من تنزيل القرآن العظيم.

#### ♦ وأما التوصيات، فأوجز ذكرها فيما يلي:

١] العناية البخشية بالجانب التدريسي للقراءات؛ لأنَّه باب عظيم يمكن أن تُكتب فيه رسائل وبحوث علمية.

٢] حث المقرئين الفضلاء والقراء النبلاء والمختصين بالقراءات وعلوها من أهل العلم والفضل بالاهتمام في دروسهم ومحاضراتهم ومقارئهم وحلقاتهم بتدبر القراءات، وما يثمره من توجيهات إيمانية، ولطائف تربوية، وفوائد بيانية.

٣] الاهتمام بإتقان اللسان العربي المبين، وخاصة الجانب البلاغي؛ لأنَّه هو الجانب الأهم للقارئ المتدرب.

٤] العناية بكتاب علل القراءات؛ لأنَّها من الأصول العلمية المفضية إلى تدبر القراءات.

٥] تبني موسوعة علمية تهتم بالهدايات القرآنية في القراءات القرآنية، وتجمعها في مكان واحد؛ لتكون مرجعًا يسهل الرجوع إليها، والاستفادة منها.

وأحمد الله أولاً وآخرًا حمدًا كثيرًا، وهو تعالى كريم يعطي على القليل كثيرًا. ولا جَرَمَ أن كان الخطأ حالفني، أو الغلط رافقني، فذى بضاعة من خلق من عجل، ونبرة بنانه على وجَل؛ لذا أنا ألتمس ممَّن سلمت بصيرته، وطابت سريرته، أن يغضَّ الطرف عمَّا يرى من الإخلال والإجحاف، وأن ينظر إليه بعين الحلم



واللطف والإنصاف، فإن أحسنت فرميّةٌ من غير رام، وإن أخطأت فمعدرةً أطلّبها  
عند الكرام، والله الهادي إلى سواء السبيل.

والحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على رسوله الأمين.

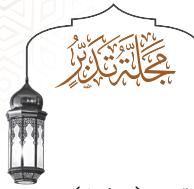




## ثَبَّتُ الْمَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ

- ١ «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم». أبو السعود، محمد بن محمد. د.ت. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.خ.
- ٢ «استخراج القواعد البلاغية من القراءات القرآنية - دراسة تطبيقية». طلال أحمد علي محمد. مجلة تدبر. (٩)، ١٤٤٢ هـ.
- ٣ «أصوات البيان في إيضاح القرآن بالقرآن». الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد. د.ت. د.ط. بيروت: دار الفكر، ١٤١٥ هـ.
- ٤ «إعراب القراءات الشواذ». العكاري، عبدالله بن الحسين. تحقيق: محمد السيد عزوز. د.ط، بيروت: عالم الكتب، د.خ.
- ٥ «البحر المحيط في التفسير». أبو حيان، محمد بن يوسف. تحقيق: صدقى محمد جميل. د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠ هـ.
- ٦ «التسهيل لعلوم التنزيل». الكلبي، محمد بن جزي. تحقيق: عبدالله الخالدي. ط١، بيروت: دار الأرقام بن أبي الأرقام، ١٤١٦ هـ.
- ٧ «التفسير المحرر للقرآن الكريم - سورة آل عمران». القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية. ط١، الظهران: مؤسسة الدرر السنية، ١٤٣٧ هـ.
- ٨ «التفسير المحرر للقرآن الكريم - سورة المائدة». القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية. ط١، الظهران: مؤسسة الدرر السنية، ١٤٣٧ هـ.
- ٩ «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد». ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوى أ محمد عبد الكبير البكري. د.ط، المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧ هـ.

- ١٠ - «التيسيير في القراءات السبع». الداني، عثمان بن سعيد. تحقيق: أوتو تريل. ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٤ هـ.
- ١١ - «الجامع في الهدایات القرآنية - الحزب الثالث من سورة البقرة». كرسي الهدایات القرآنية بجامعة أم القری ومؤسسة البناء العظيم بمکة المکرمة. ط١، د.خ.
- ١٢ - «الجامع في الهدایات القرآنية - الحزب الثاني من سورة البقرة». كرسي الهدایات القرآنية بجامعة أم القری ومؤسسة البناء العظيم بمکة المکرمة. ط١، د.خ.
- ١٣ - «الجامع في الهدایات القرآنية - سورة آل عمران». كرسي الهدایات القرآنية بجامعة أم القری ومؤسسة البناء العظيم بمکة المکرمة. ط١، د.خ.
- ١٤ - «الجامع في الهدایات القرآنية - سورة الأعراف». كرسي الهدایات القرآنية بجامعة أم القری ومؤسسة البناء العظيم بمکة المکرمة. ط١، د.خ.
- ١٥ - «الجامع في الهدایات القرآنية - سورة المائدة». كرسي الهدایات القرآنية بجامعة أم القری ومؤسسة البناء العظيم بمکة المکرمة. ط١، د.خ.
- ١٦ - «الجامع لأحكام القرآن». القرطبي، محمد بن أحمد. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤ هـ.
- ١٧ - «الحجۃ في القراءات السبع». ابن خالویه، الحسین بن أحمد. تحقيق: عبدالعال سالم مکرم. ط٤، بيروت: دار الشروق، ١٤٠١ هـ.
- ١٨ - «الحجۃ للقراء السبعة». الفارسی، الحسن بن أحمد. تحقيق: بدر الدين قهوجی وبشير جویجاتی. ط٢، دمشق - بيروت: دار المأمون للتراث، ١٤١٣ هـ.
- ١٩ - «الخصائص». الموصلی، عثمان بن جنی. د.ت. ط٤، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.خ.
- ٢٠ - «الدر المصون في علوم الكتاب المکنون». السمین الحلبي، أحمد بن يوسف. تحقيق: أحمد محمد الخراط. د.ط، دمشق: دار القلم، د.خ.
- ٢١ - «الدرة الفريدة في شرح القصيدة». الهمذانی، حسين بن أبي العز. تحقيق: جمال محمد



طلبة السيد. ط١، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٣٣ هـ.

٢٢ - «الشافى في علل القراءات». ابن القرّاب، إسماعيل بن إبراهيم، من الآية رقم: (١٤٠) من سورة البقرة إلى نهاية سورة يوسف. دراسة وتحقيق: سلطان أحمد الهديان. رسالة دكتوراه. المدينة المنورة: قسم القراءات، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ١٤٣٦ هـ.

٢٣ - «الشافى في علل القراءات». ابن القرّاب، إسماعيل بن إبراهيم، من أول الكتاب إلى آخر الآية رقم: (١٤٠) من سورة البقرة. دراسة وتحقيق: إبراهيم بن محمد السلطان. رسالة دكتوراه، المدينة المنورة: قسم القراءات، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية، ١٤٣٥ هـ.

٢٤ - «الشافى في علل القراءات». ابن القرّاب، إسماعيل بن إبراهيم، من بداية سورة الرعد إلى نهاية الكتاب. دراسة وتحقيق: أحمد عبدالله الزهراني. رسالة دكتوراه. المدينة المنورة: قسم القراءات، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ١٤٣٦ هـ.

٢٥ - «الشفاء في علل القراءات». البخاري، أحمد بن محمد، من أول الكتاب إلى آخر سورة يوسف. دراسة وتحقيق: صالح بن محمد العماري. رسالة دكتوراه. مكة المكرمة: قسم القراءات، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٣٧ هـ.

٢٦ - «الشفاء في علل القراءات». البخاري، أحمد بن محمد، من بداية سورة الرعد إلى نهاية الكتاب. دراسة وتحقيق: حبيب الله السلمي. رسالة دكتوراه. مكة المكرمة: قسم القراءات، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٣٧ هـ.

٢٧ - «الفروق الحركية في القرآن الكريم فيما اتحدت حروفه واختلفت حركاته لاختلاف معناه». الحكمي، شبيل أبو الغيث إبراهيم. ط١، المدينة المنورة: نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤٤٠ هـ.

٢٨ - «الفريد في إعراب القرآن المجيد». الهمذاني، حسين بن أبي العز. تحقيق: محمد نظام الدين الفتیح. ط١، المدينة المنورة: مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، ١٤٢٧ هـ.



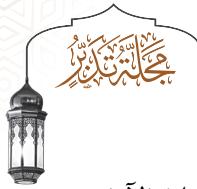
- ٢٩- «القراءات من قبيل اللغات بين اتحاد المعنى أو اختلافه - دراسة تطبيقية مقارنة». القرشي، عبدالله بن حماد. مجلة كلية التربية، جامعة طنطا. م (٤)، (٢)، ٢٠١٥ م.
- ٣٠- «الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها». الهذلي، يوسف بن علي. تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، ط ١، مصر: مؤسسة سما للنشر والتوزيع، ١٤٢٨ هـ.
- ٣١- «الكتاب المختار في معاني قراءات أهل الأمصار». ابن إدريس، أحمد بن عبيدة الله. تحقيق: عبدالعزيز الجهني. ط ١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٨ هـ.
- ٣٢- «الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها». ابن أبي مريم، نصر بن علي. تحقيق: عمر الكبيسي. ط ١، جدة: الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، ١٤١٤ هـ.
- ٣٣- «الكتاب». سيبويه، عمرو بن عثمان. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط ٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨ هـ.
- ٣٤- «الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل». الزمخشري، محمود بن عمر. د.ت. ط ٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ.
- ٣٥- «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها» القيسي، مكي بن أبي طالب. تحقيق: محبي الدين رمضان. ط ٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤ هـ.
- ٣٦- «المبهج في القراءات الثمان وقراءة الأعمش وابن محيسن و اختيار خلف واليزيدي». سبط الخياط، عبدالله بن علي. تحقيق: وفاء عبدالله فرمار. رسالة دكتوراه، السعودية: كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٤٠٥ هـ.
- ٣٧- «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز». ابن عطية، عبدالحق بن غالب. تحقيق: عبد السلام عبد الشافى محمد. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ.
- ٣٨- «المحكم والمحيط الأعظم». ابن سيده، علي بن إسماعيل. تحقيق: عبد الحميد هنداوى. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١ هـ.
- ٣٩- «المعنى في القراءات». النزاوازي، محمد بن أبي نصر. تحقيق: محمود بن كابر الشنقيطي. ط ١، الرياض: تبيان للدراسات القرآنية، ١٤٣٩ هـ.



- ٤٠ - «النشر في القراءات العشر». ابن الجزري، محمد بن محمد. تحقيق: علي بن محمد الضياع. د.ط، مصر: المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتب العلمية، د.خ.
- ٤١ - «أنوار التنزيل وأسرار التأويل». البيضاوي، عبدالله بن عمر. تحقيق: محمد المرعشلي. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨ هـ.
- ٤٢ - «تحبير التيسير في القراءات العشر». ابن الجزري، محمد بن محمد. تحقيق: أحمد محمد القضاة. ط١، الأردن: دار الفرقان، ١٤٢٠ هـ.
- ٤٣ - «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. د.ت. د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م.
- ٤٤ - «تدخل الأصوات العربية وأثره في بناء المعجم». الصاعدي، عبدالرزاق بن فراج. ط١، المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٢ هـ.
- ٤٥ - «تفسير القرآن الكريم - الفاتحة والبقرة». العشيمين، محمد بن صالح. ط١، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢٣ هـ.
- ٤٦ - «تفسير القرآن الكريم - سورة آل عمران». العشيمين، محمد بن صالح. ط٣، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٣٥ هـ.
- ٤٧ - «تفسير المنار». الحسيني، محمد رشيد علي رضا. د.ت. د.ط، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
- ٤٨ - «جامع البيان في تأويل القرآن». الطبرى، محمد بن جرير. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ.
- ٤٩ - «حججة القراءات». ابن زنجلة، عبدالرحمن بن محمد. تحقيق: سعيد الأفغاني. د.ط. بيروت: دار الرسالة، د.خ.
- ٥٠ - «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». الألوسي، شهاب الدين بن محمود. تحقيق: علي عبد الباري عطية. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ.
- ٥١ - «زاد المسير في علم التفسير». ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي. تحقيق: عبد الرزاق



- المهدي. ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- ٥٢ - «شرح الهدایة». المهدوی، أَحْمَدْ بْنُ عَمَارٍ. تَحْقِيق: حَازِمُ سَعِيدُ حِيدَرٍ، د. ط، الْرِّيَاضُ: مَكْتَبَةُ الرَّشْدِ، ١٤١٥ هـ.
- ٥٣ - «شواذ القراءات». الْكَرْمَانِيُّ، مُحَمَّدْ بْنُ أَبِي نَصْرٍ. تَحْقِيق: شَمْرَانُ الْعَجْلَىِ، د. ط، بيروت: مؤسسة البلاغ، ٢٠٠١ م.
- ٤٤ - «صحيح البخاري». الْبَخْرَىِ، مُحَمَّدْ بْنُ إِسْمَاعِيلٍ. تَحْقِيق: مُحَمَّدْ زَهِيرُ بْنُ نَاصِرِ النَّاصِرِ. ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢ هـ.
- ٥٥ - «صحيح مسلم». الْقَشِيرِيُّ، مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَاجِ. تَحْقِيق: مُحَمَّدْ فَوَادُ عَبْدِ الْبَاقِيِّ. د. ط، بَيْرُوت: دار إِحْيَاءِ التِّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، د. خ.
- ٥٦ - «عربة القرآن الكريم بين معهود العرب ومعهود القرآن». بَشْرَىٰ بَاحِىٰ. مَجَلَّةُ تَدْبِرٍ (٩)، ط١، ١٤٤٢ هـ.
- ٥٧ - «فضائل القرآن». أَبُو عَبِيدٍ، الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ. تَحْقِيق: مَرْوَانُ الْعَطِيَّةِ، وَمُحَمَّدُ خَرَابَةَ، وَوَفَاءُ تَقِيُّ الدِّينِ. ط١، بيروت: دار ابن كثير، ١٤١٥ هـ.
- ٥٨ - «قواعد الترجيح عند المفسرين - دراسة نظرية تطبيقية». الْحَرْبِيُّ، حَسِينُ بْنُ عَلَىٰ. ط١، الْرِّيَاضُ: دار القاسم، ١٤١٧ هـ.
- ٥٩ - «لسان العرب». أَبْنَىٰ مُنْظَرُ، مُحَمَّدُ بْنُ مَكْرَمٍ. د. ت. ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٧ هـ.
- ٦٠ - «مجاز القرآن». أَبُو عِيَّدٍ، مُعَمِّرُ بْنُ الْمَشْنَىِ. تَحْقِيق: مُحَمَّدُ سَزْكِينٍ. الْقَاهْرَةُ: مَكْتَبَةُ الْخَانِجِيِّ، ١٣٨١ هـ.
- ٦١ - «مجموع الفتاوى». أَبْنَىٰ تِيمِيَّةَ، أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ. تَحْقِيق: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ قَاسِمٍ. ط١، الْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ: مَجْمُوعُ الْمَلِكِ فَهْدَ لِطَبَاعَةِ الْمَصْحَفِ الشَّرِيفِ، ١٤١٦ هـ.
- ٦٢ - «مستند الإمام أحمد». أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ. تَحْقِيق: أَحْمَدُ شَاكِرٍ. ط١، الْقَاهْرَةُ: دَارُ الْحَدِيثِ، ١٤١٦ هـ.
- ٦٣ - «معالم التنزيل في تفسير القرآن». الْبَغْوَىِ، الْحَسَنِ بْنُ مَسْعُودٍ. تَحْقِيق: عَبْدُ الرَّازِقِ



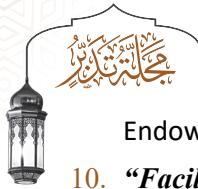
- المهدي. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.
- ٦٤ - «معاني القراءات». الأزهري، محمد بن أحمد. تحقيق: مركز البحوث في كلية الآداب. ط١، الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٢ هـ.
- ٦٥ - «معاني القرآن وإعرابه». الزجاج، إبراهيم بن السري. تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي. ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٨ هـ.
- ٦٦ - «معاني القرآن». الأخفش، سعيد بن مساعدة. تحقيق: هدى محمود قراءة. ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١١ هـ.
- ٦٧ - «معاني القرآن». التحاس، أحمد بن محمد. تحقيق: محمد علي الصابوني. ط١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٩ هـ.
- ٦٨ - «مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني». الكرماني، محمد بن أبي المحاسن. تحقيق: عبدالكريم مصطفى مدلنج. ط١، بيروت: دار الحزام، بيروت، ١٤٢٢ هـ.
- ٦٩ - «مفاتيح الغيب». الرازي، محمد بن عمر. د.ت. ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.
- ٧٠ - «مفتاح دار السعادة ونشر ولاية العلم والإرادة». ابن القيم، محمد بن أبي بكر. د.ت. بيروت: دار الكتب العلمية، داخ.
- ٧١ - «مقاييس اللغة». الرازي، ابن فارس. تحقيق: عبدالسلام هارون. د.ط. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ.
- ٧٢ - «منهج الإمام ابن جرير الطبرى في الترجيح بين الأقوال التفسيرية». الحربي، حسين بن علي. ط١، الرياض: مركز تفسير للدراسات القرآنية، ١٤٣٦ هـ.





## References and Sources

1. «*Guidance of Sound Mind to the Merits of the Holy Quran*» Abu Al-Saud, Mohammed bin Mohammed. DDT Beirut: Dar Ihiya Al-Turath Al-Arabi
2. “*Extracting Rhetorical Rules from Quranic Recitations - an Applied Study.*” Talal Ahmed Ali Mohamed. Tadabor magazine. (9), 1442 AH.
3. “Adwau Al-Bayan fi Edah Al-Quran bil-Quran”. Al-Shenqiti, Mohammed Al-Amin bin Mohammed. No edition number, without publishing date, Beirut: Dar Al-Fikr, 1415 AH.
4. “*Erab Al-Qiraat Al-Shazah*” Al-Akbri, Abdullah bin Al-Hussein. Investigation: Mohammed Al-Sayyid Azzouz. No edition number. Beirut: Alam Al-Kotub, without publishing date.
5. «*Al-Bahru Al-Moheet fi Al-Tafseer*». Abu Hayyan, Mohammed bin Yusuf. Investigation: Sidqi Mohammed Jamil. No edition number, Beirut: Dar Al-Fikr, 1420 AH.
6. “*Al-Tas'heel Li-Oloum Al-Tanzeel*”. Al-Kalbi, Mohammed ibn Jazi. Investigation: Abdullah Al-Khalidi. 1<sup>st</sup> edition, Beirut: Dar Al-Arqam bin Abi Al-Arqam, 1416 AH.
7. “*Edited Interpretation of the Holy Qur'an - Surat Al Imran*”. The Academic Department of Al-Durar Al-Saniyyah Foundation. 1<sup>st</sup> Edition, Dhahran: Al-Durar Al-Saniyyah Foundation, 1437 AH.
8. “*Edited Interpretation of the Holy Qur'an - Surat Al-Ma'idah*”. The Academic Department of Al-Durar Al-Saniyyah Foundation. 1<sup>st</sup> Edition, Dhahran: Al-Durar Al-Saniyyah Foundation, 1437 AH.
9. “*Al-Tamheed li'ma fi el-Muwatta m'na Al-Maani Wal-Asaneed*”. Ibn Abdul-Bar, Youssef bin Abdullah. Investigation: Mustafa bin Ahmed Al-Alawi, Mohammed Abdul-Kabir Al-Bakri. No edition number, Morocco: Ministry of

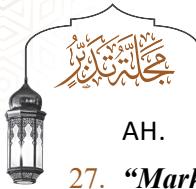


Endowments and Islamic Affairs, 1387 AH.

10. ***“Facilitation in the Seven Recitations”***. Al-Dani, Othman bin Saeed. Investigation: Ottu Trezel. 2<sup>nd</sup> Edition, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1404 AH.
11. ***“Al-Jamei fi Al-Hidayat Al-Qurania - The Chapter of Surat Al-Baqarah.”*** Al-Hidayat Al-Qurania Chair at Umm Al-Qura University and the Great News Foundation in Makkah Al-Mukarramah. 1<sup>st</sup> Edition, without publishing date.
12. ***“Al-Jamei fi Al-Hidayat Al-Qurania - The Second Part of Surat Al-Baqarah.”*** Al-Hidayat Al-Qurania Chair at Umm Al-Qura University and Al-Naba Al-Azeem Foundation in Makkah Al-Mukarramah. 1<sup>st</sup> Edition, without publishing date.
13. ***“Al-Jamei fi Al-Hidayat Al-Qurania - Surat Al Imran”***. Al-Hidayat Al-Qurania Chair at Umm Al-Qura University and Al-Naba Al-Azeem Foundation in Makkah Al-Mukarramah. 1<sup>st</sup> Edition, without publishing date.
14. ***“Al-Jamei fi Al-Hidayat Al-Qurania - Surat Al-A’raf”***. Al-Hidayat Al-Qurania Chair at Umm Al-Qura University and Al-Naba Al-Azeem Foundation in Makkah Al-Mukarramah. 1<sup>st</sup> Edition, without publishing date.
15. ***“Al-Jamei fi Al-Hidayat Al-Qurania - Surat Al-Ma’idah”***. Al-Hidayat Al-Qurania Chair at Umm Al-Qura University and Al-Naba Al-Azeem Foundation in Makkah Al-Mukarramah. 1<sup>st</sup> Edition, without publishing date.
16. ***“Al-Jamei Li-Ahkam Al-Qur’an”***. Al-Qurtubi, Mohammed bin Ahmed. Investigation: Ahmed Al-Baradouni and Ibrahim Atefayesh. 2<sup>nd</sup> edition, Cairo: The Egyptian Book House, Cairo, 1384 AH.
17. ***“Al-Hojjah fi Al-Qiraat Al-Ashr”***. Ibn Khalawayh, Al-Hussein bin Ahmed. Investigation: Abdel-Aal Salem Makram. 4th edition, Beirut: Dar Al-Shorouk, 1401 AH.
18. ***“Al-Hojjah Lil-Qurra Al-Sabaah”*** Al-Farsi, Al-Hasan bin Ahmed. Investigation: Badr Al-Din Kahwaji and Bashir Joigati. 2nd edition, Damascus - Beirut: Al-Mamoun Heritage House, 1413 AH.
19. ***“Al-Khasy’es”***. Al-Mawsili, Othman ibn Jinni. No edition number. 4th edition, Egypt: The Egyptian General Book Authority, without publishing date.



20. ***“Al-Durr al-Masoon fi Oloum al-Kitab al-Maknon”***. Al-Samin Al-Halabi, Ahmed bin Youssef. Investigation: Ahmed Mohammed Al-Kharrat. No edition number, Damascus: Dar Al-Qalam, no publishing date.
21. ***“Addurrah Al-Faridah fi Sharhul-Qsidah”***. Al-Hamadani, Hussein bin Abi Al-Ezz. Investigation: Jamal Mohammed Tolba Al-Sayed. 1<sup>st</sup> edition, Riyadh: Al-Maarif for Publishing and Distribution, 1433 AH.
22. ***“Ashafi fi Elal Al-Qiraat”***. Ibn al- Qarrab, Ismail bin Ibrahim, from verse No.: (140) from Surat Al-Baqarah to the end of Surat Yusuf. Study and investigation: Sultan Ahmed Al-Hadyan. Ph.D. Medina: Department of Recitations, College of the Holy Qur'an and Islamic Studies, Islamic University of Medina, 1436 AH.
23. ***“Ashafi fi Elal Al-Qiraat”***. Ibn al- Qarrab, Ismail bin Ibrahim, from verse No.: (140) from Surat Al-Baqarah. Study and investigation: Ibrahim bin Mohammed Al-Sultan. PhD thesis, Medina: Department of Recitations, College of the Holy Qur'an and Islamic Studies, Islamic University of Medina, 1435 AH.
24. ***“Ashafi fi Elal Al-Qiraat”***. Ibn al- Qarrab, Ismail bin Ibrahim, from the beginning of Surat al-Ra'd to the end of the book. Study and investigation: Ahmed Abdullah Al-Zahrani. Ph.D. Medina: Department of Recitations, College of the Holy Qur'an and Islamic Studies, Islamic University of Medina, 1436 AH.
25. ***“Ashefaa fi Elal-Al-Qira'at”***. Al-Bukhari, Ahmed bin Mohammed, from the beginning of the book to the end of Surat Yusuf. Study and investigation: Saleh bin Mohammed Al-Ammari. Ph. D Thesis. Makkah Al-Mukarramah: Department of Recitations, College of Call and Religion Fundamentals, Umm Al-Qura University, 1437 AH.
26. ***“Ashefaa fi Elal-Al-Qira'at”***. Al-Bukhari, Ahmed bin Mohammed, from the beginning of Surat Al-Ra'd to the end of the book. Study and investigation: Habibullah Al-Sulami. Ph.D. Thesis, Makkah: Department of Recitations, College of Call and Religion Fundamentals, Umm Al-Qura University, 1437

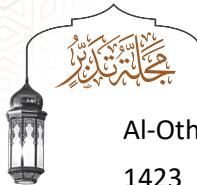


AH.

27. **“Marks Differences in the Holy Qur'an in Words with the Same Letters and Different Marks for Different Meanings”**. Al-Hakami, Shabeel Abu Al-Ghaith Ibrahim. 1<sup>st</sup> Edition, Medina: Al-Madinah Al-Munawwarah Literature Club, 1440 AH.
28. **“Al\_Fareed fi Erab Al-Quran Al-Majeed”**. Al-Hamadani, Hussein bin Abi Al-Ezz. Investigation: Mohammed Nizamuddin Al-Fateh. 1<sup>st</sup> edition, Al-Madinah Al-Munawwarah: Dar Al-Zaman Bookstore for Publishing and Distribution, 1427 AH.
29. **“Recitations from Languages between Meaning Unity & Difference- a Comparative Applied Study”**. Al-Qurashi, Abdullah bin Hammad. Journal of the Faculty of Education, Tanta University. Volume (4), (2), 2015 AD.
30. **“Al-Kamel fi Al-Qi'raat Al-Ashr wa Al-Arbeen Azzaidah”**. Al-Huzali, Yusuf bin Ali. Investigation: Jamal Bin Al-Sayed Bin Rifai Al-Shayeb, 1<sup>st</sup> Edition, Egypt: Sama for Publishing and Distribution Foundation, 1428 AH.
31. **«Al-Kitabul-Mokhtar fi Maani Qiraatu Ahlel-Amsar”**. Ibn Idris, Ahmed bin Obaidullah. Investigation: Abdulaziz Al-Juhani. 1<sup>st</sup> edition, Riyadh: Al-Rushd Bookstore, 1428 AH.
32. **“Al-Kitabul-Moddah fi Wojoh Al-Qiraat wa Ela'laha”**. Ibn Abi Maryam, Nasr bin Ali. Investigation: Omar Al-Kubaisi. 1st edition, Jeddah: The Charitable Society for the Memorization of the Noble Qur'an in Jeddah, 1414 AH.
33. **“Al-Kitab”. Sibawayh, Amr» bin Othman**. Investigation: Abd al-Salam Mohammed Haroun. 3rd edition, Cairo: Al-Khanji Library, Cairo, 1408 AH.
34. **“Al-Kash'afa'n Haqaiqu at-Tanzil wa Oyoun Al-Aqaveel”** Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Omar. Without publishing date, 3rd Edition, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1407 AH.
35. **“Al-Kashfa'n Wojoh Al-Qiraat Al-Sabei wa Elaliha wa Hijaiha”** Al-Qaisi, Makki bin Abi Talib. Investigation: Mohieddin Ramadan. 3<sup>rd</sup> Edition, Beirut: Al-Resala Foundation, 1404 AH.
36. **“Al-Mob'hij fi Al-Qiraat Al-Thaman a Qiraat Al-Amash wa Ibn Mehe-**



- sen, wa Ekhtiyar Khalaf wa Al-Yazidi".* Sabt Al-Khayat, Abdullah bin Ali. Investigation: Wafaa Abdullah Qazmar. PhD Thesis, Saudi Arabia: College of Arabic Language, Umm Al-Qura University, 1405 AH.
37. ***"Al-Muharrir al-Wajeez fi Tafseer al-Kitab al-Aziz"*** Ibn Attia, Abdul Haq bin Ghalib. Investigation: Abd al-Salam Abd al-Shafi Mohammed. 1<sup>st</sup> Edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1422 AH.
38. ***"Al-Mohkam wal-Moheet Al-Azam"***. Ibn Syadoh, Ali bin Ismail. Investigation: Abdul Hamid Hindawi. 1<sup>st</sup> Edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Elmiyyah, 1421 AH.
39. ***"Al-Moghni fi Al-Qir'at"***. Al-Nawwazi, Mohammed bin Abi Nasr. Investigation: Mahmoud bin Kabir Al-Shanqeeti. 1st edition, Riyadh: Tabyan for Quranic Studies, 1439 AH.
40. ***"An'Nashr fi Al-Qiraat Al-Ashr"***. Ibn al-Jazari, Mohammed bin Mohammed. Investigation: Ali bin Mohammed Al-Dabaa. No edition number, Egypt: The Great Commercial Printing Press, photo by Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, without publishing date.
41. ***"Anwaru Tanzeel wa Asraru Taweel"***. Al-Baidawi, Abdullah bin Omar. Investigation: Mohammed Al-Maraashli. 1<sup>st</sup> Edition, Beirut: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, 1418 AH.
42. ***"Tahbiru Attayseer fi Al-Qiraat Al-Ashr"*** Ibn al-Jazari, Mohammed bin Mohammed. Investigation: Ahmed Mohammed Al-Qudah. 1<sup>st</sup> Edition, Jordan: Dar Al-Furqan, 1420 AH.
43. ***"Tahrirul Maana Ass'adid wa Tanweer Al-Aqlu-Rasheed m'n Tafseer Al-Kitanul-Majeed"***. Ibn Ashour, Mohammed al-Taher bin Mohammed. No edition number, without publishing date, Tunis: Tunisian Publishing House, 1984 AD.
44. ***«Interference of Arabic Sounds and its Impact on the Lexicon Structure»***. Al-Sa'adi, Abdul Razzaq bin Farraj. 1<sup>st</sup> Edition, Medina: Deanship of Academic Research, Islamic University of Medina, 1422 AH.
45. ***«Interpretation of the Holy Qur'an - Al-Fatiha and Al-Baqarah»***.

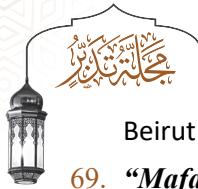


Al-Othaimeen, Mohammed bin Saleh. 1<sup>st</sup> Edition, Riyadh: Dar Ibn al-Jawzi, 1423 AH.

46. ***“Interpretation of the Holy Qur'an - Surat Al Imran”***. Al-Othaimeen, Mohammed bin Saleh. 3<sup>rd</sup> edition, Riyadh: Dar Ibn al-Jawzi, 1435 AH.
47. ***“Tafsir Al-Manar”***. Al-Husseini, Mohammed Rashid Ali Reda. No edition number, without publishing date, No edition number, Egypt: The Egyptian General Book Authority, 1990 AD.
48. ***“Jami' al-Bayan fi Tafseerul-Qur'an.”*** Al-Tabari, Mohammed bin Jarir. Investigation: Ahmed Mohamed Shaker. 1<sup>st</sup> edition, Beirut: Al-Resala Foundation, 1420 AH.
49. ***“Hujjatu-Al-Qiraat”***. *Ibn Zanjla*, Abdul Rahman bin Mohammed. Investigated by: Saeed Al-Afghani. No edition number. Beirut: Dar Al-Resala, d.kh.
50. ***“Rohul-Maani fi Tafseer Al-Quran Al-Azeem wa Al-Sabei Al-Mathani.”*** Al-Alusi, Shihab Al-Din Bin Mahmoud. Investigation: Ali Abdel Bari Attia. 1<sup>st</sup> edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1415 AH.
51. ***“Zadul-Maseer fi Elm Al-Tafseer”***. Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman bin Ali. Investigation: Abdul Razzaq Al-Mahdi. 1<sup>st</sup> edition, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, 1420 AH.
52. ***“Explanation of guidance”***. Mahdawi, Ahmed bin Ammar. Investigation: Hazem Saeed Haider, No edition number, Riyadh: Al-Rushd Library, 1415 AH.
53. ***“Sharhu Al-Hidayah”***. Al-Kirmani, Mohammed bin Abi Nasr. Investigated by: Shamran Al-Ajli. No edition number, Beirut: Al-Balagh Foundation, 2001.
54. ***“Sahih al-Bukhari”***. *Al-Bukhari*, Mohammed bin Ismail. Investigation: Mohammed Zuhair bin Nasser Al-Nasser. 1<sup>st</sup> edition, Beirut: Dar Touq Al-Najat, 1422 AH.
55. ***“Sahih Muslim.”*** Al-Qushayri, Muslim bin Al-Hajjaj. Investigation: Mohammed Fouad Abdel-Baqi. Dr. T, Beirut: Dar Ihya Al-Kitab Al-Arabi
56. ***“The Arabic of the Holy Quran between the covenant of Arabs and the covenant of Quran”***. Bushra Bahi. Tadabbur magazine. (9), 1442 AH.
57. ***“Fadayel Al-Quran”***. Abu Obeid Bin Qasim peace. Investigation: Marwan



- Al-Attiyah, Mohsen Kharabeh, and Wafaa Taqi Al-Din. 1<sup>st</sup> edition, Beirut: Dar Ibn Kathir, 1415 AH.
58. **“Rules of Weighting among Scholars of Interpretation”** - Applied Theoretical Study». Al-Harbi, Hussein bin Ali. 1<sup>st</sup> edition, Riyadh: Dar Al-Qasim, 1417 AH.
59. **«Lisan al-Arab»**. Ibn Manzur, Mohammed bin Makram. Without publishing date, 3rd edition, Beirut: Dar Sader, 1417 AH.
60. **“The Metaphor of the Qur'an.”** Abu Ubaidah, Muammar bin Al-Muthanna. Investigation: Mohammed Sezgin. Cairo: Al-Khanji Library, 1381 AH.
61. **“Majmou Al-Fatwa»**. Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim. Investigation: Abd al-Rahman bin Mohammed bin Qasim. 1st edition, Medina: King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an, 1416 AH.
62. **Musnad Al-Imam Ahmad»**. Ahmad ibn Hanbal. Investigation: Ahmed Sharer. 1<sup>st</sup> edition, Cairo: Dar Al-Hadith, 1416 AH.
63. **“Maalimu at-Tanzeel fi Tafseer Al-Qur'an»**. Al-Baghawi, Al-Hussein bin Masoud. Investigation: Abdul Razzaq Al-Mahdi. 1<sup>st</sup> edition, Beirut: Dar Ihya Al-Turath al-Arabi, 1420 AH.
64. **“Meanings of Recitations”**. Al-Azhari, Mohammed bin Ahmed. Investigation: Research Center at the Faculty of Arts. 1st edition, Riyadh: King Saud University, 1412 AH.
65. **“Maani Al-Quran wa Eraboh”** Al-Zajjaj, Ibrahim bin Al-Sari. Investigation: Abdel-Jalil Abdo Shalaby. 1<sup>st</sup> Edition, Beirut: Alam Al-Kotub, 1418 AH.
66. **“The Meanings of the Qur'an.”** Al-Akhfash, Saeed bin Masada. Investigated by: Huda Mahmoud Qara'a. 1<sup>st</sup> Edition, Cairo: Al-Khanji Bookstore, 1411 AH.
67. **“Maani Al-Quran”** Al-Nahhas, Ahmed bin Mohammed. Investigation: Mohammed Ali Al-Sabouni. 1<sup>st</sup> Edition, Makkah Al-Mukarramah: Umm Al-Qura University, 1409 AH.
68. **“Mafatih Al-Aghani fi Al-Qiraat wal Maani”**. Al-Kirmani, Mohammed bin Abi Al-Mahasin. Investigated by: Abdelkarim Mustafa Medlej. 1<sup>st</sup> edition,



Beirut: Dar Al Hazm, Beirut, 1422 AH.

69. **“Mafatihul-Ghaib”**. Al-Razi, Mohammed bin Omar. Without publishing date, 3<sup>rd</sup> Edition, Beirut: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, 1420 AH.
70. **“Mafatih Dar Assaadah wa Mansour Welayat Al-Elm wa Assadah”**. Ibn al-Qayyim, Mohammed ibn Abi Bakr. DDT Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, without publishing date.
71. **“Maqaes Al-Lughah”**. Al-Razi, Ibn Faris. Investigation: Abdel Salam Haroun. No edition number. Beirut: Dar Al-Fikr, 1399 AH.
72. **“The approach of Imam Ibn Jarir al-Tabari in the Preference between Explanatory Sayings”**. Al-Harbi, Hussein bin Ali. 1<sup>st</sup> edition, Riyadh: Interpretation Center for Quranic Studies, 1436 AH.







## فهرس الموضوعات

المستخلص	٣٣٧
المقدمة	٣٤٠
الفصل الأول: الفروق الحركية فيما اتحّدت حروفها من القراءات الفرشية مع اتحاد المعنى	٣٤٨
الفصل الثاني: الفروق الحركية فيما اتحّدت حروفها من القراءات الفرشية مع اختلاف المعنى	٣٦٤
الفصل الثالث: الفروق الحركية فيما اتحّدت حروفها من القراءات الفرشية مع اختلاف في المعنى	٣٧٨
الخاتمة	٤٠٠
ث بت المصادر والمراجع	٤٠٣
رومنة المصادر والمراجع	٤١٠
فهرس الموضوعات	٤١٨







## حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ سَعَادَةُ سَوَاهِنَةُ

محاضر جامعي غير متفرغ - جامعة القدس المفتوحة:  
قلقيلية - فلسطين - كلية العلوم التربوية تفسير  
علوم قرآن

قدم للنشر في: ١٤٤٢/٤/١١  
قبل للنشر في: ١٤٤٢/٦/١٤  
نشر في: ١٤٤٣/٧/١

حصل على درجة الماجستير في أصول الدين (القرآن والسنّة) من كلية الدراسات العليا بجامعة النجاح الوطنية / فلسطين بأطروحته: «النداء الإلهي للنبي محمد ﷺ في القرآن الكريم».  
طالب دكتوراه، علوم إسلامية (تفسير وعلوم قرآن) في المعهد العالي لأصول الدين بجامعة الزيتونة / تونس.  
عنوان أطروحة الدكتوراه: (قيم المواطنة والتعايش السلمي في منهج الدعوة عند الأنبياء ﷺ من خلال القرآن الكريم).

### النتائج العلمية:

- ١- بحث علمي محكم بعنوان: (عنابة الأنبياء ﷺ بالقيم الفكرية للتعايش في ضوء القرآن الكريم)، (مجلة إيفاد للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المؤسسة الدولية للتطوير الأكاديمي، الجزائر).
- ٢- بحث علمي محكم بعنوان: (أمانة الرسل ﷺ في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية)، (مجلة الجامعة الإسلامية بمنيسيوتا بأمريكا للبحوث العلمية والدراسات الأكاديمية المحكمة، الجامعة الإسلامية، مدينة بلومنتون، ولاية مينيسوتا أمريكا).
- ٣- بحث علمي محكم بعنوان: (الفساد الاقتصادي في ضوء القصص القرآني)، (مجلة قبس، كلية الدراسات الإسلامية بجامعة مصراتة - ليبيا).
- ٤- بحث علمي محكم بعنوان: (عنابة الرسل ﷺ بأبنائهم في ضوء القرآن الكريم)، (مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية - الشارقة- دولة الإمارات العربية المتحدة).

البريد الشبكي: hamzahamza1985@outlook.sa





## المُسْتَخَلَصُ

هذا البحث بعنوان (تسبيح الرسول ﷺ في ضوء القرآن الكريم)، وقد هدفت إلى تسلیط الضوء على معالم التسبيح عند الرسول ﷺ من خلال آيات القرآن الكريم، ولتحقيق هذا الهدف سلكتُ المنهجين الاستقرائي والاستباطي، بحيث أعرض الآيات القرآنية التي تناولت موضوع تسبيح الرسول ﷺ الله ﷺ، ثمَّ أستنبط أبرز الجوانب التربوية مِنْ منهجه ﷺ في أداء هذه العبادة، وقد خلص البحث في نتائجه إلى المكانة السامية لمنزلة التسبيح في القرآن الكريم، وأنَّ الرسول ﷺ هم سادات الذاكرين والمبِّحين، حيث قاموا ﷺ بتسبيح الله ﷺ بأسنتهم وقلوبهم وأعمالهم، كما شمل تسبيحهم الأوقات والأحوال جميعها، وعليه ينبغي على العبد التخلقُ بأخلاق الرسول ﷺ في الإكثار مِنْ تسبيح الله ﷺ، وأوصت الدراسة بالعودة إلى المفهوم الأصيل للذِّكر عموماً وللتسبیح خصوصاً؛ وذلك من خلال الجمع بين قول اللسان واعتقاد القلب وعمل الجوارح.

**الكلمات المفتاحية:** القرآن، التفسير، التسبيح، الرسول.





# The Glorification of Prophets in the light of the Holy Quran

by

**Hamza Abdullah Saadi Shawahnah**

A part-time university lecturer at Al-Quds Open University, Qalqilyah, Palestine, College of Educational Sciences, Tafsir and Quranic sciences and an expert in Quranic studies

## Abstract

This paper is entitled «The Glorification of Prophets in the light of the Holy Quran.» The purpose of is to shed light on the distinguishing features of the glorification (Tasbeeh) of Prophets, peace be upon them, as indicated in the verses of the Holy Quran. To achieve this objective the researcher adopted the inductive and deductive approaches to present the Quranic verses that deal with the glorification of prophets. He drew the most important educational aspects from their approach to the performance of this act of worship. The findings of this research reached are as follows: glorification has a high status in the Holy Quran; the Prophets are masters at praising and glorifying Allah with through all their doings verbal or non-verbal; their glorification of Allah is performed at all times; one should model himself on the Prophets by praising and glorifying Allah as much as possible. The study recommends that the original concept of praise (dhikr) in general and glorification in particular should be referred to by combining verbal expression, innermost beliefs and practice.

## Keywords:

*The Holy Quran- Tafsir-glorification- prophets.*



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنَّ الله شَرَعَ لِعِبَادِهِ عِبَادَاتٍ عَظِيمَةٍ، وَمِنْ أَجْلِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي أَكَّدَ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي كَثِيرٍ مِّنْ آيَاتِهِ عِبَادَةُ الذِّكْرِ، وَالْعُمْدَةُ فِي الْأَذْكَارِ تَسْبِيحُ الله ﷺ، وَلَمَّا كَانَ الْجُمُعُ الْغَيْرُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَدْرُكُونَ مَكَانَةَ التَّسْبِيحِ، لَكِنَّهُمْ يَغْفِلُونَ عَنْ مَدْلُولِهِ الصَّحِيحِ، جَاءَ هَذَا الْبَحْثُ بِعْنَوَانٍ (تَسْبِيحُ الرَّسُول ﷺ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ)؛ لِيَتَنَوَّلُ مِنْهُجَّ أَكْثَرِ النَّاسِ لِزُوْمًا لِلتَّسْبِيحِ وَهُمُ الرَّسُول ﷺ، وَصُولًا إِلَى مَحَاوِلَةِ اسْتِبْطَاطِ أَبْرَزِ الْجَوَابِيَّةِ مِنْ أَدَاءِهِمْ لِتَسْبِيحِ الله ﷺ، وَذَلِكَ مِنْ خَلَالِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

### ◆ أهمية البحث:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها مِنَ الاعتبارات الآتية:

- ١- أهمية الموضوع نفسه الذي تبحث فيه الدراسة، وهو مقام الذِّكْر عمومًا والتَّسْبِيح خصوصًا.
- ٢- إنَّ هذه الدراسة تتعلق بصفوة الْخَلْقِ وَهُمُ الرَّسُول ﷺ.
- ٣- إنَّ هذه الدراسة تعالج موضوعاً عقدياً؛ وذلك لأنَّ مَسْأَلَةَ تَنْزِيهِ الله ﷺ -الَّذِي هُوَ مَعْنَى التَّسْبِيحِ- يُعْدُ مِنَ مَسَائِلِ الْإِعْقَادِ.
- ٤- إِحْيَاءِ معانِي التَّسْبِيحِ الَّتِي ضَعُفتَ فِي نُفُوسِ الْمُسْلِمِينَ فِي الزَّمَنِ الْمُعَاصِرِ.



٥- إنَّ هذه الدراسة تعالج عبادة عظيمة، يتكرَّر وقوعها مِنَ المُسْلِمِ كُلَّ حِينٍ.

### ◆ مشكلة البحث:

هذا وتمثل مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي:

ما هو هدي الرسُل ﷺ في التسبيح في ضوء القرآن الكريم؟

وتتفرَّع عن هذه المشكلة ثلاثة أسئلة أساسية:

١- ما المقصود بالتسبيح لغةً واصطلاحاً؟

٢- ما الآيات التي تضمَّنت أخبارَ الرسُل ﷺ الذين تلفظوا بتسبيح الله ﷺ؟

٣- ما القيم التربوية المستنبطة مِنْ أداءِ الرسُل ﷺ لتسبيح الله ﷺ؟

### ◆ أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الآتي:

١- التعرُّف على هدي الأنبياء ﷺ في التسبيح.

٢- بيان مفهوم التسبيح وفضله وإطلاقاته في القرآن الكريم.

٣- استجلاء القيم التربوية للتسبيح، التي تسهم بدورها في رسم أبرز ملامح الشخصية المسلمة الذاكِرة.

٤- دعوة الغافلين إلى الذِّكر؛ وذلك بذكر أفضل النماذج البشرية التي حَقَّقت ذِكر الله ﷺ وتسبيحه.

٥- انضباط عبادة التسبيح بضوابط الكتاب والسنة.



## ◆ الدراسات السابقة وما يضيّفه البحث إليها :

من الدراسات السابقة المتعلّقة بتسبيح الرسُل ﷺ في القرآن الكريم، رسالة علمية موسومة بـ(التسبيح في الكتاب والسنّة والردُّ على المفاهيم الخاطئة فيه)، للدكتور كندو<sup>(١)</sup>.

حيث تعرّضت الدراسة السابقة لمعاني التسبيح في القرآن الكريم والسنّة المطهّرة، وبيان أنواعه، وذكر نظائره، وتوضيح حُكمه، واستقراء سياقاته، وبعد البحث في الدراسات السابقة لمْ أعثر على أيٍّ دراسة قرآنية منشورة درست هذا الموضوع بشكل مستقلٌّ سوى هذه الدراسة -فيما اطّلعتُ عليه-، على الرغم من تناولها موضوع التسبيح بعمومه في القرآن الكريم والسنّة الشريفة، إضافة إلى الحديث عن الآيات التي تُذكّر فيها ألفاظ التسبيح بتوسيع، دون الحديث عن تسبيح الرسُل ﷺ على وجه الخصوص كما فعلتُ هنا.

لذا يتبيّن ندرة الدراسات القرآنية الممكّنة التي درست هذا الموضوع، وحاولت بيان منهج الرسُل ﷺ في التسبيح في ضوء آيات الكتاب العزيز فحسب.

## ◆ ما يضيّفه البحث :

ما نَدَّعِيهُ لهذه الدراسة من فروقات عن غيرها وما تضيّفه علميًّا هو:

- ١- إنَّ هذه الدراسة دراسة قرآنية موضوعية، اتَّبَعْتُ فيها منهج البحث العلمي وفق طريقة التفسير الموضوعي.
- ٢- إبراز هذه الدراسة هديَّ الرسُل ﷺ خصوصًا في التسبيح كما عرضته آياتُ القرآن الكريم فحسب.

(١) د. كندو: التسبيح في الكتاب والسنّة والردُّ على المفاهيم الخاطئة فيه.

## ◆ حدود البحث:

سيعتمد هذا البحث على آيات القرآن الكريم فحسب، إذ هو المصدر الأول للتربيـة الإسلامية، ولكنـي سأعـرـج على كـتب التفسـير بالـمـأـثـورـ، لـذـا سـتـقـتـصـرـ الـدـرـاسـةـ في حـدـهـاـ المـوـضـوعـيـ علىـ درـاسـةـ الآـيـاتـ الـتـيـ تـضـمـنـتـ بـنـصـهـاـ مـادـةـ (سبـحـ)ـ ضـمـنـ

الـحـدـيـثـ عـنـ مـقـامـ التـسـبـيـحـ فـيـ حـيـاةـ الرـسـلـ ﷺـ.

## ◆ منهج البحث:

طبيـعةـ الـبـحـثـ وـأـهـادـفـهـ تـتـطـلـبـ اـسـتـخـدـامـ الـمـنـهـجـيـنـ الـاـسـتـقـرـائـيـ وـالـاـسـتـبـاطـيـ،ـ

بـحـيـثـ أـسـتـقـرـيـ الـآـيـاتـ الـكـرـيمـةـ الـتـيـ تـضـمـنـتـ تـسـبـيـحـ الـمـرـسـلـيـنـ ﷺـ،ـ ثـمـ أـسـتـتـجـ

الـفـوـائـدـ وـالـمـعـانـيـ الـتـرـبـوـيـةـ الـمـسـتـبـطـةـ مـنـ تـلـكـ الـآـيـاتـ.

## ◆ خطة البحث:

## قسمـتـ الـبـحـثـ إـلـىـ مـقـدـمةـ،ـ وـثـلـاثـةـ مـطـالـبـ،ـ وـخـاتـمـةـ،ـ كـمـاـ يـأـتـيـ:

**المقدمة:** وـتـضـمـنـتـ أـهـمـيـةـ الـمـوـضـوعـ،ـ وـمـشـكـلـتـهـ،ـ وـأـهـادـفـهـ،ـ وـحـدـوـدـهـ،ـ وـالـدـرـاسـاتـ

الـسـابـقـةـ،ـ وـمـنـهـجـيـةـ الـبـحـثـ.

**المطلب الأول:** مـفـهـومـ تـسـبـيـحـ الرـسـلـ ﷺـ وـنـظـائـرـهـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ.

**المطلب الثاني:** نـمـاذـجـ مـنـ تـسـبـيـحـ الرـسـلـ ﷺـ لـهـ ﷺـ فـيـ ضـوـءـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ وـمـعـانـيـهـ.

**المطلب الثالث:** فـضـلـ التـسـبـيـحـ وـالـقـيـمـ الـتـرـبـوـيـةـ الـمـسـتـبـطـةـ مـنـ تـسـبـيـحـ الرـسـلـ ﷺـ

فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ.

**الخاتمة:** تـشـتـمـلـ عـلـىـ أـهـمـ التـائـجـ وـالـتـوـصـيـاتـ.



## المطلب الأول:

### مفهوم تسبيح الرسل ﷺ ونظائره في القرآن الكريم

سأيّن في هذا المطلب المقصود بالتسبيح، من خلال تأصيل المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذا المصطلح، ثمّ سأعرّج على ذكر نظائره في التنزيل العزيز، وذلك على النحو الآتي:

#### ◆ الفرع الأول: مفهوم تسبيح الرسل ﷺ.

##### أولاً: معنى التسبيح:

التسبيح لغة: مصدر سَبَحَ، وعَرَفَهُ الأَزْهَرِيُّ بِأَنَّهُ: تَنْزِيهُ اللَّهَ مِنِ السَّوْءِ، وَتَبْعِيْدُهُ مِنْهُ، مِنْ قَوْلِكَ: سَبَحْتُ فِي الْأَرْضِ إِذَا أَبْعَدْتَ فِيهَا، وَمِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَكُلُّ فِي فَلَكِ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]<sup>(١)</sup>، وَيَأْتِي التَّسْبِيحُ بِمَعْنَى الْذِكْرِ وَالصَّلَاةِ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى التَّحْمِيدِ، نَحْوَ: ﴿سُبِّحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزُّخْرُفُ: ١٣]، وَيَكُونُ بِمَعْنَى التَّعْجُبِ وَالْتَّعْظِيمِ لِمَا اشْتَمَلَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ، نَحْوَ: ﴿سُبِّحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعِبَادِهِ لَيَّلًا﴾ [الإِسْرَاءُ: ١]، وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمُ الْأَقْلَلُ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [الْقَلْمَنْ: ٢٨]، أَيْ: لَوْلَا تَسْتَشِنُونَ<sup>(٢)</sup>.

أمّا التسبيح في اصطلاح المفسّرين، فقد عُرِّفَ بِتَعْارِيفٍ عَدِيدَةٍ؛ وَأَجْمَعَ تَعْرِيفُ

(١) انظر، الأَزْهَرِيُّ: تَهْذِيبُ الْلُّغَةِ، (سَبَحَ)، (٤/١٩٥).

(٢) انظر، ابنِ مَنْظُورِ: لِسَانُ الْعَرَبِ، (سَبَحَ)، (٢/٤٧٥ - ٤٧٠). وَالْأَزْهَرِيُّ، تَهْذِيبُ الْلُّغَةِ، (٤/١٩٥).



له - في نظري - ما ذكره أبو السعود آنَّه: «تنزيه الله تعالى اعتقاداً وقولاً وعملاً عمما لا يليق بجنبه»<sup>(١)</sup>.

ومن خلال النظر في التعريف السابق، يتَّضح أنَّ التَّسْبِيحَ ليس مُجَرَّدَ قول: (سبحان الله) فحسب؛ بل يشمل تنزيه الله ﷺ باللسان والقلب والجوارح على حد سواء.

وهكذا يتَّضح بأنَّ التَّسْبِيحَ في أصله اللغوي دائمًا يدلُّ على معانٍ لا تُصرِّفُ إلَّا الله وحده؛ لأنَّ المبالغة في التعظيم لا تليق لغير الله ﷺ، لذا فإنَّ كلمة (سبحان الله) تتضمَّن أصلًا عظيمًا من أصول التَّوْحِيدِ، وهو إبعاد القلوب والأفكار عن أن تَظْنَ بالله ﷺ نقصًا.

وقد ورد التَّسْبِيحُ بمعنى تنزيه الله ﷺ عن كُلِّ سوء في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وأثار السلف الصالح، مِنْ شواهد ذلك في الكتاب العزيز قوله ﷺ: ﴿مَا أَنْخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ وَمِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبِّحَنَ اللَّهُ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

ولمَّا دَلَّ التَّسْبِيحُ على تنزيه الله ﷺ عن النَّقائصِ، استلزم اتِّصافَه بالكمال المطلق، فكان التَّسْبِيحُ دالًا على التعظيم لله ﷺ، ويُقرُّرُ هذا المعنى شيخ الإسلام فيقول: «والأمر بتسبيحه يقتضي -أيًّضاً- تنزيهه عن كُلِّ عيب وسوء، وإثبات صفات الكمال له؛ فإنَّ التَّسْبِيحَ يقتضي التنزيه والتعظيم، والتعظيم يستلزم إثبات المحمد التي يُحَمَّدُ عليها، فيقتضي ذلك تنزيهه، وتحميده، وتكبيره، وتوحيده»<sup>(٢)</sup>.

(١) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٢٠٣/٨).

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (١٢٥/١٦).



## ثانياً: معنى الرسل والأنبياء:

اتفق جمهور أهل السنة والجماعة ومن وافقهم على أنَّ النبيَّ غير الرسول، ويidelُ على ما ذهبوا إليه ما ورد في الكتاب العزيز من عطف النبيٍّ على الرسول، كما في قوله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا دَأْتَمَّنَّ الْقَوْمَ شَيْطَانًا فِي أُمَّيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢]، والعطف يقتضي المغايرة كما هو معلوم، ولم يبقَ أمام طالب الحق إلَّا أن يقول بالتفريق بين النبيٍّ والرسول، وتلمُّسًا لهذا الفرق، فقد اختلف أهل العلم في تحديد تعريف كُلِّ منهما على عدَّة أقوال <sup>(١)</sup>.

وذهب آخرون إلى أنَّه لا فرق بين الرسول والنبيٍّ <sup>(٢)</sup>.

ويظهر أنَّ القول الأخير فيه نظر، وعليه يترجح في التفريق بينهما، أنَّ النبيَّ هو: مَنْ بُعْثَتْ لِقَوْمٍ مُوَافِقِينَ، وَأَمَّا الرَّسُولُ فَيُعْنِي: مَنْ بُعْثَتْ لِقَوْمٍ مُخَالِفِينَ، وَإِلَى نَحْوِهِ هَذَا الْقَوْلُ ذَهَبَ ابْنُ تِيمِيَّةَ، حِيثُ يَقُولُ: إِنَّ «النَّبِيَّ» هُوَ: الَّذِي يُنَبِّئُ اللَّهَ، وَهُوَ يُنَبِّئُ بِمَا أَنْبَأَ اللَّهُ بِهِ؛ فَإِنْ أُرْسَلَ مَعَ ذَلِكَ إِلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ؛ لِيُبَلِّغَهُ رِسَالَةً مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِ؛ فَهُوَ رَسُولٌ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ إِنْمَا يَعْمَلُ بِالشَّرِيعَةِ قَبْلَهُ، وَلَمْ يُرْسَلْ هُوَ إِلَى أَحَدٍ يُبَلِّغُهُ عَنِ اللَّهِ رِسَالَةً؛ فَهُوَ نَبِيٌّ، وَلَيْسَ بِرَسُولٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا دَأْتَمَّنَّ الْقَوْمَ شَيْطَانًا فِي أُمَّيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾؛ فَذَكَرَ إِرْسَالًا يَعْمُلُ النَّوْعَيْنِ، وَقَدْ خَصَّ أَحَدَهُمَا بِأَنَّهُ رَسُولٌ؛ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الرَّسُولُ الْمُطْلَقُ

(١) وليس المقام هنا مقام تفصيل، ولمزيد بيان في التفريق بين النبيٍّ والرسول. انظر، الأشقر: الرسل والرسالات، (ص: ١٤ - ١٥).

(٢) والمقصود هنا معظم المعتزلة ومن شايعهم في قولهم: إنه لا فرق في الاصطلاح بين الرسول والنبيٍّ. انظر، القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، (ص ٥٦٧).



الذِي أَمَرَهُ بِتَبْلِيغِ رَسْالَتِهِ إِلَى مَنْ خَالَفَ اللَّهَ؛ كَنْوَحَ»<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: المقصود بتسبيح الرسُل ﷺ

والمقصود بتسبيح الرسُل ﷺ في هذا البحث، هو دراسة الآيات القرآنية التي وردت في سياق تزييه الرسُل ﷺ عن النقائص، وتضمنَت أحد مشتقات لفظة التسبيح.

### ◆ الفرع الثاني: نظائر التسبيح في القرآن الكريم:

من خلال تتبعي للألفاظ التي وردت في كتاب الله الكريم، وحملت في طيّاتها معنى التسبيح، تبيّن أنها أكثر من لفظ، وهي:

**أولاً: السلام:** ومن أسماء الله الحسنى التي تدلّ على معنى التسبيح والتزييه اسم (السلام)، كما في قوله ﷺ: «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْسَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمَهِيمُ الْعَزِيزُ الْجَبَارُ الْمُكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشَرِّكُونَ» [الحشر: ٢٣]، قال ابن القيم معلقاً: الله أحقّ بهذا الاسم من كُلّ مسمّى به؛ لسلامته سبحانه من كُلّ عيب ونقص من كُلّ وجه<sup>(٢)</sup>.

**ثانياً: التقديس:** ورد اسم الله (القدوس) بمعنى تسبيح الله ﷺ وتزييه، كما في قوله ﷺ: «يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [الجمعة: ١]، و«الْقُدُّوسُ» «أي: المُنْزَهُ عن النقائص، الموصوف بصفات الكمال»<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن تيمية: النبوّات، (٢/٧١٤).

(٢) انظر، ابن القيم: الفوائد، (٢/١٣٥).

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (٨/١١٥).



**ثالثاً:** تعالى: ورد الفعل (تعالى) مسندًا إلى الله ﷺ بمعنى التسبيح في قوله ﷺ: **﴿فَلَمَّا آتَهُمَا صَلِحًا جَعَلَاهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَهُمَا فَتَعَلَّمَ اللَّهُ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾** [الأعراف: ١٩٠]، قال أبو جعفر: «وأَمَّا قوله: **﴿فَتَعَلَّمَ اللَّهُ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾**، فتنزيةٌ مِّنَ اللَّهِ نَفْسِهِ، وتعظيمٌ لها عَمَّا يقول فيه المبطلون، ويدعون معه مِنَ الالهَةِ والأوثان» <sup>(١)</sup>.

**رابعاً:** حاش الله: ورد لفظ (حاش الله) بمعنى التسبيح في قوله ﷺ: **﴿قُلْ حَشَ اللَّهُ مَاعِنَنَا عَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾** [يوسف: ٥١]، قال ابن عاشور في معنى (حاش الله): «وحاش الله: مبالغة في النفي والتنزية» <sup>(٢)</sup>.

ويوضح صاحب «الكساف» دلالة (حاش) على التنزية لله ﷺ فيقول: (حاش): الكلمة تفيد معنى التنزية في باب الاستثناء، تقول: أساء القوم حاشا زيد، وهي حرف من حروف الجرّ، فوضعت موضع التنزية والبراءة، فمعنى حاشا الله: براءة الله ﷺ، وتنزية الله ﷺ، ثم قال: **﴿لَلَّهُ﴾**؛ لبيان مَنْ يُبَرَّأُ وَيُنَزَّهَ <sup>(٣)</sup>.

**خامسًا:** الحمد: وردت لفظة (الحمد) بمعنى التسبيح في القرآن الكريم عند عدم الاقتران بينهما، كما في قوله ﷺ: **﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَيَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْعَرُوبِ وَمِنَ الْيَلَىٰ فَسِّيْحَهُ وَأَدَبَرَ السُّجُودِ﴾** [ق: ٤٠-٣٩].

وُقُرِنَ التسبيح بالحمد كثيراً في القرآن الكريم؛ لأنَّ «السباح يتضمن نفي النقائص والعيوب، والتحميد يتضمن إثبات صفات الكمال التي يُحمد عليها» <sup>(٤)</sup>.

(١) الطبرى: جامع البيان عن تأویل آي القرآن، (٣١٧/١٣).

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، (١٢/٢٩٠).

(٣) انظر، الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، (٤٦٥/٢).

(٤) ابن تيمية: جامع المسائل، (ص: ٢٧٨).



**سادساً:** التأويب: وردت لفظة (التأويب) بمعنى التسبيح، كما في قوله ﷺ:  
﴿وَلَقَدْ ءاتَيْنَا دَاءُودَ مِنَ افْضَلِيَّجَالُ أَوَّلِيَ مَعَهُ وَالظَّيْرُ وَاللَّاهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠]، يقول  
الطبرى: ((أَوَّلِيَ معه): سبّحَى معه إِذَا سَبَّحَ»<sup>(١)</sup>.



(١) الطبرى: جامع البيان، (١٤ / ٥٠).



## المطلب الثاني:

نماذج من تسبيح الرسل ﷺ لله

في ضوء القرآن الكريم ومعانيها

سأستقرئ في هذا المطلب نماذج من تسبيح المرسلين ﷺ، ثم سأعرّج على ذكر معاني التسبيح في التنزيل العزيز، وذلك على النحو الآتي:

### ◆ الفرع الأول: نماذج من تسبيح الرسل ﷺ في ضوء القرآن الكريم.

الرسل ﷺ سادات الذاكرين، فهم أعظم من سبّح الله ﷺ ونَزَّهَهُ من عباده عن كلّ ما لا يليق به؛ وذلك لأنّهم وصفوه بما أوحاه الله ﷺ إليهم.

وقد قصّ القرآن الكريم علينا طرفاً من تسبيح أنبيائه ﷺ، لذا سأاستعراض الرسل ﷺ الذين نصّ القرآن الكريم على أنّهم كانوا من المسبّحين، سواء ورد ذلك بالأمر الإلهي لهم به، أو ورد بأمرهم لأقوامهم به، أو بإخباره ﷺ عن لهجتهم بالتسبيح، أو بذكره ﷺ لتسبيح الرسل ﷺ لذاته العلية، أو بيانه لبعض فضائله وثمراته، ذاكراً الآيات الكريمة وفق تصنيف يناسبها، ثمّ معقباً عليها بتعليق مناسب، وذلك على النحو الآتي:

**أولاً:** تسبيح عيسى ﷺ لربه ﷺ: حكى القرآن الكريم تسبيح عيسى ﷺ، وذلك في معرض براءته من شرك النصارى ومقولاتهم الكفرية، فقال ﷺ: ﴿وَإِذَا قَالَ اللَّهُ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّكَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَتَخْلُدُ فِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبِّحْنَكَ مَا يَكُونُ لِي



أَنَّ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ وَفَقَدَ عِلْمَتُهُ وَتَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَمٌ  
الْغَيْوَبِ [المائدة: ١١٦].

وببدأ المسيح ﷺ بالتسبيح هنا قبل الجواب لأمرتين؛ أحدهما: تزييهًا له عمّا أُضيف إليه. والثاني: خضوعًا لعزّته، وخوفًا من سلطته <sup>(١)</sup>.

وُلِمَحَ مِنْ تَنْزِيهِ الْمَسِيحَ ﷺ لِرَبِّهِ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْآيَتَيْنِ الْأَنْفَتَيْنِ، عَظِيمُ شَأْنِ التَّسْبِيحِ فِي الْعِقِيدَةِ؛ إِذْ هُوَ مِنْ أَصْوَلِ الْاعْتِقَادِ؛ لِأَنَّ حَقِيقَةَ التَّسْبِيحِ تَنْزِيهُ اللَّهَ ﷺ عَنِ صَفَاتِ النَّقْصِ، وَهَذَا وَاجِبٌ كَمَا لَا يَخْفَى، وَبِالْتَّالِي يَنْبَغِي أَنْ يَوَاطِئَ الْقَلْبُ لِلْفَظِ التَّسْبِيحِ، وَأَنْ يَسْتَحْضُرَ مَعْنَاهُ.

وَالْمَتَأْمِلُ فِي جَوَابِ الْمَسِيحِ ﷺ لِرَبِّهِ ﷺ فِيمَا سَبَقَ، يَلْحَظُ حُسْنَ أَدْبِهِ فِي الْخُطَابِ، وَيُوَضِّحُ أَبْنَ الْقِيمِ هَذَا الْأَدْبُ مِنْهُ مَعَ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا الْمَقَامِ فَيَقُولُ: «وَتَأْمِلُ أَحْوَالَ الرَّسُلِ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ- مَعَ اللَّهِ، وَخُطَابُهُمْ وَسُؤَالُهُمْ. كَيْفَ تَجِدُهَا كُلَّهَا مَشْحُونَةً بِالْأَدْبِ قَائِمَةً بِهِ؟ قَالَ الْمَسِيحُ ﷺ: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ وَفَقَدَ عِلْمَتُهُ﴾ [المائدة: ١١٦]، وَلَمْ يَقُلْ: لَمْ أَقُلْهُ. وَفَرْقُ بَيْنِ الْجَوَابَيْنِ فِي حَقِيقَةِ الْأَدْبِ. ثُمَّ أَحَالَ الْأَمْرَ عَلَى عِلْمِهِ سَبِّحَانَهُ بِالْحَالِ وَسَرِّهِ. فَقَالَ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ [المائدة: ١١٦]، ثُمَّ بَرَأَ نَفْسَهُ عَنِ عِلْمِهِ بِغَيْرِ رَبِّهِ وَمَا يَخْصُّ بِهِ سَبِّحَانَهُ، فَقَالَ: ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، ثُمَّ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ، وَوَصَفَهُ بِتَفْرُدِهِ بِعِلْمِ الْغَيْوَبِ كُلَّهَا. فَقَالَ: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَمُ الْغَيْوَبِ﴾ [المائدة: ١١٦] <sup>(٢)</sup>.

ثَانِيًّا: تَسْبِيحُ دَاؤِهِ لِرَبِّهِ ﷺ: وَنَمْوَذْجٌ آخَرٌ مِنْ نَمَادِجِ الرَّسُلِ الْمُسَبِّحِينَ،

(١) انظر، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (٦/٣٧٥).

(٢) ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (٢/٣٥٨).



قصَّهُ اللَّهُ عَلَيْنَا فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ وَهُوَ تَسْبِيحُ نَبِيِّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِيثُ أَخْبَرَ عَنْ تَأْوِيبِ الطَّيْرِ وَتَسْبِيحِ الْجَبَالِ مَعَهُ، وَذَلِكَ فِي مَشْهُدَيْنَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهُمَا:

**الأول:** قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَعْرِضِ تَعْدَادِ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: **وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجَبَالَ يُسَيِّحَنَ وَالْطَّيْرَ وَكُنَّا فَعَلِيهِنَّ** [الأنبياء: ٧٩].

وَكَانَتِ الطَّيْرُ وَالْجَبَالُ تَسْبِحُ مَعَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وَذَلِكَ لطِيبُ صَوْتِهِ بِتَلَوِّهِ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ ذِيَّلَهُ (الْبَزُورِ)، وَكَانَ إِذَا تَرَنَّمَ بِهِ تَقِفُ الطَّيْرُ فِي الْهَوَاءِ، فَتَجَاوِبُهُ، وَتَرْدُ عَلَيْهِ الْجَبَالُ تَأْوِيَّاً <sup>(١)</sup>.

وَقُدِّمَتِ الْجَبَالُ عَلَيْهِ الطَّيْرُ هَا هَنَا؛ لِأَنَّ تَسْخِيرَهَا وَتَسْبِيْحَهَا أَعْجَبُ وَأَغْرِبُ وَأَدْخُلُ فِي الإِعْجَازِ؛ لِأَنَّهَا جَمَادٌ <sup>(٢)</sup>.

وَيُشَيرُ الْإِمَامُ النَّسْفِيُّ إِلَى عَظَمَةِ الْخَالِقِ مِنْ خَلَالِ هَذَا التَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ الْفَرِيدِ، فَيَقُولُ: «وَفِي هَذَا النَّظَمِ مِنَ الْفَخَامَةِ مَا لَا يَخْفَى؛ حِيثُ جَعَلَتِ الْجَبَالُ بِمَنْزِلَةِ الْعُقَلَاءِ الَّذِينَ إِذَا أَمْرُهُمْ بِالطَّاعَةِ أَطَاعُوهُمْ، وَإِذَا دَعَاهُمْ أَجَابُوهُمْ، إِشْعَارًا بِأَنَّهُ مَا مِنْ حَيْوانٍ إِلَّا وَهُوَ مَنْقَادٌ لِمَشِيَّةِ اللَّهِ» <sup>(٣)</sup>.

**والثاني:** قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ تَرْدَادِ الْجَبَالِ وَالْطَّيْرِ التَّسْبِيْحِ مَعَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: **وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ دَا الْأَنْبَدَ إِنَّهُ أَوَّلُ** <sup>١٧</sup> **إِنَّا سَخَّرْنَا الْجَبَالَ مَعَهُ يُسَيِّحَنَ بِالْعَشِيقِ إِلَيْ الشَّرَقِ** <sup>١٨</sup> **وَالْطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلَّ لَهُ أَوَّلُ** <sup>١٩</sup> **وَشَدَّدَنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْحَطَابِ** <sup>٢٠</sup> [ص: ١٧ - ٢٠].

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (٣٥٨/٥).

(٢) انظر، النَّسْفِيُّ: مدارك التَّنْزِيلِ وَحَقَائِقِ التَّأْوِيلِ، (٤١٥/٢).

(٣) النَّسْفِيُّ، مدارك التَّنْزِيلِ، (٣/٥٥).



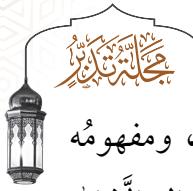
وفي الموضعين السابقين إشارة إلى تسبيح الجمادات والكائنات كلها بحمد ربها، حيث أُسند التسبيح فيها إلى الطير والجبال، كما أُسند إلى السماوات السبع والأرض والرعد في مواضع آخر من الكتاب العزيز، ويؤكّد هذا عموم قوله ﷺ: ﴿وَلَمْ يَرَهُ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنَّ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ وَكَانَ حَلِيمًا عَفُورًا﴾ [الإسراء: 44]، ولا ريب أنّ في تسبيح الكائنات بحمد خالقها ﷺ - ما عدا كفراً الإنس والجنّ - إرشاداً للعبد إلى الإكثار من ذكر الله ﷺ والتسبيح بحمده؛ لئلا تكون تلك المخلوقات التي فضلها الله ﷺ عليها أكثر منه ذِكراً، وأفضل منه تسبيحاً، فحرّي بالمؤمن أن يُكثّر من تسبيح الله ﷺ في كلّ أوقاته، ولا يكوننّ من الغافلين.

وبالتالي فإنه لا يُستبعد أنّ تسبيح الجبال يكون بلسان المقال وبلسان الحال في الوقت نفسه، لذا فإنّه تسبيح حقيقي على كيفية لا يُعرفها البشر، ويدلّ عليه قول الله ﷺ: ﴿وَلَمْ يَرَهُ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنَّ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44].

**ثالثاً:** تسبيح يونس ﷺ لربّه ﷺ: يعرض القرآن الكريم نموذجاً آخر لأحد سادات المسبّحين، وهو نبيُّ الله يونس ﷺ، وذلك في موضعين في القرآن الكريم، وهما:

**الأول:** قوله ﷺ: ﴿وَذَا الْنُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَلِّبًا فَظَنَّ أَنَّ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الْأُلُومَكَتِ أَنَّ لَأَ إِلَهٌ إِلَّا أَنَّ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنياء: 87].

وفي الآية الآنفة جَمِيعٌ بين التسبيح والتهليل، فقوله: ﴿لَأَ إِلَهٌ إِلَّا أَنَّ﴾ تهليل، وقوله: ﴿سُبْحَنَكَ﴾ تسبيح، وقد ورد التسبيح مقترباً بالتهليل في مواضع أخرى في القرآن الكريم والسنّة المطهّرة، والحكمة من ورود صيغة التسبيح مقرونة بالتهليل، أنّ التهليل صريح في نفي الألوهية عن غير الله ﷺ، وإثباتها له، كما أنّ التسبيح صريح في نفي النعائص والعيوب عن الله ﷺ، وفي الاقتران بينهما توكيده.



لتوحيد الله ﷺ وتزييه، قال ابن حجر: «فمنطق سبحان الله تزييه، ومفهومه توحيد، ومنطق لا إله إلا الله توحيد، ومفهومه تزييه، يعني فيكون لا إله إلا الله أفضل؛ لأنَّ التوحيد أصل والتزييه ينشأ عنه»<sup>(١)</sup>.

ومن الفوائد المستنبطة من الآية، أنَّ مِنْ آدَابِ الدُّعَاءِ أَنْ يَصُدُّ الدَّاعِيُّ دُعَاءَهُ بِالْتَّهْلِيلِ وَالْاسْتغْفَارِ وَالاعْتِرَافِ بِالذُّنُوبِ؛ فَإِنَّهُ حَرِيُّ أَنْ يَسْتَجَابَ لَهُ، وَمِنْ هَنَا حَظِيتُ هَذِهِ الدُّعَوَةُ بِالْمَكَانَةِ الْعَظِيمَةِ، وَدَلَّتُ السُّنَّةُ عَلَى ذَلِكَ، فَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «دُعَوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سَبَحَانَكَ إِنِّي كَنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا سَتْجَابَ اللَّهِ لَهُ»<sup>(٢)</sup>.

**الثاني:** قوله ﷺ مُوضِّحًا أَهْمَى التَّسْبِيحِ الَّذِي ذُكِرَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لِيَنَّ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلُكَ الْمَسْمُوْنَ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِيْنَ فَالْتَّقَعَدَ الْحُوتُ وَهُوَ مُلْمِمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَحِيْنَ لَلَّيْثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبَعَثُوْنَ فَنَبَذَنَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيْمٌ وَأَنْبَثَنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِيْنِ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِ أَلْفَيْ أَوْ يَزِيْدُوْنَ فَأَمْنَوْا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حَيْثِ﴾ [الصفات: ١٣٩ - ١٤٨].

وَالْأَظَهَرُ أَنَّ التَّسْبِيحَ الْمَقْصُودُ هُوَ تَسْبِيحُ الْلِّسَانِ الْمُوَافِقِ لِلْجَنَانِ<sup>(٣)</sup>.

وُيُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ التَّسْبِيحَ أَحَدُ أَسْبَابِ النِّجَاهِ مِنَ الْمَخَاطِرِ، مُثْلِمًا نَجَّيَ اللَّهُ ﷺ نَبِيَّهُ يُونُسَ ﷺ وَهُوَ فِي أَصْعَبِ الظَّرُوفِ عِنْدَمَا كَانَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ، فَنَزَّهَ رَبَّهُ بِكَلْمَةِ ﴿سُبْحَانَكَ﴾، فَاسْتَجَابَ لَهُ.

(١) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١١/٢٠٧).

(٢) الترمذى: سنن الترمذى، كتاب أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل التسبيح والتکبير والتهليل والتحميد، حديث رقم (٣٥٠٥)، (٥/٥٢٩)، قال الألبانى: صحيح.

(٣) انظر، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (١٥/١٢٧).



وورد التعبير القرآني بصيغة اسم الفاعل **﴿الْمُسَبِّحُونَ﴾**؛ وذلك للإيدان بأنَّ يونس **ﷺ** كان يكثِر مِن عبادة التسبيح في كُلِّ أوقاته، فقد كان **ﷺ** مِن المسبِّحين في بطن الحوت بدلالة الآية، وكان مِن المسبِّحين قبل ذلك قطعاً؛ فإنه نبِيٌّ كريم، والأئمَّةُ **ﷺ** أَتُمُّ الْبَشَرَ ذِكْرًا وَتَسْبِيحًا كَمَا تقرَّرَ.

**رابعاً:** تسبيح زكريا **ﷺ** لربِّه **ﷺ**: يحكي القرآن الكريم عن تسبيح نبِيٍّ زكريا **ﷺ** لربِّه **ﷺ**، وذلك في موضعين في القرآن الكريم، وهما:

**الأول:** قوله **ﷺ** **آمِرًا** زكريا **ﷺ** بكترة الذِّكر والشُّكر والتسبيح، كما قال **ﷺ** **﴿وَسَيِّخَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبَكَرِ﴾** [آل عمران: ٤١].

ومعنى قوله **ﷺ**: **﴿وَسَيِّخَ﴾** قُلْ: سبحان الله، وقال قوم: معناه: صَلٌّ، والقول الأول أصوب؛ لأنَّه يناسب الذِّكر، ويُستغرب مع امتناع الكلام مع الناس، و(العشِيِّ) في اللغة: مِن زوال الشمس إلى مغيبها <sup>(١)</sup>.

**والثاني:** قوله **ﷺ** مخبرًا عن أمر زكريا **ﷺ** قوله بالذِّكر عموماً وبالتسبيح خصوصاً: **﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَيِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيَّاً﴾** [مريم: ١١].

وقوله **ﷺ**: **﴿أَنَّ سَيِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيَّاً﴾** أي: موافقةً له فيما أُمِرَ به في هذه الأيام الثلاثة؛ زيادةً على أعماله، وشُكْرًا لله على ما أولاًه <sup>(٢)</sup>.

**خامسًا:** تسبيح موسى **ﷺ** لربِّه **ﷺ**: يحكي القرآن الكريم عن تسبيح موسى **ﷺ** لربِّه **ﷺ**، وذلك في ثلاثة موضع، وهي:

(١) انظر، ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (١/ ٤٣٢).

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (٥/ ٢١٦).



**الأول:** تسبيح موسى ﷺ عند نداء الله ﷺ له، وذلك في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُنُودَى أَنَّ بُورُكَ مَنِ فِي الْتَّارِىخِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٨].

قيل: إنَّ موسى ﷺ قال هذا التسبيح حين فرغ من سماع النداء؛ استعاناً بالله ﷺ وتنزيهاً له، وقيل: هو مِن قول الله ﷺ، ومعناه: وبُورك فيمن سَبَحَ الله ربَّ العالمين <sup>(١)</sup>.

**والثاني:** تسبيح موسى ﷺ عند لقاء ربه ﷺ، وذلك في قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَمَهُ وَرَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِّي أَنْظُرْ إِلَيَّكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أُنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ أَسْتَقِرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجْلَى رَبُّهُ وَلِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكَّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنَّ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قال أبو جعفر: «يقول تعالى ذكره: فلَمَّا ثابَ إِلَى مُوسَى فَهُمُهُ مِنْ غُشِيَّهِ، وذلك هو الإفادة مِن الصعقة التي خَرَّ لها ﷺ، ﴿قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾: تنزيهاً لك، يا ربُّ، وتبَرئَةً أَن يراكَ أَحَدُ في الدنيا، ثُمَّ يعيش، ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾: من مسأليَّكَ ما سألْتُكَ مِنْ الرُّؤْيَا، ﴿وَإِنَّ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بكَ مِنْ قوميَّ، أَن لا يراكَ في الدنيا أَحَدٌ إِلَّا هَلَكَ» <sup>(٢)</sup>.

**والثالث:** قوله ﷺ مخِيراً عن دعاء موسى ﷺ ربه ﷺ بأن يجعل أخاه هارون وزيراً له؛ ليعينه على التسبيح والذِّكر، ﴿وَلْجَعَلْ لَى وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَرُونَ أَخِي أَشْدُدَ بِدَهَّ أَزْرِي وَأَشْرِكَهُ فِي أَمْرِي كَيْ سُتِّيْحَكَ كَيْيِرَا وَنَذِرُكَ كَيْثِرَا﴾ [طه: ٢٩ - ٣٤].

وممَّا يُلْحَظُ مِنْ قول موسى ﷺ: ﴿كَيْ سُتِّيْحَكَ كَيْيِرَا وَنَذِرُكَ كَيْثِرَا﴾ [طه: ٣٣ - ٣٤]، أَنَّ أَرْقَى درجات التسبيح عند البشر هو تسبيح الرسل ﷺ، وأنَّ مدار العبادات كُلُّها

(١) انظر، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (١٦٠ / ١٣).

(٢) الطبرى: جامع البيان، (١٠٢ / ١٣).



على ذِكر الله ﷺ وتسبيحه، كما أَنَّ تَنْزِيَهَ الله ﷺ وَتَسْبِيْحَهُ عَمَّا يَفْتَرِيهِ الظَّالِمُونَ فِي حَقِّ الْخَالِقِ مِنْ مَقَاصِدِ التَّوْحِيدِ وَالدُّعَوَةِ، حِيثُ ذَكَرَ مُوسَى ﷺ الْفَائِدَةُ مِنْ سُؤْلِهِ رَبِّهِ ﷺ بِأَنْ يُشْرِكَ أَخَاهُ هَارُونَ ﷺ مَعَهُ فِي النَّبُوَّةِ، وَهِيَ أَنْ يَكُثُرَ مِنْهُمَا ذِكْرُهُ، لَذَا أَوْصَاهُمُ الله ﷺ بِمَدَوْمَةِ ذِكْرِهِ قَائِلًا: ﴿وَلَا تَنِي فِي ذِكْرِي﴾ [طه: ٤٢]، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ فِي ذِكْرِ الله ﷺ عَوْنًَا عَلَى جَمِيعِ الْأَمْوَرِ.

وإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ شَأْنُ الرَّسُلِ ﷺ مَعَ التَّسْبِيْحِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ مَنْزِلَتِهِمُ الْعَظِيمَةِ عِنْدَ الله ﷺ، فَيُنْبَغِي عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْاِقْتَدَاءِ بِهِمْ، فَيُكْثِرَ مِنْ تَسْبِيْحِ الله ﷺ فِي لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ؛ فَإِنَّ فِي إِخْبَارِ الله ﷺ عَنْهُمْ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ تَرْغِيْبًا لِغَيْرِهِمْ فِي الْاِقْتَدَاءِ بِهِمْ مِنْ بَابِ أَوْلَى.

**سادِسًا:** تَسْبِيْحُ مُحَمَّدٍ لِرَبِّهِ ﷺ: يَحْدُثُنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنْ نَمْوذِجٍ آخَرَ، هُوَ خَيْرُ مَنْ لَازَمَ تَسْبِيْحَ الله ﷺ، وَهُوَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَمِنْ شَوَّاهِدِ تَسْبِيْحِهِ لِرَبِّهِ ﷺ كَمَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ مَا يَأْتِي:

١ - ﴿قُلْ هَذِهِ سَيِّلٌ أَدْجُوًا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَّا وَمَنْ مِنْ تَبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ أَمْشِرِكِينَ﴾ [يُوسُف: ١٠٨].

٢ - ﴿سَبِّحْ أَسْمَرِيَكَ الْأَعْلَى﴾ [الْأَعْلَى: ١].

٣ - ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ مُحَمَّدَ رِيَكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَايَاتِ الْأَيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لِعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: ١٣٠].

٤ - ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ مُحَمَّدَ رِيَكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ وَمِنْ أَيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودَ﴾ [ق: ٣٩ - ٤٠].



المطلب الثاني: نماذج من تسبيح الرسل عليهم السلام لله سبحانه وتعالى ...

٥ - ﴿ وَلَقَدْ تَعْلَمَ أَنَّكَ يَضْيِقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ ﴿ فَسَيِّحَ بِهِمْ رَبِّكَ وَكُنْ مَنَ الْمَسْجِدِينَ ﴾

[الحجر: ٩٨ - ٩٧]

٦ - ﴿ فَسَيِّحَ بِإِسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٧٤].

٧ - ﴿ فَسَيِّحَ بِإِسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٩٦].

٨ - ﴿ فَسَيِّحَ بِإِسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الحافة: ٥٢].

٩ - ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَيِّحَ بِهِمْ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ ﴿ وَمِنَ الْأَيْلَلِ فَسِيِّحُهُ وَإِذْنَرَ الْتُّجُومُ ﴾ [الطور: ٤٨ - ٤٩].

١٠ - ﴿ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ ﴿ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصفات: ١٨٠] -

[١٨١].

١١ - ﴿ أَوَيْكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ رُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ تُؤْمِنَ لِرُقِيَّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُفُهُ وَقُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا سُوْلًا ﴾ [الإسراء: ٩٣].

١٢ - ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَسَتَعْفِرُ لِذَلِكَ وَسَيِّحَ بِهِمْ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَإِلَيْكَ بَكَرَ ﴾ [غافر: ٥٥].

١٣ - ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ إِثْمًا أَوْ كَوْرَا ﴾ ﴿ وَأَذْكُرْ أَسْمَرَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ ﴿ وَمِنَ الْأَيْلَلِ فَأَسْجُدْ لَهُ وَسَيِّحْ لِيَلَّا طَوِيلًا ﴾ [الإنسان: ٢٤ - ٢٦].

١٤ - ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْزِرُوهُ وَتُوَقْرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح: ٨ - ٩].

١٥ - ﴿ فَسَيِّحَ بِهِمْ رَبِّكَ وَسَتَعْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا ﴾ [النَّصْر: ٣].



١٦ - ﴿وَتَرَكَ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيِّحٌ يَحْمَدِهُ وَكَفَىٰ بِهِ بُدُُّوبٍ عِبَادَهُ﴾

﴿الفرقان: ٥٨﴾ خَيْرًا

ونلحظ من الآيات الكريمة عدّة ملحوظات، وهو ما سيجده القارئ في المطلب التالي.

## ◆ الفرع الثاني: معاني التسبيح في القرآن الكريم ◆

المتذمّر في إطلاقات مصطلح التسبيح في القرآن الكريم، يجد ما يأقى:

أ- يكثر في الآيات الكريمة إطلاق التسبيح على الصلاة، سواء كانت صلاة الفريضة أو صلاة التطوع، فجاءت بمعنى صلاة التطوع في قوله ﴿وَمَنْ أَتَيَلِ فَأَسْجُدْلَهُ وَسَيِّحْلَهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦]، وجاءت بمعنى صلاة الفريضة في قوله ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَيِّحْ يَحْمَدِرِيَّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ عَرُوبِهَا وَمَنْ ءاَنَّاَيِ أَتَيَلِ فَسَيِّحْ وَأَطْرَافَ الْنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرَضَى﴾ [طه: ١٣٠]، وممّا يدلّ على أنّ المقصود بالتسبيح هنا صلاة الفريضة حديث جرير بن عبد الله ﷺ فقد قال: «كَنَّا عند النبي ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: إنكم سترون ربّكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، فافعلوا، ثمّ قرأ: ﴿وَسَيِّحْ يَحْمَدِرِيَّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]﴾<sup>(١)</sup>.

ومن المعلوم أنّ الصلاة تتضمّن متهيّئاً التسبيح قولًا وعملاً، كما هو الحال في التسبيح القولي في دعاء الاستفتاح والركوع والسجود، وعليه فلا غرابة في تسمية

(١) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت: ٢٥٦): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسنته وأيامه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَسَيِّحْ يَحْمَدِرِيَّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]، حديث رقم (٤٨٥١)، (٦/١٣٩).



الصلاحة تسبيحاً، ويعلل الزجاج ذلك، فيقول: « وإنما سميّت الصلاة تسبيحاً؛ لأنَّ التسبيح تعظيم الله و تبرئته مِن السوء، والصلاحة يُوحَّد اللهُ فيها و يُحَمَّد و يُوصَف بكلٍّ ما يُبَرِّئه مِن السوء »<sup>(١)</sup>.

ب- كرَرَ الله ﷺ في كتابه العزيز أُمْرُه لنبِيِّه و عبده مُحَمَّد ﷺ بالتسبيح، بعد إخباره عن ضيق صدره مِن إِيذاء الْكَافِرِينَ، وأُمْرُه لِهِ بالصبر كَمَا فِي مَوْاضِعِ عَدِيدَةٍ، مِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ: ﴿فَاصْرِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِمَحْمَدِ رَبِّكَ بِالْعَشَّيِّ وَالْأَلَّبَكَرِ﴾ [غافر: ٥٥]، وَقَوْلُهُ ﷺ: ﴿وَلَقَدْ تَعْلَمَ أَنَّكَ يَضْيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [٦٧] فَسَبِّحْ بِمَحْمَدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحج: ٩٨ - ٩٧]؛ وَفِي هَذَا التَّرْتِيبِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ الصَّبَرَ يُعِينَ عَلَى تَحْمُلِ الشَّدَائِدِ، كَمَا قَالَ ﷺ: ﴿وَأَسْتَعِنُُ بِالصَّبَرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، وَلَذَا يُنْبَغِي لِلْمَكْرُوبِ أَنْ يَفْزَعَ إِلَى الله ﷺ بِالتسبيحِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَلْوَانِ الْقُرْبَاتِ؛ كَمَا يُكَشَّفُ اللَّهُ ﷺ عَنْهُ كُرْبَتَهُ، قَالَ الرَّازِيُّ: «إِنَّمَا أَمْرَ عَقِيبِ الصَّبَرِ بِالتسبيحِ؛ لِأَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى يُفِيدُ السَّلُوْنَ وَالرَّاحَةَ؛ إِذَا لَرَاهُ لِلْمُؤْمِنِينَ دُونَ لِقَاءِ اللَّهِ ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

ج- إِنَّ الْأَوَامِرَ الَّتِي خَوْطَبَ بِهَا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالتسبيحِ أَصْلًا فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، مُوجَّهَةٌ ذَاتِهَا إِلَى كُلِّ الْمَكْلُفِينَ مِنْ أَمْمَتِهِ تَبَعًا كَذَلِكَ مَا لَمْ يُقْمِدْ دَلِيلًا عَلَى الْخُصُوصِيَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَوَاتِرُ الْأَمْرِ الإِلَهِيِّ لِلْمُؤْمِنِينَ بِاسْتِدَامَةِ تَسْبِيحِ اللَّهِ ﷺ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي آيَاتٍ عَدَّةٍ، مِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ: ﴿وَسَبِّحُوهُ بِكَرَّةٍ وَأَصْبَلًا﴾ [الأحزاب: ٤٢].

د- التسبيح مِنَ الْمَقَامَاتِ الَّتِي لَهَا صَلَةٌ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ ﷺ، فَالْمُتَتَّبِّعُ لِآيَاتِ الذَّكْرِ الْحَكِيمِ الَّتِي تَضَمَّنَتْ تَسْبِيحَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ يَجِدُ أَنَّ التَّسْبِيحَ يَقْتَرَنُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ ﷺ،

(١) الزَّجاج: معاني القرآن وإعرابه، (٤٠٩/١).

(٢) الرَّازِي: مفاتيح الغيب، (٢٢/١١٣).



وَمِنْ شَوَاهِدِ ذَلِكَ تَكْرُرُ الْأَمْرِ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدَ ﷺ بِالْتَسْبِيحِ بِاسْمِ (الْعَظِيمِ) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﷺ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الوَاقِعَةُ: ٧٤]، [الوَاقِعَةُ: ٩٦]، [الْحَاقَةُ: ٥٢]، وَقَوْلِهِ ﷺ: ﴿سَبِّحْ اسْمَرَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الْأَعْلَى: ١]، كَمَا قَرَنَ اللَّهُ ﷺ فِي مَوَاضِعٍ أُخْرَى بَيْنَ التَّسْبِيحِ وَبَعْضِ أَسْمَائِهِ الْحَسَنِيِّ، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿لَوْأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّأَصْطَطِفَ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَحْدَةُ الْقَهَّارُ﴾ [الْزَّمْرُ: ٤]، وَقَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَقَالُوا أَخْذَ الرَّحْمَنَ بِوَلَدٍ سُبْحَانَهُ وَبَلْ عِبَادُ مُكَرَّمُونَ﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: ٢٦]، حِيثُ قَرَنَ ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ بَيْنَ التَّسْبِيحِ وَبَعْضِ أَسْمَائِهِ ﷺ، كَاسِمُ لِفَظِ الْجَلَالَةِ (اللَّهُ) وَالْقَهَّارِ وَالرَّحْمَنِ وَالوَاحِدِ.

هـ- التفرقة بين استعمال لفظ التسبيح متعلقاً بلفظ اسم الله، وبين عدم تعلقه به، ويفرق صاحب «التحرير والتنوير» بين استعمال ﷺ: ﴿سَبِّحْ اسْمَرَبِّكَ﴾ ونحوها، واستعمال ﴿وَسَبِّحْهُ﴾ ونحوها في الكتاب الكريم، فيقول: عُدُّي فعل الأمر بالتسبيح هنا إلى اسم، فقد تعين أنَّ المأمور به قول دالٌّ على تنزيه الله بطريقة إجراء الأخبار الطيبة أو التوصيف بالأوصاف المقدسة؛ لإثباتها إلى ما يدلُّ على ذاته ﷺ من الأسماء والمعاني، فتسبيح اسم الله يعني: النطق بتنزيهه في نفسه وبين الناس بذكر يليق بجلاله من العقائد والأعمال كالسجود والحمد، ويشمل ذلك استحضار الناطق بلفظ التسبيح معاني تلك الألفاظ؛ إذ المقصود من الكلام معناه، وبظهور النطق مع استحضار المعنى يتكرر المعنى على ذهن المتكلّم، ويتجدد ما في نفسه مِنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ ﷺ.

وَأَمَّا تَفْكُرُ الْعَبْدِ فِي عَظَمَةِ اللَّهِ ﷺ، وَتَرْدِيدُ تَنْزِيهِهِ فِي ذَهْنِهِ، فَهُوَ تَسْبِيحٌ لِذَاتِ اللَّهِ وَمُسَمَّى اسْمِهِ، وَلَا يُسَمَّى تَسْبِيحٌ بِاسْمِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَجْرِي عَلَى لِفَظٍ مِنْ أَسْمَاءِ



الله ﷺ، فهذا تسبيح ذات الله، وليس تسبيحاً لاسمه <sup>(١)</sup>.

و- تنوع تصاريف التسبيح في الكتاب الكريم، حيث جاء فعل الماضي (سبح)، وفعل المضارع (يسبح)، وفعل الأمر (سبح)، وصيغة المصدر (سبحان)، وإنما عُبر بالماضي تارة وبالمضارع أخرى؛ ليبيّن أنَّ ذلك التسبيح لله ﷺ هو شأن أهل السموات وأهل الأرض، ودأبهم في الماضي والمستقبل، <sup>(٢)</sup> ففيه إيماء إلى أنَّه ينبغي الاستمرار في تنزيه الله ﷺ في كل وقت، كما يُشعر استخدام الذكر الحكيم للتسبيح بصيغة فعل الأمر، بالتركيز على أهمية التسبيح.

ز- قول: (سبحان الله وبحمده) من أفضل صيغ التسبيح المأمور بها في آيات عديدة من القرآن الكريم، كما في قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: ٥٨]، كما جاء في عدد كبير من أحاديث السنة النبوية الشريفة ما يخصُّ فضل التسبيح بحمد الله، منها قول النبي ﷺ: «كلماتان خفيتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده» <sup>(٣)</sup>.

وتبيَّن مما سبق في هذا المطلب، أنَّ الرسول ﷺ هم أكمل البشر ذكراً، وأتمُّهم تسبيحاً، وقد شمل تسبيحةِهم القول والاعتقاد والعمل، كما شمل الأحوال جميعها. كما خلُصتُ إلى أنَّ في توجيه الله ﷺ لأنبيائه ﷺ أن يسبِّحوه؛ دلالة على أنَّه ﷺ يحبُ التسبيح والتمجيد وغيره من ألوان الذكر، ويحبُّ مِن عباده أن لا يفتروا عن تسبيحة ﷺ، ففيه تنبية للمؤمنين إلى الإكثار من تسبيح الله ﷺ باللسان والجنان والأركان.

(١) انظر، ابن عاشور: التحرير والتنوير، (٣٠/٢٧٤).

(٢) الشنقيطي: أصوات البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٧/٥٤).

(٣) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، حديث رقم (٦٤٠٦)، (٨/٨٦).

وَظَهَرَ تَنَابُعُ الْفَاظِ تَسْبِيحِ اللَّهِ كَثِيرًا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ وَلِعَلَّ الْحِكْمَةَ مِنْ ذَلِكَ؛ كَيْ يَرْتَاضَ لِسَانَ التَّالِي لِكِتَابِهِ الْكَرِيمِ عَلَى الْذِكْرِ، وَلِيَتَعَلَّمَ الْأَدْبَرَ مَعَ اللَّهِ كَثِيرًا. لَذَا فَحْرَيْتُ بِالْمُؤْمِنِ أَنْ يَرْطُبَ لِسَانَهُ بِالتَّسْبِيحِ؛ لِيَنَالَ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ مِنَ اللَّهِ كَثِيرًا.

كَمَا تَبَيَّنَ مِنْ خَلَالِ التَّأْمِلِ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْآنَفَةِ الْذِكْرِ، أَنَّ اللَّهَ كَثِيرًا قَدْ كَرَرَ أَمْرَهُ بِالتَّسْبِيحِ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدَ كَثِيرًا عَلَى الْخَصُوصِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، فَقَامَ كَثِيرًا بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ خَيْرَ قِيَامٍ، فَأَكْثَرُ مِنْ تَسْبِيحِ اللَّهِ كَثِيرًا فِي صَلَاةِ الْفَرِيْضَةِ وَالْتَّهَجُّدِ، كَمَا أَكْثَرَ مِنْ تَسْبِيحِهِ كَثِيرًا جَمِيعَ الْأَوْقَاتِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ، وَخَتَمَ كَثِيرًا عُمَرَهُ الْمَبَارِكَ بِالتَّسْبِيحِ وَالْحَمْدِ وَالْاسْتَغْفَارِ، كَمَا رَغَبَ أَمَّتَهُ بِالْإِكْثَارِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ كَثِيرًا وَتَسْبِيحِهِ، وَبَيَّنَ لَهُمْ فَضَائِلَهُ كَمَا تَجَلَّتْ ذَلِكَ فِي أَحَادِيثِ كَثِيرَةٍ، فَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ شَأْنُ النَّبِيِّ مُحَمَّدَ مَعَ التَّسْبِيحِ رَغْمًا عَلَوْ قَدْرِهِ، وَاصْطِفَاهُ بِالرِّسَالَةِ، وَعَصَمَتْهُ مِنَ الذَّنْبِ، فَكِيفَ يَكُونُ حَالُ الْعِبَادِ الْخَطَّائِينَ؟

وَفِي خَتَامِ هَذَا الْمَطْلَبِ أَحْسَبَ أَنَّ الْقَارِئَ طَوَّفَ فِي جَنَابَاتِ التَّسْبِيحِ فِي حَيَاةِ الرَّسُلِ كَثِيرًا، وَتَعْرَفَ عَلَى سَادَاتِ الْمُسْبِحِينَ مِنَ الْبَشَرِ، وَوَقَفَ عَلَى مَشَاهِدَ مِنْ ذِكْرِهِمْ اللَّهِ كَثِيرًا، وَاتَّضَحَتْ لَهُ إِجَابَةُ السُّؤَالِ الثَّانِي: مَنْ هُمُ الرَّسُلُ كَثِيرًا الَّذِينَ قَصَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ تَسْبِيحَهُمْ اللَّهِ كَثِيرًا؟

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ فَإِنِّي أَزْعَمُ أَنَّ الْقَارِئَ قَدْ تَشَوَّقَتْ نَفْسُهُ؛ لِمَعْرِفَةِ الْقِيمِ التَّرْبُوِيَّةِ الْمُسْتَبْنَطَةِ مِنْ تَسْبِيحِ الرَّسُلِ كَثِيرًا، وَهَذَا هُوَ مَوْضِعُ الْمَطْلَبِ التَّالِيِّ.





### المطلب الثالث

## فضل التسبيح والقيم التربوية المستنبطة من تسبيح الرسل في القرآن الكريم

سأبّين في هذا المطلب فضل التسبيح في القرآن الكريم، ثمّ سأعرّج على استنباط أهمّ القيم التربوية من تسبيح الرسل ﷺ في التنزيل العزيز، وذلك على النحو الآتي:

### ◆ الفرع الأول: فضل التسبيح<sup>(١)</sup> ◆

فإنَّ التسبيح مِنْ أَجْلِ العبادات القولية، وله منزلة جليلة في القرآن الكريم والسنة المطهّرة، وممَّا يدلُّ على فضله في التنزيل العزيز على وجه الخصوص ما يأتي:

\* إنَّ التسبيح عبادة عقدية؛ لأنَّ حقيقته تنزيه الله ﷺ عن صفات النقص، وهذا مِنْ أصول الاعتقاد.

\* إخبار الله ﷺ عن تسبيح الجمادات والكائنات له ﷺ، حيث أخبر ﷺ عمّا أَنْعَمَ به على نبيه داود عليه السلام من تأويب الطير وتسبيح الجبال معه، كما في قوله ﷺ: ﴿وَسَخَّرَنَا مَعَ دَاؤِدَ الْجَبَالَ يُسَيِّحُنَّ وَالْطَّيْرَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

\* إنَّ الله ﷺ جَعَلَ التسبيح شِعَارًا لرُسُلِه وأَنبِيائِه ﷺ، كما أَمَرَ به عباده عامَّة

(١) لمزيد بيان في هذا الموضوع. انظر، شواهنة: تسبيح الرسول محمد ﷺ دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم، (ص ١٨ - ١٩).



ورسُلُهُ ﷺ خاصَّةٌ في مواضعٍ عدِيدَةٍ في كتابِهِ العزيزِ، وفي استخدامِ القرآنِ الكريِّمِ للتسبيحِ بصيغةِ فعلِ الأمرِ خاصَّةٌ دلالةً بيِّنةً علىِ أهميَّتِهِ.

\* اتصفَ المولى ﷺ بصفةِ النِّزاهَةِ مِنْ كُلِّ عِيبٍ، وقد اشتَقَ مِنْ صفةِ التَّسْبِيحِ اسْمَ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحَسَنَى، حيثُ سُمِّيَ ﷺ نَفْسَهُ بـ(السُّبُوحِ)، وَمِنْ الْأَسْمَاءِ الْحَسَنَى الَّتِي تَرْجَعُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى اسْمُهُ الْقَدُّوسُ وَالسَّلَامُ وَالْمَتَعَالِي؛ وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ كَبِيرَةٌ إِلَى فَضْلِ التَّسْبِيحِ وَمَكَانِتِهِ الْجَلِيلَةِ.

\* إِنَّ لِلتَّسْبِيحِ ثِمَارًا عَظِيمَةً، مِنْهَا أَنَّهُ يُصِلُّ بِالذَّاكِرِ الْمُسَبِّحِ إِلَى مَرْتَبَةِ الرِّضَا، وَانْشَرَاحِ الصَّدَرِ، كَمَا أَنَّهُ يُعِينُ عَلَى الصَّبَرِ، وَلِذَلِكَ يَأْمُرُ الْمَوْلَى ﷺ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِهِ بَعْدَ أَمْرِهِ لِهِ بِالصَّبَرِ فِي خَمْسَةِ مَوَاضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: ﴿فَاصِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [طه: ١٣٠].

\* كثرة ورود ألفاظ التسبيح في القرآن الكريِّمِ، حيثُ وردت مادَّةُ (سَبَّحَ) في سبعة وثمانين موضعًا بتصارييفها المتعدِّدة، وهذا دليلٌ بيِّنٌ علىِ الأهميَّةِ القصوىِ التي تَحْظَىُ بها هذهِ العبادة، (١) وممَّا وردَ في شأنِهِ استهلالُ سبعُ سورٍ مِنَ القرآنِ الكريِّمِ به، وهي السُّورَ التي سُمِّيَتْ بِالْمُسَبِّحَاتِ، وهي: الإِسْرَاءُ، الْحَدِيدُ، الْحَشْرُ، الْصَّفُ، وَالْجَمْعَةُ، وَالْتَّغَابُنُ، وَالْأَعْلَى، كما ذَكَرَ اللَّهُ ﷺ التَّسْبِيحَ فِي مفَاتِحِ سُورَةِ النَّحْلِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿أَتَقْ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعِجِلُوْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعْلَمَ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ [النَّحْل: ١].

\* جعلَ اللَّهُ ﷺ مِنْ حِكْمَمِ بَعْثَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ تَسْبِيحَ اللَّهِ وَتَنْزِيهِهِ، كما في قَوْلِهِ:

(١) انظر، عبد الباقِي: المُعجمُ المُفهَّرُ لِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مادَّةُ (سَبَّحَ)، (٣٣٩ - ٣٤٠).



﴿إِنَّا أَنَّا سَلَّنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ لِتَقُولُوا إِنَّا وَرَسُولُهُ وَتُعَزِّزُوهُ وَتُؤْفِرُوهُ وَتُسَيِّمُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح: ٨ - ٩].

\* إفراد التسبيح بالذكر من بين الأذكار في بعض آيات القرآن الكريم، بالرغم من اندراجه في عموم الأذكار، ومن شواهد ذلك قوله ﷺ على لسان موسى رضي الله عنه: ﴿كَنْ تُسَيِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذِيرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٣٣ - ٣٤]، وفي هذا دلالة بيّنة على أنه العمدة.

## ◆ الفرع الثاني: القيم التربوية المستنبطة من تسبيح الرسل ﷺ في القرآن الكريم.

بعد الانتهاء من بيان المترفة الجليلة للتسبيح في القرآن الكريم، فإنه يحسن بنا أن نعرّج على أهم الجوانب التربوية المستنبطة من تسبيح الرسل ﷺ لربّهم ﷺ في الذكر الحكيم، ومن أهمّها ما يأتي:

١ - التسبيح منهج الرسل ﷺ عموماً: حيث لازمت عبادة الذكر والتسبيح جميع المرسلين ﷺ، فكانوا أئمّة في كثرة ذكرهم الله ﷺ وتسبيحهم لذاته العلية بألسنتهم وقلوبهم وأفعالهم، وقد أكد القرآن الكريم أنّ تسبيح الله ﷺ كان شأن رسول الله ﷺ جميّعاً، ومن خلال استقراء آيات القرآن الكريم تبيّن أنّ الله ﷺ قصّ نماذج عديدة من تسبيح رسله ﷺ؛ وذلك كي يقتدي المسلم بالمرسلين ﷺ في دوام ذكرهم لربّهم ﷺ.

وقد أمر الله ﷺ أنبياءه الكرام ﷺ بهذه العبادة الجليلة، ومن شواهد ذلك أمره نبيه زكريا ﷺ بالتسبيح بقوله: ﴿وَسَيَّحَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران: ٤١]، وفي الوقت نفسه يطلب زكريا ﷺ من قومه تسبيح الله ﷺ، كما حكى ﷺ: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنَّ سَيِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]، وأخبر الله ﷺ عن نبيه داود ﷺ بقوله: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ وَيُسَيِّحُونَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨]، كما ذكر ﷺ عن بعض رسله ﷺ سخّرنا الجبال معه ويسّيّحون بالعشيق والإشراق.



لهُجَمَّ بِالْتَسْبِيحِ، كَمَا قَالَ عَلَى لِسَانِ الْمَسِيحِ عِيسَى ﷺ: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحِقٍ﴾ [الْمَائِدَةِ: ١١٦]، وَحَكَى تَسْبِيحُ الْكَلِيمِ مُوسَى ﷺ -أيضاً- بِقَوْلِهِ: ﴿سُبْحَانَكَ تُبَثُ إِلَيْكَ وَإِنَّ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الْأَعْرَافِ: ١٤٣]، كَمَا قَصَّ تَسْبِيحُ يُونُسَ ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ﴾ [الْأَنْبِيَاءِ: ٨٧]، هَذَا وَقَدْ أَمَرَ بِهِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدًا ﷺ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الْوَاقِعَةِ: ٧٤].

٢- اختصاص التسبيح بالله ﷺ وحده: فَإِنَّ الْمَتَّأْمِلَ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَلْحَظُ أَنَّ التَّسْبِيحَ سَوَاءً جَاءَ بِالْلَفْظِ أَوْ بِالْاعْتِقَادِ حُقُّ الْخَالِصِ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ، لَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُنْعَتَ بِهَا أَحَدٌ سَوَاهُ أَيَّاً كَانَ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ ﷺ وَحْدَهُ صَفَاتُ الْكَمَالِ الْمُطْلَقَ، كَمَا أَنَّ لِغَيْرِهِ -أَيَّاً كَانَ- صَفَاتُ النَّقْصِ، مِنْهَا لَا يُذَكَّرُ لَفْظُ التَّسْبِيحِ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِلَّا مُضَافًا إِلَيْهِ لَفْظُ الْجَلَالَةِ أَوْ اسْمَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ، أَوْ صَفَةٍ مِنْ صَفَاتِهِ أَوْ ضَمِيرِ عَائِدِ إِلَيْهِ ﷺ، وَمِنْ شَوَاهِدِ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدًا ﷺ: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا آنَّمِنَ الْمُشَرِّكِينَ﴾ [يُوسُفُ: ١٠٨] <sup>(١)</sup>.

٣- اقتران التسبيح بالفاظ الذكر والثناء على الله ﷺ: فَإِنَّ الْمُتَتَّبِعَ لِلْأَفَاظِ التَّسْبِيحِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، يَجِدُ أَنَّ اللَّهَ ﷺ قَرَنَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ كَثِيرًا بَيْنَ التَّسْبِيحِ وَالْأَفَاظِ الْذَّكْرِ الْأُخْرَى، حِيثُ قَرَنَ بَيْنَ التَّسْبِيحِ وَالْذَّكْرِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿كَسُبِّحَكَ كَثِيرًا وَذَكِرْكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٣٣ - ٣٤]، وَقَرَنَ التَّسْبِيحُ بِالْحَمْدِ وَهُوَ الْأَغْلَبُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا﴾ [النَّصْر: ٣]، وَقَرَنَ بَيْنَ التَّسْبِيحِ وَالْاسْتَغْفَارِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿فَاصْرِبْ إِنَّهُ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنِبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشَيِّ وَالْإِبَكَرِ﴾ [غافر: ٥٥]، وَقَرَنَ بَيْنَ التَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ، كَمَا

(١) انظر، شواهنة: مقال بعنوان: تسبيح المؤمنين في ضوء القرآن الكريم.



في قوله ﷺ: ﴿دَعُوَ لَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ [يونس: ١٠]، وقرن بين التسبيح والسلام على الرسل ﷺ، كما في قوله ﷺ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصفات: ١٨٠ - ١٨١]، وقرن التسبيح بالصبر، كما في قوله ﷺ: ﴿فَاصْرِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَيَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [طه: ١٣٠]، وقرن التسبيح بالتوكل، كما في قوله ﷺ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيَّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِدُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقرن التسبيح بالإيمان، كما في قوله ﷺ: ﴿إِنَّمَّا مُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزِّزُهُ وَتُؤْقَرُهُ وَسُسِّيْحُوهُ بُشَّرَةٌ وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩].

وما سبق إيراده لا يفهم منه أنَّ التَّسْبِيحَ يَرِدُ دَائِمًا مَقْتَرَنًا بِعَضِ الْأَفْاظِ الْذِكْرِ الْأُخْرَى، فَقَدْ يَرِدُ مُفْرَدًا أَحْيَانًا، وَمِنْهُ التَّسْبِيحُ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ عِيسَى ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍ﴾ [المائدة: ١١٦].

٤- أَزْمَنَةُ التَّسْبِيحِ: التَّسْبِيحُ عِبَادَةٌ تُشَرِّعُ فِي كُلِّ وَقْتٍ، لَكِنَّهَا تَتَأَكَّدُ فِي الْأَوْقَاتِ الْفَاضِلَةِ، وَمِنَ الْأَزْمَنَةِ الَّتِي جَاءَ الْأَمْرُ بِالْتَّسْبِيحِ فِيهَا زَمْنُ النَّهَارِ وَأَطْرَافُ النَّهَارِ وَوقْتُ الصُّبْحِ، وَالْمَرَادُ: صَلَاةُ الْفَجْرِ، وَالْغُدُوُّ، وَالْبُكْرَةِ، وَقَبْلِ طَلُوعِ الشَّمْسِ، وَهَذِهِ الْأَفْاظُ تَطْلُقُ عَلَى زَمْنٍ وَاحِدٍ وَهُوَ أَوَّلُ النَّهَارِ مِنْ طَلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طَلُوعِ الشَّمْسِ، وَالْإِشْرَاقِ وَهُوَ: وَقْتُ شَرُوقِ الشَّمْسِ، وَالْعَشِيُّ، وَيَطْلُقُ عَلَى الْوَقْتِ مِنْ زَوَالِ الشَّمْسِ إِلَى غُرُوبِهَا، فَيَدْخُلُ فِيهِ وَقْتَا الظَّهَرِ وَالْعَصْرِ، وَمِنْ ذَلِكَ صَلَاتِي الظَّهَرِ وَالْعَصْرِ، وَقَبْلِ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَالْأَصِيلُ، وَوقْتُ الْأَصِيلِ: بَعْدِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَالْمَسَاءِ، وَاللَّيلِ وَأَنَاءِ اللَّيلِ، وَهُوَ: أَوَّلُ اللَّيلِ مِنْ حِينِ تَغْرِبِ الشَّمْسِ أَوْ تَدْنُو مِنَ الْغُرُوبِ إِلَى أَنْ يُظْلَمَ اللَّيلُ، وَإِدْبَارُ النَّجُومِ، وَوقْتُ إِدْبَارِ النَّجُومِ: هُوَ وَقْتُ السَّحْرِ قَبْلِ النَّهَارِ، وَحِينِ الْقِيَامِ، وَيَقْصِدُ بِهِ: الصَّلَاةُ، سَوَاءَ كَانَتْ فَرْضًا أَوْ نَفَلًا،



وأدبار السجود، ويقصد به: بعد انتهاء الصلاة.

وفي مجيء الأمر بالتسبيح في القرآن الكريم في أزمنة مختلفة؛ إرشاد للعباد بإدامة التسبيح، فينطلق العبد يسبح خالقه ويحمده في أوقات الليل والنهار جميعها، كما أشار ﷺ: **﴿فَإِذَا فَرَّغَتِ فَأَنْصَبْ ﴾** ٧ - ٨ [الشرح: ٨]

ولعل الحكمة من مزيد تخصيص زمئي الصباح والمساء بالتسبيح كثيراً؛ لتكررهما، ولشرفهمما؛ كونهما آيتين عظيمتين من آيات الله ﷻ، ولسهولته فيهما، وليُعمّ الأمر بالتسبيح جميع الأوقات، ولهذا شُرعت أذكار الصباح والمساء عند وقت الصباح وقت الغروب، أمّا الحكمة من الأمر بالتسبيح بالليل؛ لأنّه محل السكون والنوم، فهو أشق على النفوس، فالثواب فيه أعظم، كما أنّه أجمع للقلب، وعليه فللذكر في الليل مزية على غيره من الأوقات.

وفي ختام هذا المطلب أحسب أنّ القارئ طَوَّفَ في جنبات تسبيح الرسول ﷺ لربّهم ﷻ، واتضحت له إجابة السؤال الثالث: ما أَهْمَ القيم التربوية المستنبطة من تسبيحهم ﷻ؟ وبهذا تكون جميع أسئلة الدراسة قد تكاملت إجاباتها، ولم يتبق إلّا إيضاح ما خرجت به الدراسة من نتائج ووصيات تضمّنتها خاتمة الدراسة، وهو ما سيجده القارئ الكريم في الإيراد التالي.





## الخاتمة

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أمّا بعد:

فإنّه بعد الجولة العطرة بين ثنایا موضوع (تسبيح الرسول ﷺ في ضوء القرآن الكريم)، مِن خلال استقراءٍ لعددٍ غفيرٍ من الآيات القرآنية، يمكن استنباط النتائج الآتية:

\* أجمع تعريف للتسبيح في الشرع، أنه: تنزيه الله ﷺ اعتقاداً وقولاً وعملاً عمّا لا يليق بجنبه.

\* نظائر التسبيح في القرآن الكريم هي: الحمد، والسلام، والتقديس، والتأویل، وتعالیٰ، وحاش الله.

\* للتسبيح منزلة جليلة، وممّا يدلّ على فضله، أنّه عبادة اعتقادية؛ لأنّ حقيقته تنزيه الله ﷺ عن صفات النقص، وأنّ الله ﷺ جعله شعاراً لرسوله وأنبائيه ﷺ، وأنّ الله ﷺ أمر به عباده عامةً ورسوله ﷺ خاصةً أمراً صريحاً في كتابه الكريم، كما سمّى الله ﷺ ذاته العلية بـ(السبّوح)، إضافة إلى كثرة ورود ألفاظه في القرآن الكريم، حيث وردت مادة (سبّح) في سبعة وثمانين موضعًا بتصاريفها المتعدّدة، ناهيك عن اقتراحه بألفاظ الذّكر والثناء على الله ﷺ، كالحمد والذّكر والإيمان والدعاء والاستغفار والصبر والتوكل، واقتراحه -أيضاً- ببعض أسماء الله الحسنى وصفاته العلیٰ، فضلاً عن بيان القرآن الكريم لبعض ثمراته، ومنها أنّ الله ﷺ جعله زاداً للصابرين، كما جعله أحد أسباب النجاة من المخاطر، كما يستفاد من قصة نجاة النبي يومنس عليه السلام.



\* التسبيح عبادة تُشرع في كُلّ وقت، لكنّها تتأكد في الأوقات الفاضلة، وفي مجيء الأمر بالتسبيح في القرآن الكريم في أزمنة مختلفة؛ إرشاد للعباد بإدامة التسبيح في جميع الأوقات، وإيذاناً باختصاص بعض أزمنة التسبيح بمزيد مزية على غيرها.

\* اختصاص التسبيح بالله ﷺ وحده؛ فإنَّ المتأمِّل في آيات القرآن الكريم يلحظ أنَّ التسبيح سواء جاء باللفظ أو بالاعتقاد حقّ خالص من حقوق الله ﷺ، لذا لا يجوز أن يُنعت بها أحدُ سواءً أياً كان؛ وذلك لأنَّ الله ﷺ وحده صفات الكمال المطلقة.

\* المتدبر في إطلاقات مصطلح التسبيح في القرآن الكريم، يجد أنه يكثر في الآيات الكريمة إطلاق التسبيح على الصلاة، وأنَّ التسبيح من المقامات التي لها صلة بأسماء الله ﷺ، وتنوع تصاريف التسبيح في الكتاب الكريم، وأنَّ قول: (سبحان الله وبحمده) من أفضل صيغ التسبيح المأمور بها في آيات عديدة من القرآن الكريم.

\* تنوع أساليب القرآن الكريم في عرض تسبيح الرسُل ﷺ لربِّهم ﷺ، فتارةً يأمرهم به، وتارةً يوجّهم إلى أن يأمروا به أقوامهم، وتارةً يذكر تسبيح رُسُلِه ﷺ لذاته العلية، وأخرى يبيّن فضائله وثمراته.

\* التسبيح منهج الرسُل ﷺ عموماً، حيث لازمت عبادة التسبيح جميع المرسلين ﷺ، فكانوا أئمة في كثرة تسبيحهم للذات العلية بأسنتهم وقلوبهم وأفعالهم، وقد قصَّ الله ﷺ في القرآن الكريم مشاهد عديدة من تسبيح رُسُلِه ﷺ، ومنهم نبيُّه زكرياً وداوداً والمسيح عيسى والكليم موسى ونبيُّنا محمد عليهم الصلاة والسلام.



\* الحكمة من تتابع الفاظ تسبيح الله ﷺ في القرآن الكريم؛ كي يرتأض لسان التّالِي على الذّكر، ولি�تعلّم الأدب مع الله ﷺ، فحرّي بالمؤمن أن يرطّب لسانه بالتسبيح؛ لينال الأجر العظيم مِنَ الله ﷺ.

وفي ضوء هذه النتائج، فإنّي أوصي بما يأتي:

- 1 - العودة إلى المفهوم الأصيل للذّكر عموماً وللتسبّيح خصوصاً؛ من خلال الجمع بين قول اللسان واعتقاد القلب وعمل الجوارح.
- 2 - توجيه البحوث العلمية إلى البحث في العبادات القلبية في القرآن الكريم، ودراسة أثرها في تنمية الشخصية.

وبعد؛ فهذا ما يسّر الله ﷺ للباحث الوصول إليه في هذا البحث المختصر، وأسئلته ﷺ أن يجعلنا ممّن يسبّحه كثيراً ويذكّره كثيراً، وصلوات الله وسلامه على أشرف خلقه وراج رسله محمد وعلي آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.





## ثُبُّ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- «تهذيب اللغة»، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠)، تحقيق: محمد عوض مرعب، (ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).
- ٣- «الرسل والرسالات»، الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله العتيبي: (ط٦، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م).
- ٤- «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»، البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت: ٢٥٦)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (ط٣، بيروت، دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- ٥- «النبوّات»، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطريان، (ط١، الرياض، أضواء السلف، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).
- ٦- «جامع المسائل»، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد عزيز شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، (ط١، مكة، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ).
- ٧- «مجموع الفتاوى»، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (د. ط، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).
- ٨- «سنن الترمذى»، الترمذى، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، (ط١، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).



- ٩ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢)، (د. ط، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ).
- ١٠ - مفاتيح الغيب، الرازبي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر (ت: ٦٠٦ هـ)، (ط، ٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ).
- ١١ - معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (ت: ٣١١ هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (ط ١، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).
- ١٢ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت: ٥٣٨): تحرير: الإمام الرizلي، (ط ٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ).
- ١٣ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت: ٩٨٢ هـ)، (د. ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت).
- ١٤ - أصوات البيان في إيضاح القرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر (ت: ١٣٩٣ هـ)، (د. ط، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).
- ١٥ - تسييح الرسول محمد ﷺ دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم، شواهنة، حمزة عبد الله سعادة: بحث محكم، (المملكة العربية السعودية، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن)، مج (٦)، ع (١)، (١٤٤٢ هـ).
- ١٦ - تسييح المؤمنين في ضوء القرآن الكريم، شواهنة، حمزة عبد الله سعادة: مقال بعنوان: ، مجلة البيان، ع (٣٨٨)، ٨ / ٨ / ٢٠١٩ م.
- ١٧ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠ هـ): تحقيق: محمود محمد شاكر، وتحرير: أحمد محمد شاكر، (ط ١، د. ن، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م).
- ١٨ - التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت: ١٣٩٣ هـ): د. ط، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ هـ).



- ١٩ - **«المعجم المفهوس لألفاظ القرآن الكريم»**، عبد الباقي، محمد فؤاد (ت: ١٣٨٨ هـ)، (د. ط، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م).
- ٢٠ - **«المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»**، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسى المحاربى (ت: ٥٤٢ هـ): تحقيق: عبد السلام عبد الشافى محمد، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ).
- ٢١ - **«شرح الأصول الخمسة»**، القاضى عبد الجبار، أحمد بن خليل بن عبد الله الهمذانى (ت: ٤١٥ هـ)، (تحقيق: عبد الكريم عثمان، (ط١، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٦٥ م).
- ٢٢ - **«الجامع لأحكام القرآن»**، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: ٦٧١ هـ): تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، (ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م).
- ٢٣ - **«مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»**، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: ٧٥١ هـ): تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، (ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م).
- ٢٤ - **«الفوائد»**، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: ٧٥١ هـ)، (ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م).
- ٢٥ - **«تفسير القرآن العظيم»**، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ): تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م).
- ٢٦ - **«التبسيح في الكتاب والسنّة والرد على المفاهيم الخاطئة فيه»**، د. كندو، محمد بن إسحاق، (ط١، الرياض، دار المنهاج، ١٤٢٦ هـ).
- ٢٧ - **«مدارك التنزيل وحقائق التأویل»**، النَّسَفِيُّ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت: ٧١٠ هـ): تحقيق: يوسف علي بدبو، (ط١، بيروت، دار الكلم الطيب، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).



## References and Sources

1. The Holy Quran
2. (*Tahzeeb Al-Lughah*), Al-Azhari, Abu Mansour Mohammed bin Ahmed (Died: 370), investigated: Mohammed Awad Mereb, (1<sup>st</sup> edition, Beirut, Dar Ihiyau Al-Turth Al-Arabi, 2001 AD).
3. (*Messengers and Messages*), Al-Ashqar, Omar bin Suleiman bin Abdullah Al-Otaibi: (6<sup>th</sup> Edition, Kuwait, Dar Al-Nafaes for Publishing and Distribution, 1410 AH / 1989 AD).
4. (*Al-Jamei' al-Musnad al-Sahih al-Mukhtasar m'm Omouri Rasulillah PBUH, wa-Sunanah wa Ayamih*), Al-Bukhari, Abu Abdullah Mohammed bin Ismail Al-Jaafi (Died: 256), investigation: Dr. Mustafa Dib Al-Bagha, (3<sup>rd</sup> Edition, Beirut, Dar Ibn Katheer, 1407 AH - 1987 AD).
5. (*Al-Nobowwat*), Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim bin Taymiyyah Al-Harrani (Died: 728 AH), investigation: Abdul Aziz bin Saleh Al-Tuwyan, (1st edition, Riyadh, Adwaa al-Salaf, 1420 AH / 2000 AD), 2/714.
6. (*Jamei Al-Masa'el*), Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim bin Taymiyyah Al-Harrani (Died: 728 AH), investigation: Mohammed Uzair Shams, supervised by: Bakr bin Abdullah Abu Zaid, (1<sup>st</sup> edition, Makkah, Dar Alam Al-Fawaed for Publishing and Distribution, 1422 AH). ).
7. (*Majmou Al-Fatwa*), Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim bin Taymiyyah Al-Harrani (Died: 728 AH), investigated: Abdul Rahman bin Mohammed bin Qasim, (No edition number, Kingdom of Saudi Arabia, King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an - 1416 AH / 1995 AD).
8. (*Sunan Al-Tirmidhi*), Al-Tirmidhi, Abu Issa Mohammed bin Issa bin Surah bin Musa (Died: 279 AH), investigation: Bashar Awad Maarouf, (1<sup>st</sup> Edition, Egypt, Mustafa Al-Babi Al-Halabi Bookstore and Press Co., 1395 AH - 1975 AD).
9. (*Fath Al-Bari, Sharh Sahih Al-Bukhari*), Ibn Hajar, Abu Al-Fadl Ahmed



- bin Ali Al-Asqalani (Died: 852) (No edition number, Beirut, Dar Al-Maarifah, 1379 AH).
10. (*Mafatihu Al-Ghaib*), Al-Razi, Abu Abdullah Fakhr Al-Din Mohammed Bin Omar (Died: 606 AH), (3<sup>rd</sup> Edition, Beirut, House of Revival of Arab Heritage, 1420 AH).
  11. (*Maani Al-quran wa Eraboh*), Al-Zajjaj, Abu Is'haq Ibrahim bin Al-Sari bin Sahl (Died: 311 AH), investigation: Abdul Jalil Abdo Shalabi, (1st Edition, Beirut, World of Books, 1408 AH - 1988 AD).
  12. (*Al-Kashfa'n Haqaiqu Al-Tanzeel wa Eyoun Al-Aqaveel fi Wojoh Al-Tanzeel*), Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Mahmoud Bin Omar (Died: 538): Investigated: Imam Al-Zaila'i, (3<sup>rd</sup> Edition, Beirut, Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1407 AH).
  13. (*Guidance of Sound Mind to the Merits of the Holy Quran*), Abu Al-Saud, Mohammed bin Mohammed Al-Emadi (Died: 982 AH), (No edition number, Beirut, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, without publishing date).
  14. (*Adwa Al-Bayan fi Edah A\_Quran bil-Quran*), Al-Shanqiti, Mohammed Al-Amin bin Mohammed Al-Mukhtar bin Abdul Qader (Died: 1393 AH), (No edition number, Lebanon, Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, 1415 AH - 1995 AD).
  15. (*Prophet Mohammed's Tasbeeh, an objective study in View of the Holy Qur'an*), Shawahna, Hamza Abdullah Saadah: Arbitrary Research, (The Kingdom of Saudi Arabia, Journal of Sharia Sciences and Arabic Language, Princess Noura bint Abdul Rahman University), Vol. (6), Issue (1), (1442 AH).
  16. (*Believers Tasbeeh in View of the Holy Qur'an*), Shawahna, Hamza Abdul-Ilah Saadah: entitled article: Al-Bayan Magazine, Issue (388), 8/8/2019 AD.
  17. (*Jami' al-Bayan fi Tafseer Ayei Al-Quran*), Al-Tabari, Abu Jaafar Mohammed bin Jarir (Died: 310 AH): Investigation: Mahmoud Mohammed Shaker, and investigated by: Ahmed Mohammed Shaker, (1<sup>st</sup> edition, No Publisher, Al-Resala Foundation, 1420 AH / 2000 AD).
  18. (*At'tahreer wa-Atanweer*), Ibn Ashour, Mohammed Al-Taher bin Mohammed bin Mohammed Al-Taher (Died: 1393 AH): (No edition number, Tunis, Tunisian Publishing House, 1984 AH).
  19. (*The Indexed Dictionary of the Words of the Noble Qur'an*), Abdel-Baqi, Moham-



- med Fouad (Died: 1388 AH), (1<sup>st</sup> Edition, Cairo, Dar Al-Hadith, 1422 AH - 2001 AD).
20. (*Al-Mohriru Al-Wajiz fi Tafseer Al-Kitab Al-Aziz*), Ibn Attia, Abu Mohammed Abdul Haq bin Ghaleb Al-Andalusi Al-Maharbi (Died: 542 AH): Investigation: Abdul Salam Abdul Shafi Mohammed, (1<sup>st</sup> Edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Elmiyyah, 1422 AH).
21. (*Sharhu Al-Usoul Al-Khamsah*), Al-Qadi Abdul-Jabbar, Ahmed bin Khalil bin Abdullah Al-Hamadhani (Died: 415 AH), (Investigated by: Abdul Karim Othman, (1<sup>st</sup> edition, Cairo, Wahba Bookstore, 1965 AD).
22. (*Al-Janei Li-Ahkam Al-Quran*), Al-Qurtubi, Abu Abdullah Mohammed bin Ahmed bin Abi Bakr (Died: 671 AH) investigated by: Ahmed Al-Baradouni and Ibrahim Tafayesh, (2<sup>nd</sup> Edition, Cairo, Dar Al-Kutub Al-Masryah, 1384 AH - 1964 AD).
23. (*Madaraj Assalikeen baina Manazil Iyyaka Nabodu wa Iyyaka Nastaeen*), Ibn al-Qayyim, Mohammed ibn Abi Bakr ibn Ayyub (Died: 751 AH), Investigated by: Mohammed al-Mu'tasim Billah al-Baghdadi, (3<sup>rd</sup> Edition, Beirut, Dar al-Kitab al-Arabi, 1416 AH - 1996 AD).
24. (*Al-Fawaed*), Ibn Al-Qayyim, Mohammed bin Abi Bakr bin Ayoub (Died: 751 AH), (2<sup>nd</sup> Edition, Beirut, Dar al-Kutub al-Elmiyya, 1393 AH / 1973 AD).
25. (*Tafseer Al-Quran Al-Azeem*), Ibn Katheer, Abu Al-Fidaa Ismail bin Omar Al-Dimashqi (Died: 774 AH), investigation: Sami bin Mohammed Salama, (2<sup>nd</sup> edition, Taibah Publishing and Distribution, 1420 AH / 1999 AD).
26. (*Tasbeeh in the Holy Quran and Sunna and Reply to Misconceptions*), Dr. Kendo, Mohammed bin Is'haq, (1<sup>st</sup> Edition, Riyadh, Dar Al-Minhaj, 1426 AH).
27. (*Madarik Attanzeel wa-Haqaiqu at-Tweel*), Al-Nasafi, Abu Al-Barakat Abdulla bin Ahmed bin Mahmoud (Died: 710 AH), investigation: Youssef Ali Badawi, (1st edition, Beirut, Dar Al-Kalim Al-Tayyib, 1419 AH - 1998 AD).







## فهرس المُوْضُعَاتِ

المستخلص .....	٤٢٣
المقدمة .....	٤٢٥
المطلب الأول: مفهوم تسبیح الرسُل ﷺ ونظائره في القرآن الكريم .....	٤٢٩
الفرع الأول: مفهوم تسبیح الرسُل ﷺ .....	٤٢٩
الفرع الثاني: نظائر التسبیح في القرآن الكريم: .....	٤٣٢
المطلب الثاني: نماذج من تسبیح الرسُل ﷺ في ضوء القرآن الكريم ومعانٍها ..	٤٣٥
الفرع الأول: نماذج من تسبیح الرسُل ﷺ في ضوء القرآن الكريم ..	٤٣٥
الفرع الثاني: معانٍ التسبیح في القرآن الكريم: .....	٤٤٤
المطلب الثالث: فضل التسبیح والقيم التربوية المستنبطة من تسبیح الرسُل ﷺ في القرآن الكريم .....	٤٤٩
الفرع الأول: فضل التسبیح: .....	٤٤٩
الفرع الثاني: القيم التربوية المستنبطة من تسبیح الرسُل ﷺ في القرآن الكريم.	٤٥١
الخاتمة .....	٤٥٥
ثبات المصادر والمراجع .....	٤٥٨
رومنة المصادر والمراجع .....	٤٦١
فهرس المُوْضُعَاتِ .....	٤٦٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



ملف تعريفي عن المجلة  
باللغة الإنجليزية



Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication  
of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Issue No. (12) Year 6 / Rajab1443 AH, corresponding to February 2022 Part One

**Chairman of the Editorial Board**

**Prof. Dr. Muhammad bin Abdul-Aziz Al-Awaji**

Professor at the Department of Interpretation  
And Quranic Sciences, Islamic University

**Managing Editor**

**Prof. Dr. Muhammad Bin Abdullah Al-Rbiha**

The professor of Quran Tafseer and its Science  
in OM-Alqura University in Mecca

**Editorial Secretary**

**Mustafa Mahmud Abdullwahed**



Copyright ©

## Tadabbur Magazine

**480 P, 17×24 cm**

**ISBN: 5883/ 1438**

**Date: 24/6/1438**

**ISSN : 7642- 1658**



**Price: (25) Saudi Riyals or equivalent in local currency**

The magazine is authorized by the Ministry of Information , Saudi Arabia: 375



### Correspondence and Subscriptions

All correspondence and subscriptions should be  
addressed to the Editor-in-Chief

**Prof. Muhammad ibn Abd al-Azeez al-Awaji**

**Kingdom of Saudi Arabia**

**PO Box 7119**

**Medina 41462**

info@tadabburmag.sa



+966 50 30 72 333



@tadabburmag



<http://www.tadabburmag.sa>



**All contributions express their authors' views**



## Tadabbur Magazine

A reviewed academic periodical dedicated to the review and publication of research and academic studies in the field of promoting the understanding of the Qur'an. It is published twice a year.

The magazine is licensed by the Ministry of Culture and Information, Saudi Arabia.

◆ **Mission:** To be researchers' first choice for the publication of their research and studies in the field of understanding the Qur'an.

◆ **Vision:** The magazine will provide an academically reviewed facility for researchers to publish their academic studies in the in-depth understanding of the Qur'an and related areas, observing professional publishing international standards.

### ◆ **Aims:**

- Encourage academic studies leading to in-depth understanding of the Qur'an.
- Publish academic research and studies in the field of understanding the Qur'an.
- Ensure inter-communication between academics dedicated to Qur'anic studies and promote exchange of experience.
- Open up new areas of academic studies in the field of in-depth understanding of the Qur'an.

.....

**One: Research and studies in the field of in-depth understanding of the Qur'an.**

1. The formulation of academic principles applicable to the understanding of the Qur'an.
2. Qur'anic themes.
3. Objectives of the Qur'an.
4. Revelational Circumstances of the Qur'an
5. The inimitability of the Qur'an.
6. The superior excellence of the Qur'an style.
7. Teaching methods of in-depth understanding the Qur'an.
8. Deduction from the Qur'an.

**Two: Reports of academic meeting and conferences related to the in-depth understanding of the Qur'an.**

**Three: Summaries of theses of distinction focused on the in-depth study of the Qur'an.**

**Four: Issues raised by the Editorial Board so as to request essays by specialists in the understanding of the Qur'an.**

.....



## ◆ Editorial Board:

1. Prof. Muhammad ibn Abd al-Azeez al-Awaji; Professor, Department of Commentary and Qur'anic Studies at the Islamic University. (Chairman).
2. Prof. Ibraheem ibn Salih al-Humaidi, Professor, Department of the Qur'an and its Studies, University of al-Qasim.
3. Prof. Abd al-Rahman ibn Nasir al-Yusuf, Professor, Department of the Qur'an and its Studies, Islamic University of Imam Muhammad ibn Saud.
4. Prof. Yusuf ibn Abdullah al-Ulaiwi, Associate Professor, Department of Fine Expression [al-Balaghah], Islamic University of Imam Muhammad ibn Saud.
5. Dr. Buraik ibn Saeed al-Qarni, Associate Professor, Department of the Qur'an and its Studies, Islamic University of Imam Muhammad ibn Saud.
6. Prof. Muhammad ibn Abdullah al-Rabeeah, The professor of Quran Tafseer and its Science in OM-Alqura University in Mecca.
7. Mustafa Mahmood Abd al-Wahid, Editorial Secretary.,

.....

## ◆ Consultative Committee

1. Dr. Faysal Jameel Ghazawi, The Imam and Preacher of the Grand Holy Mosque in Makkah.
2. Prof. al-Shaid al-Bushikhi, Chairman, Board of Directors, Mubdi' Foundation for Studies and Research, Morocco.
3. Prof. Fahd ibn Abd al-Rahman al-Roomi, Professor, Faculty of Education, King Saud University, Riyadh.
4. Prof. Abd al-Rahman ibn Maadah al-Shihri, Professor, Faculty of Education, King Saud University, Riyadh.
5. Prof. Ali ibn Ibraheem al-Zahrani, Professor of Higher Studies, Head of the Department of Education, the Islamic University, Madinah.
6. Prof. Yahya ibn Muhammad Zamzami, Supervisor, King Abdullah's Chair for the Qur'an and its Studies at Umm al-Qura University, Makkah.
7. Professor Abd Elhakeem Mohammed Al Onays, Head of researchers and a member of senior scholars' board of Islamic Affairs and Charitable Activities Department -Dubai
8. Professor Taha Hamad Abdeen, The professor of Quran Tafseer and its Science.
9. Prof. Ahmad Khalid Shukri, Professor, Faculty of Islamic Jurisprudence [Shariah], University of Jordan.
10. Prof. Ahmad ibn Muhammad al-Sharqawi, Professor of Commentary and Qur'anic Studies, University of al-Azhar, Cairo, Egypt.



## Rules and Conditions for Publication in the Tadabbur Magazine

### ◆ Firstly: Nature of the Material published:

The magazine aims to provide researchers in all countries worldwide with an opportunity to publish their scientific outputs in the fields related to pondering over the Holy Qur'an, on condition that these outputs are based on originality, novelty, the ethics of scientific research, and scientific methodology.

The Magazine publishes materials that have not been published in the Arabic language before and and accepts the articles under any of the following categories:

- Authentic researches
- Abstracts of projects and distinct scientific papers
- Reports on scientific forums and conferences

### ◆ Secondly: Scientific Procedures for submitting Researches:

- 1- The researches shall be in the fields of the Magazine.
- 2- An introduction shall be written to contain the subject of the research, its limits, objectives, methodology, procedures, and the research plan
- 3- Previous studies, if any, shall be referred to, and the researcher's scientific addition shall be submitted.



- 4- The research shall be divided into sections (**subjects**) according to the **research plan**, so that they seem to be interrelated and coherent.
- 5- The research shall be written and formulated in an elaborate scientific manner, free from any linguistic and grammatical errors, with special emphasis on scientific honesty and accuracy in documentation.
- 6- A conclusion shall be written to contain a comprehensive summary of the research as well as the main **findings** and recommendations thereof.

### ◆ **Thirdly: Technical Procedures for submitting Researches:**

- The number of the research pages shall not be more than **50** pages, with an **A4** size, including both the Arabic and English abstracts, and the references, and not be less than **25** pages.
- The Page margins shall be within **2 cm** from the top, bottom, right, and left thereof, and line spacing shall be single.
- The size of the **traditional Arabic** font used for the Arabic language shall be 16 while it shall be 12 for both the marginal annotations and the abstract, and 11 for tables and figures.
- The **Times New Roman** font shall be used for the English language with a size of 12 and a size of 10 for the footnotes, the abstract, tables and figures.
- The Quranic verses shall be written according to the **Electronic Muṣḥaf of King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an**, with a font size of 14, in plain color (non-boldfaced).



- The footnotes of each page shall be placed separately; the footnote numbering for each page shall be separate, and the footnotes shall be set automatically, not manually.
- The Research data shall be written in both Arabic and English languages and contain **the research title, the researcher's name and other personal details, the contact information, and the titles of any scientific papers.**
- The number of the abstract words shall not exceed 250 words, and the abstract shall include the following elements: **the subject of the research, its objectives, and its methodology, with careful attention to its editing.**
- Each abstract (both the Arabic and English ones) shall be followed by the key words expressing accurately the subject of the research, and the primary issues addressed, with a number no more than 6 words.
- The research shall be free from any linguistic, grammatical and spelling errors.
- Writing the footnote shall include **(the title of the book, the name of the author, the part and page)**, in accordance with the scientific method applied in documenting Islamic studies and the Arabic language.

An Example: Tongue of the Arabs, by Ibn Manzūr (2/233)

**As for the Quranic verses**, they shall be referred to in the text only, along with the name of the chapter, followed by a colon (or two dots :), and then the verse number, for example [Women: 55].



#### ◆ **Fourthly: How to document References:**

**The researcher shall document the references at the end of the research as follows:**

- **If the reference is a book**, it shall be documented as follows: the title of the book, the author's last name (his nickname), then the first name and other names, the editor's name, if any, the edition, the publishing city, the publisher's name, and the year of publication.

An Example: "Al Jāmi'e Aṣṣahīh" (Authentic Comprehensive Book)", At-Tirmidhī, Abu Issa, Muhammad bin Issa, edited by Ahmed Mohamed Shaker et al. Ed. 2, Beirut, the Arab Heritage Revival House, 2004.

- **If the reference is an unpublished scientific paper**, it shall be documented as follows: the title of the paper, the last name of the researcher (the family name), then the first name and other names, the type of the thesis (a Master's or PhD thesis), then the place, the name of the college, the name of the university, and the year.

An Example: "Ya'aqūb bin Shaybah As-Sadousi: His Impact and Approach to Discrediting and Endorsement", Al-Muṭairi, Ali bin Abdullah, Master's Thesis, Saudi Arabia, the College of Education, King Saud University, 1418 AH.

- **If the reference is an article drawn from a periodical**, it shall be documented as follows: the title of the article, the author's last name (the family name), then the first name and other names, the name of the periodical, the place, the volume number (issue number), the year of publication, and the page (s).



An Example: "Imam Affān bin Muslim Aş-Şaffār and His Approach to Receiving, Performing and Criticizing," Al-Muṭairi, Ali bin Abdullah, Qassim University Journal, Sharia Sciences, Qassim, volumes 3 and 1, 1431 AH, pages 35-85.

**This is in addition to mentioning some abbreviations if they are not shown in the reference details, namely:**

- ↳ The phrase "without the publisher's name" shall be abbreviated to n. p.
- ↳ The phrase "without edition number" shall be shortened to n. edt.
- ↳ The phrase "without date of publication" shall be abbreviated to n. d.
- References should be alphabetised.

#### **◆ Fifthly: Explaining the Path of the Research presented to the Magazine:**

- 1- **Sending the research to the Magazine website or e-mail** shall be an assurance from the researcher that his piece of research has not been published before, that it is not or will not be submitted to any entity for publication until the Magazine has completed its arbitration proceedings.
- 2- **The Editorial Board of the Magazine** has the right to the preliminary examination of the research and to determining whether it is eligible for arbitration or rejecting it.

- 3- **Informing the researcher of the summary of the arbitrators' reports**, in order for him to modify his research according to it and to demonstrate his view regarding their claims that he does not accept, and the Board shall settle the dispute between them.
- 4- **In case that the research is approved for publication**, a message shall be sent to the researcher telling him that the research is accepted for publication, and if the research is not accepted for publication, a message should be sent offering the researcher an apology for that.
- 5- **The researcher**- after publishing his work in the Magazine - may publish it again six months after its publication.
- 6- **In case the researcher sends his piece of research via the website or e-mail of the Magazine**, this shall mean that he accepts the conditions for publication, and the Editorial Board is entitled to prioritize the researches to be published.
- 7- **The opinions expressed in the researches published** shall point to the viewpoints of the researchers only and shall not necessarily indicate the perspectives of the Magazine.

.....



## Table of Contents

Subject	Page
◆ From the Editor	17
<b>Essays and Research</b>	
◆ The purposes of Allah's Trials from a Quranic perspective: An Analytical Study Dr. Bey Zekkoub Abdelali	21
◆ Hospitality: Legitimacy, Rules of Etiquette, and Ruling in the light of the Holy Quran Dr. Sultan bin Abdullah Al-Garbou'	155
◆ The Semantics of the Verbs of the Creation of Universes and Man in the light of the Quran (scatter, revive, cause to grow, bring out, make, and resurrect): Applied Models Dr. Al-Amir Mahfouz Mohammad Abu Aisha	235
◆ Diacritical Marks Differences in Farshi Readings with Identical Letters and their Effects on Meaning and Understanding: An Empirical Study Mohammad bin Abdul-Kareem bin Baigham	335
◆ The Glorification of Prophets in the light of the Holy Quran Hamza Abdullah Saadi Shawahnah	421

.....

# TADABBUR MAGAZINE

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Issue No. (12) Year 6 / Rajab1443 AH, corresponding to February 2022

﴿ كُلُّ أُنْزَلٍ نَّاهٍ إِلَيْكُمْ مُّبَرَّكٌ لَّيْذَكِرُوا مَا نَهَا وَلَيَسْتَدِّكُمْ أُولُوا الْأَلْئَبُ ﴾ (س: ١٤)

## Part One

### TADABBUR MAGAZINE Index:

- The purposes of Allah's Trials from a Quranic perspective: An Analytical Study  
Dr. Bey Zekkouz Abdellah
- Hospitality: Legitimacy, Rules of Etiquette, and Ruling in the light of the Holy Quran  
Dr. Sultan bin Abdullah Al-Garnoud
- The Semantics of the Verbs of the Creation of Universes and Man in the light of the Quran (scatter, revive, cause to grow, bring out, make, and resurrect): Applied Models  
Dr. Al-Amir Mahbouz Mohammed Abu Aisha
- Diacritical Marks Differences in Farshi Readings with Identical Letters and their Effects on Meaning and Understanding: An Empirical Study  
Mohammad bin Abdul-Kareem bin Baigham
- The Glorification of Prophets in the light of the Holy Quran  
Hamza Abdullah Saadi Shawahnah

